مجموع مؤلفات وتحقيقات

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم
رحمه الله
١٣٨٧ - ١٤٢٥ هـ

الجزء السابع

دار الصميعي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مجموع مؤلفات وتحقيقات

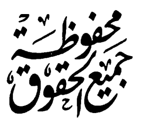
فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

(٧)

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العبدالكريم، عبدالسلام برجس ناصر
مجموع مؤلفات وتحقيقات الشيخ الدكتور عبدالسلام بن برجس العبدالكريم/ عبدالسلام برجس ناصر العبدالكريم - الرياض، ١٤٣٥هـ
٧ مج
ص: ؛ سم: ١٧× ٢٤
ردمك: ٨- ٦٦- ٨١٣٣- ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٦-٧٣-٨١٣٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)
١- الإسلام- مجموعات ٢- العبدالكريم، عبدالسلام برجس ناصر - المؤلفات الكاملة أ. العنوان
ديوي: ٢١٠،٨ ١٤٣٥/٢٢٧٨

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٢٢٧٨
ردمك: ٨- ٦٦- ٨١٣٣- ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٦-٧٣-٨١٣٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)



الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض
ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com



التحفة المدنية

في العقيدة السلفية

تأليف

الشيخ العالم العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر
(١١٦٠هـ / ١٢٢٥هـ)

تحقيق

فضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن برجس العبد الكريم
رحمه الله
١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فهذه رسالةٌ شرحت اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب «الأسماء والصفات» حررها الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ؛ إجابة عن سؤال بعث إليه من «المدينة النبوية» يطلب فيه السائل : الإفصاح عن معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومعتقد تلاميذه من بعده ؛ في أسماء الله تعالى وصفاته .

وقد سلك الشيخ حمد بن معمر في تقرير هذا المعتقد ؛ مسلك أهل العلم ، فبناه على أعظم مقول ، وأوضح حجة ومعقول :

بناه على كتاب الله تعالى .

وأقوال الرسول ﷺ .

وصحابته الأخيار .

ثم ما أجمع عليه السلف الصالح .

فجاء هذا المعتقد كالشمس ضياء ، وكالقمر جمالًا . يفخر به كل سلفي ، ويقوم به من اعوج عن المنهج المستقيم في هذا الباب -إن شاء الله تعالى- نسأل الله أن يعم بنفعه الجميع .

وقد جاءت هذه الرسالة الأولى من نوعها من بين الرسائل التي سبق إصدارها تحت هذه السلسلة المباركة «سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام» إذ جميع الرسائل السابقة تتحدث عن تقرير توحيد الإلهية ، والرد على من حاد وانحرف فيه ؛ ببيان خطئه ، وكشف شبهته ، ودحض حجته .

ولقد نفع الله بهذه الرسائل نفعًا عظيمًا في السودان ، ومصر ، والجزائر ، وأندونيسيا ، وغيرها من البلاد ، فلله الحمد والشكر أولًا وآخرًا .

أما هذه الرسالة فإنها عالجت جانبًا آخر من جوانب التوحيد ، ألا وهو «أسماء الله وصفاته» وسيتبعها في هذا الباب رسائل أخرى – إن شاء الله تعالى .

وإن كان من شيء أحب إيصاله إلى قراء هذه السلسلة ؛ فإنما هو الوصية بهذا المنهج السليم ، الذي رسمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ وسار عليه علماء الدعوة ، فإنه منهج سلفي خالص ، لم تدنسه البدعة ، ولم يلوثه التعصب ، ولم تمازجه أغراض دنيوية .

فهو في باب الأسماء والصفات كامل ، قد استمد كماله من الكتاب والسنة .

وهو في باب الإلهية كامل كذلك .

وهو في باب البيعة ، والسمع والطاعة لولاة الأمر -أبرارًا كانوا أو فجارًا- كامل ، استمد كماله من الكتاب والسنة والنزاهة من

الأغراض والأطماع المادية ، والتجرد من العواطف الكاذبة التي لا توافق كتابًا ولا سنة .

وهو في باب الفقهيات يدعو إلى التحرر من قيود التعصب المقيت ، والأخذ بالدليل الشرعي ، وإن خالفه من خالفه من الكبار .

ويكفي فخرًا لهذا المنهج شهادة المنصفين من المسلمين والكافرين له بإحياء هذه الأمة بعد موتها ، وإعادة سيادتها بعد خفائها .

لقد أقام هذا المنهج دولة إسلامية في بضع سنوات ، لا لقوة عسكرية ، ولا لتحزبات سرية ؛ وإنما لصفاء المعتقد ، وصدق المقصد ، ووضوح المنهج .

لذا فإني أدعو شبابنا الصالح إلى الالتزام بهذا المنهج السلفي ، المبني على الاتباع الكامل ، القائم على تصحيح العقائد ، وحث الناس على العمل بالشريعة الإسلامية .

وليحذروا كل الحذر من مغبة هذه الدعوات الوافدة ، التي تقوم على «الفقه السياسي» و«العاطفة» المكذوبة ، وما إلى ذلك من المخالفات للسلف في المعتقد والمنهج .

حمانا الله وإياكم من هذه التحزبات السرية ، والمناهج البدعية ، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط .

كتبه

د . عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

٢٥/ ١٠/ ١٤١٢هـ

نسخ الكتاب وتوثيق نسبته إلى المؤلف

لا ريب أن الكتاب من تأليف الشيخ حمد بن ناصر بن معمر .

يدل على ذلك :

أولًا : وجود ذلك على طُرة مخطوطتين من الكتاب ، كما سيأتي .

ثانيًا : إثبات الشيخ عبد الرحمن بن قاسم لهذه الرسالة في كتابه «الدرر السنية» الجزء الثالث ، (ص٢٠٧-٢٦٢) جازمًا بنسبتها إلى الشيخ ابن معمر .

ثالثًا : إثبات الشيخ عبد العزيز بن مرشد حفظه الله تعالى أنها من تأليف الشيخ حمد بن معمر ، كما حدثني بذلك ، والشيخ عمدة في أخبار وتآليف أئمة الدعوة .

رابعًا : إثبات الشيخ سليمان الصنيع رَحِمَهُ الله أنها للشيخ ابن معمر ، وقد قال ابن بسام عنه : «كان آية في معرفة أسماء الكتب ، والمؤلفين ، والمخطوطات ، ومحالها ، والمطبوعات ، وأنواع طباعتها ، وكل كتاب وما يختص به من العلم والبحث ، وأصله الذي اختصر منه . . .» إلخ .

هذا وقد وُجد خطأ في نسبة هذه الرسالة ، منشؤه وجود نسخة خطية منها في خزانة الرباط برقم (٣٠ك) كما في «الأعلام» للزركلي

(٧/ ١٢٢) بعنوان: «إثبات الصفات» منسوبة إلى «محمد بن ناصر الحازمي» أحد علماء اليمن، متوفى سنة ١٢٨٣هـ.

وبناء على هذا الخطأ -كما سيأتي بيانه- عزا كل من:

صديق حسن خان، كما في «أبجد العلوم» (٣/ ٢٠٠)، والزركلي في «الأعلام» (٧/ ١٢٢)، وعنه رضا كحالة في «معجم المؤلفين» (١٢/ ٧٢) هذه الرسالة إلى الحازمي.

وعن هذه النسخة طبعت هذه الرسالة في الهند بالحجر منسوبة إلى الحازمي.

وهذا خطأ لأمور:

الأول: ما سبق من توثيق نسبة هذه الرسالة للشيخ ابن معمر.

ثانيًا: أن المؤلف يقول: «شيخنا محمد بن عبد الوهاب» ولا يعرف للحازمي تتلمذ على الشيخ محمد، بل بين وفاتيهما سبعة وسبعون عامًا، والشيخ في نجد، والحازمي في اليمن.

ثالثًا: أن الشيخ سليمان الصنيع وقعت في يده نسخة من طبعة الهند، مكتوب عليها «تأليف الحازمي» فصحح ذلك بقلمه، ونسبها إلى ابن معمر، أفاد ذلك الشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف في كتابه «دعاوى المناوئين» (ص١١٨).

رابعًا: أن نسخة الرباط، مشتملة على رسالتين، إحداهما هذه «إثبات الصفات»، والثانية «مشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد» وكلاهما



منسوب إلى الحازمي هذا . وهذا خطأ ، لأن هذه المشاجرة -بعد الاطلاع عليها -تبين أنها : «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب» وهذه لابن معمر قطعًا ، وقد سبق أن نشرتها في هذه السلسلة برقم (٢) فهذه قرينة تدل على أن الوهم حصل في كلا الرسالتين : «الصفات» ، و«المشاجرة» . والله أعلم .

أما النسخ التي اعتمدتها في تصحيح الكتاب فهي :

١- نسخة ضمن مجموع يحمل رقم (٨٦/٤٧٢) في المكتبة السعودية ، وقد كتب على طرة المجموع : «رد ابن معمر لأهل المدينة» ثم ذكر بقية الرسائل المشتمل عليها المجموع .

وفي إحدى رسائل المجموع كتب تاريخ الفراغ من نسخها ، وهو يوم الخميس ، تاسع عشر ، شعبان ١٢٥١هـ فدل على أن هذا المجموع كتب في هذه السنة .

وكتب على أول صفحة من رسالة ابن معمر بخط حديث ، كتب سنة ١٣٣٨هـ : «النسخة في الصفات ، تصنيف حمد بن ناصر ابن معمر رحمه الله ، وقد أوقف هذا الكتاب -وهو هذا المجموع- محمد ابن صالح بن شلهوب ، لوجه الله تعالى على طلبة العلم الشريف ، وجعل النظر للشيخ محمد بن عبد اللطيف ، وقفًا صحيحًا . . .» .

وهذه النسخة كاملة ، و الإشارة إليها بحرف : (أ) ، وبينها وبين «الدرر» تشابه كبير ، فلعل طبعة «الدرر» عنها .

٢- نسخة محفوظة في مكتبة الشيخ عبد العزيز بن مرشد ، الفضل في استخراجها للشيخ الفاضل الوليد بن عبد الرحمن آل فريان حفظه الله كتب على طرتها : «هذا اعتقاد الشيخ الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الثواب ، ثم اعتقاد شيخنا وقدوتنا حمد بن ناصر بن عثمان أسكنه الله الجنان ومن سلك مسلكهم ، رحمه الله آمين . . .» .

وهذ النسخة ناقصة من الأخير ، تنتهي عند قوله في هذه الطبعة (ص) : «علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر والغلبة . وفي منعهم الإشارة» .

ولا يعرف ناسخها ، إلا أنه من تلامذة الشيخ حمد ، كما بين ذلك في العنوان .

وإليها الإشارة بـ (ب) ، وهي كثيرة الأخطاء الإملائية .

٣- النسخة المطبوعة ضمن «الدرر السنية» (٣/ ٢٠٧-٢٦٢) وقد قابلنا هذه النسخ ، وأثبتنا بعض الفروق .

ثم بعد ذلك وقفت على نسختين :

إحداهما : في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تحت رقم (٧٨٧) مكتوب على طرتها : «كتاب الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وليس عليها اسم المؤلف ، ولا الناسخ ، ولا تاريخ النسخ ، وفيها نقص من آخر الكتاب .

الثانية : تفضل بإرسالها إلي فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله تعالى وهي نسخة كاملة ، نسخت عام ١٢٢٥هـ أي في العام الذي توفي فيه المؤلف ، وهي بقلم أحد تلامذته ، محمد بن حمد بن إبراهيم ابن سليمان ، محفوظة في الموسوعة الفقهية بالكويت ، تحت رقم (٧٢٨) وقد كتب على طُرتها : «التحفة المدنية في العقيدة السلفية تأليف الشيخ شيخنا أحمد بن ناصر بن عثمان بن أحمد بن محمد المعمري ، غفر الله له» .

ففي هذه النسخة من الفوائد : إثبات نسبتها –يقينًا– للمؤلف .

هذا ولم يتسن لي مقابلة هذه النسخ ، وقد تصفحتها فلم أر زيادة فيها على سابقاتها .

أما عن عنوان الرسالة ، فالظاهر أن المؤلف لم يسمها ، ولذا اختلفت النسخ في عنوانها ، فكل ناسخ يضع عنوانًا يرى أنه مناسب لموضوع الرسالة .

ففي النسخة (أ) : النسخة في الصفات .

وفي النسخة (ب) : اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي نسخة جامعة الإمام : الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب .

وفي نسخة الكويت : التحفة المدنية في العقيدة السلفية .

هذا وقد أكثر المؤلف من النقل عن كتابين ، هما :

«العلو» للعلي الغفار ، تأليف الذهبي .

و«اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم .

فاستعنت بهما في مقابلة الكتاب ، كما سترى في حواشيه .

وختامًا أتقدم بالشكر الجزيل لمجموعة من الإخوان تفضلوا بإعانتي في المقابلة ، والتصحيح ، وتبييض المسودة ، شكر الله سعيهم ، وأصلح عملهم ، والله الموفق .

* * *

ترجمة المؤلف[1]

هو الإمام العالم العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، المحقق المجتهد ، الحافظ المتفنن ، قامع المشبهين ، ورافع راية الموحدين ، الشيخ الجليل ، المدقق النبيل ، حمد بن ناصر بن عثمان بن حمد بن عبد الله بن محمد ابن حمد [بن عبد الله بن محمد . . . بن حمد][2] حسن بن طوق بن سيف آل معمر العنقري السعدي التميمي النجدي الحنبلي .

وحسن بن طوق هذا هو الذي نزح من «ثرمداء» إلى «ملهم» ثم أتى إلى العيينة وكان فيها آل يزيد من بني حنيفة فاشتراها منهم عام ٨٥٠هـ ، واستوطنها هو وأولاده ، وما زالت تنمو شيئًا فشيئًا حتى بلغت الذروة –بين بلدان نجد– في التقدم العمراني وكثرة السكان والحركة التجارية والعلمية لا سيما في زمن الأمير –عبد الله بن محمد ابن معمر– كما قاله ابن بشر في عنوان المجد .

---

(١) مصادر الترجمة :

١- «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» للقاضي .

٢- «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج١٢) للشيخ ابن قاسم .

٣- «علماء نجد خلال ستة قرون» للبسام .

٤- «عنوان المجد» لابن بشر .

٥- «جمهرة الأسر المتحضرة في نجد» لابن جاسر .

(٢) ما بين معقوفتين زيادة من «تاريخ ابن بشر» (س/ ١٠٩٦هـ) ، و«جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» للشيخ حمد الجاسر (القسم الثاني - ٨٣٤) .

وذكر الشيخ الفاضل عبد الله بن بسام حَفِظَهُ اللَّهُ في كتابه «علماء نجد» (١/ ٢٣٩) أن بين المترجم له، وحسن بن طوق قرابة من عشرة أجداد لم يستطع العثور على أسمائهم. هكذا قال.

وقد تقدم في النسب ذكر سبعة بأسمائهم نقلًا عن ابن بشر وغيره.

ولد هذا العالم الجليل في مدينة العيينة سنة ١١٦٠هـ وكانت يومئذ أكبر مدن نجد، كما أنها بلد عشيرته آل معمر —حكام العيينة— فكان من بيت حكم وإمارة.

ومن المعلوم أن العيينة بعد قيام دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب تأثرت بدعوته، وصار فيها أناس من أنصار منهجه، فنشأ المترجم فيها وأخذ العلم عن علمائها الذين هم أتباع الشيخ محمد ابن عبدالوهاب.

ولما شب رغب في التزود من العلم فرحل إلى الدرعية مقر دعوة شيخ الإسلام. ولازم فيها شيخ الإسلام ملازمة الظل، فانتفع بذلك أعظم الانتفاع، كما أخذ العلم عن غيره من علماء الدرعية كالشيخ سليمان بن عبد الوهاب، والشيخ حسين بن غنام.

وثابر على تحصيل العلم بجد واجتهاد، ووافق ذلك منه فهمًا جيدًا، وذكاء حادًا، وحفظًا قويًا، فبرز في العلوم الشرعية عامة، وأدرك في العلوم العربية إدراكًا جيدًا، وبلغ مبلغًا كبيرًا حتى صار من أكابر علماء نجد، ومن أوسعهم اطلاعًا، وأطولهم باعًا، وأجوبته أكبر شاهد على ذلك.

قال ابن قاسم: «بلغ في العلوم العقلية والنقلية مبلغًا، له اليد الطولى في الأصول، والفروع، والحديث، واللغة العربية، وغيرها، قليل المثل في الديانة والعبادة، جمع أنواع المحاسن والمعالي، قرن بين خلتي العلم والحلم، والحسب والنسب، والعقل والفضل، والتدريس والتصنيف، والفتاوى والنصائح، أوحد العصر في أنواع الفضائل، مجالسه بالعلم معمورة، بالفقهاء مشحونة، وأوقاته بالخير مقرونة، وأخلاقه بالذكاء مشهورة». اهـ.

قال ابن بسام: «فلما بلغ هذا المبلغ الكبير من العلم، جلس للتدريس في مدينة الدرعية الزاهية بالعلماء والآهلة بالطلاب، والمستمعين، فنفع الله تعالى بعلمه خلقًا كثيرًا، واستفاد منه جم غفير، فصار من طلابه النابهون[1] ابنه الشيخ عبد العزيز بن معمر -صاحب كتاب «منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب»، والشيخ المحدث الفقيه العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ، والشيخ العلامة الإمام عبدالرحمن بن حسن، و الشيخ المحقق الجليل عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن مشرف، والشيخ عثمان ابن عبدالجبار بن شبانة، والشيخ علي بن حسن اليماني، والشيخ جمعان ابن ناصر، وغيرهم من العلماء. كما قصد بالأسئلة والفتاوى من أنحاء الجزيرة العربية فأجاب عنها الأجوبة المحررة السديدة التي تدل على العلم الواسع، والفقه النقي، والباع الطويل في جميع العلوم الشرعية

---

(١) اسم «صار» مؤخر، والجار والمجرور خبر مقدم.

فجاءت في فتاويه ورسائله فوائد زائدة عما كتبه من قبله من الفقهاء تنبئ عن حسن تصرف، وجمال تخريج على كلام العلماء الذين سبقوه، ففتاويه ورسائله لو جمعت لجاءت سفرًا كبيرًا مفيدًا، ولكنها طبعت مفرقة مع فتاوى ورسائل علماء نجد» . اهـ .

وقال محمد بن عثمان القاضي : «وكان ذا مكانة مرموقة، وله شهرة بلغت الآفاق، ولكلمته نفوذ، وكان واعظ زمانه، ولمواعظه وقع في القلوب، غزير الدمعة لا تفارق خده . . . وكان يعظ الناس أدبار الصلوات في الدرعية وفي الحجاز مدة إقامته فيه، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، والولاة يشدون من أزره، ونفع الله به أممًا لا يحصون، ومحا بدعًا كانت في الحجاز، فهدم الشريف قبابًا كانت على القبور بسبب إرشاداته القيمة، وله هيبة، ولكلامه وقع في القلوب» . اهـ .

قال الشيخ ابن بسام حفظه الله : «حدثني وجيه الحجاز الشيخ السلفي محمد بن حسين نصيف قال : حدثني رجل ثقة من آل عطية من أهل جدة عن أبيه، قال : جمعنا في مسجد عكاشة حينما قدم حمد ابن ناصر بكتاب الصلح بين سعود وغالب فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة تدور حول تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة، ثم حذر من ترك الصلوات، وأمر بأدائها في المساجد، ونهى عن شرب الدخان، وبيعه وتعاطيه، كما أمر بهدم القباب التي على القبور، وأمر بالحضور إلى المساجد لسماع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب

فامتثل الناس هذا كله ، فصرت لا ترى الدخان لا استعمالًا ولا بيعًا ، وصارت المساجد تزدحم بالمصلين ، وهدمت القباب التي على القبور ، وصار الناس يحضرون لسماع الدرس» . اهـ .

وقد كان موضع الثقة من الأمراء ، فقد بعثه الإمام عبد العزيز عام ١٢١١هـ إلى الشريف غالب أمير مكة –وقد تقدم ذكر سبب هذه البعثة وما دار فيها .

ولولا مكانته العلمية ، وعقليته الراسخة ، ما اختاره الإمام عبد العزيز وأيده علماء الدرعية على أن يكون السفير الكبير في هذه المهمة العظيمة ، فصار يجادل العلماء بمذاهبهم ، ويرد عليهم كتبهم ، وأقوال أئمتهم .

وفي سنة ١٢٢٢هـ بعثه الإمام سعود رئيسًا لقضاة مكة المكرمة فمكث يقضي ، وسدد في أحكامه ، وظل في منصبه حتى توفاه اللَّه في العشر الأوسط من ذي الحجة سنة ١٢٢٥هـ في مكة ، وصلى عليه المسلمون تحت الكعبة المشرفة ، ثم خرجوا به من الحرم إلى البياضية ، وخرج الإمام سعود ابن عبد العزيز من القصر وصلى عليه بعدد كثير ودفن في مكة» . اهـ . من ابن بشر .

* * *

النسخة في الصفات تصنيف حمد بن ناصر بن ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين
ما تقولكم ادام الله النفع بعلومكم في ايات الصفات والاحاديث الواردة
في ذلك مثل قوله الرحمن على العرش استوى وقوله يد الله فوق ايديهم
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا
وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
الى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه فافيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب رحمه الله في ذلك وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده
هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه ام تؤولون وابسطوا
الكلام في ذلك واجيبونا جوابا شافيا تغنموا اجرا وافيا وصلى الله على
سيدنا محمد واله وصحبه وسلم الجواب الحمد لله رب العالمين
قولنا في ايات الصفات والاحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله
وما قاله سلف الامة وائمتها من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة
وغيرهم من علماء المسلمين فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه
وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل
ومن غير تكييف ولا تمثيل بل نؤمن بان الله سبحانه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ولا نحرف الكلم عن مواضعه
ولا نلحد في اسماء الله واياته ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه
لانه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فهو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في
صفاته ولا في افعاله بل يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ما قولكم أدام الله النفع بعلومكم في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك مثل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى يد الله فوق أيديهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن إلى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه فأفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في ذلك وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه أم تؤولون وابسطوا الكلام على ذلك وأجيبوا جوابا شافيا تغنموا أجرا وافيا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

الجواب الحمد لله رب العالمين قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا

تعطيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين[١] .

ما قولكم -أدام الله النفع بعلومكم- في آيات الصفات ، والأحاديث الواردة في ذلك :

مثل قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] .

ومثل قوله : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح :١٠] .

وقول النبي ﷺ : **«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»**[٢] .

وقوله ﷺ : **«قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن»**[٣] .

إلى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه؟!

فأفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ذلك؟ وكيف مذهبه ، ومذهبكم من بعده؟

---

(١) في «الدرر» : «سئل الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله تعالى» .

(٢) حديث متواتر ، أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم ، وصنف الدارقطني في طرقه وأسانيده كتابًا مفردًا ، وكذلك صنف ابن تيمية -رحمهم الله تعالى- في شرحه وكلاهما منشور ، ولا يخلو كتاب في السنة من هذا الحديث .

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب القدر (٤/ ٢٠٤٥) .



هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه؟ أم تؤولون؟ وابسطوا الكلام على ذلك، وأجيبوا جوابًا شافيًا، تغنموا أجرًا وافيًا.

[وصلى الله على سيدنا محمد، وآله، وصحبه وسلم][1].

* * *

(١) سقط من «الدرر».

الجواب(١)

الحمد لله رب العالمين .

[مجمل الاعتقاد في الأسماء والصفات](٢)

قولنا في آيات الصفات ، والأحاديث الواردة في ذلك :

- ما قاله الله ورسوله .

- وما قاله سلف الأمة ، وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة ، وغيرهم من علماء المسلمين .

فنصف الله تعالى :

- بما وصف به نفسه في كتابه .

- وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ .

من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

بل نؤمن بأن الله سبحانه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

---

(١) في «الدرر» : «فأجاب بما نصه» .

(٢) العناوين التي بين معقوفين -في جميع الرسالة- ليست من أصل الكتاب ، وقد وضعناها تسهيلًا .

فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا نحرف الكلم عن مواضعه ، ولا نلحد في أسماء الله وآياته ، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفو له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

فهو -سبحانه- ليس كمثله شيء ، لا[١] في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

بل يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تكييف ولا تمثيل ، خلافا للمشبهة .

ومن غير تحريف ولا تعطيل ، خلافا للمعطلة .

فمذهبنا مذهب السلف : إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ، وهو مذهب أئمة الإسلام ، كمالك والشافعي ، والثوري ، والأوزاعي ، وابن المبارك ، والإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وهو اعتقاد المشايخ[٢] المقتدى بهم ، كالفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغيرهم . فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين ، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه ، فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء ، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة : قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، لا يتجاوز القرآن والحديث .

---

(١) سقطت «لا» من «الدرر» .

(٢) في (ب) : «السلف» .

وهكذا مذهب سائرهم كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى . ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون[١] ، فإنه يصف[٢] الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز القرآن والحديث ، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين ، الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن نفيًا وإثباتًا ، وهم أشد تعظيمًا لله وتنزيها له عما لا يليق بجلاله .

فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات ، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، ولا يقال : هي ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني ، بل هي آيات بينات ، دالة على أشرف المعاني وأجلها ، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان إثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك ؛ فكان الباب عندهم بابًا واحدًا ، قد اطمأنت به قلوبهم ، وسكنت إليه نفوسهم ، فأنسوا من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، بما استوحش منه الجاهلون المعطلون ، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون ، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات ، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات ، فصفاته لا تشبه الصفات ، فما جاءهم

---

(١) في (ب) : «المذكورين» .

(٢) في (ب) : «فإنهم يصفون» .

من الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول، وقابلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار، لعلمهم بأنه صفة من[١] لا شبيه لذاته ولا لصفاته.

قال الإمام أحمد لما سئل عن التشبيه[٢]: هو أن يقول: يد كيدي، ووجه كوجهي[٣]، فأما إثبات يد ليست كالأيدي، ووجه ليس كالوجوه، فهو كإثبات ذات ليست كالذوات، وحياة ليست كغيرها من الحياة، وسمع وبصر ليسا كالأسماع والأبصار.

وهو -سبحانه- موصوف بصفات الكمال، منزه عن كل نقص وعيب، وهو -سبحانه- في صفات الكمال لا يماثله شيء، فهو حي، قيوم، سميع، بصير، عليم، خبير، رءوف[٤]، رحيم، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وكلم موسى تكليمًا، وتجلى للجبل فجعله دكًّا. لا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد، ولا كرحمته رحمة أحد، ولا كاستوائه استواء أحد، ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره، ولا كتكليمه تكليم أحد، ولا كتجليه تجلي أحد.

---

(١) في «الدرر»: «بأنه سبحانه لا شبيه».

(٢) سقطت «لما سئل عن التشبيه» من (أ)، وفي (ب): «إنما التشبيه أن يقول».

(٣) في (أ): «يد كيد»، وفي (ب): «يدًا كيد»، وفي (أ) و(ب): «أو وجه كوجه».

(٤) في «النسخ»: «رؤف»، وتكرر مثل ذلك كثيرًا في (أ)، و«الدرر» في مواضع تالية.

بل نعتقد أن اللَّه -جل اسمه- في عظمته وكبريائه، وحسن أسمائه، وعلو صفاته، لا يشبه شيئا[١] من مخلوقاته، وأن ما جاء من الصفات[٢] مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، وليس بين صفاته وصفات خلقه إلا موافقة اللفظ، واللَّه -سبحانه- قد أخبر أن في الجنة لحمًا، ولبنًا، وعسلًا، وماءً، وحريرًا، وذهبًا. وقد قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء».

فإذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه الموجودة، مع اتفاقهما[٣] في الأسماء فالخالق جَلَّ وَعَلَا[٤] أعظم علوًّا ومباينة لخلقه من مباينة المخلوق للمخلوق، وإن اتفقت الأسماء.

وأيضًا فإن اللَّه سبحانه قد سمى[٥] نفسه حيًّا، عليمًا، سميعًا، بصيرًا، ملكًا، رءوفًا، رحيمًا، وقد سمى بعض مخلوقاته حيًّا وبعضها عليمًا، وبعضها سميعًا بصيرًا، وبعضها رءوفًا رحيمًا، وليس الحي

---

(١) في (أ): «ولا يشبه به شيئًا»، وفي (ب): «ولا يشبه شيئًا»، وفي «الدرر»: «ولا يشبه به شيء».

(٢) سقطت «من الصفات» من (أ).

(٣) في «الدرر»: «مع اتفاقها».

(٤) في «الدرر»: «وعلى».

(٥) في (أ): «سما».

كالحي، ولا العليم كالعليم، ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، ولا الرءوف كالرءوف، ولا الرحيم كالرحيم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الروم: ١٩].

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢].

وقال: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة إلا في اتفاق الاسم.

* * *

[إثبات صفة العلو من كتاب الله]

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الله سبحانه فوق سمواته ، على عرشه ، بائن من خلقه[١] ، والعرش وما سواه فقير إليه ، وهو غني عن كل شيء ، لا يحتاج إلى العرش ولا إلى غيره ، ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

فمن قال : إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ، ولا يرضى ولا يغضب ولا استوى على العرش فهو معطل ملعون .

ومن قال : علمه كعلمي ، أو قدرته كقدرتي ، أو كلامه مثل كلامي ، أو استواؤه كاستوائي ، أو نزوله[٢] كنزولي فإنه ممثل ملعون .

ومن قال هذا فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل باتفاق أئمة الدين ، فالممثل يعبد صنمًا ، والمعطل يعبد عدمًا ، والكتاب والسنة فيهما الهدى والسداد وطريق الرشاد ، فمن اعتصم بهما هُديَ ، ومن تركهما ضل .

وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وهذه سنة رسول الله ﷺ ، وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة -قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق العرش فوق السموات[٣] مستو على عرشه .

---

(١) في (أ) : «عن خلقه» ، و(ب) : «عن مخلوقاته» ، وفيهما بعد ذلك «وهو فوق سمواته» .

(٢) في «الدرر» : «استواءه . . . ونزوله» .

(٣) سقطت «فوق السموات» من «الدرر» .

ونحن نذكر من ذلك بعضه: قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الفرقان:٥٩].

وقد أخبر سبحانه باستوائه على عرشه في ستة مواضع من كتابه، فذكر في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، والم[1] تنزيل السجدة، والحديد.

وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦، ١٧].

وأخبر عن فرعون أنه قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧].

---

(١) سقطت «آلم» من «الدرر».

ففرعون كذب موسىٰ في قوله إن الله[1] في السماء .

وقال تعالىٰ : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2] [الزمر :١] .

وقال : ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت :٤٢] .

وقال : ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل :١٠٢] .

وتأمل قوله تعالىٰ في سورة الحديد : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد :٤] .

فقوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل وأنه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا غير مخلوق ؛ كما هو قول ابن سينا وأتباعه الملاحدة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون : ليس على العرش سوىٰ العدم ، وإن الله ليس مستويًا علىٰ عرشه[3] ولا ترفع إليه الأيدي ، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلىٰ فوق كما أشار النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع[4] ، وجعل يرفع إصبعه إلى السماء ، وينكبها إلى الناس ، ويقول : «**اللهم**

---

(١) في «الدرر» : «إن الله» .

(٢) سقطت الآية من «الدرر» .

(٣) في «الدرر» : «العرش» .

(٤) سقطت من «الدرر» : «في حجة الوداع» .

اشهد» . وسيأتي الحديث إن شاء الله تعالى[1] ؛ فأخبر في هذه الآية الكريمة أنه على عرشه ، وأنه : ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ ، ثم قال : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾

فأخبر أنه مع علوه على خلقه وارتفاعه ومباينته لهم معهم بعلمه أينما كانوا .

قال الإمام مالك : «الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء» .

وقال نعيم[2] بن حماد لما سئل عن معنى هذه الآية : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ معناه : أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه .

وسيأتي هذا مع ما يشابهه من كلام الإمام أحمد وأبي زرعة وغيرهما .

وليس معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ : أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته .

---

(١) في (أ) : «إنشاء الله» . والحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» ، كتاب الحج (٢/ ٨٩٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في سياق صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في (ب) : «شيخ البخاري» ، ونعيم : من كبار شيوخ البخاري .

وأخبر تعالىٰ أنه ذو المعارج ، تعرج الملائكه والروح إليه ، وأنه القاهر فوق عباده ، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم ، فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده علىٰ عرشه وأنه معنا حق علىٰ حقيقته ، لا يحتاج إلىٰ تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة .

وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه كقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] الآية ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] .

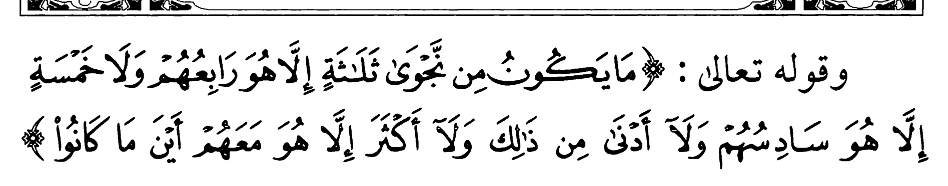
وقال النبي ﷺ : **«إن الذي تدعونه أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلته»**[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الجهاد (٦/ ١٣٥) ، والمغازي (٧/ ٤٧٠) ، والدعوات (١١/ ١٨٧-٢١٣) ، والقدر (١١/ ٥٠٠) ، والتوحيد (١٣/ ٣٧٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فكنا إذا علونا كبرنا ، فقال : **«اربعوا علىٰ أنفسكم ؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا»** قال أبو موسىٰ ثم أتىٰ علي وأنا أقول في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله –فقال لي : «**يا عبد الله بن قيس ، قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها من كنوز الجنة**» .

وأخرج مسلم في «صحيحه» كتاب الذكر (٤/ ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧) ، وفي بعض ألفاظه : **«والذي تدعونه أقرب إلىٰ أحدكم من عنق راحلة أحدكم»** .

فائدة : في بعض ألفاظ البخاري (٧/ ٤٧٠) : «فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله» فدل علىٰ أن التكبير يطلق على الذكر تغليبًا ، وفيه رد علىٰ من أخذ بظاهر حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يسمع التكبير بعد انقضاء الصلاة من خارج المسجد .



وقوله تعالىٰ : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة :٧] .

وكل ما[١] في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة علىٰ قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه علي في دنوه ، قريب في علوه .

وقد أجمع سلف الأمة علىٰ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق سمواته علىٰ عرشه ، وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون .

قال[٢] حنبل بن إسحاق : قيل لأبي عبد الله : ما معنىٰ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؟ قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة .

وسيأتي هذا[٣] الكلام مع زيادة عليه من كلام الإمام أحمد وغيره إن شاء الله تعالىٰ .

❊ ❊ ❊

---

(١) في «الدرر» : «وكلما» .

(٢) في «الدرر» : «وقال» .

(٣) سقطت «هذا» من «الدرر» .

إثبات صفة العلو من السنة

وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب فكثيرة جدًّا؛ **منها**: ما رواه مسلم في «صحيحه» وأبو داود والنسائي وغيرهم، عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: لطمت جارية لي، فأخبرت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: **«بلى، ائتني بها»**، قال: فجئت بها إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: **«أين الله؟»** قالت: في السماء، فقال: **«فمن أنا؟»** قالت: أنت رسول الله[١]، قال: **«اعتقها، فإنها مؤمنة»**[٢].

وفي هذا[٣] الحديث مسألتان:

إحداهما: قول الرجل لغيره: أين الله؟

وثانيهما: قول المسئول: في السماء.

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على الرسول ﷺ.

وفي «صحيح البخاري» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن،

---

(١) زاد في «الدرر»: «ﷺ».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الصلاة (١/ ٣٨٢)، وأبو داود في «الصلاة» باب تشميت العاطس في الصلاة (١/ ٥٧٠)، والنسائي في «سننه» (٣/ ١٤-١٨).

(٣) سقطت من «الدرر»: «هذا».

وزوجني الله من فوق سبع سموات[1] .

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : **«لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي»** ، وفي لفظ آخر : **«كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده : إن رحمتي تغلب غضبي»** ، وفي لفظ : **«فهو مكتوب عنده فوق العرش»** .

وهذه الألفاظ كلها صحاح في «صحيح البخاري ومسلم»[2] .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسى ، قال : **«قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التوحيد ، باب «وكان عرشه على الماء» ، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] (١٣/ ٤٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) في النسخ : «كلها في «صحيح البخاري»» ، والمثبت من «اجتماع الجيوش الإسلامية» ط . المعتق .

والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه» (١٣/ ٤٠٤) ، (١٤/ ٣ ، ٤٤٠ ، ٥٢٢) في أبواب : «وكان عرشه على الماء» ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران :٢٨] ، ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا﴾ [الصافات :١٧١] ، و﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج :٢١] ، ومسلم في «صحيحه» كتاب التوبة (٤/ ٢١٠٧ ، ٢١٠٨) ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان (١/ ١٦٢) .

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم الرب، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهو يصلون»**(١).

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ»** أخرجه أبو داود(٢).

وفي «الصحيحين» في قصة المعراج، وهي متواترة: «وتجاوز النبي ﷺ السموات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى، فقربه وأدناه،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، (١٣/ ٤١٥) وفي (باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة) (١٣/ ٤٦١)، وفي كتاب بدء الخلق (٦/ ٣٠٦)، وفي مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٢/ ٣٣)، ومسلم، كتاب المساجد (١/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الطب (٤/ ٢١٨)، وفي إسناده زياد بن محمد الأنصاري، وهو ضعيف عندهم، وقد حسن شيخ الإسلام هذا الحديث في «الواسطية».

وفي «الدرر»: **«ذنوبنا... شفاك»** بدل: **«حوبنا... شفائك»**، وسقطت: **«اجعل رحمتك في الأرض»** من (ب).



وفرض عليه خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسىٰ وبين ربه، ينزل من عند ربه إلىٰ موسىٰ، فيسأله: كم فرض عليك؟ فيخبره، فيقول: ارجع إلىٰ ربك فسله التخفيف»[١].

وذكر البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه» حديث أنس حديث الإسراء، وقال فيه: «ثم علا به -يعني[٢] جبريل- فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله حتىٰ جاوز سدرة المنتهىٰ، ودنا الجبار رب العزة، فتدلىٰ حتىٰ كان قاب قوسين أو أدنىٰ، فأوحىٰ إليه فيما أوحىٰ خمسين صلاة كل يوم وليلة، ثم هبط حتىٰ بلغ موسىٰ، فاحتبسه موسىٰ، فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلىٰ جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالىٰ فقال وهو في مكانه: يا رب خفف عنا». وذكر الحديث[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الصلاة (١/ ٤٥٨، ٤٥٩)، ومسلم كتاب الإيمان (١/ ١٤٦).

(٢) سقطت من «الدرر»: «يعني».

(٣) «صحيح البخاري» كتاب التوحيد، باب قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] (١٣/ ٤٧٨).

وسقط من «الدرر»: «وعنهم... في ذلك»، وفي «الدرر»: «فأشار عليه»، وسقط من (ب) ذكر «جبريل» في آخر الحديث عند المشورة.

ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم، قال النبي ﷺ: **«لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة»**. وفي لفظ: **«من فوق سبع سموات»**. وأصل القصة في «الصحيحين»، وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في «المغازي»[1].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد قال: بعث علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ بذهيبة في أديم مقروض لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة: بين عيينة بن حصن بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«ألا تأمنوني، وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء»**[2].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق ومن طريقة ابن هشام في «السيرة» (١٣/ ١٤٦) ط. الكليات، وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص٣٢) من طريق ابن إسحاق مرسلًا، ومن طريق آخر قال عقبه: «حديث صحيح أخرجه النسائي...».
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٠).
وأصل القصة في «الصحيحين» انظر: «صحيح البخاري» كتاب الجهاد (٦/ ١٦٥)، والمناقب (٧/ ١٢٣)، والمغازي (٧/ ٤١١)، والاستئذان (١١/ ٤٩)، ومسلم كتاب الجهاد (٣/ ١٣٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه» (١٣/ ٤١٥)، والأنبياء (٦/ ٣٧٦)، والتفسير (٨/ ٣٣٠).
=

وفي «سنن أبي داود» من حديث جبير بن مطعم، قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت[1] الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: **«سبحان الله، سبحان الله»**، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، فقال: **«ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأنه أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه، إنه لفوق سمواته على عرشه، وإنه عليه لهكذا، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب»**[2]. وقد ساق الذهبي هذا الحديث في كتاب «العلو» من رواية محمد بن إسحاق، ثم قال: «هذا حديث غريب جدًّا، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم قال النبي ﷺ هذا أم لا؟ والله ﷻ ليس كمثله شيء جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره.

والأطيط الواقع بذات العرش من جنس الأطيط الحاصل في الرحل، فذاك صفة للرحل وللعرش، ومعاذ الله أن نعده صفة لله ﷻ، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت.

= ومسلم في «صحيحه» كتاب الزكاة (٢/ ٧٤٢).

كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وسقط من «الدرر»: «نحن» و «ذلك».

(١) في «الدرر»: «هلكت».

(٢) رواه أبو داود في السنة من «سننه» (٥/ ٩٤-٩٦). وانظر: «تهذيب السنن» لابن القيم (٧/ ٩٤-١١٧).

وقولنا في هذه الأحاديث : أنا نؤمن بما صح منها وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فأما ما في إسناده مقال أو اختلف العلماء في قبوله وتأويله ، فإنا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله على عرشه مما يوافق آيات الكتاب»[١] .

وفي «سنن أبي داود» و«مسند الإمام أحمد» من حديث العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت جالسًا بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة ، فنظر إليها ، فقال : **«ما تسمون هذه؟»** قالوا : السحاب ، قال : **«والمزن»** ، قالوا : والمزن ، قال : **«والعنان»** ، قالوا : والعنان ، قال : **«هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟»** قالوا : لا ندري ، قال : **«إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك ، حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ، أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله ﷻ فوق ذلك»** ، زاد أحمد : **«وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»**[٢] .

---

(١) هذا بحروفه كلام الذهبي في «العلو» (ص٣٩) ، وهومعروف بحديث الأطيط .
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٠٢) ط . شاكر ، وأبو داود (٥/ ٩٣) ، والترمذي (٥/ ٤٢٤) ، وابن ماجه (١/ ٦٩) ، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٠١-١٠٣) ، والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٢) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٨٨ ، ٤١٢) ، =

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة «أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية ، فقال : يا رسول الله ، إن علي رقبة مؤمنة ، فقال لها رسول الله ﷺ : **«أين الله؟»** فأشارت بأصبعها السبابة إلى السماء ، فقال لها : **«من أنا؟»** فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء ، أي : أنت رسول الله ، فقال : **«أعتقها فإنها مؤمنة»**[(١)] .

وفي «جامع الترمذي» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : **«الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»** . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح»[(٢)] .

وفي «جامع الترمذي» أيضًا عن عمران بن حصين ، قال : قال النبي ﷺ لأبيه حصين : **«كم تعبد اليوم إلها؟»** ، قال : سبعة ؛ ستة في الأرض وواحد في السماء ، قال : **«فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟»** ، قال : الذي في السماء ، قال : **«يا حصين ، أما إنك لو أسلمت علمتك**

= والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٩٨ ، ٣٩٩) ، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٤) ، و«الرد على المريسي» (ص٩٠) ، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٥٣) ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب «العرش» (ص٥٥) ، والذهبي في «العلو» (ص٤٩ ، ٥٠) .

وسقط من «الدرر» كلمة **«السماء»** في : **«فوق السماء السابعة بحر»** .

وسقط من النسخ : «وزاد أحمد» وهي في «الاجتماع» .

(١) هو في «المسند» (٢/ ٢٩١) ، وسبق قريبًا من رواية مسلم وغيره من حديث معاوية السلمي رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه في «الضياء الشارق» ، وهو صحيح .

كلمتين ينفعانك» ، قال : فلما أسلم حصين ، قال : يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني ، قال : «**قل : اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي**»[١] .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»[٢] .

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه**» وذكر الحديث ، وفي بعض ألفاظ البخاري في «صحيحه» : «**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**»[٣] .

وصح عن أبي هريرة بإسناد مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن لله ملائكة سيارة يتتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم ، فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم**» . وأصل الحديث في «صحيح مسلم» ، ولفظه : «فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء ، فيسألهم الله

---

(١) تقدم تخريجه في «تحفة الطالب والجليس» (ص١١٥) ط (٢) .

(٢) مسلم في كتاب النكاح من «صحيحه» (٢/ ١٠٦٠) بهذا اللفظ . وأخرجه البخاري (٩/ ٢٩٤) بلفظ : «**إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**» . وهذا اللفظ عند مسلم إلا أن فيه : «**حتى تصبح**» .

(٣) تقدم قريبًا ، وسقط من «الدرر» : «في صحيحه» .

ﷻ، وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ الحديث[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا لا يتسع هذا الجواب لبسطها، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله وألهمه رشده، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه، بل لا تزيده كثرة الأدلة إلا حيرة وضلالًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة:٦٤].

وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال جل ذكره: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

***

(١) مسلم، كتاب الذكر (٤/ ٢٠٦٩، ٢٠٧٠)، وأما الحديث باللفظ الأول فرواه الإمام أحمد رحمه الله في «مسنده» (٢/ ٢٥٢، ٣٥٩، ٣٨٢).

[الكلام في الكيفية]

والمقصود أن نصوص الكتاب والسنه قد نطقت، بل قد تواترت بإثبات علو الله على خلقه، وأنه فوق سمواته مستو على عرشه استواء يليق بجلاله لا يعلم كيفيته إلا هو.

فإن قال السائل: كيف استوىٰ علىٰ عرشه؟

قيل له -كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا؟

قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته. قيل: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ[١] العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، فكيف تطالبني بكيفية استوائه على عرشة وتكليمه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تقر بأن له ذاتًا حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فاستواؤه[٢] ونزوله وكلامه ثابت في نفس الأمر، ولا يشابهه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم، فإن الله تعالىٰ[٣] ليس كمثله

---

(١) في «الدرر»: «كيف... إذا».

(٢) في «الدرر»: «فاستواءه».

(٣) في «الدرر»: «فإنه ليس».

شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل صفات[١] سائر الذوات ، فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات . فإذا كانت ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فصفات الخالق لا تشبه صفات المخلوقين .

وكثير من الناس يتوهم في كثير من الصفات أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه ، فيقع في محاذير .

ومنها : أنه مثل ما فهمه[٢] من النصوص بصفات المخلوقين ، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

ومنها : أنه ينفي[٣] تلك الصفات عن الله بلا علم ، فيكون معطلًا لما يستحقه الرب من صفات الكمال ونعوت الجلال ، فيكون قد عطل ما أثبته الله ورسوله من الصفات الإلهية اللائقة[٤] بجلال الله وعظمته .

ومنها : أن يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الجمادات أو صفات[٥] المعدومات ، فيكون قد عطل صفات الكمال

(١) في «الدرر» : «لا تماثل سائر الصفات» .

(٢) في «الدرر» : «ما فهم» .

(٣) في «الدرر» : «أن ينفي» .

(٤) في «الدرر» : «صفات الإلهية اللائق» .

(٥) في «الدرر» : «وصفات» .

التي يستحقها الرب ، ومثله بالمنقوصات والمعدومات ، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فجمع في الله وفي كلام الله بين[1] التعطيل والتمثيل ، فيكون ملحدًا في أسمائه وآياته .

***

---

(١) في «الدرر» : «من التعطيل» .

[الاستواء ومعناه]

ومثال ذلك أن النصوص كلها قد دلت على وصف الإله -تبارك وتعالى- بالفوقية وعلوه على المخلوقات واستوائه على عرشه، وليس في كتاب الله والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجًا عنه ولا مباينه ولا مداخله، فيظن المتوهم أنه إذا وصف الله تعالى بالاستواء على العرش كان الاستواء كاستواء الإنسان على ظهر الفلك والأنعام؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

فيخيل لهذا الجاهل(١) بالله وصفاته أنه إذا كان مستويًا على العرش كان محتاجًا إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

بل هو غني عن العرش وغيره، وكل ما سواه مفتقر إليه، فكيف يتوهم أنه إذ كان مستويًا على العرش كان محتاجًا إليه؟! تعالى الله عن ذلك وتقدس.

وأيضًا فقد علم أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض، ولم يجعل عاليه مفتقرًا إلى سافله(٢)، فالهواء فوق الأرض وليس مفتقرا إلى أن تحمله الأرض، والسحاب أيضا فوق الأرض وليس مفتقرا إلى أن

---

(١) في (ب): «فيخيل»، وفي (أ)، (ب): «هذا».

(٢) في «الدرر»: «مفتقر»، وفي (ب): «أسفله».

تحمله، والسموات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها، فالعلي الأعلى رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب أن يكون محتاجًا إلى عرشه أو خلقه، أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار، وهو ليس يستلزم في المخلوقات، وكذلك قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

وقول النبي ﷺ: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»**، وقوله في رقية المريض: **«ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك»**[١].

فمن توهم من هذه النصوص أن الله في داخل السموات فهو جاهل ضال باتفاق العلماء.

فلو قال القائل: العرش في السماء أو في الأرض؟ لقيل: في السماء، ولو قيل: الجنة في السماء أم في الأرض؟ لقيل: في السماء، ولم يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السموات، بل ولا الجنة، فإن السماء يراد به العلو سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها.

قال تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

ولما كان قد استقر في نفوس[٢] المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى

---

(١) سبق تخريجها قريبًا.

(٢) في (أ): «قلوب».

كان المفهوم من قوله : «إنه[١] في السماء» أنه في العلو وأنه كان فوق كل شيء ، وكذا الجارية لما قال لها : **«أين الله؟»** قالت : في السماء ، وإنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها .

وإذا قيل : العلو ؛ فإنه يتناول[٢] ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ، ولا يقتضي هذا أن[٣] يكون هناك ظرف وجودي يحيط به[٤] ، إذ ليس فوق العالم إلا الله ، كما لو قيل : العرش في السماء كان المراد أنه عليها .

كما قال تعالى : ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران : ١٣٧] .

وكما قال : ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة : ٢] .

وقال عن فرعون : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] .

وبالجملة فمن قال : إن الله في السماء ، وأراد أنه في جوف السماء ، بحيث تحصره وتحيط به -فقد أخطأ وضل ضلالًا بعيدًا . وإن أراد بذلك أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه فقد أصاب .

* * *

---

(١) سقطت من «الدرر» : «إنه» .

(٢) في (ب) : «يتأول» .

(٣) في «الدرر» : «هذان» .

(٤) في (ب) : «طرف» ، وفي «الدرر» : «بها» .

[إجماع أهل العلم على إثبات العلو]

وهذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن لم يعتقد ذلك كان مكذبًا الرسل، متبعًا غير سبيل المؤمنين، بل يكون في الحقيقة معطلًا لربه، نافيًا له، ولا يكون له في الحقيقة إله يعبده، ولا رب يسأله ويقصده(١)، وهذا قول الجهمية.

والله تعالىٰ قد فطر العباد عربهم وعجمهم علىٰ(٢) أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو، ولهذا قال بعض العارفين: ما قال عارف قط بالله(٣): يا الله، إلا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه معنىٰ يطلب(٤) العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة. بل قد فطر الله علىٰ ذلك جميع الأمم في الجاهلية والإسلام؛ إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

قال ابن قتيبة: «ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء، أي على السماء، فهو سبحانه قد أخبر في كتابه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ بأنه استوىٰ علىٰ عرشه استواء

---

(١) في «الدرر»: «يقصده ويسأله».

(٢) سقطت من (أ): «علىٰ».

(٣) سقطت من «الدرر» و(ب): «بالله».

(٤) في «الدرر»: «طلب».



يليق بجلاله، ويناسب كبرياءه[١]، وهو غني عن العرش وعن حملة العرش، والاستواء معلوم والكيف مجهول[٢]، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة؛ كما قالته[٣] أم سلمة، وربيعة، ومالك. وهذا مذهب أئمة المسلمين، وهو الظاهر من لفظ «استوى» عند عامة المسلمين الباقين على الفطرة السليمة، التي لم تنحرف إلى تعطيل ولا إلى تمثيل.

وهذا هو الذي أراده يزيد بن هارون الواسطي المتفق على إمامته وجلالته وفضله، وهو من أتباع[٤] التابعين، حيث قال: من زعم أن «الرحمن على العرش استوى» خلاف ما يقر في نفوس العامة، فهو جهمي.

فإذا الذي أقره الله في فطر عباده وجبلهم عليه أن ربهم فوق سمواته.

وقد جمع العلماء في هذا الباب مصنفات كبارًا وصغارًا، وسنذكر بعض ألفاظهم في آخر هذه الفتوى إن شاء الله تعالى.

وليس في كتاب الله، ولا سنة رسول الله، ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا عن أئمة الدين -حرف واحد يخالف ذلك.

---

(١) في «الدرر»: «كبريائه».

(٢) في (ب): «والكيفية مجهولة».

(٣) في (ب) و«الدرر»: «قالت».

(٤) في (ب): «تابع».

ولم يقل أحد منهم قط : إن اللَّه ليس في السماء ، ولا إنه ليس على العرش ، ولا إنه في كل مكان ، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها .

بل قد ثبت في «الصحيح» عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه تعالى عنهما أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات ، في أعظم مجمع حضره رسول اللَّه ﷺ جعل يقول : **«ألا هل بلغت؟»** فيقولون : نعم ، فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ، ويقول : **«اللهم اشهد»** ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث[١] .

* * *

(١) تقدم تخريجه من «صحيح مسلم» ، ووقع في «الدرر» : **«اللهم هل بلغت»** .

[معنى: ظاهرها غير مراد]

واعلم أن كثيرًا من المتأخرين يقولون: هذا مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها: إقرارها على ما جاءت مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. وهذا لفظ مجمل، فإن قول القائل: ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين. فلا شك أن هذا غير مراد. ومن قال هذا فقد أصاب، لكن أخطأ في إطلاق القول: إن هذا ظاهر النصوص، فإن هذا ليس هو الظاهر، فإن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته[1] المقدسة؛ إذ الصفات تابعة للموصوف، فنعقل وجود الباري وننزه ذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته، نؤمن بها ونعقل وجودها، ونعلمها في الجملة من غير أن نتعقلها[2]، أو نشبهها، أو نكيفها، أو نمثلها بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فلا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى الاستواء الاستيلاء، ولا معنى نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا نزول رحمته ونحو ذلك، بل نؤمن بأنها صفات حقيقة، والكلام فيها كالكلام في الذات يحتذى فيه حذوه، فإذا كانت الذات تثبت إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية.

---

(١) في «الدرر»: «بالذات».

(٢) سقطت من (ب): «نتعلقها».

ومن ظن أن نصوص الصفات لا يعقل معناها ولا يدرىٰ ما أراد الله ورسوله منها، ولكن يقرؤها ألفاظًا لا معاني لها، ويعلم أن لها تأويلًا لا يعلمه إلا الله وأنها بمنزلة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، و﴿الٓمٓصٓ﴾، وظن أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ولا يعلمون حقيقة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ونحو ذلك -فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف.

وهذا الظن يتضمن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وسائر الصحابة، وأنهم كانوا يقرءون هذه الآيات، ويروون حديث النزول وأمثاله ولا يعرفون معنىٰ ذلك، ولا ما أريد به، ولازم هذا الظن أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعرف معناه، فمن ظن أن هذه عقيدة السلف فقد أخطأ في ذلك خطأً بينًا.

بل السلف رضي الله عنهم أثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات، فكان مذهبهم مذهبًا بين مذهبين وهدىٰ بين ضلالين[1]، خرج من مذهب المعطلين والمشبهين كما خرج اللبن: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل:٦٦].

---

(١) في (ب): «وهدًا»، وفي (أ)، (ب): «ضلالتين».

[ما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ]

وقالوا: نصف[١] الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات، ونفي مشابهة المخلوقات فلا نعطل ولا نمثل، ولا نؤول، ولا نقول: ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر؛ ولا نقول: له أيد[٢] كأيدي المخلوقين، ولا أن له وجهًا كوجوههم، ولا سمعًا وبصرًا كأسماعهم وأبصارهم. بل نقول: له ذات حقيقة ليست كالذوات، وله صفات حقيقة لا مجازًا، ليست كصفات المخلوقين، فكذلك قولنا في وجهه ويديه وكلامه واستوائه.

وهو سبحانه قد وصف نفسه بصفات الكمال ونعوت الجلال، وسمى نفسه بأسماء، وأخبر عن نفسه بأفعال، فسمى[٣] نفسه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] إلى سائر ما ذكر من أسمائه الحسنى، ووصف نفسه بما ذكره من الصفات كسورة الإخلاص، وأول الحديد، وأول طه، وغير ذلك، ووصف نفسه بأنه يحب ويكره، ويمقت ويرضى ويغضب، ويأسف ويسخط،

(١) في «الدرر»: «أنصف».

(٢) في (ب): «يدان»، وفي «الدرر»: «يد».

(٣) في «الدرر»: «فسما».

ويجيء ويأتي ، وأنه استوىٰ علىٰ عرشه ، وأن له علمًا وحياة ، وقدرة وإرادة ، وسمعًا وبصرًا ، ووجهًا ويدًا ، وأن له يدين ، وأنه فوق عباده ، وأن الملائكة تعرج إليه ، وتنزل بالأمر من عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ، ومع الصابرين ، ومع المتقين ، وأن السموات مطويات بيمينه .

ووصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يفرح ويضحك ، وأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه . وغير ذلك مما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ .

وكل هذه الصفات تساق مساقًا واحدًا ، وقولنا فيها كقولنا في صفة العلو والاستواء ، فيجب علينا الإيمان بكل ما نطق به الكتاب والسنة من صفات الرب جَلَّ وَعَلَا ، ونعلم أنها صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات ، فصفاته لا تشبه الصفات ، فلا نمثل ولا نعطل . وكل ما أخبر اللّٰه به وأخبر به رسوله يجب[1] الإيمان به ، سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه ، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، مع أن عامته منصوص عليه في الكتاب والسنة .

* * *

---

(١) في (ب) : «فكلما» ، وفي (أ) : «أو أخبر» ، وفي (أ) ، و«الدرر» : «فيجب» .

[ما تنازع فيه المتأخرون من ألفاظ]

وأما ما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قبل منه، وإن أراد باطلًا رد عليه، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقًا، ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى.

كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك، فيقول بعض الناس: ليس في جهة، ويقول آخر: بل هو في جهة.

فإن هذه الألفاظ مبتدعة في النفي والإثبات، وليس على أحدهما دليل من الكتاب ولا من السنة، ولا من كلام الصحابة والتابعين، ولا أئمة الإسلام، فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم: إن الله سبحانه وتعالى في جهة؛ ولا قال: إن الله ليس في جهة، ولا قال: هو متحيز، ولا قال: ليس بمتحيز.

والناطقون بهذه الألفاظ قد[1] يريدون معنى صحيحًا، وقد يريدون معنى فاسدًا، فإذا قال: إن الله في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ أتريد أن الله سبحانه في جهة[2] تحصره وتحيط به؟ أم تريد أمرًا عدميًا، وهو ما فوق العالم، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات؟

---

(١) سقطت من «الدرر»: «قد».

(٢) في «الدرر»: «أتريد أنها تحصره».

فإن أردت الجهة الوجودية وجعلت الله محصورًا في المخلوقات، فهذا باطل.

وإن أردت أن الله تعالى فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق، وليس في ذلك أن شيئًا من المخلوقات[1] حصره ولا أحاط به ولا علا عليه، بل هو العالي عليها المحيط بها، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: **«إن الله يقبض الأرض يوم القيامة، ويطوي السموات بيمينه، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»** فمن تكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى في هذا الصغر والحقار، كيف تحيط به وتحصره.

ومن قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟

فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السموات رب يعبد، ولا على العرش إله يصلى له ويسجد، ومحمد لم يعرج بذاته إليه، فهذا معطل.

وإن قال: مرادي بنفي الجهة أنه لا تحيط به المخلوقات فقد أصاب، ونحن نقول به.

وكذلك من قال: إن الله متحيز، إن أراد أن المخلوقات تحوزه

---

(١) في «الدرر»: «المخلوت».

وتحيط به فقد أخطأ ، وإن أراد أنه محتاز عن المخلوقات بائن عنها عالٍ عليها فقد أصاب .

ومن قال : إنه ليس بمتحيز ؛ إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب ، وإن أراد بذلك أنه ليس ببائن عنها ، بل هو لا داخل العالم ولا خارجه فقد أخطأ ، فإن الأدلة كلها متفقة على أن الله فوق مخلوقاته عالٍ عليها ، قد[١] فطر الله على ذلك الأعراب والصبيان ؛ كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى ، ولهذا قال عمر[٢] بن عبد العزيز : «عليك بدين الأعراب والصبيان» ، أي : عليك بما فطرهم الله عليه ، فإن الله فطر عباده على الحق ؛ كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ : **«كل مولود يولد على الفطرة»** الحديث[٣] .

***

---

(١) في «الدرر» : «فقد» .

(٢) في (أ) و(ب) : «وهذا معنى قول عمر» .

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟ (٣/ ٢١٩) ، وباب ما قيل في أولاد المشركين (٣/ ٢٤٥) ، وفي كتاب التفسير ، تفسير سورة الروم ، باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم : ٣٠] (٨/ ٥١٢) ، وفي كتاب القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين (١١/ ٤٩٣) .

وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب القدر (٤/ ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨) كلاهما من حديث أبي هريرة ﵁ .

فصل

[في إثبات اليد]

وأما قوله تعالىٰ : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح :١٠] فاعلم أن لفظ اليد جاء في القرآن علىٰ ثلاثة أنواع : مفردًا[١] كهذه ، وكقوله : ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك :١] .

وجاء مثنىٰ كقوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة :٦٤] ، وكقوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص :٧٥] .

وجاء مجموعًا كقوله : ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس :٧١] .

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلىٰ نفسه بضمير الإفراد ، وعدَّىٰ الفعل بالباء إليها ، فقال : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ .

وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ، ولم يعد[٢] الفعل بالباء ، فلا يحتمل ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ من المجاز ما يحتمله ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ، فإن كل أحد يفهم من قوله[٣] : ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ما يفهمه من قوله : عملنا وخلقنا ؛ كما يفهم ذلك[٤] من قوله : ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ .

---

(١) في «الدرر» : «مفرد» .

(٢) في (ب) : «يعدا» .

(٣) في (أ) : «ما يفهم من قول» .

(٤) سقطت من «الدرر» : «ذلك» .

وأما قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت الباء، فالفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه؛ كقوله[١]: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وأما إذا أضيف إليه الفعل، ثم عدي بالباء إلى «يده» مفردة أو مثناة، فهو ما باشرته يده.

ولهذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص: إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده؛ وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده[٢].

فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة.

وقد صح عن النبي[٣] ﷺ: **«إن أهل الموقف يأتون آدم، فيقولون: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»** فذكروا أربعة أشياء

---

(١) في «الدرر»: «بقوله».

(٢) وورد عن رسول الله ﷺ من حديث عبد الله بن الحارث عند الدارقطني في «الصفات» (ص٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣١٨). وانظر: «الشريعة» للآجري (٣٠٣)، و«الرد على المريسي» لعثمان الدارمي (ص٣٥)، و«الدر المنثور» (٧/ ٢٠٧).

(٣) في «الدرر»: «عنه».

كلها خصائصه[١] .

وكذلك «قال آدم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في محاجته له : **«اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك الألواح بيده»** . وفي لفظ آخر : **«كتب الله لك التوراة بيده»** وهو من أصح الأحاديث[٢] .

وكذلك في الحديث المشهور : **«إن الملائكة قالوا : يا رب ، خلقت بني آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال الله : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان»**[٣] .

وأيضًا فإنه لو كان قوله : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ مثل قوله : ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ؛ لكان آدم والأنعام سواء ، وأهل الموقف قالوا : «أنت أبو البشر خلقك الله بيده» ، فعلموا أن[٤] لآدم تخصيصًا وتفضيلًا بكونه مخلوقًا باليدين .

---

(١) في «الدرر» : «خصائص» .

والحديث رواه البخاري في الرقاق من «صحيحه» (١١/ ٤١٧ ، ٤١٨) ، و«التوحيد» (١٣/ ٣٩٢) ، ومسلم في «الإيمان» (١/ ١٨٠) .

(٢) رواه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها القدر (١١/ ٥٠٥) ، ومسلم في القدر (٤/ ٢٠٤٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠١ ، ٤٠٢) ، وفي «شعب الإيمان» (١/ ٤٢١ ، ٤٢٢) ط . هندية . وقال : «في ثبوته نظر» .

وسقطت من «الدرر» : «ذرية» .

(٤) في «الدرر» : «يعلمون» .

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ: **«يقبض الله سمواته بيده اليمنى والأرض بيده الأخرى»**(١).

وقال ﷺ: **«يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة»** الحديث(٢).

وفي «صحيح مسلم» في أعلى أهل الجنة منزلة: **«أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها»**(٣).

وقال عبد الله بن الحارث: قال النبي ﷺ: **«خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، قال: وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث»**(٤). وفي «الصحيح» عنه ﷺ: **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفاها الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر؛ نزلًا لأهل الجنة»**(٥).

وفي «الصحيح» مرفوعًا: **«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»**(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» ومنها كتاب الرقاق (١١/ ٣٧٢)، والتوحيد (١٣/ ٣٦٧)، ومسلم في كتاب المنافقين (٢/ ٢١٤٨).
كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» ومنها كتاب التوحيد (١٣/ ٣٩٣، ٤٠٣)، ومسلم في كتاب الزكاة (٢/ ٦٩١). وفي «الدرر»: «ملآ».

(٣) مسلم، كتاب الإيمان (١/ ١٧٠).

(٤) سبق قريبًا، وفي «الدرر»: «الخمر».

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض (١١/ ٣٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب التوبة (٤/ ٢١١٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وفي «الصحيح» أيضًا مرفوعًا : **«المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين»**(١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«خلق الله آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، ثم استخرج ذريته منه ، قال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون»** الحديث(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا طيبا- إلا أخذها الرحمن بيمينه ، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل»** متفق على صحته(٣) .

وقال نافع بن عمر(٤) : سألت ابن أبي مليكة عن «يد الله» : أواحدة أو اثنتان؟ فقال : بل اثنتان .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (٣/ ١٤٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٤ ، ٤٥) ، وأبو داود (٤/ ٢٢٦ ، ٢٢٧) ، والترمذي (٥/ ٢٦٦) وقال : «حديث حسن» . كلهم من حديث عمر رضي الله عنه .
وله طرق عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم . انظر : «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٠-٥٠٦) .

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد ، باب تعرج الملائكة (١٣/ ٤١٥) ، ومسلم في الزكاة (٢/ ٧٠٢) ، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) في «الدرر» نافع عن ابن عمر ، وفي حاشية (أ) : «لولي ابن عمر» ، وفي (ب) : «مولى» . والصواب نافع بن عمر ، فهو الجمحي ، ثقة . يروي عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، وعبد الله تابعي ثقة عالم .
وسقط من «الدرر» : «بل» .

وقال عبد الله بن عباس : ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الله إلا كخردلة في يد[(١)] أحدكم .

وقال ابن عمر وابن عباس : أول شيء خلق الله القلم ، فأخذه بيمينه ، وكلتا يديه يمين[(٢)] ، فكانت الدنيا وما فيها من عمل معمول في بر وبحر ورطب ويابس فأحصاه عنده .

وقال ابن وهب ، عن أسامة ، عن نافع ، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قرأ على المنبر : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر :٦٧]

قال : «**مطوية في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة**»[(٣)] .

وهذه النصوص التي ذكرنا هي غيض من فيض ، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله . ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٤٠] .

* * *

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥) ، وانظر : «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٨) .

(٢) في «الدرر» : «يمنى» ، والصواب : «يمين» .

(٣) سقط من «الدرر» : «عن نافع» .

وقد رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦) من طريق ابن وهب عن أسامة بن زيد ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .



فصل

في ذكر بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في مسألة علو الرب تبارك وتعالى على خلقه ، وأنه على عرشه المجيد فوق سمواته

روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنهما- قال : لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه : يا أيها الناس ، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإن إلهكم قد مات ، وإن كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت . ثم تلا : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران :١٤٤] الآية .

وروى البخاري في «تاريخه» عن ابن عمر أن أبا بكر ، قال : من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت .

وروى ابن أبي شيبة عن قيس ، قال : لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره[1] ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوهم ، فقال عمر رضي الله عنه : ألا أراكم هاهنا؟ إنما الأمر من هاهنا . وأشار بيده إلى السماء .

---

(١) في «الدرر» : «على بعير» .

وروىٰ عثمان بن سعيد الدارمي أن امرأة لقيت عمر بن الخطاب وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها ودنا منها، وأصغىٰ لها حتى انصرفت، فقال له[1] رجل: يا أمير المؤمنين، حبست رجالًا من قريش علىٰ هذه العجوز! قال: ويلك، أتدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة؛ والله لو لم تنصرف عني إلىٰ الليل ما انصرفت حتىٰ تقضي حاجتها إلا أن تحضرني صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتىٰ تقضي حاجتها.

وقال ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»: «روينا من وجوه صحيحة أن عبد الله بن رواحة -رضي الله تعالىٰ عنه- مشىٰ إلىٰ أمة له فنالها، فرأته امرأته، فجحدها. فقالت: إن كنت صادقًا فاقرأ القرآن، فإن الجنب لا يقرأ القرآن. فقال:

شهدت بأن وعد الله حق
وأن النار مثوىٰ الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف
وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد
ملائكة الإله مسومينا

---

(١) سقطت من «الدرر»: «له».

فقالت : آمنت بالله وكذبت عيني ، وكانت لا تحفظ القرآن .

وروى الدارمي بإسناده عن ابن مسعود ، قال : «العرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» . قال الحافظ الذهبي : «رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، وابن المنذر ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، واللالكائي ، والبيقهي ، وابن عبد البر ، وإسناده صحيح» .

وروى الأعمش عن خيثمة عن عبد الله : «إن العبد ليهم بالأمر من التجارة حتى إذا تيسر[1] له -نظر الله إليه من فوق سبع سموات ، فيقول للملك : اصرفه عنه ، فيصرفه عنه» .

وقال عبد الله بن عباس : «تفكروا في كل شيء ، ولا تفكروا في ذات الله ؛ فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة أنوار ، والله فوق ذلك» . ورواه عبد الله بن الإمام أحمد .

وروى الدارمي أن ابن عباس قال لعائشة حين استأذن عليها ، وهي تموت : «وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات» .

وروى الدارمي عن نافع ، قال : قالت عائشة : وايم الله لو كنت أحب قتله لقتلته -يعني عثمان- وقد علم الله فوق عرشه أني لا أحب قتله .

وفي «الصحيحين» : أن زينب كانت تفتخر على أزواج رسول الله ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات .

---

(١) في «الدرر» : «استيسرت» .

وقد تقدم ذلك ، وفي لفظ لغيرهما[1] : كانت تقول : زوجني الرحمن من فوق عرشه ، كان جبرائيل السفير بذلك ، وأنا ابنة عمتك .

وقال علي بن الأقمر : كان مسروق إذا حدث عن[2] عائشة ، قال : حدثتني الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المبرأة من فوق سبع سموات .

وقال قتادة : «قالت بنو إسرائيل : يارب أنت في السماء ونحن في الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال : إذا رضيت عليكم استعملت عليكم خياركم ، وإذا غضبت استعملت عليكم أشراركم» . رواه الدارمي .

وقال سليمان التيمي : لو سئلت : أين الله؟ لقلت : في السماء .

وقال كعب الأحبار : قال الله عَزَّ وَجَلَّ في التوراة : أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي ، لا يخفى علي شيء من أعمالهم .

وقال مقاتل في قوله تعالى : ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة :٧] .

قال : بعلمه يعلم نجواهم ويسمع كلامهم ، وهو فوق عرشه وعلمه معهم .

---

(١) في «الدرر» : «لغيرها» .

(٢) في «الدرر» : «حدثته» .

وقال الضحاك في الآية : هو الله على العرش وعلمه معهم .

وقال عبيد بن عمير : «ينزل الرب شطر الليل إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى إذا كان الفجر صعد الرب عَجَلَّ» . أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد .

وقال الحسن : «ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب من إسرافيل وبينه وبينه سبعة حجب ، كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام ، وإسرافيل دون هؤلاء ، ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة» .

وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي ، قال : كنا -والتابعون متوافرون- نقول : إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

وقال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» : «علماء الصحابة والتابعين[1] الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله .

وروى أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث ، فقالا : أَمروها كما جاءت .

---

(١) سقطت من «الدرر» : «والتابعين» .

وروى أيضًا عن الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعي ، ومالك ابن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، عن الأخبار التي جاءت في الصفات ، فقالوا : أمروها كما جاءت . وفي رواية : فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف . فقولهم ﷺ : «أمروها كما جاءت» رد على المعطلة . وقولهم «بلا كيف» رد على الممثلة . والزهري ومكحول هما[١] أعلم التابعين في زمانهم . والأربعة الباقون هم أئمة الدين[٢] في عصر تابعي التابعين : فمالك إمام الحجاز ، والأوزاعي إمام أهل الشام ، والليث إمام أهل مصر ، وسفيان الثوري إمام أهل العراق .

وقال الأوزاعي : عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول .

وقال سفيان الثوري في قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، قال : علمه .

وروى الخلال بإسناد كل رجاله أئمة ، عن سفيان بن عيينة قال : سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن[٣] عن قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] كيف استوى؟ قال : «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق» .

---

(١) في (أ) : «هم» .

(٢) سقطت من (ب) : «هم» ، وفي (أ) ، و«الدرر» : «أئمة الدنيا» .

(٣) في «الدرر» : «ربيعة بن عبد الرحمن» .

وهذا الكلام مروي عن مالك تلميذ ربيعة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم موسىٰ، وأن يكون على العرش، أرىٰ أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت[١] أعناقهم». وابن مهدي هذا هو الذي قال فيه علي بن المديني: «لو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت أعلم منه لحلفت».

وروىٰ ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي أنه ذكر عنده الجهمية، فقال: هم أشر قولًا من اليهود والنصارىٰ، وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين علىٰ أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء.

وقال عباد بن العوام أحد أئمة الحديث بواسط: «كلمت بشرًا المريسي وأصحابه، فرأيت آخر كلامهم: ليس على العرش شيء، أرىٰ والله ألا يناكحوا ولا يوارثوا».

وقال علي بن عاصم شيخ الإمام أحمد: «احذروا من المريسي وأصحابه؛ فإن كلامهم الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم، فلم يثبت أن في السماء إلهًا».

وقال حماد بن زيد: «الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء». وكان من أشد الناس على الجهمية.

---

(١) في «الدرر»: «ضربتم».

وقال وهب بن جرير: إياكم ورأي جهم وأصحابه، فإنهم يحاولون أن ليس في السماء شيء، وما هو إلا من وحي إبليس، وما هو إلا الكفر».

وقال عبد العزيز بن يحيي الكناني صاحب الشافعي -له كتاب في الرد على الجهمية- قال فيه: «باب قول الجهمي في قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]: زعمت الجهمية أن معنى استوى: استولى. قال: فيقال له: هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه؟ فإذا قال: لا، قيل له: فمن زعم ذلك فهو كافر، فيقال له[1]: يلزمك أن تقول: إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه، وذلك لأنه أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه خلق العرش قبل السموات والأرض، ثم استوى عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: المدة التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله بمستول عليه فيها. ثم ذكر كلامًا طويلًا في تقرير العلو والاحتجاج عليه.

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي شيخ البخاري: «وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، ومثل قوله ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وما أشبه هذا من القرآن والحديث -لا نزيد فيه ولا نفسره، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي».

---

(١) في «الدرر»: «ويقال».

وروىٰ ابن أبي حاتم ، قال : جاء بشر بن الوليد إلىٰ أبي يوسف ، فقال : تنهاني عن الكلام ، وبشر المريسي وعلي الأحول وفلان يتكلمون؟ فقال : وما يقولون؟ قال : يقولون : إن الله في كل مكان ، فبعث أبو يوسف ، وقال : علي بهم ، فانتهوا إليه ، وقد قام بشر ، فجيء بعلي الأحول والشيخ الآخر ، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ ، فقال : لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك؟ وأمر به إلى الحبس ، وضرب عليًا الأحول وطوف به ، وقد استتاب أبو يوسف بشرًا المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه ، وهي قصة مشهورة ذكرها ابن أبي حاتم وغيره . وأصحاب أبي حنيفة المتقدمون علىٰ هذا .

وقال محمد بن الحسن : «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ ، وفارق الجماعة كلهم ، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة ؛ لأنه وصفه بصفة «لا شيء» .

وقال محمد أيضًا في الأحاديث التي جاءت **«إن الله يهبط إلى السماء الدنيا»**[1] ، ونحو هذه الأحاديث : قد رواها الثقات ، فنحن نؤمن بها ولا نفسرها . ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي .

---

(١) حديث النزول متواتر ، وقد سبق في أول هذا الكتاب ذكره .

وقال سفيان بن عيينة، وقد سئل عن حديث «**إن الله يحمل السموات على أصبع**»[1]، وحديث «**القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن**»[2]، فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف.

وذكر ابن أبي حاتم بإسناده، عن الأصمعي، قال: قدمت امرأة جهم، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: هذه كافرة بهذه المقالة، أما هذا الرجل وامرأته فما أولاهما بأن: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٣، ٤].

وقال إسحاق بن راهويه إمام أهل المشرق، نظير أحمد، وقيل له: ما تقول في قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: حيثما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه. ثم قال: وأعلى شيء في ذلك وأثبته قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

وروى الخلال في كتاب «السنة»، قال: قال إسحاق بن راهويه: قال الله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، إجماع أهل العلم أنه

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير من «صحيحه» (٩/ ٥٥٠، ٥٥١)، والتوحيد، وأخرجه مسلم في أحكام المنافقين (٤/ ٢١٤٧، ٢١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في القدر من «صحيحه» (٤/ ٢٠٤٥).
ووقع في «الدرر»: «القلب».

فوق العرش استوىٰ[١] ، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة في قعور البحار وفي كل موضع ؛ كما يعلم ما في السموات السبع وما دون العرش ، أحاط بكل شيء علما .

وقال قتيبة بن سعيد : هذا قول أئمة الإسلام والسنة والجماعة : نعرف ربنا بأنه في السماء السابعة علىٰ عرشه ؛ كما قال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] .

وقتيبة هذا أحد أئمة الإسلام ، وحفاظ الحديث .

وقال عبد الوهاب الوراق : من زعم أن الله هاهنا فهو جهمي خبيث ، إن الله فوق العرش ، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة . صح ذلك عنه ، وهو الذي قال فيه الإمام أحمد ، وقد قيل له : من نسأل بعدك؟ فقال : عبد الوهاب .

وقال خارجة بن مصعب : الجهمية كفار ، أبلغ نساءهم أنهن طوالق ، لا يحللن لهم ، ثم تلا ﴿طه﴾ إلىٰ قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدون من ذلك؟ فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار[٢]

(١) سقط من (أ) و(ب) جملة : «إجماع . . .استوىٰ» .
(٢) سقطت من (ب) جملة : «وما يعتقدون . . . الأمصار» ، وفي «الدرر» : «فقال : أدركنا» .

حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا ، فكان مذهبهم أن الله تبارك وتعالىٰ علىٰ عرشه ؛ بائن من خلقه ؛ كما وصف نفسه وعلىٰ لسان رسوله ﷺ بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علمًا .

وقال أبو زرعة أيضًا : هو على العرش استوىٰ ، وعلمه في كل مكان ، من قال غير هذا فعليه لعنة الله .

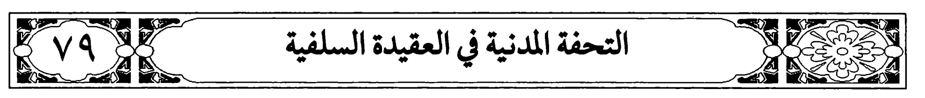
وقال علي بن المديني ، الذي سماه البخاري سيد المسلمين ، وقيل : ما تقول الجماعة في الاعتقاد ، فقال : يثبتون الكلام والرؤية ؛ ويقولون : إن الله على العرش استوىٰ .

فقيل له : ما تقول في قوله تعالىٰ : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] ، فقال : اقرأ أول الآية ، يعني بالعلم ؛ لأن أول الآية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ .

وقال عبد الله بن المبارك : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات ، على العرش استوىٰ ، بائن من خلقه ، لا نقول كما قالت الجهمية . رواه عنه الدارمي والحاكم والبيهقي بأصح إسناد .

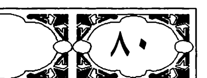
وصح عن ابن المبارك أيضًا أنه قال : إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارىٰ ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .

وقال نعيم بن حماد الخزاعي الحافظ في قوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد :٤] : معناه أنه لا يخفىٰ عليه خافية بعلمه ، ثم تلا قوله تعالىٰ : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] الآية .



وقال محمد بن إسماعيل البخاري : سمعت نعيم بن حماد ، يقول : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهًا .

* * *



فصل

في ذكر أقوال الأئمة الأربعة رضي الله عنهم

ذكر قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه

روى البيهقي في كتاب «الصفات» عن نعيم بن حماد، قال: سمعت نوح بن أبي مريم، يقول: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر؛ إذ جاءته امرأة من ترمذ، وكانت تجالس جهمًا، فدخلت الكوفة، فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقيل لها: إن هاهنا رجلًا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتته، فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل، وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبد؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا، وقد وضع كتابًا: أن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

قال: هو كما تكتب إلى الرجل إني معك، وأنت غائب عنه.

ثم قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية، واتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء.

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور المروي بالأسانيد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو الأرض؟ قال : قد كفر ، إن الله تعالىٰ يقول : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، وعرشه فوق سمواته . فقلت : إنه يقول : أقول إنه على العرش ، ولكنه قال : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض! قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر ؛ لأن الله تعالىٰ في أعلىٰ عليين ، وأنه يدعىٰ من أعلىٰ لا من أسفل .

وفي لفظ : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض ، قال : قد كفر ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، وعرشه فوق سبع[1] سمواته .

روىٰ هذا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب «الفاروق» .

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين بن قدامة : بلغني عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال : من أنكر أن الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء فقد كفر .

فتأمل هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض ، فكيف يكون حكم الجاحد النافي الذي يقول : ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج أبو حنيفة علىٰ كفره بقوله تعالىٰ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] .

---

(١) سقطت من «الدرر» : «سبع» .

بين أن الله فوق السموات فوق العرش، فقال: وعرشه فوق سمواته، وبين بهذا أن قوله ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فوق العرش، ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الأرض، قال: لأنه أنكر أن يكون الله في السماء، وأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وكذلك[1] أصحاب أبي حنيفة من بعده كأبي يوسف ومحمد؛ كما قدمنا ما روي[2] عنهم، وكذلك هشام بن عبيد الله[3]؛ كما روى ابن أبي حاتم وشيخ الإسلام بإسنادهما أن هشام بن عبيد الله صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلًا في التجهم، فتاب، فجيء[4] به ليمتحنه، فقال: الحمد الله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري «ما بائن من خلقه»، فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب.

وسيأتي كلام الطحاوي إن شاء الله تعالى.

وفي الفقه الأكبر أيضًا عن أبي حنيفة: «لا يوصف الله بصفات المخلوقين، ولا يقال: إن يده قدرته ولا نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف».

---

(١) في «الدرر»: «وذكر أصحاب».

(٢) في «الدرر»: «روينا».

(٣) في «الدرر»: «عبد الله».

(٤) في (ب): «فجاء»، و في «الدرر»: «فجاءه».

وقال في الفقه الأكبر: «﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ليست كأيدي خلقه، وهو خالق الأيدي جَلَّ وَعَلَا، ووجهه ليس كوجوه خلقه، وهو خالق كل الوجوه، ونفسه ليست كنفوس خلقه، وهو خالق النفوس، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

وقال في الفقه الأكبر أيضًا: «وله تعالى يد ووجه ونفس، بلا كيف ذكر الله تعالى في القرآن، وغضبه ورضاه وقضاه وقدرته من صفاته تعالى بلا كيف، ولا يقال غضبه عقابه، ولا رضاه ثوابه». انتهي.

* * *

ذكر قول الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رضي الله عنه

قال عبد الله بن نافع : قال مالك بن أنس : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء . رواه عبد الله بن الإمام أحمد .

وروى أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى ، قال : كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ولا أراك إلا مبتدعًا» . فأمر به أن يخرج .

وتقدم عن شيخه ربيعة مثل هذا الكلام . فقول ربيعة ومالك «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول» -موافق لقول الباقين «أمروها كما جاءت بلا كيف» . فإنما نفوا الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة .

ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : «الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول» ، ولما قالوا : «أمروها بلا كيف» ، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلومًا ، بل مجهولًا ؛ بمنزلة حروف المعجم . وأيضًا فإنه لا يحتاج إلى نفي الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معنى ، وإنما يحتاج إلى نفي الكيفية إذا أثبتت الصفات .

وأيضًا فإن من ينفي الصفات لا يحتاج أن يقول بلا كيف ، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر ؛ لما قالوا : بلا كيف ،

فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف.

وأيضًا فقولهم: «أمروها كما جاءت» يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظًا دالة على معان، فلو كانت دلالتها[1] منفية لكان الواجب أن يقال: أمروها لفظها؛ مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو يقال: أمروا لفظها؛ مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت -لغو من القول.

قال الذهبي بعدما ذكر كلام مالك وربيعة الذي قدمناه: «وهذا قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر به في كتابه، وأنه كما يليق به، ولا نتعمق، ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف كما قد وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إليه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقد تقدم ما رواه الوليد بن مسلم عن مالك بما أغنى عن إعادته.

وقال أبو حاتم الرازي: حدثني ميمون بن يحيى البكري، قال: قال مالك: من قال القرآن مخلوق يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه.

---

(١) سقطت من (ب) جملة: «على ما هي عليه... دلالتها»، وفي (أ): «ألفاظ».

ذكر قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري[1] عن أبي شعيب وأبي ثور، وكلاهما عن محمد بن إدريس رحمه الله، قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما -الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: سمعت الشافعي، يقول وقد سئل عن الصفات وما يؤمن به، فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف أحد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، وأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر، ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها؛ ونثبت هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه؛ كما نفى سبحانه التشبيه عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) في النسخ: «المكاري».



وصح عن الشافعي أنه قال : «خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه ، وجمع عليها قلوب عباده» . انتهى .

ومعلوم أن المقضي في الأرض والقضاء فعله سبحانه للتضمن لمشيئته وقدرته . وقال في خطبة رسالته : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه .

* * *

ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه

قال الخلال في كتاب «السنة» : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد ، قلت لأبي : ربنا تبارك وتعالىٰ فوق السماء السابعة علىٰ عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال : نعم ، لا يخلو(١) شيء من علمه .

قال الخلال : وأخبرني الميموني ، قال : سألت أبا عبد الله عمن قال : إن الله ليس على العرش ، فقال : كلامهم كله يدور على الكفر .

وقال حنبل : قيل لأبي عبد الله : ما معنىٰ قوله : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] ، وقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد :٤]؟

قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة ، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة :٢٥٥] .

وقال أبو طالب : سألت أحمد عن رجل ، قال : إن الله معنا ، وتلا : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧]؟

قال : يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، هلا قرأت عليه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالعلم معهم ، وقال في سورة ق : ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق :١٦] .

---

(١) في «الدرر» : «لا يخلوا» .

وقال المروذي : قلت لأبي عبد الله : إن رجلًا يقول : أقول كما قال الله : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] ، أقول هذا ، ولا أجاوزه إلى غيره .

فقال أبو عبد الله : هذا كلام الجهمية .

قلت : فكيف تقول : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾؟

قال : علمه في كل مكان ، وعلمه معهم ، وقال : أول الآية يدل على أنه علمه .

وقال في موضع آخر : وأن الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة ، يعلم ما تحت الأرض السفلى ، وأنه غير مختلط بشيء من خلقه ، هو تبارك وتعالى بائن من خلقه ، وخلقه[1] بائنون منه .

وقال في كتاب «الرد على الجهمية» الذي رواه الخلال ، وقال : كتبت[2] هذا الكتاب من خط عبد الله بن الإمام أحمد ، وكتبه عبد الله من خط أبيه ، قال فيه : «باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش ، وقد قال : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥]؟

قلنا لهم : ما أنكرتم أن يكون الله على العرش ، فقالوا : هو تحت الأرض السابعة كما هو تحت العرش ، وفي السموات ، وفي الأرض .

---

(١) سقطت كلمة : «خلقه» من جميع النسخ ، والمثبت من «اجتماع الجيوش» .

(٢) في النسخ : «كتب» .

قال أحمد : فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء ؛ أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها شيء من عظمته ، وقد أخبرنا الله ﷻ أنه في السماء ، فقال : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الملك :١٦ ، ١٧] الآيتين .

وقال : ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر :١٠] ، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران :٥٥] ، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ [النساء :١٥٨]» .

وقال أيضًا في الكتاب المذكور : «ومما أنكرت الجهمية الضلال أن الله على العرش ، وقد قال تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] ، وقال : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [الأعراف :٥٤]» .

ثم ساق أدلة القرآن ، ثم قال : «ومعنى قوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام :٣] ، يقول : هو إله من في السموات وإله من في الأرض ، وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، لا يخلو[1] من علمه مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، وذلك لقوله تعالى : ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق :١٢] .

قال الإمام أحمد : «ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير ، وفيه شيء ، كان نظر[2] ابن آدم قد أحاط بالقدح

---

(١) في «الدرر» : «لا يخلوا» .

(٢) سقطت من «الدرر» : «نظر» ، وفي (أ) و(ب) : «يصح» والمثبت من «الاجتماع» .

من غير أن يكون ابن آدم في القدح ، فالله سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق علمًا من غير أن يكون في شيء مما خلق» .

قال : مما تأولت الجهمية من قول الله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] .

فقالوا : إن الله معنا وفينا ، فقلنا لهم : قطعتم الخبر من أوله ؛ لأن الله افتتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه .

قال أحمد : وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، فقل له : أليس شيئًا؟ فيقول : نعم ، فقل له : فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا عن نفسه ، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل : إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه ؛ كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه . وإن قال : خلقهم خارجًا عن نفسه ثم دخل فيهم ؛ كفر أيضًا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قذر . وإن قال : خلقهم خارجًا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم ؛ رجع عن قوله أجمع . وهو قول أهل السنة .

قال أحمد : وقلنا للجهمية : حين زعمتم أن الله في كل مكان أخبرونا عن قول الله ﷻ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف :١٤٣] : أكان في الجبل بزعمكم ، فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له ، بل كان سبحانه على العرش ، فتجلى لشيء لم يكن فيه ، ورأى الجبل شيئًا ما رآه قط قبل ذلك» .

انتهى كلام الإمام أحمد الذي نقلناه من كتاب «الرد على الجهمية» .

وروى الخلال عن حنبل ، قال : قال أبو عبد الله -يعني أحمد : نؤمن أن الله على العرش بلا كيف بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده حاد ، وصفات الله له ومنه ، وهو كما وصف نفسه ، لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية .

وقال حنبل أيضًا : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى : **«إن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا»** ، و **«إن الله يُرى في الآخرة»** ، و **«إن الله يضع قدمه»** ، وأشباه هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ونصدق ، ولا نرد منها شيئًا ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ولا غاية ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

وقال حنبل في موضع آخر عن أحمد : ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه ، قد أجمل الله الصفة لنفسه ، فحد لنفسه صفة **«ليس يشبهه شيء»**[١] ، وصفاته غير محدودة ولا معلومة ، إلا بما وصف به نفسه ، قال[٢] : فهو سميع بصير ، بلا حد ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه بما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ونؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل صفة من صفاته لشناعة شنعت ، وما وصف به

(١) في «الدرر» : «يشبه شيئًا» .

(٢) في «الدرر» : «فقال» .

نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضع كنفه عليه ، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة ، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد ، إلا بما وصف به نفسه ، سميع بصير ، لم يزل متكلمًا ، عليم غفور ، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام :٧٣] ، ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة :١٠٩] .

فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد ، وهو على العرش بلا حد ؛ كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف :٥٤] ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١] ، وهو : ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام :١٠٢] ، وهو سميع بصير ، بلا حد ولا تقدير ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، تعالى الله عما تقول الجهمية والمشبهة .

قلت له : المشبهة ما تقول؟

قال : من قال بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي - فقد شبه الله بخلقه . انتهى .

وكلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا كثير ، فإنه امتحن بالجهمية رضي الله عنه وعن إخوانه من أئمة الدين .

* * *

فصل

قد بينا فيما تقدم عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله الفردوس يوم المآب، وبينا عقيدته هو وأتباعه عقيدة السلف الماضين من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين، الذين رفع الله منارهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق الآخرين.

فشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأتباعه يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ ولا يتجاوزون القرآن والحديث؛ لأنهم متبعون لا مبتدعون، فلا[1] يكيفون ولا يشبهون ولا يعطلون، بل يثبتون جميع ما نطق به الكتاب من الصفات، وما وردت به السنة مما رواه الثقات، يعتقدون أنها صفات حقيقة منزهة عن التشبيه والتعطيل؛ كما أنه سبحانه له ذات حقيقة منزهة عن التشبيه والتعطيل. فالقول عندهم في الصفات كالقول في الذات، فكما أن ذاته ذات حقيقة لا تشبه الذوات، فصفاته صفات حقيقة لا تشبه الصفات، وهذا هو اعتقاد سلف الأمة وأئمة الدين، وهو مخالف لاعتقاد المشبهين واعتقاد المعطلين، فهو كالخارج ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، فهو وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

فلما قررنا عقيدتنا في أول الجواب، وأوردنا على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة أتبعنا ذلك بفصل ذكرنا فيه بعض ما ورد عن الصحابة

---

(١) في «الدرر»: «ولا».

والتابعين وتابعيهم ، يؤيد ما ذكرناه ، ويحقق ما قلناه ؛ لأنهم مصابيح الدين وقدوة العالمين ، وهم أهل اللغة الفصحاء واللسان العربي ، فإن الصحابة رضي الله عنهم قد شاهدوا نزول القرآن ونقلوه إلينا وفسروه ، فهم قد تلقوا ذلك عن نبيهم ﷺ وتلقاه عنهم التابعون ؛ فتعلموا من الصحابه ألفاظ القرآن ومعانيه ، فنقلوا عنهم تأويله كما نقلوا تنزيله ، ونقلوا الأحاديث الواردة في الصفات ، ولم يتأولوها كما تأولها النفاة ، بل أثبتوها صفات حقيقة لرب العالمين ، منزهة عن تعطيل المعطلين وتشبيه المشبهين . فإن الصحابة رضي الله عنهم أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا ، وهم سادات الأمة وكاشفو الغمة ، فالمسلمون بهديهم يهتدون ، وعلى منهاجهم يسلكون ، ثم إنا لما نقلنا كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم أتبعناه بفصل ذكرنا فيه كلام الأئمة الأربعة ، أئمة المذاهب المتبعة ؛ ليتبين صحة ما قلناه وما إليهم نسبناه ، ويعلم من كان قصده الحق أن الأئمة على عقيدة واحدة مجمعون ، وللسلف الصالح متبعون ، فلما تبين ما قلناه ، واتضح ما قررناه أحببت أن أختم هذا الجواب بفصل أذكر فيه بعض ما قاله العلماء بعدهم ؛ ليعلم الواقف على هذا الجواب أن هذا الاعتقاد الذي ذكرناه هو اعتقاد أهل السنة والجماعة قاطبة متقدميهم ومتأخريهم ؛ لأن إجماعهم حجة قاطعة لا تجوز مخالفته ، فكيف وقد شهدت له النصوص القرآنية والسنة النبوية ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء :١١٥] .

فصل

قال الإمام حافظ الشرق وشيخ الإسلام، عثمان بن سعيد الدارمي، في كتاب «النقض على بشر المريسي» -قال الذهبي: وهو مجلد سمعناه من أبي حفص بن[١] القواس- قال فيه: «وقد اتفقت الكلمة من المسلمين على أن الله فوق عرشه فوق سمواته، لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض... ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم وتشقق السموات لنزوله... فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا علموا يقينًا أن ما يأتي[٢] الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه، فقوله[٣]: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل:٢٦]، وإنما هو أمره وعذابه».

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب[٤] وقد ذكر الحلول: «ويحك[٥]، هذا المذهب - أنزه[٦] الله من السوء عن مذهب من يقول[٧]: هو بكماله وجماله وعظمته وبهائه فوق عرشه فوق سمواته،

---

(١) سقطت من جميع النسخ: «بن»، والمثبت من «العلو».

(٢) في «الدرر»: «إنما يأت».

(٣) في «الدرر»: «كقوله».

(٤) في «الدرر»: «انتهى من هذا الكتاب».

(٥) في «الدرر»: «وحكى».

(٦) في «الدرر»: «أنزاه».

(٧) في «الدرر»: «يقول به».

فوق جميع الخلائق، في أعلى مكان، وأظهر مكان؛ حيث لا خلق هناك ولا إنس ولا جان، أي الحزبين أعلم بالله وبمكانه[١]، وأشد تعظيمًا وإجلالًا له».

وقال في هذا الكتاب: «علمه بهم من فوق عرشه[٢] محيط، وبصره فيهم نافذ، وهو بكماله فوق عرشه... ومع بعد المسافة بينه وبين الأرض يعلم ما في الأرض».

وقال في موضع آخر: «والقرآن كلام الله، وصفة من صفاته، خرج منه كما شاء أن يخرج، والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق، وهو بكماله على عرشه».

وقال في موضع آخر -وقد ذكر حديث البراء بن عازب الطويل في شأن الروح وقبضها: «وفيه فتصعد روحه حتى تنتهي إلى السماء السابعة، -وذكر الحديث ثم قال: وفي قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] دلالة ظاهرة أن الله فوق السماء؛ لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالأرواح والأعمال، ولما أغلقت أبواب السماء عن قوم، وفتحت لآخرين».

وقال في موضع آخر: «ولكنا نقول: رب عظيم وملك كبير، نور السموات والأرض، وإله السموات والأرض، على عرش مخلوق

(١) سقطت «بمكانه» من جميع النسخ، والمثبت من «الاجتماع».

(٢) سقطت من (ب) جملة: «وأشد... علمه بهم من»، وسقطت من «الدرر» كلمة: «من فوق عرشه»، وفي (ب): «فوق العرش».

عظيم فوق السماء السابعة، دون ما سواها من الأماكن، من لم يعرفه بذلك كان كافرًا به وبعرشه».

قال: «وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين على أن الله في السماء، وعرفوه بذلك، إلا المريسي وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث».

وساق حديث حصين: **«كم تعبد؟»** قال: ستة في الأرض وواحدًا في السماء، فقال النبي ﷺ: **«من الذي تعده لرغبتك ورهبتك؟»** قال: الذي في السماء.

وقال أيضًا في قول رسول الله ﷺ للجارية **«أين الله؟»**: «فيه تكذيب لمن يقول هو في كل مكان، وأن الله لا يوصف بأين، بل يستحيل أن يقال أين هو؟، والله فوق سمواته بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبده.

هذا كله كلام عثمان بن سعيد في كتابه المذكور، وهو قال فيه أبو الفضل القراب: «ما رأيت مثل عثمان بن سعيد، ولا رأى عثمان مثل نفسه، أخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن البويطي، والحديث عن يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأثنى عليه أهل العلم».

وقال الإمام الحافظ أبو عيسى الترمذي في «جامعه»

لما روى حديث أبي هريرة -وهو حديث منكر، قاله الذهبي - «**لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله**»، قال: «معناه لهبط على علم الله»، قال: «وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه»[(١)].

وقال في حديث أبي هريرة: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه»: «قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، قالوا: ثبتت الروايات في هذا ونؤمن به ولا نتوهم ولا نقول كيف، هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك، قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف».

وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه، وفسروها على غير ما فسرها أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وأن معنى اليد هاهنا النعمة.

وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيدي أو مثل يدي أو سمع كسمعي، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحديد (٥/ ٤٠٣، ٤٠٤)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه».

يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع وكسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]» . هذا كله كلام الترمذي(١) .

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب «صريح السنة»(٢):

«وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوىٰ، فمن تجاوز إلىٰ غير ذلك فقد خاب وخسر» .

وقال في «تفسيره الكبير» في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، قال: «علا وارتفع» .

وقال في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت:١١]، عن الربيع ابن أنس: «أنه يعني ارتفع» . وقال في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، يقول: وإني لأظن موسىٰ كاذبًا فيما يقول ويدعي أن له ربًّا في السماء أرسله إلينا» .

وتفسيره هذا مشحون بأقوال السلف على الإثبات .

وقال في كتاب «التبصير في معالم الدين»: «القول فيما أدرك علمه من الصفات خبرًا، وذلك نحو إخباره أنه سميع بصير، وأن له يدين

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة (٣/ ٤١، ٤٢) .
(٢) ط . دار الخلفاء (ص٢٧) .

بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له وجهًا بقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وأن له قدمًا بقول النبي ﷺ: **«حتىٰ يضع رب العزة فيها قدمه»**(١)، وأنه يضحك بقوله: **«لقي الله وهو يضحك إليه»**(٢)، وأنه **«يهبط إلىٰ سماء الدنيا»**(٣)، يخبر النبي ﷺ بذلك، وأن له إصبعًا بقوله ﷺ: **«ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن»**(٢)؛ فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله به نفسه ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، لا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهائها».

ذكر هذا الكلام عنه أبو يعلىٰ في كتاب «إبطال التأويل».

ومن أراد معرفة أقوال السلف التي حكاها عنهم في تفسيره فليطالع كلامه عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورىٰ:٥].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع منها كتاب التوحيد، باب: ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦] (١٣/ ٤٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٨٦).

(٢) أحاديث الضحك متواترة، وهي مخرجة في البخاري ومسلم وغيرهما، ومجموعة في كتب السنة والأسماء والصفات.

(٣) سبق تخريجه.

وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة:

«من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته[(١)]، بائن من خلقه، فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة؛ لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة».

ذكر قول إمام الشافعية في وقته أبي العباس بن سريج[(٢)] رضي الله عنه

ذكر أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني في جوابات المسائل التي سئل عنها بمكة، فقال: «الحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وعلى كل حال، وصلى الله على محمد المصطفى، وعلى الأخيار الطيبين من الأصحاب والآل.

سألت -أيدك الله بتوفيقه- بيان ما صح لدي من مذهب السلف وصالحي الخلف في الصفات الواردة في الكتاب والسنة، فاستخرت الله وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة الفقهاء، وهو أبو العباس بن سريج رحمه الله، وقد سئل عن[(٣)] مثل هذا السؤال، فقال: أقول وبالله التوفيق: حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع[(٤)]، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى النفوس

---

(١) في «الدرر»: «سموات».

(٢) في «الدرر»: «أبو»، وسقطت من (أ) و(ب)، وفي (ب): «شريح».

(٣) سقطت من «الدرر» و(ب): «عن».

(٤) في «الدرر» و(أ): «تقع».

أن تفكر ، وعلى الأفكار أن تحيط ، وعلى الألباب أن تصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ .

وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة ، من السلف الماضين والصحابة والتابعين ، من الأئمة المهديين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا : أن جميع الآي الواردة عن الله في ذاته وصفاته ، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته[1] التي صححها أهل النقل - يجب على المرء المسلم الإيمان بكل واحد منه كما ورد ، وتسليم أمره إلى الله كما أمر ، وذلك مثل قوله سبحانه : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة :٢١٠] ، وقوله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر :٢٢] ، وقوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] ، وقوله : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر :٦٧] .

ونظائرها مما نطق به القرآن : كالفوقية ، والنفس ، واليدين ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والعين ، والنظر ، والإرادة ، والرضا ، والغضب ، والمحبة ، والكراهة ، والعناية ، والقرب ، والبعد ، والسخط ، والاستجابة ، والدنو كقاب قوسين أو أدنى ، وصعود الكلام الطيب إليه ، وعروج الملائكة والروح إليه ، ونزول القرآن منه ، وندائه الأنبياء ، وقوله للملائكة ، وقبضه وبسطه ، وعلمه ، ووحدانيته ، وقدرته ،

---

(١) سقطت من «الدرر» و(أ) : كلمة «في الله» .

ومشيئته، وصمدانيته(١)، وفردانيته، وأوليته، وآخريته، وظاهريته، وباطنيته، وحياته، وبقائه، وأزليته، ونوره، وتجليه، والوجه، وخلق آدم بيده، ونحو قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦].

وسماعه من غيره، وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المذكورة في كتابه المنزل، وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته: كغرس جنة الفردوس بيده وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه القدم، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وكغيرته، وفرحه بتوبة العبد، وأنه ليس بأعور، وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين، وحديث القبضتين، وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ، وأنه يوم القيامة يحثو(٢) ثلاث حثيات من حثياته فيدخلهم الجنة، وحديث القبضة التي يخرج بها من النار قومًا لم يعملوا خيرًا قط، وحديث: **«إن الله خلق آدم على صورته»**، وفي لفظ: **«على صورة الرحمن»**، وإثبات الكلام بالحرف والصوت، وكلامه للملائكة ولآدم ولموسى ومحمد وللشهداء، وللمؤمنين عند الحساب، وفي الجنة، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا، وكون القرآن في المصاحف، وما أذن الله لشيء كأذنه(٣) لنبي يتغنى بالقرآن، وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه، وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه ونفسه.

---

(١) في (أ) و(ب): «صمديته».

(٢) في النسخ: «يحثوا».

(٣) في «الدرر»: «إذنه».

وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا، مما صح عنه اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابه في القرآن -أن نقبلها، ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها، ولا ننقص منها، ولا نفسرها، ولا نكيفها، ولا نشير إليها بخواطر القلوب، بل نطلق ما أطلقه الله، ونفسر ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونجمع على ما أجمعوا عليه، ونمسك عما أمسكوا عنه، ونسلم الخبر لظاهره، والآية لظاهرها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية، والملحدة، والمجسمة، والمشبهة والكرامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول سنة، وابتغاء تأويله بدعة».

هذا آخر كلام أبي العباس بن سريج الذي حكاه أبو القاسم الزنجاني في أجوبته.

ذكر قول الإمام الطحاوي إمام الحنفية في وقته في الحديث والفقه ومعرفة أقوال السلف

قال في عقيدته المعروفة عند الحنفية: «ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد رضي الله عنهم.

نقول في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، وأن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولًا، وأنزله على نبيه وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر؛ والرؤية لأهل الجنة حق، بغير إحاطة ولا كيفية، وكل ما جاء[1] في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا[2]، ولا تثبت[3] قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام علم ما حظر عنه علمه[4] ولم يقنع بالتسليم فهمه -حجبه مرامه خالص التوحيد وصحيح الإيمان. ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه.

إلى أن قال: والعرش والكرسي حق، كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه».

وذكر سائر الاعتقاد.

---

(١) سقطت من (أ) و(ب): «جاء».

(٢) في «الدرر»: «بآراءنا».

(٣) في «الدرر»: «يثبت»، وفي (ب): «نثبت».

(٤) سقطت من جميع النسخ كلمة «علم»، وفي «الدرر»: «حضر»، وفي (ب): «حصر عند».

ذكر قول الإمام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب إمام الطائفة الكلابية

وكان من أعظم الناس إثباتًا للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه ، منكرًا لقول الجهمية ، وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب ، وأن القرآن معنى قائم بالذات ، وهو أربع معان ، وَنَصَرَ طريقته أبو العباس القلانسي ، وأبو الحسن الأشعري ، وخالفه في بعض الأشياء ، ولكنه على طريقته في إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه ، كما سيأتي حكاية كلامه بألفاظه ، إن شاء الله تعالى .

حكى ابن فورك في كتابه المجرد فيما جمعه من كلام ابن كلاب أنه قال : وأخرج من النظر والخبر قول من قال : لا هو في العالم ولا خارجًا منه ، فنفاه نفيًا مستويًا ؛ لأنه لو قيل له : صفه بالعدم ؛ لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله أيضًا ، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول .

ثم قال : ورسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته أعلمهم (بالأين) ، واستصوب قول القائل : إنه في السماء ، وشهد له بالإيمان عند ذلك . وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون (الأين) ويحيلون القول به .

قال : ولو كان خطأً لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها لا تقولي ذلك فتوهمي أنه محدود ، وأنه في مكان

دون مكان ، ولكن قولي إنه في كل مكان لأنه هو الصواب ، دون ما قلت . كلا ، فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وأنه من الإيمان ، بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله ؛ ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته .

وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك وشاهد له ، وقد غرس في بنية الفطرة ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد ؛ لأنك لا تسأل أحدًا من الناس عنه[١] عربيًا ولا عجميًا ولا مؤمنًا ولا كافرًا ، فتقول : أين ربك؟ إلا قال : في السماء . أفصح أو أومى بيده أو أشار بطرفه ، إن كان لا يفصح ولا يشير إلى غير ذلك ، ولا رأينا أحدًا إذا عنَّ له دعاء إلا رافعًا يديه[٢] إلى السماء ، ولا وجدنا أحدًا غير الجهمية ، يسأل عن ربه ، فيقول : في كل مكان ، كما يقولون . وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم[٣] ، فتاهت العقول ، وسقطت الأخبار ، واهتدى جهم وخمسون رجلا معه! نعوذ بالله من مضلات الفتن» . انتهى كلامه .

---

(١) في (أ) : «لا تسئل» ، وسقطت : «عنه» من «الدرر» .

(٢) في «الدرر» : «الدعاء» ، وفيه و(أ) : «يده» .

(٣) سقطت من «الدرر» : «كلهم» .

ذكر قول الإمام أبي الحسن الأشعري
صاحب التصانيف إمام الطائفة الأشعرية

قال في كتابه الذي سماه «اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين»، فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم، إلى أن قال: «ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: جملة قولهم الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئًا، وأن الله على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج، وأقروا أن لله علمًا، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق.

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ: «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر**» كما جاء الحديث.

ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء.

إلى أن قال: فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملون ويروونه(١)، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله».

---

(١) في (ب): «يرونه».

وذكر الاستواء في هذا الكتاب المذكور في باب هل الباري تعالىٰ في مكان دون مكان فقال : «اختلفوا في ذلك علىٰ سبع عشرة مقالة[١] منها قال أهل السنة وأصحاب الحديث : إن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء ؛ وإنه على العرش استوىٰ كما قال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، ولا نتقدم بين يدي الله بالقول ، بل نقول : استوىٰ بلا كيف ، وأن له يدين ؛ كما قال : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص :٧٥] ، وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا كما جاء في الحديث» .

ثم قال : «وقالت المعتزلة : استوىٰ علىٰ عرشه : بمعنى استولىٰ ، وتأولوا اليد بمعنى النعمة ، وقوله : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر :١٤] أي : بعلمنا» . وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب «جمل المقالات» : «هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة : جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من الله وما تلقاه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون شيئًا من ذلك ، وأن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وأنه علىٰ عرشه ، كما قال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص :٧٥] ، وكما قال : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة :٦٤] ، وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر :١٤] ، وأن له وجهًا كما قال : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن :٢٧] ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام

---

(١) في «الدرر» : «سبعة عشر» .

في الوقف واللفظ. من قال بالوقف أو باللفظ فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق، ويقولون: إن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون».

ثم ساق بقية قولهم. وقال في هذا الكتاب: «وقالت المعتزلة: إن الله استوى على عرشه بمعنى استولى». هذا نص كلامه.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: «وقالت المعتزلة في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]: يعني استولى. قال: وتأولت اليد بمعنى النعمة، وقوله ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] أي: بعلمنا».

فالأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية، وصرح بخلافه، وأنه خلاف قول أهل السنة.

وقال الأشعري أيضًا في كتابه «الإبانة في أصول الديانة» في باب الاستواء: «فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وقال حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، كذب موسى في قوله إن الله فوق السموات.

وقال ﷻ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ٱلَّذِى﴾ [الملك :١٦]، فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات، قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك :١٦]؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكان كل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات(١)، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني جميع السموات؛ وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات».

قال: «ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى «استوى» استولى وملك وقهر، وأنه تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا؛ كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة، لأنه قادر على كل شيء، وكذا لو كان مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال هو مستو على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول أن الله مستو على الأخلية والحشوش، فبطل أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء».

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك.

---

(١) جملة: «قال أأمنتم. . .السموات» سقطت من جميع النسخ، والمثبت من «الاجتماع».

وكتاب «الإبانة» من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه بخطه الإمام محيي الدين النواوي.

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذي ينتسب إليه الأشاعرة اليوم؛ لأنه إمام الطائفة المذكورة -كيف صرح بأن عقيدته في آيات الصفات وأحاديثها اعتقاد أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وأئمة الدين. ولم يحك تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بمعنى النعمة، والعين بمعنى العلم إلا عن المعتزلة والجهمية. وصرح أنه خلاف قوله؛ لأنه خلاف قول أهل السنة والجماعة، ثم تجد المنتسبين إلى عقيدة الأشعري قد صرحوا في عقائدهم، ومصنفاتهم من التفاسير وشروح الحديث بالتأويل الذي أنكره إمامهم، وبين أنه قول المعتزلة والجهمية، وينسبون هذا الاعتقاد إلى الأشعري وهو قد أنكره ورده، وأخبر أنه على عقيدة السلف[1] من الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم، وأنه على عقيدة الإمام أحمد كما سيأتي لفظه بحروفه إن شاء الله.

وأعجب من هذا أنهم يذكرون في مصنفاتهم: أن عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أعلم وأحكم! فسبحان مقلب القلوب كيف يشاء، كيف يجتمع في قلب من له عقل ومعرفة أن الصحابة أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأنهم الذين شاهدوا التنزيل، وعلموا التأويل، وأنهم أهل اللغة الفصحاء واللسان العربي، الذين نزل القرآن بلغتهم، وأنهم الراسخون في العلم حقًّا، وأنهم متفقون على عقيدة

---

(١) في النسخ: «غير عقيدة».

واحدة، لم يختلف في ذلك اثنان، ثم التابعون بعدهم سلكوا سبيلهم، واتبعوا طريقهم، ثم الأئمة الأربعة، وغيرهم مثل الأوزاعي والسفيانين وابن المبارك وإسحاق، وغيرهم من أئمة الدين الذين رفع الله قدرهم بين العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، كل هؤلاء على عقيدة واحدة مجمعون، ولكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون، ثم بعد معرفته لهذا وإقراره يقوم في قلبه أن عقيدة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف؟! فسبحان من يحول بين المرء وقلبه، فيهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وكيف يكون الخالفون أعلم من السابقين؟! بل من زعم هذا فهو لم يعرف قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حقيقة المعرفة المطلوبة، فإن هؤلاء الذين يفضلون طريقة الخلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨].

وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع الاحتمالات وغرائب اللغات، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة كما قدمناه، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وكيف يكون الخلف

أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من أهل العلم والإيمان، الذين هم أعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ؟ فنسأل[١] الله ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا ولإخواننا المسلمين من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب.

وإنما ذكرنا هذا في أثناء كلام أبي الحسن الأشعري، لأن أهل التأويل اليوم الذين أخذوا بطريقة الخلف ينتسبون إلىٰ عقيدة الأشاعرة، فيظن من لا علم عنده أن هذا التأويل طريقة أبي الحسن الأشعري، وهو رضي الله عنه قد صرح بأنه علىٰ طريقة السلف، وأنكر علىٰ من تأول النصوص كما هو مذهب الخلف، وذكر أن التأويل مذهب المعتزلة والجهمية.

قال الإمام الذهبي في كتاب «العلو»: «قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: سمعت أبا علي الدقاق، يقول: سمعت زاهر بن أحمد الفقيه، يقول: مات الأشعري رحمه الله ورأسه في حجري، فكان يقول شيئًا في حال نزعه: لعن الله المعتزلة موهوا ومخرقوا».

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري»: «فإذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد، موافقة

---

(١) في «الدرر»: «الدجا فنسئل».

في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في مذهبه غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن يحكى عنه معتقده على وجهه بالأمانة ليعلم حاله في صحة عقيدته في الديانة، فاسمع ما ذكره في كتابه «الإبانة» فإنه قال: الحمد لله الواحد العزيز، الماجد المتفرد بالتوحيد، المتمجد بالتمجيد، الذي لا تبلغه صفات العبيد، وليس له مثل ولا نديد.

وساق خطبة رد فيها على المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، وبين فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة، إلى أن قال: فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟

قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه- قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وكبير مفهم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا،

وأن الله إله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله؛ وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالىٰ مستو علىٰ عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين كما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائده: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالًّا، وأن لله علمًا كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، ونثبت لله قدرة، ونثبت له السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والخوارج والجهمية.

ونقول: إن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وإنه لا يكون في الأرض شيء[1] من خير أو شر إلا ما شاء الله، وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة[2] له؛ كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وإن الخير والشر بقضاء الله وقدره.

ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإن من قال بخلق القرآن كان كافرًا، وندين أن الله يرىٰ بالأبصار يوم القيامة كما يرىٰ القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ.

---

(١) في «الدرر»: «وأنه لا يكون شيء في الأرض».

(٢) في «الدرر»: «مقدرة».

ونقول : إن الكافرين -إذا رآه المؤمنون- هم عنه محجوبون ؛ كما قال الله : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين :١٥] .

ونقول : إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيمانًا ، وندين أن الله تعالى مقلب القلوب ، وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه ، وأنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية به[1] عن رسول الله ﷺ ، وأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ونصدق جميع الروايات التي رواها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا ، وأن الرب يقول : هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافًا لما قاله أهل الزيغ والتضليل ، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ولا نقول على الله ما لا نعلم .

ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة كما قال : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر :٢٢] ، وإن الله يقرب من عباده كيف شاء ؛ كما قال : ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق :١٦] ، وكما قال : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ [النجم :٨ ، ٩] .

إلى أن قال : ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ، ومجانبة أهل الأهواء ، ونحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه بابًا وشيئًا شيئًا» .

ثم قال ابن عساكر : «فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه ، واعترفوا بفضل هذا الإمام الذي شرحه وبينه» . انتهى .

---

(١) سقطت من «الدرر» و(أ) : «وبه» .

قال شمس الدين الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فلو انتهىٰ أصحابنا المتكلمون إلىٰ مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا ، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ، ومشوا خلف المنطق ، فلا حول ولا قوة إلا بالله» .

ذكر قول أبي الحسن علي بن مهدي الطبراني المتكلم تلميذ الأشعري

قال في كتاب «مشكل الآيات» له ، في باب قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] : «اعلم أن الله فوق السماء ، فوق كل شيء ، مستو علىٰ عرشه ، بمعنىٰ أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء : الاعتلاء ؛ كما تقول العرب : استويت علىٰ ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، بمعني علوته ، واستوت الشمس علىٰ رأسي ، واستوىٰ الطير علىٰ قمة رأسي ، بمعني علا في الجو ، فوجد فوق رأسي .

فالقديم جل جلاله عال علىٰ عرشه . يدلك علىٰ أنه في السماء عال علىٰ عرشه : قوله : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك :١٦] ، وقوله : ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران :٥٥] .

وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه ، مأخوذ من قول العرب : «استوىٰ بشر على العراق» أي : استولىٰ عليها ، قال : ويدل علىٰ أن الاستواء هاهنا ليس بالاستيلاء أنه[1] لو كان

(١) في «الدرر» : «لأنه» .



كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه، دون سائر خلقه؛ إذ هو مستولٍ على العرش وعلى الخلق، ليس للعرش مزية على ما وصفته، فبان بذلك فساد قوله، ثم يقال له أيضًا: إن الاستواء ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول العرب: استوىٰ فلان أي استولىٰ، إذا تمكن بعد أن لم يكن متمكنا. فلما كان الباري ﷻ لا يوصف بالتمكن بعد أن لم يكن متمكنًا[1] لم يصرف معنىٰ الاستواء إلى الاستيلاء.

ثم قال: فإن قيل: ما تقولون في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]؟

قيل له: معنىٰ ذلك أنه فوق السماء على العرش، كما قال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة:٢] بمعنىٰ على الأرض، وقال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١].

فإن قيل: ما تقولون في قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٣]؟

قيل له: إن بعض القراء يجعل الوقف في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ثم يبتدئ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ﴾ [الأنعام:٣]، وكيفما كان، فلو أن قائلًا قال: فلان بالشام والعراق ملك، لدل على أن ملكه بالشام والعراق، لا أن ذاته فيهما.

---

(١) سقطت من (ب) جملة: «فلما كان... متمكنًا».

ذكر قول الإمام الزاهد أبي عبد الله بن بطة

قال في كتاب «الإبانة» -وهو ثلاثة مجلدات: «باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه.

أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين على أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه، فأما قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] فهو كما قالت العلماء.

واحتج الجهمي بقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فقال: معنا وفينا، وقد فسر العلماء أن ذلك علمه، ثم قال تعالى في آخرها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾».

ثم إن ابن بطة سرد بأسانيده أقوال من قال إنه علمه، فذكره عن الضحاك، والثوري، ونعيم بن حماد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه.

وكان ابن بطة من كبار الأئمة رحمه الله؛ سمع من البغوي وطبقته، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ذكر قول الإمام أبي محمد بن أبي زيد القيرواني شيخ المالكية في وقته

قال في أول رسالته المشهورة في مذهب الإمام مالك: «وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه. قال الإمام أبو بكر محمد بن وهب المالكي -شارح رسالة ابن أبي زيد- لما ذكر

قوله : «وأنه تعالىٰ[1] فوق عرشه المجيد» : معنىٰ «فوق» و«علىٰ» واحد عند جميع العرب -ثم ساق الآيات والأحاديث إلىٰ أن قال : وقد تأتي لفظة «في» في لغة العرب بمعنىٰ «فوق» ؛ كقوله : ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك :١٥] ، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك :١٦] .

قال أهل التأويل : يريد فوقها . وهو قول مالك مما فهمه عن التابعين ، مما فهموه عن الصحابة ، مما فهموه عن النبي ﷺ : أن الله في السماء ؛ يعني : فوقها ، فكذلك قال الشيخ أبو محمد أنه فوق عرشه ، ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته بائن عن جميع خلقه ، بلا كيف ، وهو بكل مكان بعلمه لا بذاته ، فلا تحويه الأماكن ؛ لأنه أعظم منها» . انتهىٰ كلام الشارح .

وذكر ابن أبي زيد في كتابه الفرد في السنة -تقرير العلو ، واستواء الرب على العرش بذاته ، وقرره أتم تقرير .

وقال في «مختصر المدونة» : «وأنه تعالىٰ فوق عرشه بذاته ، فوق سمواته دون أرضه» .

قال الحافظ الذهبي -لما ذكر قول ابن أبي زيد : «وأنه تعالىٰ فوق عرشه المجيد» : «قد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي شيبة ، وعثمان بن سعيد الدارمي . وكذلك أطلقها يحيىٰ بن عمار واعظ سجستان في رسالته ، والحافظ أبو[2] نصر السجزي في كتاب «الإبانة» له ، فإنه

---

(١) سقطت من «الدرر» كلمة : «تعالىٰ» .

(٢) في «الدرر» : «ابن نصر» .

قال : وأئمتنا كالثوري ومالك والحمادين ، وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان . وكذلك أطلقها ابن عبد البر ، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري ، فإنه قال في أخبار شتى : إن الله في السماء السابعة على العرش بنفسه . وكذا قال أبو الحسن الكرجي[١] الشافعي تلك القصيدة :

عقائـــدهم أن الإلـــه بذاتـــه

على عرشه مع علمـه بالغوائـب

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين بن الصلاح : هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث .

وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ والشيخ عبد القادر الجيلي والفتى عبد العزيز القحيطي وطائفة .

والله تعالى خالق كل شيء بذاته[٢] ومدبر الخلائق بذاته بلا[٣] معين ولا مؤازر ، وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه معنا وبين كونه فوق العرش ، فهو معنا بالعلم وهو على العرش كما أعلمنا حيث يقول : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥] .

---

(١) في (ب) : «الكرخي» .

(٢) سقط من «الدرر» : «بذاته» .

(٣) في «الدرر» : «لا» .

وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمنا وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام .

وكان ابن أبي زيد من العلماء العاملين[(١)] بالمغرب ، وكان يلقب بمالك الصغير ، وكان غاية في معرفة الأصول ، وقد نقموا عليه في قوله بذاته ، فليته تركه» . انتهى كلام الذهبي[(٢)] .

ذكر قول القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري

قال في كتابه «التمهيد في أصول الدين» وهو من أشهر كتبه : «فإن قال قائل : فهل تقولون : إن الله في كل مكان؟ قلنا : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه ، فقال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، وقال : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك :١٦] .

ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان ، وفي فمه ، وفي الحشوش ، والمواضع القذرة التي يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك» .

ثم قال في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ [الزخرف :٨٤] : «المراد أنه إله عند أهل السماء ، وإله عند أهل الأرض ؛ كما تقول العرب : فلان نبيل مطاع في المصرين ، أي عند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة .

---

(١) في «الدرر» : «العالمين» ، و(ب) : «الحاملين» .

(٢) انظر بعد قليل : ترجمة الطلمنكي وقوله .

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]: يعني بالحفظ والنصر والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى.

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦] محمول على هذا التأويل.

وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ [المجادلة:٧] يعني أنه عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن، فلذلك لا يجوز أن يقال قياسًا على هذا: إن الله بالقيروان ومدينة السلام ودمشق، وإنه مع الثور والحمار، وإنه مع الفساق ومع المصعدين إلى حلوان؛ قياسًا على قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل:١٢٨]، فوجب التأويل على ما وصفنا أولًا.

ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق

....

لأن الاستيلاء هو القدرة والقهر، والله تعالى لم يزل قادرًا قاهرًا. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [الأعراف:٥٤] يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن، فبطل ما قالوه. ثم قال: باب، فإن قال قائل: ففصلوا لنا صفات ذاته من صفات أفعاله لنعرف ذلك.

قيل له : صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها ، وهي : الحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والبقاء ، والوجه ، واليدان ، والعينان ، والغضب ، والرضاء . وصفات فعله هي : الخلق ، والرزق ، والعدل ، والإحسان ، والتفضل ، والإنعام ، والثواب ، والعقاب ، والحشر ، والنشر ، وكل صفة كان موجودًا قبل فعله لها . ثم ساق الكلام في الصفات .

وقال في كتاب «الذب عن أبي الحسن الأشعري» : كذلك قولنا[١] في جميع المروي عن رسول الله ﷺ في صفات الله ؛ إذ صح من إثبات اليدين والوجه والعينين ، ونقول : إن الله يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام ، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا ؛ كما في الحديث ، وإنه مستو على عرشه .

إلى أن قال : وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير ؛ كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء ؛ فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل» . انتهى .

قال الحافظ شمس الدين الذهبي لما ذكر كلامه هذا : «فهذا نص هذا الإمام ، وأين مثله في تبحره وذكائه وتبصره بالملل والنحل ، فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف ، ولا يعرفون إلا السلب

---

(١) في «الدرر» ، (أ) : «في قولنا» .

ونفي الصفات وردها، صم بكم، غتم عجم، يدعون إلى العقل ولا يكونون على النقل، فإنالله وإنا إليه راجعون»[١].

ذكر قول الإمام أبي عمر أحمد بن[٢] محمد ابن عبد الله الأندلسي الطلمنكي المالكي

قال في كتاب «الأصول»، وهو مجلدان: «أجمع المسلمون من أهل السنة على[٣] أن الله استوى على عرشه بذاته».

وقال في هذا الكتاب أيضًا: «أجمع أهل السنة على[٤] أن الله على العرش على الحقيقة لا على المجاز. ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان».

ثم قال في هذا الكتاب: «وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، فإن[٥] الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء».

---

(١) في (ب): «توفي القاضي الباقلاني أبو بكر في سنة ثلاث وأربعمائة، وهو في عشر السبعين رَحِمَهُ اللهُ».

(٢) سقطت من «الدرر»: «أحمد بن».

(٣) سقطت من «الدرر»: «على».

(٤) سقطت من «الدرر»: «على».

(٥) في (أ): «وأن».

هذا لفظه في كتابه ، فانظر إلى حكاية إجماع المسلمين من أهل السنة[١] على أن الله استوى على عرشه بذاته ، وأطلق هذه اللفظة غير واحد من أئمة السنة ، وحكاها كثير من العلماء عن الأئمة الكبار ؛ كما تقدم عن الحافظ أبي نصر السجزي وغيره ، فكيف نقموها على ابن أبي زيد وحده ؛ لما ذكرها في رسالته كما ذكره الذهبي .

وكان الطلمنكي هذا من كبار الحفاظ وأئمة القراء بالأندلس ، عاش بضعًا وثمانين سنة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

ذكر قول شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني

قال في رسالته في السنة : «ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه ، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه ، وعرشه فوق سمواته ، وإمامنا الشافعي احتج في «المبسوط» في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة بخبر معاوية بن الحكم : فسأل رسول الله ﷺ الأمة السوداء ليعرف أهي[٢] مؤمنة أم لا ، فقال لها : **«أين ربك؟»** فأرشات إلى السماء إذ كانت أعجمية ، فقال : **«أعتقها ؛ فإنها مؤمنة»** . حكم بإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء ، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية» .

---

(١) زاد في (ب) : «والجماعة» .

(٢) في «الدرر» : «أمؤمنة» .

كان الصابوني هذا فقيهًا محدثًا، وصوفيًّا واعظًا، كان شيخ نيسابور في زمانه، له تصانيف حسنة، سمع من أصحاب ابن خزيمة والسراج، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

ذكر قول الإمام العالم العلامة حافظ المغرب إمام السنة في زمانه أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الأندلسي صاحب «التمهيد»، و«الاستذكار» والتصانيف النفيسة

قال في كتاب «التمهيد» في شرح الحديث الثامن لابن شهاب: «حديث النزول هذا صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش.

والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

ومعنى ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: على العرش. وقد تكون «في» بمعنى «على». ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة:٢] أي: على الأرض، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١].

وهذا يعضده قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وما كان مثله في الآيات، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

وأما دعواهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل «استوىٰ»: استولىٰ فلا معنىٰ له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغلبه أحد، ومن حق الكلام أن يحمل على الحقيقة حتىٰ تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا علىٰ ذلك، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله أن يخاطب الأمة إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللغة مفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه».

قال أبو عبيدة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال: «علا، وتقول العرب استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره: استوىٰ أي: استقر، واحتج بقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، أي: انتهىٰ شبابه واستقر، فلم يكن في شبابه مزيد».

قال ابن عبد البر: «والاستواء: الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله عز وجل في كتابه[1]، فقال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] الآية،

---

(١) سقطت من «الدرر» و(أ): «في كتابه».

وقال : ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون :٢٨] ، وقال : ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود :٤٤] .

وأما من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي ، عن إبراهيم بن عبد الصمد ، عن عبد الله بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] : «استولى على جميع بريته ، فلا يخلو[1] منه مكان» .

فالجواب : أن هذا حديث منكر ، ونقلته مجهولون ضعفاء . فأما عبد الله بن داود الواسطي ، وابن مجاهد ، فضعيفان ، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف ، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول ، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا؟! أما سمعوا قول الله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر :٣٦ ، ٣٧] .

فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول : إلهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذبًا .

فإن احتج بقوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف :٨٤] ، وبقوله : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام :٣] ، وبقوله : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] ،

---

(١) في «الدرر» : «يخلوا» .

زعموا أن الله في كل مكان بنفسه وبذاته تبارك اسمه وتعالى جده .

قيل لهم : لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته ، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه ، وذلك أنه في السماء إله معبود أهل السماء ، وفي الأرض إله معبود أهل الأرض ، وكذا قال أهل العلم بالتفسير ، وظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش ، فالاختلاف في ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر .

وأما قوله في الآية الأخرى : ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞ﴾ فالإجماع والاتفاق قد بين أن المراد بأنه معبود أهل الأرض . فتدبر هذا فإنه قاطع .

ومن الحجة أيضًا في أنه ﷻ على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر ونزلت بهم شدة ، رفعوا وجوههم إلى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى . هذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ، وقد قال ﷺ للأمة السوداء : **«أين الله؟»** فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها : **«من أنا؟»** قالت : رسول الله قال : **«فاعتقها فإنها مؤمنة»** . فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء» .

قال : «وأما احتجاجهم بقوله : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة :٧] فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية» .

قال: «هو على العرش وعلمه في كل مكان، وذكر سنيد عن الضحاك في هذه الآية، قال: هو على العرش، وعلمه معهم أين ما كانوا».

قال: «وبلغني عن سفيان الثوري مثله».

وقال عبد الله بن مسعود: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء إلى سماء[1] أخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش يعلم أعمالكم. وقد ذكر هذا الكلام أو قريبًا منه في كتاب «الاستذكار».

وقال أبو عمر أيضًا: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله».

وقال أيضًا: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، وحملها على الحقيقه لا على المجاز، إلا أنهم لم يكيفوا شيئًا من ذلك. وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل منها شيئًا على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود».

---

(١) سقط من «الدرر» و(أ): «سماء».

قال الحافظ الذهبي : «صدق والله ، فإن من تأول سائر الصفات وحمل ما ورد[1] منها على مجاز الكلام أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب وأن يشابه المعدوم .

ولقد كان أبو عمر بن عبد البر من بحور العلم ومن أئمة الأثر ، قل أن ترى العيون مثله ، واشتهر فضله في الأقطار . مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن ست وتسعين سنة»[2] .

ذكر قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقرئ الأندلسي

قال في «شرح الملخص» لما ذكر حديث النزول : «وفي هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف[3] ، كما قال أهل العلم ، ودليل قولهم : قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه :٥] ، وقوله : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف :٥٤] ، وقوله : ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج :٢ ، ٣] ، والعروج هو الصعود .

قال مالك بن أنس : الله ﷻ في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو من علمه مكان .

---

(١) في (ب) : «وحمل ما ورد فيها على ما ورد منها» .

(٢) في «الدرر» و(أ) : «ست وسبعين سنة» ، وسقطت : «سنة» من (ب) .

(٣) في (ب) : «ولا تكيف» . وفي حاشية «الدرر» : لفظ المماسة مبتدع لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة .

يريد بقوله «في السماء» أي: على السماء -إلى أن قال: وكل ما[١] قدمت دليل واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء، وأن الاستواء بمعنى الاستيلاء؛ لأن الاستيلاء في اللغة بعد المغالبة، والله لا يغالبه أحد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له[٢]، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين. والاستواء معلوم في اللغة، وهو العلو والارتفاع والتمكن في الشيء، فإن احتج أحد علينا[٣]، وقال: لو كان كذلك لأشبه المخلوقات؛ لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته[٤] فهو مخلوق.

قيل: لا يلزم ذلك، لأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولأنه لا يقاس بخلقه، كان قبل الأمكنة، وقد صح في العقول وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم، فكيف يقاس على شيء من خلقه، أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

---

(١) في «الدرر»: «وكلما».

(٢) في «الدرر»: «وجوهه... ادعاء ذلك»، وفي (ب): «السليم».

(٣) في «الدرر» و(أ): «عليه».

(٤) في «الدرر»: «واحتوت».

فإن قال قائل: وصفنا ربنا بأنه كان في الأزل لا في مكان، ثم خلق الله الأماكن فصار في مكان، وفي ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال، إذا زال عن صفته في الأزل وصار[١] في مكان دون مكان.

قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان، ثم صار في كل مكان، فقد تغير عندك معبودك، وانتقل من لا مكان إلى كل مكان.

فإن قال: إنه كان[٢] في الأزل في كل مكان كما هو الآن، فقد أوجد الأشياء والأماكن معه في أزليته، وهذا فاسد.

فإن قال: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان؟!

قيل له: أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه؛ لأن كونه في الأزل لا يوجب مكانًا، وكذلك نقلته لا توجب مكانًا، وليس هو في ذلك كالخلق، ولكنا نقول: استوى من لا مكان، ولا نقول: انتقل، وإن كان المعنى في ذلك واحدًا؛ كما نقول: له عرش، ولا نقول: له سرير، ونقول: هو الحكيم[٣]، ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم؛ لأنا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه، ولا ندفع ما وصف به نفسه؛ لأنه دفع للقرآن.

---

(١) في «الدرر» و(أ): «صار».

(٢) سقطت من «الدرر» و(أ): «كان».

(٣) في النسخ: «الحليم»، والمثبت من «الاجتماع».

ذكر قول الحافظ أبي بكر الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

قال : «أما الكلام في الصفات فمذهب السلف إثباتها وإجراؤها علىٰ ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، والكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، ويحتذىٰ في ذلك حذوه ومثاله ، فإذا كان إثبات رب العالمين معلومًا فإنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا : يد وسمع وبصر ، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا تشبه بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح ، ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ :١١] ، وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص :٤]» . انتهىٰ .

قال الحافظ الذهبي : «المراد بظاهرها أي : لا باطن لألفاظ الكتاب والسنة غير ما وضعت له ؛ كما قال مالك وغيره : الاستواء معلوم . وكذلك القول في السمع والبصر والكلام والإرادة والوجه ونحو ذلك ، هذه الأشياء معلومة ، فلا يحتاج إلىٰ بيان وتفسير ، لكن الكيف في جميعها مجهول عندنا» .

قال: «والمتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة، ما علمت أحدًا سبقهم إليها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرع من هذا أن الظاهر يعنى به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل غير دلالة الخطاب، كما قال السلف: الاستواء معلوم، وكما قال سفيان وغيره: قراءتها تفسيرها، يعني أنها بينة معروفة واضحة في اللغة، لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف. وهذا هو[1] مذهب السلف مع اتفاقهم أنها لا تشبه صفات البشر بوجه؛ إذ الباري لا مثل له في ذاته، ولا في صفاته.

الثاني: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة؛ كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله فرد صمد ليس له نظير، وإن تعددت صفاته؛ فإنها حق، ولكنها ما لها مثل ولا نظير، فمن ذا الذي[2] عاينه ونعته لنا.

والله إنا لعاجزون، كالون، حائرون، باهتون في حد الروح التي فينا، وكيف نعرج كل ليلة إذا[3] توفاها باريها؟ وكيف يرسلها؟ وكيف تنتقل بعد الموت؟ وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله؟ وكيف حياة النبيين الآن؟ وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره؟ ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار عليه بمراجعة

---

(١) سقطت من «الدرر» و(أ): «هو».

(٢) سقطت من «الدرر» و(أ): «ذا»، وفي (ب): «ذي».

(٣) في (أ) و(ب): «معراج»، وفي (أ) و«الدرر»: «إذ».

رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته[١]، وكيف ناظر موسى أباه آدم؟ وحجه آدم بالقدر السابق، وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه؟ وكذلك نعجز عن وصف هيئاتنا في الجنة، ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم؟ وكيفيتها؟ وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة، مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النوراني؟

فالله أعلى وأعظم، وله المثل الأعلى، والكمال المطلق، ولا مثل له أصلا[٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. انتهى كلام الذهبي.

توفي الخطيب سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ولم يكن ببغداد مثله في معرفة هذا الشأن».

ذكر قول الإمام[٣] عالم المشرق أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي

قال في كتاب «الرسالة النظامية»: «اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر: فرأى بعضهم تأويلها والتزام ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن.

(١) في «الدرر» و(أ): «وأشار إليه»، وسقطت منهما: «على أمته»، وفي (ب): «مراجعته».

(٢) في جميع النسخ: «وأصلًا»، والمثبت من «الاجتماع».

(٣) في «الدرر»: «الأم»!.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب ﷻ.

والذي نرتضيه دينًا، وندين الله به عقيدة -اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك، وأن إجماع الأمة حجة متبعة. فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة.

وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل -كان ذلك هو الوجه المتبع. فلتجر آية الاستواء وآية المجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] على ذلك».

قال الإمام أبو الفتح محمد بن علي: «دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته، فقال لنا: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وأني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور».

توفي إمام الحرمين سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وله ستون سنة، وكان من بحور العلم في الأصول والفروع، يتوقد ذكاء.

ذكر قول الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني مصنف كتاب «الترغيب والترهيب»

قال في كتاب «الحجة»: «قال علماء السنة: إن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان».

قال : «وروي عن ابن عباس في تفسير قوله : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة :٧] ، قال : «هو على عرشه وعلمه في كل مكان» . ثم ساق الآثار .

قال : «وزعم هؤلاء أن معنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه :٥] أي : ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه .

قال أهل السنة : استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسة ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف ، كما أخبر عن نفسه» .

قال : وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله بالرءوس والأصابع إلى فوق(١) ، فإن ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة ، لا علو الذات .

وعند المسلمين أن لله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ؛ لأن العلو صفة مدح ، فثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة(٢) .

---

(١) سقطت من «الدرر» و(أ) : «إلى فوق» .

(٢) إلى هنا انتهت (ب) .



وفي منعهم الإشارة إلى الله تعالى من جهة الفوق خلاف لسائر الملل ؛ لأن جماهير المسلمين وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله من جهة الفوق في الدعاء والسؤال ، واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة .

وقد أخبر عن فرعون أنه قال : ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر : ٣٦، ٣٧] ، فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إلهًا فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع إليه ، واتهم موسى بالكذب في ذلك .

والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهمًا من فرعون ، بل وأضل .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه حكم بإيمان الجارية حين قالت : إن الله في السماء ، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك!! انتهى كلام أبي القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ . توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

ذكر كلام الإمام العالم العلامة أبي عبد الله القرطبي صاحب «التفسير الكبير»

قال في «التفسير» : «قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف :٥٤] : هذه مسألة قد بينا فيها كلام العلماء في كتاب «الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» ، وذكرنا فيها أربعة عشر قولًا -إلى أن قال : وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت

رسله ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوىٰ على العرش حقيقة ، وخص عرشه بذلك ؛ لأنه أعظم المخلوقات ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء ، فإنه لا تعلم حقيقته ؛ كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول ، والسؤال عن ذلك بدعة .

قال الحافظ الذهبي : «وقال القرطبي أيضًا في الاستواء : الأكثر من المتقدمين والمتأخرين المتكلمين ، يقولون : إذا وجب تنزيه الباري جل جلاله عن الجهة والتحيز ، فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة أنه متى اختص بجهة أن يكون في مكان وحيز ، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للتحيز والتغير والحدوث . هذا قول المتكلمين» .

ثم قال الذهبي : «قلت : نعم ، هذا ما اعتمده نفاة الرب ﷻ ، أعرضوا عن الكتاب والسنة وأقوال السلف وفطر الخلائق ، وإنما يلزم ما ذكروه في حق الأجسام ، والله تعالىٰ لا مثل له ، ولازم صرائح النصوص حق ، ولكنا لا نطلق عبارة إلا بأثر ، ثم نقول : لا نسلم أن كون الباري علىٰ عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في حيز وجهة ، إذ ما دون العرش يقال فيه حيز وجهات ، وما فوقه فليس هو كذلك ، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأول ، ونقله عنه الأئمة ، وقالوا ذلك رادين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان ؛ محتجين بقوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد : ٤] .

فهذان القولان هما اللذان كانا في زمن التابعين وتابعيهم . فأما القول الثالث للتولد بآخره بأنه تعالىٰ ليس في الأمكنة ولا خارجًا

عنها ، ولا فوق عرشه ، ولا هو متصل بالخلق ، ولا بمنفصل عنهم ، ولا ذاته المقدسة متميزة ولا بائنة عن مخلوقاته ، ولا في الجهات ، ولا خارجًا عن الجهات ، ولا ، ولا ، فهذا شيء لا يعقل ولا يفهم مع ما فيه من مخالفات الآيات والأخبار . ففر بدينك ، وإياك وآراء المتكلمين ، وآمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله ، وفوض أمرك إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» . انتهى كلام الذهبي .

ذكر قول الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي صاحب «معالم التنزيل»

قال عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف :٥٤] : «قال الكلبي ومقاتل : استقر . وقال أبو عبيدة : صعد . وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء . وأما أهل السنة فيقولون : الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب الإيمان به» .

وقال في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة :٢٩] : «قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف : ارتفع إلى السماء» .

وقال في قوله : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة :٢١٠] : «الأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ، ويكل علمها إلى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة» .

وقال في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]: «بالعلم».

كان محيي السنة من كبار أئمة مذهب الشافعي، زاهدًا ورعًا. توفي سنة عشر وخمسمائة، وقد قارب الثمانين.

قال الحافظ الذهبي لما ذكر قول الكلبي ومقاتل المتقدم: «لا يعجبني قوله «استقر»، بل أقول كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا الذي حكاه البغوي عن الكلبي ومقاتل ذكره ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، قال: «ارتفع وعلا».

وقال الشيخ أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد علم أن بين مسمى الاستواء والاستقرار والقعود فروقًا معروفة».

ذكر قول الإمام العالم العلامة الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير

قال في «تفسيره» في سورة الأعراف: «وأما قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] فللناس في ذلك المقام مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه،

ولا تعطيل ، والظاهر للتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ؛ و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ :١١] .

بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : «من شبه الله بخلقه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه»[١] .

فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالىٰ ، ونفىٰ عن الله النقائص ، فقد سلك سبيل الهدىٰ» . انتهىٰ كلام الحافظ ابن كثير .

وفيما نقلناه من كلام الأئمة خير كثير ، ولو تتبعنا كلام العلماء في هذا الباب لحصل منه مجلد كبير .

وقد أضربنا عن كلام الحنابلة صفحًا ، فلم ننقل منه إلا اليسير ؛ لأنه قد اشتهر عنهم إثبات الصفات ، ونفي التكييفات . فمذهبهم بين الناس مشهور ، وفي كتبهم مسطور ، وكلامهم في هذا الباب أشهر من أن يذكر ، وأكثر من أن يسطر . ولهذا كان أهل البدع يسمونهم الحشوية ؛ لأنهم قد أبطلوا التأويل ، واتبعوا ظاهر التنزيل ، وخالفوا أهل البدع والتأويل .

---

(١) في «الدرر» : «تشبيهًا» .

[حال المتأخرين]

وأما غيرهم من أهل المذاهب فكثير منهم قد خالفوا طريقة السلف، وسلكوا مسلك الخلف، فلهذا نقلنا كلام أئمة الحنفية والمالكية والشافعية، وأئمة أهل الكلام كابن كلاب والأشعري وأبي الحسن بن مهدي والباقلاني، ليعلم الواقف على ذلك أن هؤلاء الأئمة متبعون للسلف يثبتون لله الصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، ويعرف أن هذا الاعتقاد الذي حكيناه عن شيخنا محمد بن عبد الوهاب وأتباعه هو الاعتقاد الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وكلام الصحابة وسائر الأمة.

فنحن لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث، وما تأوله السابقون الأولون تأولناه، وما أمسكوا عنه أمسكنا عنه، ونعلم أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة، وليس كمثله شيء، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع الحدوث لامتناع العدم عليه، فلا نمثل صفات الله بصفات الخلق، كما أنا لا نمثل ذاته بذات الخلق، ولا ننفي عنه ما وصف به نفسه، ولا نعطل أسماءه الحسنى وصفاته العلا، بخلاف ما عليه أهل التعطيل والتمثيل.

فالمعطلون لم يفهموا من صفات الله إلا ما هو اللائق بالمخلوق، فشرعوا في نفي تلك المفهومات بأنواع التأويل، فعطلوا حقائق الأسماء والصفات، وشبهوا الرب تبارك وتعالى بالجمادات العارية عن صفات الكمال، ونعوت الجلال، فجمعوا بين التعطيل والتمثيل، عطلوا أولًا ومثلوا آخرًا.

والممثلون عطلوا حقيقة ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وشبهوا صفاته بصفات خلقه، فمثلوا أولًا وعطلوا آخرًا.

فمن فهم من نصوص الكتاب والسنة في صفات الرب جل وعلا ما يفهمه من صفات المخلوقين، فقد ضل في عقله ودينه، وشبه الله بخلقه، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن نفى ظاهر النصوص، وزعم أنه ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله، وأن الله لا صفة له ثبوتية، أو يثبت بعض الصفات كالصفات السبع ويؤول ما عداها؛ كقوله: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، وكقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] أي: نعمتاه نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، ونحو ذلك مما قد عرف من مذهب المتكلمين.

فهؤلاء نفاة الصفات، ومذهبهم مأخوذ عن جهم بن صفوان، فإن أول من حفظ عنه إنكار الصفات هو الجعد بن درهم، وأخذها

عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي، الساحر الذي سحر النبي ﷺ. وكان انتشار مقالة الجهمية في المائة الثانية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته. وكلام الأئمة مثل: مالك وسفيان بن عيينة وأبي يوسف والشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم في ذمه وتضليله -كثير جدًّا.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه، وتلقاها عنه الخلف، ونصروها، وقرروها.

وكثير منهم يحكي القولين: فيذكر مذهب السلف ومذهب الخلف، ثم يقول: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم. فصدق في قوله: مذهب السلف أسلم، وكذب وافترىٰ في قوله: ومذهب الخلف أعلم وأحكم، بل مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم -كما تقدم تقريره.

فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا إلى الصراط المستقيم، صرط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبنا طريق المنحرفين عن النهج القويم من المغضوب عليهم والضالين.

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فهرس الموضوعات

* * *

مِنْهَاجُ أَهْلِ الحَقِّ وَالاتِّبَاعِ
فِي
مُخَالَفَةِ أَهْلِ الجَهْلِ وَالابْتِدَاعِ

تأليف

الشّيخ الفاضل سُليمان بِن سحْمان

١٢٦٦هـ - ١٣٤٩هـ

تحقيق

فضيلة الشّيخ الدّكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

المقدمة

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد : فهذا كتاب «**منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع**» تأليف الفاضل الشيخ سليمان بن سحمان ، المتوفى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ألفّه الشيخ مساهمة في القضاء على بعض الأفكار التي جنح أهلها إلى الغلو في دين الله تعالى والتشدد في التدين ، مما كان نواة لسلوك مسلك الخوارج ونحوهم في تكفير المسلمين والطعن على علمائهم والخروج على ولاتهم .

وغير خافٍ على أكثر القراء تاريخ تلك العصابة التي كانت في القرن الماضي ، وما كان عندها من شطحات كبيرة تمثلت في مسائل من الدين ، هي : التكفير ، والهجر ، والطعن في ولاية إمام المسلمين الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، واتهام العلماء وتنقصهم . . ونحو ذلك من القضايا .

فلما خاضوا في ذلك غير عابئين بتوجيه العلماء ونصحهم ، انبرى أهل العلم -غراس الدعوة الإصلاحية- للرد عليهم ، وبيان خطرهم ، والتحذير منهم . كما أكثروا من كتابة النصائح لعامة المسلمين في بيان حقوق ولاة الأمر ، والتشديد في الخروج عليهم ، وخطر الطعن في العلماء وعظم القول على الله بغير علم ؛ ليكون هذا البيان حافظًا

للعامة من الاغترار بأولئك القوم، ومتابعتهم على ما زخرفوه من الباطل، فحمى الله بتلك الكتابات والردود الجماعة من الانخداع بتلك الأفكار الشاذة، وعرفوا ضلال القوم وخروجهم عن الصراط المستقيم، فخلوهم إلى سبيلهم الذي اختاروه حتى قضى الله ما قضى من خروجهم بالسيف على ولي الأمر، فكان عاقبة أمرهم خسرا، حيث قطع دابرهم كما قطع دابر أسلافهم على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

وكتابنا هذا الذي بين يديك إجابات تفضل بها الشيخ سليمان بن سحمان على أسئلة وردت عليه، يستفسر فيها السائل عن بعض الشبه التي تعلق بها أولئك القوم، وبثوها بين الناس. فتوسع الشيخ في الإجابة نظرًا للحاجة الماسة إلى كشف هذه الشبه والإطاحة بها. وكان مما تناوله الشيخ هنا:

مسألة التكفير، بيَّن فيها خطورة تكفير المسلم. وقواعد وضوابط للتكفير عند أهل السنة. كما طرق قضية مهمة هي: تبرئة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مما نسبه إليه هؤلاء وغيرهم في باب التكفير، اعتمادًا على جهلهم الغليظ وسوء فهمهم لعباراته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فوضح الشيخ سليمان الفهم الصحيح لتلك العبارات التي يتعلق بها التكفيريون، مما قطع الطريق عليهم، لأن علماء الدعوة أعرف بمعاني عبارات شيخهم وإمامهم، فهم الحجة على غيرهم في بيان عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ومنها : **مسألة الهجر** ، بيَّن متىٰ يشرع الهجر ومتىٰ يمتنع ، وأن الهجر مبناه على المصلحة يدور معها أينما دارت ، فمتىٰ وجدت المصلحة فثمّ الهجر ، ومتىٰ لم توجد فلا هجر .

ومنها : **مسألة الغلو في الدين** ، بين تحذير الشارع منه ، وذكر صورًا من الغلو وقع فيها بعض المنتسبين إلى الدين ، كما استطرد في سرد قصة الخوارج الأولين وقارن بينهم وبين إخوانهم الذين في عصره . وتكلم عن الرخص الشرعية مبينًا أحكامها وضوابطها .

ومنها : **بيان فضل ولاية** الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله تعالى وما جمع الله علىٰ يده من الشمل ووحد من الكلمة ، وما نشر الله بسببه من التوحيد وقمع من الشرك .

ومنها : **بيان خطورة الطعن في العلماء** ، ورميهم بالمداهنة وخفة الديانة ، وما يترتب علىٰ ذلك من المفاسد العظام .

هذا هو مجمل مواضيع الكتاب ، وإن كان من تحدث الكتاب عنهم ورد عليهم قد ماتوا ، فإن أفكارهم السيئة لم تمت ، بل كلما قطع منهم قرن خرج قرن حتىٰ يكون آخرهم مع الدجال كما جاء في بعض الآثار .

نسأل الله أن يكفيناهم بما شاء إنه هو السميع العليم .

❊ ❊ ❊

عملي في هذه النشرة

طبع الكتاب بمطبعة المنار على نفقة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، سنة ١٣٤٠هـ. وقد علق على هذه الطبعة الشيخ محمد رشيد رضا، إلا أنه تعقب ابن سحمان في مواضع، بل تجرأ على حذف بعض كلامه مشيرًا إلى هذا التصرف في الهامش.

وقد أثبتُّ ما حذفه رشيد رضا من مخطوطة للشيخ سليمان بن سحمان في الرد على صاحب المنار[١] فيما حشاه على كتب علماء الدعوة. وبهذا تكون هذه الطبعة هي الكاملة، وما سبقها من الطبعات فيها نقص، وفيها حواشٍ غير مرضية.

إضافة إلى ذلك قمت بتصحيح طبعة المنار، ومقابلة بعض النصوص المنقولة على أصولها، مثبتًا الصحيح مع الإشارة إلى ذلك في الهامش. كما خرجت الأحاديث النبوية تخريجًا مختصرًا، ووضعت فهرسًا للمباحث الواردة في الكتاب. أسأل الله تعالى التوفيق والإعانة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه

د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

٢/ ٢/ ١٤١٧هـ - الرياض

---

(١) تفضل بتصويرها لي من مكتبة الشيخ سليمان بن سحمان؛ حفيده الفاضل الشيخ عبد العزيز بن صالح بن سحمان. جزاه الله خيرًا وضاعف مثوبته.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد وصل إلي كتابك المشتمل على بعض المسائل التي قد أوضحناها لك في «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب» وذلك في شأن التكفير، وبينا لك فيه: أن المبادرة بالتكفير والتفسيق والهجر من غير اطلاع على كلام العلماء لا يتجاسر عليه إلا أهل البدع الذين مرقوا من الإسلام، ولم يحققوا تفاصيل ما في هذه المسائل المهمة العظام، مما قرروه وبينوه من الأحكام، وذكرنا فيه قول شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه: «إن من عيوب أهل البدع: تكفير بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل العلم: أنهم يخطئون ولا يكفرون»، وقول الشافعي رحمه الله تعالى: «لأن أتكلم في علم يقال لي فيه: أخطأت، أحب إلي من أن أتكلم في علم يقال لي فيه: كفرت».

إذا فهمت ذلك وتحققته فاعلم أن الكفر الذي يخرج من الإسلام ويصير به الإنسان كافرًا هو: أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحودًا وعنادًا، من أسماء الرب وصفاته، وأفعاله وأحكامه، التي أصلها توحيده وحده لا شريك له، وهذا مضاد للإيمان من كل وجه.

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما
جاء الرسول به لقول فلان

إلى أن قال :

والله ما خوفي الذنوب فإنها
لعلى طريق العفو والغفران

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن
تحكيم هذا الوحي والقرآن

ورضًا بآراء الرجال وخرصها
لا كان ذاك بمنة الرحمن

وإنما قدمت لك هذه المقدمة لتعلم أن كثيرًا من المتدينين في هذا الزمان لا يعرفون الكفر الذي يخرج من الملة، والكفر الذي لا يخرج من الملة، خصوصًا من ينتسب إلى العلم والمعرفة منهم ممن يذهب إلى البادية، يدعوهم إلى الله وهو لا يعرف تفاصيل ما قرره العلماء وأوضحوه في مسائل التكفير، وما يخرج من الملة، وما لا يخرج من الملة.

وكذلك مسألة الهجرة وأحكامها، ومسألة الهجر وما يترتب عليه من المصالح والمفاسد. ويستدلون على ما ذكروه بكلام بعض العلماء في مسألة التكفير في الأمور الظاهرة الجلية التي لا يمكن أحدًا جهلها، ولا يعذر بذلك، مثل الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، مما قد كان يعلم بالضرورة من دين الإسلام أن

الرسول ﷺ قد جاء به ، فيستدلون بذلك على بعض المسائل الخفية التي قد يخفى دليلها من الكتاب والسنة على كثير من البرية ، وذلك بمجرد ظنونهم وآرائهم القاصرة ، وأفهامهم الخاسرة .

وهذه المسائل الخفية لا يكفر بها من فعلها أو قالها -على أصح قولي العلماء- حتى تقوم عليه الحجة الرسالية .

فإذا تبين لك ما قدمت لك : انزاحت عنك شبهات كثيرة مما قد تعرض في هذا المقام ، ويتكلم فيه من لا معرفة عنده بأحكام الإسلام ومدارك الأحكام ، والله المستعان .

* * *

فصل

المسألة الأولى : قال السائل : هنا مسألة ، وهي ذات أنواع ، وهي التي أخذ بها هؤلاء المتدينون من البدو ، وهي أن من يقرأ عليهم بعض عبارات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في البدو مثل الموضع السادس من السيرة ، وما ذكر عن الأعرابي الذي يشهد أنه هو وسائر البدو كفار ، وأن المطوع الذي ما يكفر البدو كافر ، وأمثال ذلك فإذا قرأه عليهم قالوا : نعم ، هذا قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في البدو ، والمشايخ اليوم يقولون ويقولون[1] .

والجواب -ومن الله أستمد الصواب- أن نقول : قد بينا لك في المقدمة أن هؤلاء الذين يذهبون إلى البادية ويدعونهم إلى الله وهم لا يعرفون تفاصيل ما قرره العلماء وأوضحوه في مسائل التكفير ، بل يقولون بآرائهم الفاسدة وأفهامهم القاصرة الخاسرة ، لعدم علمهم ومعرفتهم لمواقع الخطاب وأحوال الناس ومراتبهم في الإسلام في الأحوال والأزمان ، وإذا كان ذلك معلومًا مشهورًا من أحوالهم وأقوالهم تعين أن نبين لك خطأهم وقلة معرفتهم وعلمهم بما كان عليه أهل نجد -حاضرتهم وباديتهم- قبل ظهور نور هذه الدعوة الإسلامية التي من الله بإظهارها على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قبل دخولهم في الإسلام ، وما هم عليه من الكفر بالله والإشراك به ،

---

(١) يعني : أنهم لا يكفرونهم .

وما من الله به عليهم بعد ذلك من دخولهم في الإسلام ومعرفته والقيام به ، فنقول :

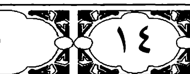
قد كان أهل نجد قبل ظهور هذه الدعوة المحمدية على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب في ذلك عاقل ، ولا يجادل فيه عارف ، كانوا على غاية من الجهالة في أمر دينهم ، في جاهلية : يدعون الصالحين ، ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران ، ويطوفون بقبور الأولياء ، يرجون الخير والنصر من جهتها ، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية ، وجهالة الصوفية ما يرون أنه من الشعب الإيمانية والطريقة المحمدية ، وفيهم من إضاعة الصلاة ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور ، وغير ذلك من جميع الفواحش والمنكرات التي لا تحصى ، ولا تستقصى ، فهذه هي حال الحاضرة من أهل نجد قبل ظهور الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية .

وأما حال الأعراب من أهل نجد وغيرهم فهم أغلظ كفرًا ونفاقًا ، وأشد إعراضًا عن الدين ، مع ما هم عليه من قتل النفوس ونهب الأموال وارتكاب المحرمات ؛ كما قال تعالى : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٩٧] .

ويصدق عليهم قول الأعرابي الذي وفد على الشيخ في الدرعية -لما تبين له الإسلام ، وعرف أن ما هم عليه قبل ذلك هو الكفر والإشراك بالله- فقال : أشهد بالله أني وسائر البدو كفار ، وأن المطوع الذي ما يكفر البدو كافر .

وكذلك ما ذكره الشيخ في الموضع السادس من السيرة ، من حال الأعراب في ذلك الوقت الذين ذكر علماء أهل زمانهم أن هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا الله . ومن قالها لا يكفر بشيء . وأعظم من ذلك وأكبر : تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة ، ولكن يقولون : «لا إله إلا الله» وهم بهذه اللفظة إسلام ، وحرم الإسلام مالهم ودمهم مع إقرارهم أنهم تركوا الإسلام كله . . . إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فهذا الكلام -الذي قاله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأعراب : إنما هو حال كفرهم وقبل دخولهم في الإسلام . ثم لما فتح الله بصيرة شيخ الإسلام بتوحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنبياءه ، فعرف الناس ما في كتاب ربهم من أدلة توحيده الذي خلقهم له ، وما حرم الله عليهم من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وساعده على القيام بذلك آل سعود ؛ فنصروه وآووه وجاهدوا معه القريب والبعيد ، حتى أظهر الله الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده ، وهدم بيوت الكفر والشرك ومعابده ، وكبت الطواغيت والملحدين ، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى ، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفاء ، وأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات ، ونهى عن الابتداع في الدين ، وأمر بمتابعة السلف الماضين ، في الأصول والفروع ومسائل الدين ، حتى



ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وأقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحُدَّت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته مسير الشمس في الآفاق، وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وجمع الله القلوب بعد شتاتها، وتألفت بعد عداوتها، وصاروا بنعمته إخوانًا، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي، والصخور، وفتح الله عليهم الأحساء والقطيف، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، ودانت لهم عربها وأعطوا الزكاة، فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد الإبل في طلب الدنيا والدين، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والتمكين، كما قال عالم الأحساء وشيخها رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لقد رفع المولى به رتبة الهدى
بوقت به يعلو الضلال ويرفع
وجرت به نجد ذيول افتخارها
وحق لها بالألمعي ترفع

فهذه هي حال أهل نجد حاضرتهم وباديتهم بعد ما دخلوا في دين الله وتركوا ما كانوا عليه قبل ذلك من الكفر بالله والإشراك به.

وقد حدثني رجل من أعراب أهل بيشة -وقد كان أدرك زمن الدرعية، ووفد مع من وفد إليها من قومه- فذكر أنهم كانوا في طريقتهم

إذا اجتمعوا بمن قدم من الدرعية من وفود الأعراب يسألونهم عما أفادهم به الشيخ من الفوائد، وما علمهم من توحيد الله، وما أمرهم به من ذلك، وما نهاهم عنه مما يخالف دين الإسلام مما كانوا عليه في الجاهلية، ويتذاكرون ويحمدون الله على ما من الله به عليهم من الإسلام.

فمن زعم أن حال الأعراب -بعد ما دخلوا في دين الإسلام والتزموا شرائعه العظام- هي حالهم قبل أن يدخلوا فيه من الكفر بالله والإشراك به، وأن هذا وصف قائم بهم لا ينفك عنهم، وأنهم على الحالة الأولى: فقد أعظم الفرية على الله وعلى المسلمين ونسبهم إلى ما هم بريئون منه.

ثم لما انقضى زمن الدرعية، وتسلطت عليهم العساكر المصرية، بسبب ما اقترفه أولاد سعود من الذنوب والتقصير في الأوامر الدينية، ونقلوا عبد الله بن سعود إلى مصر، وأتبعوه أولاده وإخوانه وأكابر أولاد الشيخ ثم تشتت الناس وتضعضع أمرهم وانفلت ولاية أهل الإسلام وبقي الناس في مرجة عظيمة لا والي لهم.

ثم رد الله الكرة للمسلمين، وجمعهم الله على الإمام تركي بن عبد الله رحمه الله تعالى وشيخ الإسلام شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن -قدس الله روحه- واستقام الأمر على ما كان عليه أهل نجد أولًا -باديتهم وحاضرتهم- على هذا الدين.

ثم حدثت بعد ذلك أمور لا فائدة في ذكرها.

ثم جمعهم الله بعد ذلك بالإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فاستقامت ولاية الإسلام على ما كانوا عليه أولًا .

يوضح ذلك : ما ذكره شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن – قدس الله روحه– في نصيحته للإمام فيصل ، قال فيها :

ومن الدعوة الواجبة ، والفرائض اللازمة : جهاد من أبى أن يلتزم التوحيد ويعرفه من البادية والحاضرة ، وأكثر بادية نجد يكفي فيهم المعلم ، وأما من يليهم من المشركين من آل ظفير وأمثالهم : فيجب جهادهم ودعوتهم إلى الله . . انتهى .

فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أكثر بادية نجد يكفي فيهم المعلم ؛ لأنهم ملتزمون بشرائع الإسلام الظاهرة ، وإنما يحتاجون إلى تعليمهم ما قد يخفى عليهم من حقوقه اللازمة فيه ، بخلاف الظفير وأمثالهم من المشركين فإنه يجب جهادهم .

ثم بعد ذلك : انثلت ولاية آل سعود ، ثم صار الأمر بعد ذلك لآل رشيد ، وحصل من أهل نجد إعراض عن الدين ، وضعف أمر الإسلام فيهم حتى غلب على أكثرهم الجهل ونسيان ما كانوا عليه أولًا ؛ فنبذوا شرع الله وراء ظهورهم ، وصاروا يتحاكمون إلى الطواغيت وسوالف الآباء والأجداد ، وفشت فيهم المنكرات والفواحش وأنواع المعاصي التي يطول عدّها .

ثم رد الله الكرة للمسلمين وجمعهم الله بالإمام عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز حتى استقامت لهم الأمور، وقد كانت الأعراب -الذين هم بين أظهر أهل الإسلام- ملتزمين بشرائع الإسلام الظاهرة في هذه الأزمان، ولا يمكن أحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعمهم جميعهم بالكفر، ويطلق عليهم لأجل ما غلب على بعضهم من المكفرات، والتلوث بكثير من المنكرات والمحرمات.

وبهذا التفصيل يزول الإشكال عمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، وكان غاية أمره ونهاية مقصوده طلب الحق.

فإذا تبين لك هذا، فيقال لهؤلاء الجهلة الصعافقة الحمقى، الذين لا علم لهم ولا معرفة لديهم بحقائق الأمور ومدارك الأحكام، الذين يقرءون على الناس كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وهم لا يفهمون مواقع الخطاب وتوقيع الأمور على ما هي عليه، حيث يقول قائلهم: نعم، هذا قول الشيخ في البدو، والمشايخ اليوم يقولون ويقولون.

فيقال لهم: إن كلام الشيخ الذي تقرءونه على الناس في قوم كفار ليس معهم من الإسلام شيء، وذلك قبل أن يدخلوا في الإسلام، ويلتزموا شرائعه، وينقادوا لأوامره، وينزجروا عن زواجره ونواهيه، وأما بعد دخولهم في الإسلام فلا يقول ذلك فيهم إلا من هو أضل من حمار أهله وأقلهم دينًا وورعًا، ومقالته هذه أخبث من مقالة الخوارج



الذين يكفرون بالذنوب ، وهؤلاء يكفرونهم بمحض الإسلام . أما علم هؤلاء المساكين أن الإسلام يجبُّ ما قبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، بنص رسول الله ﷺ؟

وأما قوله : والمشايخ اليوم يقولون ويقولون ، فالجواب أن نقول : نعم المشايخ اليوم يقولون : لا نكفر من ظاهره الإسلام ، ولا يطلقون الكفر على جميع أهل البادية الذين هم بين أظهر أهل الإسلام ، وإنما يقولون : من قام به وصف الكفر منهم فهو كافر ؛ كمن يعبد غير الله ، ويشرك به أحدًا من المخلوقين ، أو يتحاكم إلى الطواغيت ، ويرى أن حكمهم أحسن وأفضل من حكم الله ورسوله ، أو يستهزئ بدين الله ورسوله ، أو ينكر البعث .

فمن قام به هذا الوصف الذي ذكرنا من المكفرات وغيرها مما يخرج من الملة في بادية أو حاضرة : فهو كافر . كما ذكر ذلك شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب وغيره من العلماء -رحمهم الله تعالى- وهذا هو الذي ندين الله به في أي بادية كانت أو حاضرة .

ثم لو ذهبنا نذكر ما أحدثه هؤلاء من البدع والغلو والمجاوزة للحد في الأوامر والنواهي لطال الجواب ، والعاقل يسير فينظر ، والهداية والتوفيق بيد الله ، وإنما عليه الإعذار والإنذار وبيان الحق .

ومن لم يقم به وصف الكفر ، وكان ملتزمًا لشرائع الإسلام الظاهرة فهو مسلم ، ولا نكفره بارتكاب الذنوب والمعاصي ، ولا بالأعمال التي لا تخرجه من الملة .

ومن لم يسلك طريقة المشايخ في هذه المسائل سلك ولا بد على طريقة الخوارج الذين يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه ، فإنهم -ولله الحمد والمنة- كانوا وسطًا بين طرفين ، وعلى هدى بين ضلالتين .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله روحه : «وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعث الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب له ولأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه ، فإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وبر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبا الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى ما يكفيه من بيت المال لحاجته .

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه ، فلم يجعلوا الناس إلا مستحقًّا للثواب فقط ، أو مستحقًّا للعقاب فقط . وأهل السنة يقولون : إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه ، ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له في الشفاعة وبفضله ورحمته ، كما استفاضت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ والله أعلم» . انتهى .



وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر : «ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ، ويرحم الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد يكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ، ويحب من وجه ويبغض من وجه آخر ، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم كما بسط هذا في موضعه والله أعلم» . انتهى .

فانظر -رحمك الله- إلى ما قرره شيخ الإسلام في مسألة الهجر : أن الرجل الواحد قد يجتمع فيه خير وشر ، وبر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة ، فيستحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، ويستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبا الإكرام والإهانة ، إلى آخر كلامه ، فمن أهمل هذا ولم يراعِ حقوق المسلم التي يستحق بها الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، وكذلك يراعي ما فيه من الشر والمعصية والفجور والبدعة وغير ذلك فيعامله بما يستحقه من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فمن ترك هذا وأهمله سلك مسلك أهل البدع المخالفين لأهل الإسلام ومن حذا حذوهم ولا بد .

وتأمل قوله : وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه ، فلم يجعلوا الناس إلا مستحقًّا للثواب أو مستحقًّا للعقاب فقط . فإن هذا مخالف لما قاله أهل السنة والجماعة .

ثم انظر إلى ما يقوله هؤلاء المخالفون للمشايخ ، هل هم متبعون لما عليه أهل السنة والجماعة ، أو متبعون لمن خالفهم ، يتبين لك خطؤهم فيما ينقلونه وهم لا يعرفون معناه وما يراد به ، بل يحكمون على أقوال أهل العلم بمجرد آرائهم وأفهامهم القاصرة . وما أحسن ما قال القائل :

يقولـــون أشـــياء ولا يعرفونهـــا

وإن قيل هاتوا حققوا لم يحققـوا

فإن كان ما كان عليه المشايخ هو الحق والصواب الذي كان عليه أهل السنة والجماعة : فهو المطلوب وعليهم أن يرجعوا عما ارتكبوه من هذه الورطات المفضية بهم إلى المفاوز المهلكات ، وإن لم يقبلوا ويرجعوا : قيل لهم : ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ﴾ [البقرة : ١١١] ، ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

فإذا تقرر هذا وتبين لك أنهم لم يفهموا ما ذكره الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في الأعراب الذين كانوا في زمنه قبل أن يدخلوا في الإسلام ، وأنهم وضعوه في غير موضعه ، فجعلوه في الأعراب الذين هم بين ظهور المسلمين وظاهرهم الإسلام : **فالعجب كل العجب ممن يصغي ويأخذ بأقوال أناس ليسوا بعلماء ولا قرءوا على أحد من المشايخ فيحسنون الظن بهم فيما يقولونه وينقلونه ، ويسيئون الظن بمشايخ أهل الإسلام وعلمائهم الذين هم أعلم منهم بكلام أهل العلم ، وليس لهم غرض في الناس إلا هدايتهم وإرشادهم إلى الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها .**



وأما هؤلاء المتعالمون الجهال فكثير منهم -خصوصًا من لم يتخرج على العلماء منهم- وإن دعوا الناس إلى الحق فإنما يدعون إلى أنفسهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم؛ طلبًا للجاه والشرف والترؤس على الناس؛ فإذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

وقد قال بعض السلف: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»، وقال بعض العلماء: «إن من سعادة العجمي والعربي إذا أسلما: أن يوفقا لصاحب سنة، ومن شقاوتهما أن يوفقا لصاحب بدعة» أو كما قال.

ولكن الشأن كل الشأن في معرفة صاحب السنة ومعرفة صاحب البدعة، فأما صاحب السنة فمن علاماته التي يعرف بها: الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الأقوال والأعمال والهدي والسمت، ويأخذ بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ وأقوال التابعين ومن بعدهم من السلف الصالح والأئمة المهتدين، ويعلم الناس أمر دينهم بالأهم فالأهم، ويربي بصغار العلم قبل كباره، ويسلك طريقة التيسير، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وقال ﷺ: **«إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»**(١)، وقد قال ﷺ: **«إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»**(٢)، وقال ﷺ لما جاء الحبشة

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» -أبواب الطهارة- باب ما جاء في البول يصيب الأرض: (١/ ٢٧٥) عن أبي هريرة. في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد. وأصل الحديث في الصحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والنسائي: (٥/ ٢٦٨) عن ابن عباس.

يلعبون يوم العيد في المسجد قام ينظر إليهم، ثم قال: **«لتعلم يهود أن في ديننا فسحة؛ إني بعثت بحنيفية سمحة»**(١) ذكر هذا العماد بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيره على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١] إلى غير ذلك من الأمور التي يتصف بها أهل السنة والجماعة.

ومن ذلك: أن يكون الرجل عليمًا فيما يأمر به، عليمًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه.

ومن علامات صاحب البدعة: التشديد، والغلظة، والغلو في الدين، ومجاوزة الحد في الأوامر والنواهي، وطلب ما يُعَنِّت الأمة ويشق عليهم ويحرجهم، ويضيق عليهم في أمر دينهم، وتكفيرهم بالذنوب والمعاصي، إلى غير ذلك مما هو مشهور مذكور من أحوال أهل البدع.

فهؤلاء هم الذين نخشى على من سلك طريقتهم أن يوقعوا من تدين من الأعراب ممن لم يتمكن من معرفة الدين وتفاصيل الأحكام فيما يخالف طريقة أهل السنة والجماعة من هذه البدع التي تفضي بهم إلى مجاوزة الحد في الأوامر والنواهي.

---

(١) أصل الحديث في «الصحيحين». قال الحافظ في «الفتح»: (٢/ ٤٤٤) عن هذه الزيادة: «رواها السراج من طريق أبي الزناد عن عروة عن عائشة». اهـ.
وقال الحافظ ابن كثير (٢/ ٢١٤) والزيادة لها شواهد من طرق عدة قد استقصيت طرقها في «شرح البخاري». اهـ.

ولكن الله -وله الحمد والمنة- قد منَّ على كثير من الإخوان بمعرفة هذا الدين وقبوله والانقياد له وترك ما كانوا عليه أولًا من أمور الجاهلية، فنسأل الله أن يمنَّ علينا وعليهم بالثبات على الإسلام ومعرفته ومحبته وإيثاره، وقبول الحق ممن جاء به، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يتوفانا وإياهم على الإسلام غير خزايا ولا مفتونين.

* * *

فصل

المسألة الثانية: قول السائل: إنهم يحتاجون بيانًا في فضل المهاجر على الذي ما هاجر.

والجواب: أن نقول: قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام فضل الهجرة وفضل من هاجر على من لم يهاجر، وهذا مما لا يمتري فيه عاقل، ولا يشك فيه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩] وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

ففي هذه الآيات كلها فضيلة الهجرة وفضيلة من هاجر على من لم يهاجر، وفيها بيان ما أعد الله لهم من الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

ومن أصدق من الله قيلًا؟ ومن أحسن من الله حديثًا؟

وقال تعالىٰ : ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] .

قال الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسيره علىٰ هذه الآية : يقول -تعالىٰ ذكره- للمؤمنين من عباده : يا عبادي الذين وحدوني وآمنوا برسولي إن أرضي واسعة ، لم تضق عليكم ، فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه ، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا علىٰ تغييره فاهربوا منه . وساق بسنده عن سعيد بن جبير في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] قال : إذا عمل فيها بالمعاصي فاخرج منها . وساق من طريق وكيع عن سعيد بن زيد مثله ، قال : اهربوا ؛ فإن أرضي واسعة . وعن عطاء : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا . وعنه : مجانبة أهل المعاصي . وعن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] قال : فهاجروا وجاهدوا . انتهىٰ .

وقد توعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من أقام بين أظهر المشركين وهو قادر علىٰ الهجرة ولم يهاجر بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء : ٩٧-٩٩] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو مرتكب حرامًا بالإجماع وبنص هذه الآية، حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] انتهى.

وقال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في بعض رسائله، وقد سأله بعض الإخوان عمن كان في سلطان المشركين، وعرف التوحيد، وعمل به، ولكن ما عاداهم ولا فارق أوطانهم. فأجابه بقوله:

إن هذا السؤال صدر عن عدم تعقل لصورة الأمر، والمعنى المقصود من التوحيد والعمل به، لأنه لا يتصور أنه يعرف التوحيد ويعمل به ولا يعادي المشركين. ومن لم يعادهم لا يقال له: عرف التوحيد وعمل به.

والسؤال متناقض -وحسن السؤال مفتاح العلم- وأظن مقصودك من لم يظهر العداوة ولم يفارق، ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة: فالأول يعذر به مع العجز والخوف، لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨] والثاني لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي، لا ينفك عنه المؤمن، فمن عصى الله بترك إظهار العداوة فهو

عاص لله . فإذا كان أصل العداوة في قلبه فله حكم أمثاله من العصاة . فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة فله نصيب من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية . لكنه لا يكفر لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير . وأما الثاني الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة فيصدق عليه قول السائل : لم يعاد المشركين . فهذا هو الأمر العظيم والذنب الجسيم . وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين .

والخوف على النخل و المساكن ليس بعذر يوجب ترك الهجرة . قال الله تعالى : ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] . انتهى .

فإذا عرفت هذا وتبين لك فالشأن كل الشأن ، والخوف كل الخوف على من هاجر من إخواننا الذين دخلوا في هذا الدين وأحبوه ، ورغبوا فيما عند الله والدار الآخرة ، وتركوا ملاذ أنفسهم وشهواتهم لله ، وحصلت لهم هذه الفضائل العظيمة والمواهب الجسيمة . ثم صار بعضهم ممن ليس له علم ولا معرفة بمدارك الأحكام الشرعية يسعى ويكدح في إبطال هجرته أو ما يقدح فيها أو ينقص أجرها وثوابها ، مما قد يجري على ألسنة كثير منهم من الأمور التي أحدثها وابتدعها من تجاوز الحد ، وغلا في الدين ، واتبع غير سبيل المؤمنين .

فمن ذلك قولهم : إنه لا إسلام لمن لم يهاجر من الأعراب ، وإن كان قد دخل في الدين وأحبه ووالى أهله ، وترك ما كان عليه أولًا من أمور الجاهلية إلا أن يهاجر ، ومن لم يهاجر فليس بمسلم عندهم .

ومن ذلك أيضًا أنه إذا مرت قافلتهم على بعض الأعراب الذين ظاهرهم الإسلام وفيهم من تميز بمعرفة الدين والدخول فيه وترك ما كانوا عليه من أمور الجاهلية لم يسلموا عليهم ابتداء، ولا يردون السلام عليهم، ولا يأكلون ذبائحهم، لأنهم لم يهاجروا معهم.

وهذا خلاف ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها. ففي صحيح مسلم عن بريدة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا. فقال: «**اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا؛ ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين**»[1] الحديث بتمامه.

فأخبر ﷺ أن من دعي إلى الإسلام فأجاب إليه، وأبى أن يتحول من دارهم إلى دار المهاجرين فإنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله. فأثبت لهم ﷺ الإسلام، ولم ينفه عنهم، لكونهم لم يهاجروا.

---

(١) مسلم (٣/ ١٣٥٦-١٣٥٧) في كتاب الجهاد والسير.

فمن جعل حكم أعراب المسلمين الذين لم يهاجروا وقد تميزوا عن غيرهم بالدخول في هذا الدين ومحبته والانتساب إليه واشتهروا بذلك وعرفوا به؛ حكم من لم يعرف هذا الدين ولم يدخل فيه ولا أحبه في عدم موالاتهم ومحبتهم وعدم السلام عليهم وامتنع من أكل ذبائحهم فقد أخطأ وتجاوز الحد، وخالف سبيل المؤمنين، واتبع سبيل من خالفهم من المبتدعين.

ومن ذلك أيضًا أنهم يلزمون من دخل في هذا الدين من الأعراب وغيرهم بلبس عصابة، ويسمونها: العمامة. فمن لبسها كان من الإخوان الداخلين في الدين، ومن لم يلبسها فليس من الإخوان؛ لأنه لم يلبس السنة عندهم، وزعموا أن هذه العمامة زي وشعار يتميز به من دخل في هذا الدين عمن لم يدخل فيه. فمن رأوها عليه أحبوه ووالوه وسلموا عليه، ومن لم يروها عليه لم يسلموا عليه ولم يردوا عليه السلام؛ لأنه ليس من الإخوان ولم يلبس السنة.

وقد ذكرنا ما يبطل هذه البدعة ويردها في «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب» مستوفاة بأدلتها، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»:

فصل: وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحًا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو تضفيره إذا كان مباحًا، كما قيل: كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

فبين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أنه ليس لأولياء الله المتقين لباس يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في «مدارج السالكين» لما ذكر حال أولياء الله المتقين ، قال : وهم مستترون عن أعين الناس بأسبابهم وصنائعهم ولباسهم ، لم يجعلوا لطلبهم ولإرادتهم إشارة تشير إليهم : اعرفوني . انتهى .

وهؤلاء الجهال يأمرون الناس أن يلبسوا عمائم يتميزون بها عن الناس ، ويشار إليهم ، ويعرفون بها .

إذا فهمت هذا فاعلم أنه ليس مقصودنا بإنكار هذه العمائم لبسها فإنها من المباحات والعادات . وإنما الإنكار زعمهم أن الرسول ﷺ سنها وشرعها لأمته ، وأنها شعار يتميز به من دخل في هذا الدين عن غيره .

وهذا لم يشرعه الله ولا رسوله ، ولا قاله المحققون من أهل العلم .

ومن ذلك أنهم ينكرون على من لبس عقالًا من صوف ، ولا يسلمون عليه ، ويقولون : إنه لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ولم يلبسه لا هو ولا أصحابه ، وهم يلبسون المشالح السود والبيض والحمر والغتر (الشمغ) والرسول ﷺ لم يلبسها لا هو ولا أصحابه ، ولم تكن في عهده ولا في عهد أصحابه ، فكيف يكون لبس هذه حلالًا ولبس تلك حرامًا؟ وهذا من جهلهم وعدم معرفتهم بمواقع الخطاب في الحلال والحرام ، وما يترتب عن ذلك من القول على الله بلا علم . والله المستعان .

واعلم أيها الناظر في هذه الأوراق : أني لم أقل هذا الكلام طعنًا على الإخوان ولا عيبًا لهم ولا تتبعًا لمساويهم ، ولا يظن هذا بنا إلا رجل سوء أو من أعمى الله بصيرة قلبه لعدم علمه ومعرفته بما يفرق بين الحق والباطل وبين ما شرعه الله ورسوله وما لم يشرعه .

وإنما مقصودنا بهذا الكلام نصح للإخوان وشفقة عليهم أن يصدر منهم ما يبطل هجرتهم أو يقدح فيها أو ينقص أجرها وثوابها .

وقد تحققنا أن الإخوان لا يريدون إلا الحق ومتابعة الرسول في أقواله وأفعاله ، ولكن قد يدخل عليهم بعض هؤلاء الجهال هذه الأمور ظنًّا منهم أنها من الدين ومما جاء به الرسول ﷺ ، وذلك من جهلهم وعدم علمهم ، قال بعض العلماء :

والعلم ليس بنافع أربابه
ما لم يفد نظرًا وحسن تبصّر

وقول الآخر :

والعلم للرجل اللبيب زيادة
ونقيصة للأحمق الطياش
مثل النهار يزيد أبصار الورى
نورًا ويعمي أعين الخفاش

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

فصل

المسألة الثالثة : الذي يظهر من البدو بعد ما نزل وبنى بيته ثم خرج إلى البادية ، لكن على محبة الإسلام والمسلمين ، وليس من نيته الرجوع ، ما الذي يلحقه من الوعيد؟

الجواب : الذي هاجر من البدو وبنى بيته ثم خرج إلى البادية وليس من نيته الرجوع فهذا قد فعل كبيرة من الكبائر ، وارتكب أمرًا محرمًا ، كما ذكر ذلك أهل العلم ، ولا يخرجه ذلك من الملة ، وله من الحقوق الإسلامية بقدر ما معه منها ، فيحب ويوالى على ما التزمه من شرائع الإسلام ، ويبغض ويعادى بقدر ما ارتكبه من فعل هذه الكبيرة ، واستحق من الوعيد ما يستحقه فاعل الكبيرة من اللعنة ، كما روى الطبراني من حديث جابر بن سمرة مرفوعًا : **«لعن الله من بدا بعد هجرته ، إلا في الفتنة»**(١) .

وما رواه النسائي عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا : **«لعن الله آكل الربا ومؤكله»** الحديث ، وفيه : **«والمرتد بعد هجرته أعرابيًا»**(٢) . قال ابن الأثير في «النهاية» : من رجع بعد هجرته إلى موضع من غير عذر يعدونه كالمرتد .انتهى من «الفتح» .

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»(٥/ ٢٥٤) : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم . اهـ .
(٢) النسائي (٨/ ١٤٧) .

ومثله ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه لما دخل على الحجاج، قال: يا ابن الأكوع ارْتَدَدتَ على عقبيك، تعربت؟ قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو[1]. انتهى.

وإذا كان المرتد بعد هجرته أعرابيًّا ملعونًا من أجل خوف الجفا ونسيان العلم ولمصالح الإسلام والأعراب إذ ذاك أحسن حالا وأكمل عقولًا؛ فكيف الحال بالأعراب الذين لم يتمكنوا من معرفة الدين ومعرفة شرائع الإسلام في هذه الأزمان؛ فهم أحق وأولى بهذه العقوبة.

وأما قول ابن الأثير: كل من رجع بعد هجرته إلى موضع من غير عذر يعدونه كالمرتد. فالمراد بهذه الردة: الردة الصغرى، التي لا تخرجه من الملة، بدليل ما تقدم من الأحاديث في الوعيد على من فعل ذلك باللعنة، وبما ذكره العماد بن كثير في تفسيره على قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فقال رحمه الله:

قال ابن أبي حاتم: ثنا أحمد بن سنان، قال: ثنا أبو أحمد -يعني الزبيري- ثنا علي بن صالح، عن عثمان بن المغيرة، عن مالك بن جرير، عن علي رضي الله عنه قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، والتعرب

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن من «صحيحه» -باب التعرب في الفتنة- ومسلم في «صحيحه» (٣/ ١٤٨٦): كتاب الإمارة.

بعد الهجرة» . وذكر الحديث بتمامه[١] . انتهى . فذكر رضي الله عنه أن التعرب بعد الهجرة من الكبائر .

وكلام السلف رحمهم الله في هذه المسألة معروف مشهور في كتب الحديث والتفسير ، لا يخفى ذلك على من طلب الحق ، ومقصوده اتباع سبيل المؤمنين ، والله المستعان .

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨٥) .

فصل

المسألة الرابعة: قول السائل: من خرج في غنمه وقت الربيع ونيته الرجوع، ما الذي له؟ وما الذي عليه؟

الجواب: هذه المسألة قد ذكرنا جوابها في «إرشاد الطالب إلىٰ أهم المطالب» أنه إذا خرج بعض من نزل في دار الهجرة إلى البادية لأجل غنمه ومن نيته الرجوع إلىٰ مسكنه وداره التي هاجر إليها لا يقع عليه وعيد من تعرب بعد الهجرة؛ لأن رسول الله ﷺ قال: **«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه»**(١)، وهذا الذي خرج إلىٰ غنمه ليصلحها ويتعاهد أحوالها ثم يرجع إلىٰ مهاجره، ليس من نيته التعرب بعد الهجرة، ولا رغبة عن الإسلام وأهله؛ فلا يدخل في الوعيد، إلىٰ آخر ما ذكرناه فيه، والله أعلم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥).

فصل

المسألة الخامسة : قول السائل في الذي نزل في دار الهجرة ، ثم بعدما نزل باع بيته ثم خرج مع البادية ، ظاهره رغبته عن الدين وربما سبه ، ماذا حاله؟

الجواب : من هاجر إلى بلد من بلدان المسلمين وابتنى بها بيتًا ثم بدا له أن يرجع إلى البادية فباع منزله وظاهره الرغبة عن الدين وربما سبه فهذا إذا رغب عن الدين أو سبه فهو كافر مرتد عن الإسلام ، وليس حاله كحال من تعرب بعد الهجرة ، ولم يرغب عن الدين ولا سبه ، فإن هذا مرتكب كبيرة من الكبائر بإجماع العلماء . وأما الذي رغب عن الدين أو سبه فهو كافر ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [محمد : ٢٥-٢٨] وهذا مما لا إشكال فيه ولله الحمد والمنة ، كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في رسالته للشريف لما سأله الشريف : عما تكفرون به الرجل؟ فأجابه بقوله :

نقول : أعداؤنا معنا على أنواع ، فذكر الأول ، ثم قال : النوع الثاني من عرف ذلك وتبين في سبه دين الرسول ﷺ مع ادعائه أنه عليه وأنه عامل به ، وتبين في مدح من عبد «يوسف والأشقر» ومن عبد «أبا علي والخضر» من أهل الكويت ، وفضلهم على من وحد الله

وترك الشرك، فهذا أعظم كفرًا من الأول. وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] الآية.

وهو ممن قال الله فيهم: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢] الآية انتهى.

والمقصود: أن من عرف الدين ثم بعدما عرفه رغب عنه ورجع إلى البادية، أو سب الدين فهو كافر.

* * *

فصل

المسألة السادسة : قول السائل : إذا قدم بعض الزائرين من الإخوان وقف في المسجد ، ثم قال : السلام عليكم أيها الإخوان! إخواننا يسلمون عليكم ، ثم ثار أهل المسجد للسلام عليه ، وحصل نوع تشويش وقطع صلاة الذين يصلون الراتبة . هل مثل هذا مشروع أم لا؟

الجواب : هذا الذي يفعله بعض الزائرين من الإخوان إذا قدموا على إخوانهم قاموا بعد الصلاة في المسجد ، فقالوا : السلام عليكم أيها الإخوان! إخواننا يسلمون عليكم . أمر محدث مبتدع في الدين ، لم يفعله أحد من الصحابة على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، ولا فعله أحد من التابعين ، ولا من بعدهم من أئمة السلف .

ولا ذكر هذا عن أحد من العلماء ، فكان أمرًا مخترعًا مبتدعًا في الدين ، وشرعًا لم يأذن الله به ، بل هو مما استحسنه هؤلاء الذين لا معرفة لهم بما سنه رسول الله ﷺ وشرعه لأمته ، ويظنون أن هذا قربةلله وطاعة ، وما علموا أن البدع لا تكون إلا في الدين . فإذا فهمت ما ذكرته لك وانضاف إلى فعل هذه البدع نوع تشويش على المصلين أو قطع صلاتهم ، لم يرجعوا بالكفاف ، ووقعوا في أمر عظيم ووعيد شديد ، كما ورد في الحديث عن أبي جهيم عبد الله بن الحارث ابن الصمة الأنصاري ، قال : قال ﷺ : **«لو يعلم المار بين يدي**

المصلي ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيرًا له من أن يمر بين يدي المصلي» . قال أبو النضر : لا أدري قال : أربعين يومًا أو شهرًا ، أو سنة . رواه البخاري(١) .

وكذلك ورد النهي عن الجهر بقراءة القرآن بين المصلين ؛ لئلا يشوش عليهم صلاتهم . وقد كان من المعلوم أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال ، وهي مشروعة فنهي عنها لأجل ذلك ، فكيف الحال بمن فعل أمرًا غير مشروع ولا مأذون فيه؟ فكان أجدر وأولى بأن ينهى عن هذا الفعل المبتدع ، الذي يحصل به قطع صلاة المصلين أو تشويش عليهم .

ثم إنه ليس هذا الأمر بأقل مما فعله بعض المتنطعين المتعمقين الغالين في الدين على عهد الصحابة رضي الله عنهم من الاجتماع على التسبيح والتهليل والتكبير ، الذي هو من أفضل الأعمال وأجل العبادة ، لكن لما لم يكن على عهد رسول **الله** ﷺ ، ولم يتعبد به أحد من الصحابة على هذا الوجه الذي فعلوه ، أنكر ذلك عليهم أفاضل الصحابة رضي الله عنهم كعبد **الله** ابن مسعود وأبي موسى الأشعري ، كما ذكر ذلك أهل العلم .

قال الدارمي : أخبرنا الحاكم بن المبارك ، أنبأنا عمرو بن يحيى ، قال سمعت أبي يحدث عن أبيه ؛ قال : كنا نجلس على باب عبد **الله** بن مسعود قبل صلاة الغداة ، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد ، فجاء أبو موسى الأشعري ، فقال : أخرج أبو عبد الرحمن؟ قلنا : لا . فجلس .

---

(١)(١/ ٥٨٤) ، ومسلم (١/ ٣٦٣) .

فلما خرج قال : يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد أمرًا أنكرته ، ولم أر -ولله الحمد- إلاَّ خيرًا ، قال : فما هو؟ فقال : إن عشت فستراه .

قال : رأيت في المسجد قومًا جلوسًا ، ينتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجل ، وفي أيديهم حصى ، فيقول : كبروا مائة . فيكبرون مائة .

فيقول هللوا مائة . فيهللون مائة . فيقول : سبحوا مائة . فيسبحون مائة .

قال : فماذا قلت لهم؟ ما قلت لهم شيئًا ، أنتظر أمرك . قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء .

ثم مضى حتى أتى حلقة ، فقال : ما هذا؟ قالوا : له : حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح . قال : فعدوا سيئاتكم ، فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء . ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تنكسر ، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحي باب ضلالة . قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير . قال : وكم من مريد للخير لم يصبه؟ إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم . وايم الله إني لأرى أكثرهم منكم . فقال عمر بن سلمة : رأينا عامة أولئك يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج[1] . انتهى .

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٦٠) .

وقال أيضًا -رحمه الله ورضي الله عنه- من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإظهار دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، وخذوا بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم. انتهى.

فانظر إلى قوله رضي الله عنه: وأقلهم تكلفًا. وهؤلاء الجهلة لا يقبلون إلا ممن يضيق عليهم ويشدد عليهم، ولا يقبلون رخصة الله في التيسير وعدم التكلف.

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء! وخذوا طريق من كان قبلكم». رواه أبو داود. انتهى.

ثم اعلم -وفقك الله- أنه قد بلغنا وسمعنا أشياء كثيرة من هذه البدع والمنكرات المحدثة في الدين، التي أحدثها من أحدثها من أزمان تتطاول، فلم تنكر حتى فشت في الناس.

كما قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله في بعض رسائله: وما أخوفني على من عاش أن يرى أمورًا كثيرة لا منكر لها.

فلما لم تنكر هذه البدع ابتداء وتركت تفاقم الأمر، وفشت في كثير من العوام من الأعراب وغيرهم، حتى صعب إخراجها من قلوبهم. ولما أنكرنا شيئًا منها، قال بعضهم: هؤلاء يميتون السنن.

وقد ذكرت لنا عن بعضهم أنهم يقولون : هذا كلام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في البدو ، والمشايخ اليوم يقولون ويقولون ، وليس علينا إلا بيان الحق ورد الخلق إلى ما فيه صلاحهم وهدايتهم إلى سلوك الصراط المستقيم المخالف لما عليه أهل الأهواء والبدع . والتوفيق والهداية بيد الله ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *

فصل

ثم لما فرغنا من تسويد هذه الأوراق ورد علينا منك رسالة تطلب فيها أن نكتب لك قصة الخوارج مستوفاة من حين خروجهم على علي رضي الله عنه إلى آخر من كان من أمرهم. فقد ذكر ذلك شيخنا الشيخ عبد اللطيف في رده على داود بن جرجيس. وهذا نص ما ذكر، وبه الكفاية. قال رحمه الله(١):

«إنه لما اشتد القتال يوم صفين قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعًا ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم، قال: نرفع المصاحف، ثم نقول لما فيها: هذا حكم بيننا وبينكم. فإن أبى بعضهم أن يقبلها رأيت فيهم من يقول: ينبغي لنا أن نقبلها. فتكون فرقة فيهم. فإن قبلوا رفعنا القتال عنا إلى أجل.

فرفعوا المصاحف بالرماح، وقالوا: هذا كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد أهله؟

فلما رآها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله.

---

(١) «منهاج التأسيس والتقديس» (ص٢٥-٣٥). ط أنصار السنة. تحقيق: محمد حامد الفقي.

فقال لهم علي : عباد الله! امضوا على حقكم وصدقكم ، فإنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعلم بهم منكم ، والله ما رفعوها إلا خديعة ، ووهنا ومكيدة . قالوا : لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب فنأبى أن نقبله .

وقال لهم علي : إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله ونسوا عهده .

قال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء : يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم ، أو نفعل بك كما فعلنا بابن عفان . فلم يزالوا به حتى نهى الناس عن القتال ، ووقع السباب بينهم وبين الأشتر وغيره ممن يرى عدم التحكيم .

فقال الناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكمًا ، فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال : إن الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن ، إن شئت أتيت معاوية . قال علي : ائته ، فأتاه . فقال : لأي شيء رفعوا المصاحف؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه ، تبعثون رجلا ترضون به ، ونبعث رجلا نرضى به ، فنأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ، لا يعدلان عنه . فعاد إلى علي فأخبره . فقال الناس : قد رضينا . قال أهل الشام رضينا عمرو بن العاص . وقال الأشعث ، وأولئك القوم الذين صاروا خوارج : رضينا بأبي موسى الأشعري . فراودهم علي على غيره ، وأراد ابن عباس . قالوا : والله لا نبالي أنت كنت حكمها أم ابن عباس ، ولا نرضى

إلا رجلا منك ومن معاوية سواء، وأبوا غير أبي موسىٰ. فوافقهم علي كرها. وكتب كتاب التحكيم.

فلما قرئ على الناس سمعه عروة بن أمية أخو أبي بلال. قال: تحكمون في أمر اللّٰه الرجال، لا حكم إلا للّٰه. وشد بسيفه فضرب دابة من قرأ الكتاب. وكان ذلك أول ما ظهرت الحرورية والخوارج. وفشت العداوة بينهم وبين عسكر علي، وقطعوا الطريق في إيابهم بالتشاتم والتضارب بالسياط.

تقول الخوارج: يا أعداء اللّٰه! داهنتم في دين اللّٰه.

ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا، ومزقتم جماعتنا. ولم يزالوا كذلك حتىٰ قدموا العراق، فقال بعض الناس من المتخلفين: ما صنع علي شيئًا، ثم انصرف بغير شيء. فسمعها علي فقال: وجوه قوم ما رأوا الشام، ثم أنشد شعرًا:

أخوك الذي إن أَجْرَضَتْكَ ملمة
من الدهر لم يبرح لِبَثِّك واجما
وليس أخوك بالذي إن تشعبت
عليك الأمور ظل يلحاك لائما

فلما دخل الكوفة ذهبت الخوارج إلىٰ حروراء فنزل بها اثنا عشر ألفًا، علىٰ ما ذكره ابن جرير. ونادىٰ مناديهم: إن أمير القتال: شبث بن ربعي التميمي. وأمير الصلاة: عبد اللّٰه بن الكوَّاء اليشكري. والأمر شورىٰ بعد الفتح، والبيعة للّٰه عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلما سمع علي ذلك وأصحابه قامت إليه الشيعة ، فقالوا له : في أعناقنا بيعة ثانية ، نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت .

قالت لهم الخوارج : استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان ، أهل الشام بايعوا معاوية على ما أحب . أنتم بايعتم عليًّا على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى . يريدون أن البيعة لا تكون إلا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لأن الطاعة له تعالى .

وقال لهم زياد بن النضر : والله ما بسط علي يده فبايعناه قط ، إلا على كتاب الله وسنة نبيه ، ولكنكم لما خالفتموه جاءت شيعته ، فقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت ، ونحن كذلك وهو على الحق والهدى ، ومن خالفه ضال مضل .

وبعث علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس إلى الخوارج فخرج إليهم ، فأقبلوا يكلمونه ، فقال : نقمتم من المحكمين وقد قال الله عز وجل : ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء : ٣٥] . فكيف بأمة محمد ﷺ!! قالوا له : ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم ، وما حكم فأمضى فليس للعباد أن ينظروا فيه ، في الزنا مائة جلدة ، وفي السارق قطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا في هذا .

قال ابن عباس : فإن الله تعالى يقول : ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة : ٩٥] قالوا : تجعل الحكم في الصيد والحرث وبين المرأة وزوجها : كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له : أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا؟ فإن كان عدلا فلسنا بعدول ، وقد حكمتم في أمر الله الرجال .

قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقد كتبتم بينكم وبينهم كتابا، وجعلتم بينكم وبينهم الموادعة، وقد قطع الله الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية.

فجاء علي وابن عباس يخاصمهم، فقال: إني نهيتك عن كلامهم حتى آتيك.

ثم تكلم رضي الله عنه فقال: اللهم هذا مقام من يفلج فيه، كان أولى بالفلج يوم القيامة. وقال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء.

فقال: فما أخرجكم علينا؟

قالوا: حكومتكم يوم صفين.

قال: أنشدكم الله! أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف وملتم بجنبهم قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين؟ وذكرهم مقالته، ثم قال: وقد اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالفه، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء.

قالوا: فخبِّرنا أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟

قال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين، وإنما يتكلم به الرجال.

قالوا : فخبرنا عن الأجل لما جعلته بينكم؟ قال : ليعلم الجاهل ، ويثبت العالم ، ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة ، فادخلوا مصركم رحمكم الله . فدخلوا من عند آخرهم .

فلما جاء الأجل وأراد علي أن يبعث أبا موسىٰ للحكومة أتاه رجلان من الخوارج : زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي ، فقالا له : لا حكم إلا لله . فقال علي : لا حكم إلا لله . وقالا : تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك ، واخرج بنا إلىٰ عدونا ، نقاتلهم حتىٰ نلقى الله ربنا .

فقال علي : قد أردتكم علىٰ ذلك فعصيتموني ، قد كتبنا بيننا وبين القوم كتابًا ، وشرطنا شروطًا ، وأعطينا عهودًا . وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ [النحل : ٩١] ، فقال حرقوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه . قال علي : ما هو ذنب ، ولكنه عجز من الرأي وقد نهيتكم عنه . قال زرعة : يا علي لئن حكمتم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله . فقال له علي : بؤسًا لك ما أشقاك! كأني بك قتيلًا تسفي عليك الرياح . قال : وددت لو كان ذلك . وخرجا من عنده يقولان : لا حكم إلا لله .

وخطب علي ذات يوم فقالوها في جوانب المسجد . فقال علي : الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل . فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال : الحمد لله غير مودع ربنا ، ولا مستغنىٰ عنه ، اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا ، فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في

أمر اللَّه ، وذل راجع بأهله إلىٰ سخط اللَّه . يا علي أبالقتل تخوفنا؟ أما واللَّه إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ، ثم لتعلم أينا أولىٰ بها صليا .

وخطب علي يومًا آخر فقال رجال في المسجد : لا حكم إلا للَّه .

يريدون بهذا إنكار المنكر علىٰ زعمهم . فقال علي : اللَّه أكبر! كلمة حق أريد بها باطل . أما إن لكم علينا ثلاثًا : ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد اللَّه أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتىٰ تبدءونا ، وإنا ننتظر فيكم أمر اللَّه . ثم عاد إلىٰ مكانه من الخطبة .

ثم إن الخوارج لقي بعضهم بعضًا واجتمعوا في منزل عبد اللَّه بن وهب الراسبي ، فخطبهم وزهدهم في الدنيا ، وأمرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلىٰ بعض كهوف الجبال أو إلىٰ بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه البدع المضلة .

فقال حرقوص بن زهير : إن المتاع في هذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعونّكم بزينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنّكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ، فإن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

فقال حمزة بن سنان الأسدي : يا قوم! إن الرأي ما رأيتم ، فولوا أمركم رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها

وترجعون إليها. فعرضوا ولايتهم على زيد بن حصين الطائي، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبياها، وعلى حمزة بن سنان وشريح ابن أوفى العبسي فأبيا، ثم عرضوها على عبد الله بن وهب فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرارًا من الموت. فبايعوه لعشر خلون من شوال. وكان يقال له: ذو الثَّفِنَات[١].

فاجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي. فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها وننفذ حكم الله فإنكم أهل الحق.

قال شريح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونخرج منها سكانها، ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا. فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين تبعوكم، ولكن اخرجوا وحدانًا ومستخفين. فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولا تسيروا حتى تنزلوا بجسر النهروان، وتكابوا[٢] إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي.

فكتب عبد الله بن وهب إلى من بالبصرة، ليعلمهم ما اجتمعوا عليه، ويحثهم على اللحاق بهم. فأجابوه. فلما خرجوا صار شريح بن

(١) في «اللسان: «الثّفنة» من البعير والناقة: الرّكبة... والجمع ثفن وثفنات.. وقيل لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج: ذو الثّفنات لكثرة صلاته، ولأن طول السجود كان أثّر على ثفناته. اهـ (١٣/ ٧٨/ ٧٩).

(٢) في الأصل: وتكلموا. والتصحيح من «منهاج التأسيس» (ص٣٠)، ومن «تاريخ الطبري» (٥/ ٧٥)، حوادث سنة (٣٧).

أوفى العبسي يتلو قوله : ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص : ٢١] إلى قوله : ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة : ١٠٨] وخرج معهم طرفة بن عدي إلى عامل علي أمير المدائن[١] . يحذره ، فحذر وضبط الأبواب ، واستخلف عليها المختار بن أبي عبيد ، وخرج بالخيل في طلبهم فأخبر ابن وهب فسار على بغداد ولحقه ابن مسعود أمير المدائن بالكرخ في خمسمائة فارس ، فانصرف إليه ابن وهب الخارجي في ثلاثين فارسًا ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القوم منهم ، فلما جن الليل على ابن وهب عبر دجلة ، وصار إلى النهروان ، ووصل إلى أصحابه ، وتفلت رجال من أهل الكوفة يريدون الخوارج ، فردهم أهلوهم .

ولما خرجت الخوارج من الكوفة عاد أصحاب علي وشيعته إليه ، فقالوا : نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت . فشرط لهم سنة رسول الله ﷺ ، فجاءه ربيعة بن أبي[٢] شداد الخثعمي . فقال : أبايع على سنة أبي بكر وعمر . قال علي : ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسوله لم يكونا على شيء[٣] من الحق ، فبايعه ، ونظر إليه علي فقال : أما والله لكأني بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت ، وكأني بك وقد وطأتك الخيل بحوافرها . فكان ذلك ، وقتل يوم النهروان مع الخوارج .

---

(١) في الأصل «إلى عامل علي في المدينة» ، والتصحيح من المصدرين السابقين .

(٢) سقطت «أبي» من الأصل . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٣) في الأصل «بين» والمثبت من المصدرين السابقين .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا في خمسمائة رجل جعلوا عليهم مسعر بن فدكي التميمي، وعلم بهم ابن عباس، فأتبعهم بالأسود الدؤلي، فلحقهم بالجسر الأكبر، فتواقفوا حتى حجز دونهم الليل[١]، وأدلج مسعر[١] بأصحابه، وسار حتى لحق بابن وهب.

فلما انقضى أمر التحكيم وخدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري، وصرح عمرو بولاية معاوية، بعد أن عزل أبو موسى عليا -خدعه عمرو بذلك- فهرب أبو موسى إلى مكة؛ قام علي في الكوفة فخطبهم. وقال في خطبته:

الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

أما بعد: فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين -يعني: أبا موسى وعمرو بن العاص- وفي هذه الحكومة أمري، ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر[٢]! ولكن أبيتم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمـرتهم أمـري بمنعـرج اللـوى

فلم يستبينوا[٣] الرشد إلا ضحى

---

(١) سقطت «مسعر»، «الليل» من الأصل. والمثبت من المصدرين السابقين.

(٢) في الأصل «رأي» والمثبت من «منهاج التأسيس والتقديس» (ص٣١). و«تاريخ الطبري» (٥/ ٧٧).

(٣) في الأصل «يتبينوا» والتصحيح من المصدرين السابقين. والبيت لدريد =

إلا أن هذين الرجلين الذين أخرجتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، واتّبع[١] كل واحد منهما هواه بغير هدىً من الله ، فحكما بغير حجة بينه ولا سنة ماضية[١] ، واختلفا في حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . فاستعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام .

وكتب إلى الخوارج : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس ، أما بعد : فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما[٢] قد خالفا كتاب الله ، واتبعا أهواءهما بغير هدىً من الله ، فلم يعملا بالسنة ، ولم ينفذا للقرآن حكمًا ، فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون .

فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا إلينا ، فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الأول ، الذي كنا عليه والسلام[٣] .

فكتبوا إليه : أما بعد : فإنك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة نظرنا فيما

= ابن الصّمّة ، وبعده :

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنّني غير مهتد
وما أنا إلا من غزيّة إن غوت غويت وإن ترشد غزيّة أرشد

(١) في الأصل «فاتبع» «قاضية» والمثبت من المصدرين السابقين .

(٢) في الأصل «ارتضيتم حكمين» والمثبت من «تاريخ الطبري» (٥/ ٧٧) ، وفي «منهاج التأسيس» (ص٣١) : «ارتضينا حكمين .

(٣) «والسلام» مثبتة من «منهاج التأسيس» و «تاريخ الطبري» .

بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فلما قرأ كتابهم أيس منهم، ورأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى قتال أهل الشام، فقام في الكوفة فندبهم إلى الخروج معه، وخرج معه أربعون ألف مقاتل وسبعة عشر من الأبناء وثمانية آلاف من الموالي والعبيد. وأما أهل البصرة فتثاقلوا ولم يخرج إلا ثلاثة آلاف.

وبلغ عليًّا أن الناس يرون قتال الخوارج أهم وأولى. قال لهم عليّ: دعوا هؤلاء، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا[1] جبارين ملوكًا، ويتخذوا عباد الله خولًا. فناداه الناس: أن سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

ثم إن الخوارج استعر[2] أمرهم، وبدءوا بسفك الدماء وأخذوا الأموال، وقتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؛ وجدوه سائرًا بامرأته على حمار فانتهروه وأفزعوه، ثم قالوا له: ما أنت؟ فأخبرهم.

قالوا: حدثنا عن أبيك الخباب حديثًا سمعه عن رسول الله ﷺ تنفعنا به، فقال: حدثني أبي عن رسول الله ﷺ قال: **«ستكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي مؤمنًا ويصبح**

---

(١) في الأصل «يكونون» والتصويب من «منهاج التأسيس» و«تاريخ الطبري» (٥/ ٨٠).

(٢) في الأصل «استقر» والمثبت من «منهاج التأسيس» (ص٣٢).

كافرًا، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا»[١]. قالوا: لهذا سألناك. فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرًا. فقالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها. قال: إنه كان محقًّا في أولها وآخرها؟ قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم وبعده؟ قال: أقول: إنه أعلم بالله منكم، وأشد توقيا على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدًا، فأخذوه فكتفوه، ثم أقبلوا به وبامراته وهي حبلى متم[٢]، فنزلوا تحت نخل مثمر، فسقط منه رطبة، فأخذها أحدهم فلاكها في فيه، فقال له آخر: أخذتها بغير حلها، وبغير ثمن! فألقاها. ثم مر بهم خنزير، فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير وهو من أهل الذمة، فأرضاه.

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٥/ ٨١) قال: أبو مخنف عن عطاء بن عجلان عن حميد بن هلال.

وقد أخرج الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١١٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣/ ١٧٦- ١٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٦٨-٦٩) قصة قتل الخوارج لعبد الله بن خباب وفيها روايته لحديث «القاعد فيها -يعني الفتنة- خير من القائم، والقائم خير من الماشي...» كلهم من طريق حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقهم...

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٣٠٢-٣٠٣): ولم أعرف الرجل الذي من عبد القيس، وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ.

(٢) «متم» زيادة من «تاريخ الطبري» (٥/ ٨٢).

فلما رأى ذلك ابن خبّاب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علي بأس ، إني لمسلم[١] ما أحدثت في الإسلام حدثًا ، ولقد أمّنتموني . فأضجعوه وذبحوه ، وأقبلوا إلى امرأته . فقالت : أنا امرأة ألا تتقون الله ، فبقروا بطنها . وقتلوا أم سنان الصيداوية وثلاثًا من النساء .

فلما بلغ ذلك عليًّا بعث الحارث بن مرة العبدي يأتيه بالخبر ، فلما دنا منهم قتلوه ، فألح الناس على علي في قتالهم ، وقالوا : نخشى أن يخلفونا في عيالنا وأموالنا ، فسر بنا إليهم . وكلمه الأشعث بن قيس الكندي بمثل ذلك ، واجتمع الرأي على حربهم ، وسار علي يريد قتالهم ، فلقيه منجّم في مسيره ، فأشار عليه أن يسير في وقت مخصوص ، وقال : إن سرت في غيره لقيت أنت وأصحابك ضررًا شديدًا . فخالفه علي في الوقت الذي نهاه عنه .

فلما وصل إليهم قالوا[٢] : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا نقتلهم ونترككم ، فلعل الله أن يقبل بقلوبكم ، ويردكم إلى خير ما أنتم عليه . فقالوا[٣] : كلنا قتلتهم[٤] ، وكلنا مستحل لدمائهم ودمائكم . وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال : عباد الله أخرجوا إلينا طلبتنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه ، وعودوا بنا إلى قتال

---

(١) «إني لمسلم» من : «منهاج التأسيس» و «تاريخ الطبري» .

(٢) القائل هنا علي وأصحابه .

(٣) القائل هنا الخوارج .

(٤) في الأصل : «قتلهم» والمثبت من التاريخ .

عدونا وعدوكم[١]، فإنكم ركبتم عظيمًا من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، وتسفكون دماء المسلمين.

فقال له عبد الله بن شجرة السلمي: إن الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال: ما نعلمه غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها، فإني لا أرىٰ الفتنة إلا وقد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عباد الله! إنا وإياكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا[٢]؟ فقالوا: إن بايعناكم[٣] اليوم حكمتم الرجال غدًا. قال: فإني أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في القابل.

وأتاهم عليّ رضي الله عنه فقال: أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدها عن الحق الهوىٰ، وطمح بها النّزق، وأصبحت في الخطب العظيم.

إنني نذير لكم أن تصبحوا تلفيكم[٤] الأمة غدًا صرعىٰ بأثناء هذا النهر، وبأهضام[٥] هذا الغائط، بغير بينة من ربكم ولا برهان،

---

(١) «عدوكم» ليست في الأصل. وأثبتها من «منهاج التأسيس» و «التاريخ».

(٢) في الأصل «عليه» والمثبت من المصدرين السابقين.

(٣) في الأصل «تبعناكم» والمثبت من المصدرين السابقين.

(٤) في الأصل «تلعنكم» والمثبت من: «تاريخ الطبري» (٥/ ٨٤).

(٥) في الأصل «بأهضاب» والمثبت من «التاريخ». والهضم: المطمئن من الأرض، وبطن الوادي. اهـ من «القاموس» (ص١٥١١).

ألم تعلموا أني نهيتكم عن الحكومة، ونبأتكم أنها مكيدة، وأن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، فعصيتموني، فلما فعلتم أخذت على الحكمين واستوثقت أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب، فنبذنا أمرهما، فنحن على الأمر الأول فمن أين أتيتم؟

قالوا: إنا حكّمنا فلما حكمنا أثمنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تبنا، فإن تبت فنحن معك ومنك، فإن أبيت فإنا منابذوك على سواء.

قال عليّ: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر[١]، أبعد[٢] إيماني برسول الله ﷺ هجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر!! لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين.

وقيل كان من كلامه: يا هؤلاء! إن أنفسكم قد سولت لكم فراقي بهذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها، وأنا لها كاره، وأنبأتكم أن القوم إنما طلبوها مكيدة ووهنًا، فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعدلتم عنيّ عدول[٣] النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم -والله- معاشر أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام، فلم آت

---

(١) في الأصل «دابر» والتصويب من «منهاج التأسيس» و «تاريخ الطبري». يقال: ما بالدار وابر؛ أي ما بها أحد.

(٢) في الأصل «بعد» والمثبت من «التاريخ».

(٣) في الأصل «وعندتم علي عنود» والمثبت من «التاريخ» وفي «منهاج التأسيس»: «وعدلتم عن عدول عيب النكر العاصين».

-لا أبالكم- حرامًا، والله ما خبلتكم عن أموركم[١]، ولا أخفيت شيئًا من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة[٢]، ولا أدنيت لكم ضرًّا، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهرًا فأجمع رأي ملئكم على[٣] أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بالحق ولا يعدوانه، فتركا الحق وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما والتقية دينهما، حتى خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف، فبينوا لنا بم تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا، وتضعون[٤] سيوفكم على عواتقكم، ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم، إن هذا هو الخسران المبين، والله لئن قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام.

فتنادوا: ألا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الله، الرّواح الرواح إلى الجنة.

فرجع عليّ عنهم، ثم إنهم قصدوا جسر النهر، فظن الناس أنهم عبروه. فقال عليّ: لم يعبروه، وإن مصارعهم لدون النهر، والله لا يقتلون منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة.

---

(١) المثبت هنا من قوله: «وأنتم والله معاشر» إلى «ما خبلتكم عن أموركم» من «المنهاج»، و«التاريخ». أما الأصل ففيه اختلاف يسير.

(٢) في الأصل: «عشوى» والمثبت من «المنهاج» و «التاريخ».

(٣) «على» مثبتة من «التاريخ» (٥/ ٨٥).

(٤) في الأصل «تصفون» والتصويب من «المنهاج» و«التاريخ».

فتعبّأ الفريقان للقتال، فناداهم أبو أيوب فقال: من جاء هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن. فانصرف فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس، وخرجت طائفة أخرى متفرقين، فبقي مع عبد الله بن وهب ألفان وثمانمائة[١]، فزحفوا إلى عليّ وبدؤوه بالقتال وتنادوا: الرّواح الرّواح إلى الجنة. فاستقبلهم[٢] الرماة من جيش عليّ بالنبل والرماح والسيوف، ثم عطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، وعليها أبو أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبو قتادة الأنصاري، فلما عطفت عليهم الخيل والرجال، وتداعى عليهم الناس ما لبثوا أن أناموهم فماتوا في ساعة واحدة، فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا، وقتل ابن وهب وحرقوص وسائر سراتهم.

وفتّش عليّ في القتلى والتمس المخدّج الذي وصفه النبي ﷺ في حديث الخوارج فوجده في حفرة على شاطئ النهر، فنظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمته عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى، فلما رآها قال: الله أكبر! والله ما كذبت ولا كذبت، والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم، متبصرًا في قتالهم، عارفًا للحق الذي نحن عليه.

---

(١) في الأصل «ألف وثمانمائة» والتصويب من «المنهاج» و«التاريخ» (٥/ ٨٦).

(٢) في الأصل «فاستقبلت» والمثبت من «المنهاج».

وقال حين مر بهم صرعى : بؤسًا لكم! لقد ضركم من غركم ، قالوا : يا أمير المؤمنين من غرهم؟ قال : الشيطان ، ونفس أمارة بالسوء غرتهم بالأماني ،وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون .

هذا ملخص أمرهم .

وقد عرفت شبههم التي جزموا لأجلها بكفر علي وشيعته ومعاوية وأصحابه ، وبقي معتقدهم في أناس متفرقين بعد هذه الوقعة ، وصار غلاتهم يكفرون بالذنوب ، ثم اجتمعت لهم شوكة ودولة فقاتلهم المهلب ابن أبي صفرة ، وقاتلهم الحجاج بن يوسف ، وقاتلهم قبله ابن الزبير زمن أخيه عبد الله ،وشاع عنهم التكفير بالذنوب ، يعني ما دون الشرك . انتهى ما ذكره شيخنا .

فتأمل – رحمك الله – ما في هذه القصة من الأمور التي خاطبوا بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما أجابهم به ، فمن نصح نفسه وأراد نجاتها ؛ فليتأمل ما في كلامهم من إرادة الخير وطلبه والعمل به والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء رضوان الله ، ولكن لما كان هذا منهم غلوًّا في الدين ومجاوزة للحد الذي أمروا به ، حتى كفروا معاوية رضي الله عنه ومن معه من الصحابة والتابعين ، وكفروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من أفاضل الصحابة والتابعين لما وافقهم في تحكيم الحكمين ، ثم زعموا أن تحكيم الرجال في دين الله كفر يخرج عن الملة ، وأنهم قد أثموا بذلك ، وكفروا فتابوا من هذا الأمر ، وقالوا لعلي : «إن تبت فنحن معك ومنك ، وإن أبيت فإنا منابذوك على سواء» .

فإذا تبين لك أن ما فعلوه إنما هو إحسان ظن بقرّائهم الذين غلو في الدين، وتجاوزوا الحد في الأوامر والنواهي، وأساءوا الظن بعلماء الصحابة، الذين هم أبرّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم **الله** لصحبة نبيه ولإظهار دينه، فلما لم يعرفوا لهم فضلهم ولم يهتدوا بهديهم؛ ضلوا عن الصراط المستقيم الذي كان عليه أصحاب رسول **الله** ﷺ وزعموا أنهم داهنوا في الدين(١).

والذي حملهم على ذلك أخذهم بظواهر النصوص في الوعيد، ولم يهتدوا لمعانيها، وما دلت عليه، فوضعوها في غير مواضعها، وسلكوا طريقة التشديد والتعسير والضيق، وتركوا ما وسع **الله** لهم من التيسير الذي أمر به رسول **الله** ﷺ بقوله: **«إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»**(٢).

ولهذا كان أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه يسير فيهم بهذه الطريقة،

---

(١) فتأمل -أيها السني- هذه الأسباب الثلاثة، التي دفعت الخوارج إلى الوقوع فيما وقعوا فيه:

١- إحسان الظنّ بالقرّاء. وهم الذين يحسنون القراءة ويجيدون الخطابة؛ ولكنهم خواء من الفقه.

٢- تجاوز الحد في الأوامر والنواهي.

٣- إساءة الظن بالعلماء من الصحابة، واتهامهم بأنهم مداهنون في دين **الله** تعالى.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (١/ ٢٥٧-٢٧٦) في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد عن أبي هريرة. وأصل الحديث في «صحيح البخاري»، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

ويناصحهم لله وفي الله، ويتلطف لهم في القول لعل الله أن يقبل بقلوبهم، وأن يرجعوا إلىٰ ما كانوا عليه أولًا، ويراجعهم المرّة بعد المرّة، كما قاله في خطبتهم لما خطبهم. فقالوا: «لا حكم إلا لله -يريدون بهذا إنكار المنكر علىٰ زعمهم- فقال عليّ: «الله أكبر! كلمة حق أريد بها باطل، أما إن لكم علينا ثلاثًا ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتىٰ تبدءونا، وإنا ننتظر فيكم أمر الله».

ولما قيل له: «يا أمير المؤمنين أكفار هم؟» قال: «من الكفر فروا». فقالوا: «أفمنافقون هم؟» قال: «إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله كثيرا». قالوا: فما هم؟ قال: «إخواننا بغوا علينا».

فهذه سيرته رضي الله عنه مع هؤلاء المبتدعة الضلال مع قوله لأصحابه فيهم: والله لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى الله علىٰ لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم، متبصرا في قتالهم، عارفًا للحق الذي نحن عليه، ومع علمه بقوله رسول الله ﷺ فيهم: **«يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون إليه حتىٰ يرجع السهم إلىٰ فوقه»**[1] ومع قوله ﷺ فيهم: **«أينما لقيتموهم فاقتلوهم»**[2]،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (؟/ ؟) عن علي.

(٢) أخرجه البخاري في استتابة المرتدين من «صحيحه» -باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٢/ ٧٤٦) في كتاب الزكاة من «صحيحه» باب التحريض علىٰ قتل الخوارج عن علي رضي الله عنه .

«لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[١] مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا ، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم إنما تعلموا العلم من الصحابة .

فعلى من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يعرف طريقة هؤلاء القوم ، وأن يجتنبها ، ولا يغتر بكثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وزهدهم في الدنيا ، وأن يعرف سيرة أصحاب رسول الله ﷺ معهم ، وما كانوا عليه من الهدى ودين الحق ، الذي فضّلوا به على من بعدهم ، وعدم تكلفهم في الأقوال والأفعال ، لعله أن يسلم من ورطات هؤلاء الضلال ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

هذا ما تيسر لي من الجواب ، وما كان فيه من حق وصواب ، فمن الله فهو المانّ به ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريء منه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦/ ٣٧٦)- كتاب الأنبياء ، ومسلم في «صحيحه» -كتاب الزكاة (٢/ ٧٤٢-٧٤٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أما بعد: فاعلم يا أخي أنّا لمّا فرغنا من تسويد جواب المسائل التي أوردتها أولًا، وطالبت الجواب عنها، وقد عنّ لي أولًا أن أترك الجواب عنها لوضوحها في كلام العلماء، ثم ترجح عندي آخرًا إسعافك بالجواب لمّا رأيت اعتراض هؤلاء المتعالمين الجهال الذين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله، وتعمقوا، وتكلفوا ما لا علم لهم به بمجرد آرائهم وأفهامهم القاصرة، واستحساناتهم ما لم يكن حسنًا في الدين، وتحليل ما حرمه الله، وتحريم ما أحله الله بغير ما شرعه الله ورسوله.

فإذا علمت ذلك فلا بد من ذكر قاعدة تنبني عليها أحكام الشريعة، وينبني عليها الجواب عن هذه المسائل الآتي ذكرها.

وهذه القاعدة قد ذكرها علماء أهل الإسلام الذين هم الأسوة وبهم القدوة وهي قولهم: إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، وترك إحدى المصلحتين لتحصيل أولاهما.

وقد قال الإمام الحافظ محمد بن عبد الهادي في «الصارم المنكي» بعد أن ذكر كلامًا طويلًا، قال: «فهاهنا أمران يمنعان كون الفعل قربة: استلزامه لأمر مبغوض مكروه، وتفويته لمحبوب هو أحب إلى الله من

ذلك الفعل . ومن تأمل هذا الموضوع حق التأمل أطلعه على سر الشريعة ، ومراتب الأعمال ، وتفاوتها في الحب والبغض ، والضر والنفع ، بحسب قوة فهمه وإدراكه ومواد توفيق الله له ، بل مبنى الشريعة على هذه القاعدة ، وهي تحصيل خير الخيرين وتعطيل[1] أدناهما ، وتفويت شر الشرين باحتمال أدناهما ، بل مصالح الدنيا[2] كلها قائمة على هذا الأصل» . انتهى .

ونضيف إلى هذه القاعدة الشرعية ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في مسألة الهجر ، إذ هو من أجل القواعد الشرعية والمباحث الدينية التي لا غنى لأحد ممن يدعو إلى دين الله ورسوله ويعلّم الناس أمر دينهم عن تدبرها ومعرفتها علمًا وعملًا ؛ ليكون فيما يدعو إليه ويعلمه الناس من أمر دينهم على بصيرة .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه[3] والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه .

---

(١) في الأصل «وتفويت» والمثبت من «الصارم المنكي» ص٤٢٤ ، ط دار الإفتاء ، تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري .

(٢) في الأصل «الدين» والمثبت من «الصارم المنكي» .

(٣) في الأصل «له ولأوليائه» والمثبت من «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٩) .

وإذا[١] اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وبر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات[٢] الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى ما يكفيه من بيت المال لحاجته.

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه، فلم يجعلوا الناس إلا مستحقًّا للثواب فقط أو مستحقًّا للعقاب فقط. وأهل السنة يقولون: «إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبهم، ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له في الشفاعة بفضله[٣] ورحمته، كما استفاضت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ والله أعلم». انتهى.

وقال رحمه الله تعالى في موضع آخر: «ومن سلك طريقة الاعتدال عظّم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد يكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه آخر.

---

(١) في الأصل «فإذا» والمثبت من «الفتاوي».

(٢) في الأصل «موجبا» والمثبت من «الفتاوي».

(٣) في الأصل «وبفضله...» والمثبت من «الفتاوي».

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم، كما بسط هذا في موضعه، والله أعلم». انتهى.

فمن تأمل هذه القاعدة الشرعية والمباحث الدينية حق التأمل، وأعطاها حقها من الإمعان والنظر، وتأمل ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى تبين له أن أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله وشرعه ودينه وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها سلفًا وخلفًا في واد وهؤلاء الجهلة في واد آخر، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا في هذه المباحث إلى ركن وثيق من الفهم، وأن اعتراضهم على طلبة العلم ومشايخ أهل الإسلام إنما هو بالجهل وعدم العلم والاطلاع على هذه المباحث الدينية، فمن أجل هذا تكلموا بغير حجة ولا برهان، ولا معرفة لما عليه أهل العلم والعرفان، فالله المستعان.

وقد عمّ الجهل، وعظمت الفتنة، واشتد البلاء بمن يتكلم في هذه المباحث الدينية فابتدعوا بدعًا، وأحدثوا في الدين ما ليس منه، وشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح عن ابن عمرو[1] مرفوعًا: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير**

---

(١) في الأصل «ابن عمر» والصحيح المثبت، فالحديث من رواية عبد الله بن عمرو ابن العاص.

علم، **فضلوا وأضلوا»**[١] فنعوذ بالله من القول على الله بغير علم، ونسأله العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٨).

فصل

وأما ما ذكره الأخ من المسائل فنجيب عليها بحسب الطاقة والإمكان، على سبيل التنبيه والاختصار، فنقول:

المسألة الأولى: قول السائل في العبارة التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموضع السادس التي نقلها من السيرة. فقال في آخرها: وما أحسن ما قاله بعض البوادي لما حضر مجالسنا وسمع شيئًا من الدين، قال: هو يشهد أن البدو كفار، وأن المطوع الذي ما يكفرهم كافر، إلى آخر كلامه. وكذلك ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في رسالته لعلماء الحرمين لما أفتى بكفر البوادي الذين ينكرون البعث، إلى آخر كلامه.

وكذلك ما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في النبذة الحكمية في تكفيره البوادي الذين كانوا في زمانه.

فهذه المسألة[١] قد أجبنا عليها فيما تقدم في المسائل التي أوردتها قبل هذه المسائل، وبينا فيها أن كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تكفير هؤلاء البوادي إنما هو قبل ظهور هذه الدعوة الإسلامية في حال كفرهم وإشراكهم بالله، ثم لما أظهر الله هذا الدين على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ودخل الناس فيه أفواجًا حاضرتهم وباديتهم،

(١) خلاصة السؤال: أن هذه العبارات التي نقلها السائل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البدو هل تنطبق على من جاء بعدهم من البدو كاللذين في زمن هذا السائل؟

ولم يبق في نجد -ولله الحمد والمنة- أحد إلا وقد دخل في الدين وأسلموا بعدما كانوا كفارًا مشركين، فمن زعم أنهم بعد إسلامهم ودخولهم في هذا الدين لم يزالوا على الحالة الأولى من الكفر بالله والإشراك به وأنهم لم يسلموا، فهو أضل من حمار أهله.

وذكرنا أحوال أهل نجد من وقت الدرعية إلى وقتنا هذا في شأن البادية وغيرهم على التفصيل الذي ذكرناه فيها، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع فراجعه فيها.

المسألة الثانية: فيما ذكره سليمان بن عبد الوهاب بأن البادية التي نحن نزعم إسلامهم أولًا أنهم كفار، وكذا علماء أهل المجمعة وغيرهم هل هذا الكفر الذي أوقعه هذا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ومن تبعه على بوادي زمانه يوقع على بوادي زماننا، ويطلق عليهم الكفر أم فيهم وفيهم أم لا؟

وماذا يقال فيهم؟ إلى آخر المسألة.

فالجواب: أن نقول ما ذكره الشيخ سليمان وعلماء أهل المجمعة وغيرهم من الكفر الذي أوقعه الشيخ على بوادي زمانه لا يوقع على بوادي أهل زماننا الذين التزموا بشرائع الإسلام الظاهرة وقاموا بها، فلا يطلق الكفر على جميعهم؛ لأن فيهم من قام به وصف الكفر الذي يخرجه من الملة، بل من قام به هذا الوصف فهو كافر، ومن لم يقم به هذا الوصف المخرج من الملة لا يكون كافرًا، كما فصلنا ذلك وبيناه في المسألة الأولى التي أجبنا عنها أولًا.

وأما قولك: وهل تكون حال العالم الذي لا يقول بكفرهم اليوم كحال العلماء الذين اعترضوا على الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أم لا؟

فنقول: لا تكون حال العالم اليوم الذي لا يقول بكفر من ظاهره الإسلام من بوادي أهل نجد كحال من اعترض على الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تكفير بوادي أهل زمانه؛ لأن أولئك الذين كانوا في زمن الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علماؤهم وباديتهم ليس معهم من الإسلام شيء، بخلاف بوادي أهل زماننا، فإن فيهم المسلم، وفيهم من قام به وصف الكفر، فلا يجوز إطلاق الكفر على جميعهم، لما سنبينه إن شاء الله تعالى.

فإذا تحققت هذا وعرفته فاعلم أن مشايخ أهل الإسلام وإخوانهم من طلبة العلم الذين هم على طريقتهم هم الذين ساروا على منهاج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأخذوا بجميع أقواله في حاضرة أهل نجد وبواديهم، الذين كانوا في زمانه، فأخذوا بقوله في الموضع السادس الذي نقله من السيرة في بوادي أهل نجد، حيث قام بهم الوصف المكفر لهم بعد دعوتهم إلى توحيد الله وإقامة الحجة عليهم والإعذار والإنذار منهم، وأخذوا بقوله في الرسالة التي كتبها للشريف لما سأله عما يكفّر به الناس ويقاتلهم عليه وكذلك ما ذكره في رسالته إلى السويدي وأنه لا يكفر الناس بالعموم، وكذلك ما ذكره أولاده بعده في هذه المسائل، ونحن نسوق ما ذكروه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في رسالته إلى الشريف بعد أن ذكر ما يكفر الناس به، ويقاتلهم عليه مما هو معلوم عنه مشهور،

قال: وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، و[١] نوجب الهجرة إلينا على من قدر أن يظهر دينه في بلده، و[١] أنّا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل، وأمثال هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي[٢] يصدون الناس به عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر أحمد البدوي، لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل؟! سبحانك هذا بهتان عظيم. بل نكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادتهم لله ورسوله، إلى آخر كلامه.

وهذا بخلاف ما عليه هؤلاء الجهال، فإنهم يكفرون الناس بالعموم، ويكفرون من لم يهاجر، كما هو معلوم مشهور عنهم لا ينكره إلا من هو مباهت في الحسيات، مكابر في الضروريات».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته للسويدي البغدادي: «وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، فيا عجبا! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ وهل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟! إلى أن قال: وأما التكفير؛ فأنا أكفر من عرف التوحيد ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفره وأكثر الأمة -ولله الحمد- ليسوا كذلك». انتهى.

---

(١) في الأصل «أو» والتصحيح من «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ص٤٣).

(٢) في الأصل «والذين» والمثبت من المصدر السابق.

فانظر -رحمك الله- إلى ما قاله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثم انظر إلى ما يقوله هؤلاء الجهال، وهل كانوا على ما قاله الشيخ أم لا؟ يتبين لك أنهم يقولون بأهوائهم، ويفتون بآرائهم لا بما قاله أهل العلم.

وقال الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب وأخوه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما سئلا عن مسائل عديدة فأجابا عنها، ثم قالا:

«وأما المسألة الثامنة عشرة في أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة، وأن بعضهم يقول: هذا الأمر حق، ولا غيّر منكرًا، ولا أمر بالمعروف، ولا عادىٰ ولا والىٰ، ولا أقر أنه قبل هذه الدعوة على ضلال، وينكر على الموحدين إذا قالوا: تبرأنا من دين الآباء والأجداد، وبعضهم يكفر المسلمين جهارًا، أو يسب هذا الدين ويقول: هو دين مسيلمة، والذي يقول: هذا أمر زين لا يمكنه يقوله جهارًا. فما تقولون في هذه البلدة على هذه الحال مسلمين أم كفار؟ وما معنىٰ قول الشيخ وغيره: إنا لا نكفر بالعموم؟ وما معنى العموم و[1] الخصوص؟ إلى آخره.

الجواب: أن أهل هذه البلد المذكورين إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التي يكفر من خالفها حكمهم حكم الكفار، والمسلم الذي بين أظهرهم ولا يمكنه إظهار دينه تجب عليه الهجرة، إذا لم يكن ممن عذر الله، فإن لم يهاجر فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال».

---

(١) في الأصل: «عن» والمثبت من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٤٣).

والسامعون[1] كلام الشيخ في قوله: «إنا لا نكفر بالعموم». فالفرق بين العموم والخصوص ظاهر، فالتكفير بالعموم أن يكفر الناس كلهم عالمهم وجاهلهم ومن قامت عليه الحجة ومن لم تقم عليه، وأما التكفير بالخصوص فهو ألا يكفر إلا من قامت عليه الحجة بالرسالة التي يكفر من خالفها.

وقد يحكم بأن أهل هذه القرية كفار، حكمهم حكم الكفار، ولا يحكم بأن كل فرد منهم كافر بعينه؛ لأنه يحتمل أن يكون منهم من هو على الإسلام، معذور في ترك الهجرة، أو يظهر دينه ولا يعلمه المسلمون، كما قال تعالى في أهل مكة «في حال كفرهم»[2]: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥] الآية، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥] الآية.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت أنا وأمي من المستضعفين». انتهى.

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين رحمه الله بعد أن ذكر

---

(١) في الأصل: «والسامعين» والمثبت من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٤٤).

(٢) ما بين القوسين من «مجموعة الرسائل».

اختلاف العلماء وتنازعهم في التكفير، وقد سئل عن هذه المسألة فقال في آخر الجواب:

«وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة، إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين، وقد كفينا بيان هذه المسألة كغيرها، بل حكمها في الجملة أظهر أحكام الدين، فالجواب علينا الاتباع وترك الابتداع، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

وأيضًا: فما تنازع العلماء في كونه كفرًا فالاحتياط للدين التوقف وعدم الإقدام ما لم يكن في المسألة نص صريح عن المعصوم ﷺ.

وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفّروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم.

ومن العجب أن أحد هؤلاء لو سئل عن مسألة في الطهارة أو البيع ونحوهما لم يفت بمجرد فهمه واستحسان عقله، بل يبحث عن كلام العلماء، ويفتي بما قالوه، فكيف يعتمد في هذا الأمر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدها خطرًا على مجرد فهمه واستحسانه؟ فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين، ويا محنته من تينك البليتين، ونسألك اللهم أن تهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» .انتهى.

فانظر -رحمك الله تعالى- إلى ما قاله هذا الإمام الذي هو من أجل علماء أهل الإسلام في وقته حيث قال: «وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين».

وهذا الذي ذكره الشيخ قد نبهناكم على مثله في «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب» فليكن منك ذلك على بال.

وكذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره».

قلت: وهؤلاء كأمثال الذين حكموا بإسلام طائفة الترك وأشباههم، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم. كمثل هؤلاء الذين الكلام بصددهم، حيث زعموا: أن من لم يهاجر وإن كان ملتزمًا بشرائع الإسلام الظاهرة، أنه ليس بمسلم.

وكذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين، ويا محنته من تينك البليتين». فالله المستعان.

المسألة الثالثة: قول السائل: وهل من فرق بين بادية جزيرة العرب جنوبًا وشمالًا، شرقًا ومغربًا، ومن في ولاية إمام المسلمين ومن ليس في ولايته، وماذا يعامل به من ظاهره الإسلام منهم ومن

ظاهره لا إسلام ولا كفر بل جاهل ومن ظاهره الكفر، ومن ظاهره المعاصي دون الكفر، ومن الذي تباح ذبيحته منهم ومن الذي لا تباح ذبيحته، وما القدر الواجب في الإسلام المبيح للذبيحة؟

الجواب: أن من في جزيرة العرب لا نعلم ما هم عليه جميعهم، بل الظاهر أن[١] غالبهم وأكثرهم ليسوا على الإسلام، فلا نحكم على جميعهم بالكفر لاحتمال أن يكون فيهم مسلم.

وأما من كان في ولاية إمام المسلمين فالغالب على أكثرهم الإسلام؛ لقيامهم بشرائع الإسلام الظاهرة.

ومن قام به من نواقض الإسلام ما يكونون به كفارًا فلا نحكم على جميعهم بالإسلام ولا على جميعهم بالكفر، لما ذكرنا.

وأما من لم يكن في ولاية إمام المسلمين «فلا ندري بجميع أحوالهم وما هم عليه، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولًا من عدم الإسلام»[٢] فمن كان ظاهره الإسلام منهم فيعامل بما يعامل به المسلم في جميع الأحكام.

(١) في الأصل: «على أن».

(٢) ما بين القوسين أسقطه عمدًا صاحب «المنار» محمد رشيد رضا. فقال في حاشيته (ص٦١) من طبعته: «حذفنا هنا مثل ما قبله من الحكم على أكثرهم بغير علم...» إلخ. وقد بحثت كثيرًا لإثبات ما أسقطه صاحب «المنار» حتى وقفت على رسالة -مخطوطة- بديعة للشيخ بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ رد بها على تعليقات محمد رشيد رضا على كتب علماء الدعوة التي وضعها بغير رضا من أصحابها؛ فوجدت فيها المحذوف هنا، فأثبته بين القوسين.

وأما من ظاهره لا إسلام ولا كفر بل هو جاهل، فنقول: هذا الرجل الجاهل إن كان معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو مسلم، ولو كان جاهلًا بتفاصيل دينه، فإنه ليس على عوام المسلمين ممن لا قدرة لهم على معرفة تفاصيل ما شرعه الله ورسوله أن يعرفوا على التفصيل ما يعرفه من أقدره الله على ذلك من علماء المسلمين وأعيانهم، فيما شرعه الله ورسوله من الأحكام الدينية، بل عليهم أن يؤمنوا بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملًا، كما قرر ذلك شيخ الإسلام في «المنهاج».

وإن لم يوجد معه الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام فهو كافر، وكفره هو بسبب الإعراض عن تعلم دينه لا علمه ولا تعلمه ولا عمل به.

والتعبير بأن ظاهره لا إسلام ولا كفر لا معنى له عندي، لأنه لا بد أن يكون مسلمًا جاهلًا أو كافرًا جاهلًا.

فمن كان ظاهره الكفر فهو كافر، ومن ظاهره المعاصي فهو عاص، ولا نكفر إلا من كفر الله ورسوله بعد قيام الحجة عليه.

وأما الذي تباح ذبيحته منهم فهو المسلم. وأما الذي لا تباح ذبيحته فهو الكافر المرتد، وهو الذي يكفر بعد إسلامه بفعل ناقض من نواقض الإسلام المخرجة من الملة وقد وضحنا فيما تقدم حكم أعراب أهل نجد أولًا.

والعجب كل العجب من هؤلاء الجهال الذين يتكلمون في مسائل التكفير، وهم ما بلغوا في العلم والمعرفة معشار ما بلغه من أشار إليهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين في جوابه الذي ذكرناه قريبًا من أن أحدهم لو سئل عن مسألة في الطهارة أو البيع ونحوهما لم يفتِ بمجرد فهمه واستحسان عقله، بل يبحث عن كلام العلماء ويفتي بما قالوه، فكيف يعتمد في هذا الأمر العظيم الذي هو أعظم أمور الدين وأشدها خطرًا على مجرد فهمه واستحسان عقله؟ فما أشبه الليلة بالبارحة في إقدام هؤلاء على الفتوى في مسائل التكفير بمجرد أفهامهم واستحسان عقولهم، ثم أخذ ذلك[1] عنهم وأفتى به من لا يحسن قراءة الفاتحة، فالله المستعان.

المسألة الرابعة: قول السائل: وما الإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام؟ وما الذي يصدق عليه الإعراض؟

فالجواب أن نقول: قد ذكرنا الجواب عن هذه المسألة فيما تقدم من المسائل التي أجبنا عنها أولًا فراجعه منها[2]، ولكن نذكر هاهنا ما ذكره شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى لما سئل عن هذه المسألة فقال:

الجواب: «أن أحوال الناس تتفاوت تفاوتًا عظيمًا، وتفاوتهم بحسب درجاتهم في الإيمان إذا كان أصل الإيمان موجودًا، والتفريط والترك إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات والمستحبات.

---

(١) في الأصل: «بذلك».

(٢) ينظر: «إرشاد الطالب» (ص).

وأما إذا عدم الأصل الذي يدخل به في الإسلام وأعرض عن هذا بالكلية، فهذا كفر إعراض فيه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [لأعراف: ١٧٩] الآية. وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] الآية.

ولكن عليك أن تعلم أن المدار على معرفة حقيقة الأصل وحقيقة القاعدة وإن اختلف التعبير واللفظ، فإن كثيرًا يعرف الأصل والقاعدة ويعبر بغير التعبير المشهور.

وتعزيرهم وتوقيرهم كذلك تحته أنواع أيضًا أعظمها رفع شأنهم ونصرتهم على أهل الإسلام ومبانيه، وتصويب ما هم عليه، فهذا وجنسه من المكفرات، ودونه مراتب من التوقير بالأمور الجزئية كلياقة الرواة ونحوه». انتهى.

فتبين من كلام الشيخ أن الإنسان لا يكفر إلا بالإعراض عن تعلم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام، لا ترك الواجبات والمستحبات.

المسألة الخامسة: قول السائل: وما معنى التعرب بعد الهجرة الذي هو كبيرة، وهل يطلق الذم على كل من بدا ولو كان نيته الرجوع إلى منزله بالحاضرة؟

والجواب أن نقول: هذه المسألة قد تقدم الجواب عنها فيما تقدم بما أغنى عن إعادته هاهنا، وكذلك قد تقدم الجواب عمن ذهب إلى البادية ومن نيته الرجوع إلى منزله.

المسألة السادسة: قول السائل: وهل يستدل بالحديث: **«لا يرث كافر مسلمًا»** على من مات من النازلين من باديتنا اليوم على من لا ينزل منهم؟ أو من هو مع بادية ولايتهم في يد كافر مثلا، أو من هو بين أظهر المشركين؟ هل يحرم إرثه إذا كان مورثه مات مسلمًا مع المسلمين؟

والجواب أن يقال: من مات من المهاجرين النازلين في بلاد المسلمين وله وارث كافر من أهل البادية أو الحاضرة فلا يحل له إرثه لأنه كافر، بنصّ الحديث، ومن كان وارثه مسلمًا وكان مسكنه في البادية أو في بلد من بلدان المسلمين، أو كان في بلد كفر أو في بادية ولايتها في يد كافر فلا مانع من إرثه، لأنه مسلم ورث مسلمًا، والله أعلم.

وأما المسألة السابعة: وهو قول السائل: بادية نجد شمالًا أقصاهم عنزة ومن يليهم من بادية الشمال، وجنوبًا إلى من المسئول أعلم بهم[1]: هل الهجرة من جميعهم واجبة كوجوبها من بلاد الشرك على من لا يقدر على إظهار دينه أم مستحبة؟ أم فيهم من هو واجبة عليه الهجرة من بين أظهرهم وآخرين مستحبة؟

والجواب أن نقول: تجب الهجرة على من كان مقيمًا بين أظهر الكفار، سواء كانوا حاضرة أو بادية إذا كان لا يقدر على إظهار دينه بينهم، إذا لم يكن من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

---

(١) يعني أن المسئول وهو الشيخ ابن سحمان يعلم أقصى هذه القبائل الجنوبية لكونه رَحِمَهُ اللهُ من أهل تلك النواحي قبل استيطان والده نجدًا.

وأما من كان قادرًا على التمكن من إظهار دينه ومع ذلك يأمن على نفسه من الفتنة فالهجرة في حقه مستحبة لا واجبة . ولكن أين من يقدر على ذلك؟

وقول السائل : وهل بادية نجد على أصلهم في الكفر ، لم يسلموا في دعوة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يعمهم الإسلام كحاضرة نجد؟ أم هم أسلموا كالحاضرة ، فيكون من قام به نوع من أنواع الكفر المجمع عليه يكون كفره ظاهرًا ، وهل يعمّون بالكفر أم لا؟

فنقول : قد قدمنا الجواب على هذه المسألة مفصلًا ، وبينا فيه أن أهل نجد كانوا قبل دعوة الشيخ على الكفر ، وبينا أن جميع باديتهم وحاضرتهم أسلموا بتلك الدعوة ، وعمهم الإسلام بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وأما من قام به نوع من أنواع الكفر المخرج من الملة فهو مرتد عن الإسلام . فلا يعمّهم بالكفر بعد أن أسلموا ، ولم يقم بهم ناقض من نواقض الإسلام ، إلا رجل لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

المسألة الثامنة : قول السائل : وهل من كفر منهم كما ذكرنا يطلق عليه الكفر ولو لم تقم عليه الحجة ، قبيلة كانت أو شخصًا معينًا ، وما وجه قيام الحجة؟ هل كلٌّ تقوم به أم لا بد من إنسان يحسن إقامتها على من أقامها عليه؟

والجواب أن نقول : قد ذكر علماء أهل الإسلام من أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم : أن من مات من أهل الشرك قبل بلوغ

هذه الدعوة فالذي يحكم عليه أنه إذا كان معروفًا بفعل الشرك ويدين به ومات على ذلك: فهذا ظاهره أنه مات على الكفر، فلا يدعى له ولا يضحى له ولا يتصدق عنه.

وأما حقيقة أمره فإلى الله تعالى فإن كان قد قامت عليه الحجة في حياته وعاند فهذا كافر في الظاهر والباطن. وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله تعالى.

وأما سبه ولعنه فلا بل لا يجوز سب الأموات مطلقًا، كما في «صحيح البخاري»[1] عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تسبوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»** إلا إن كان أحد من أئمة الكفر وقد اغترّ الناس به فلا بأس بسبه إذا كان فيه مصلحة دينية. انتهى.

وأما قول السائل: هل كلُّ تقوم به الحجة أم لا بد من إنسان يحسن إقامتها على من أقامها عليه؟ فالذي يظهر لي -والله أعلم- **أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها: كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه، ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة فيما أعلم، والله أعلم.**

وأما قول السائل: في الحديث الذي ورد عنه ﷺ أنه قال: **«والذي نفسي بيده ما سمع بي من هذه الأمة يهودي أو نصراني»** إلى آخر الحديث[2].

---

(١) (٣/ ٢٥٨) كتاب الجنائز - باب ما ينهى عن سب الأموات.

(٢) رواه مسلم (١/ ١٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فأقول : الأمة المذكورة في الحديث هم أمة الدعوة ، سواء كانوا يهودًا أو نصارىٰ أو عربًا أو غيرهم من سائر الأعاجم ، فمن بلغته دعوة الرسول ﷺ منهم فلم يؤمن به أي لم يصدقه ويتابعه علىٰ دينه فيما بلغه من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ دخل النار ، والله أعلم .

المسألة التاسعة : قول السائل : إن رجلين سأل أحدهما الآخر قال : ما مرام الإمام[(١)] والمشايخ باستدعاء الإخوان وتهدّدهم ومنعهم من دعوة البادية والأخذ عليهم من دخول بلاد النازلين منهم حتىٰ حصل بسبب ذلك تجسر علىٰ مشايخ المسلمين بالسبّ والثّلب وإساءة الظن وقلة الانتفاع بفوائدهم ونصائحهم ، وربما توصلوا إلىٰ ولي الأمر بأقوال[(٢)] لا تروج علىٰ عاقل ، ولكن يغتر بها كل مغرور جاهل ، ويأنس بها كل منافق بلاؤه في قلبه داخل .

كقول بعضهم : ما فعل المشايخ ذلك إلا حسدًا منهم للإخوان في دعوتهم .

وكقولهم : إن المشايخ داهنوا في دين الله ، والإخوان أمروا وأنكروا .

وكقولهم : الإخوان علمونا ملة إبراهيم وبينوها ، والمشايخ كتموها ودفنوها .

---

(١) الإمام هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

(٢) في الأصل «أقوالًا» ولعل الصواب ما أثبت هنا . أي إنهم ينسبون للإمام أقوالًا مفتراة عليه .

وكقولهم : ما أطاع الإمام المشايخ فيها إلا لسكوتهم عند المآكل والأغراض .

وكقولهم : المشايخ يرخصون ويبيحون السفر إلى بلاد المشركين ، ويسلمون على المسافرين[١] .

ويقولون[٢] : ساكن البادية والنازل منها إلى الحاضرة سواء .

ويقولون : لابس العمامة ولابس العقال سواء .

ويقولون : بروا في آبائكم وأقاربكم الذين ماتوا واسكتوا وكفوا عنهم إلى غير ذلك .

ومما يتقاولونه بينهم : ما فعل المشايخ بهم ذلك إلا أنهم مكفرون لهم[٣] .

فأجابه الآخر بجواب مجمل ، لا يفي بالمقصود ، ولكنه أجاب بما هو الحق والصواب في نفس الأمر .

ونحن نجيب على ما قاله هؤلاء المعترضون ، ونبين ما في كلامهم من الكذب والزور والبهتان ، وما فيه من الحق الذي قاله المشايخ والإخوان بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

---

(١) أي القادمين من بلاد المشركين!!

(٢) يعنون العلماء والمشايخ .

(٣) هذه جملة ما طعن به «الإخوان» في مشايخ الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله .

فنقول : قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن الذي منع هؤلاء من الذهاب إلى هذه الأماكن المذكورة في السؤال هو الإمام - أعزه الله بطاعته وأحاطه بحياطته- **لأمرين :**

أحدهما : أنهم افتاتوا على منصب الإمامة ، فذهبوا إلى البادية من رعيته ومن تحت يده وفي ولايته من غير إذن منه ولا أمر لهم بذلك .

وقد كان من المعلوم أن الإمام هو الذي يبعث العمال والدعاة إلى دين الله .

الثاني : ما بلغه عنهم من الغلو والمجازفة والتجاوز للحد في المأمورات والمنهيات ، وإحداثهم في دين الله ما لم يشرعه الله ولا رسوله ، فمن ذلك :

أنهم كفروا البادية بالعموم ، وزعموا أنهم على الحالة التي كانوا عليها قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأنهم لم يسلموا ولم يدخلوا في هذا الدين ، ويستدلون على ذلك بما ذكره الشيخ رحمه الله في الموضع السادس الذي نقله من «السيرة» وبما ذكره في رسالته إلى الشريف من تكفيره البادية الذين كانوا في وقته ، وأنه ليس معهم من الإسلام شيء .

ومنها أنّ من ديّن ودخل في الدين من الأعراب لا يصح لهم إسلام حتى يهاجروا .

ومنها أنهم يلزمون من دخل في هذا الدين أن يلبس عصابة على رأسه ، ويسمونها العمامة ، وأنها هي السنة ، فمن لبسها كان من الإخوان

الداخلين في الدين، ومن لم يلبسها فليس من الإخوان، وأنها شعار وزيّ يتميز به المسلم عن الكافر. وقد أجبنا عن هذا كله فيما تقدم.

ومنها أنهم لا يسلّمون إلا على من يعرفون وتميز بالعمامة، وهم مع ذلك يزعمون أنهم هم الذين على السنة، وأن المشايخ يميتون السنن، وهم يخالفون ما سنه رسول الله ﷺ في السلام بالأمر بالسلام على من عرف ومن لم يعرف.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأدب المفرد»[١]: باب التسليم بالمعرفة وغيرها. حدثنا قتيبة، قال حدثنا الليث، عن يزيد بن حبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو؛ أن رجلًا قال: يا رسول الله أيّ الإسلام خير؟ قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**». وفيه[٢] أن الطفيل بن أبيّ بن كعب أخبره أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا يسلم عليه.

قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يومًا فاستتبعني إلى السوق. قلت: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ فاجلس بنا هاهنا نتحدث.

---

(١) (٢/ ٤٦٩) من شرحه. والحديث في «الصحيحين».

(٢) (٢/ ٤٦٥).

فقال لي عبد الله : يا أبا بطن -وكان الطفيل ذا بطن- إنما نغدو لأجل سلام من لقينا .

فرسول الله ﷺ يقول : «**اقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» ، وابن عمر رضي الله عنه يقول : «إنما نغدو من أجل السلام على من لقينا» .

ومنها أنهم لا يدعون أحدًا صلى معهم صلاة الصبح أن يخرج من المسجد إلا بعد طلوع الشمس ، وهذا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا فعله أصحابه بعده .

ومنها أنهم أدخلوا في الدين ما ليس منه ، فزعموا أن تدوية[1] البدو للإبل عند ورودها وصدودها بدعة .

ومن المعلوم أن البدع لا تكون إلا في القربات الشرعية ، وتدوية الأعراب لإبلهم من العادات الطبيعية ، فزعموا أن هذه العادات من العبادات .

وقد بلغني عن رجل من هؤلاء المتعمقين ، يقال له : عبد الله بن دامغ ؛ أنه يقول : من لبس العمامة ثم تركها ارتد عن الإسلام .

وبلغني -أيضًا- عن رجل من أعيانهم ؛ أنه كتب إلى بعض الأعراب ينهاهم عن مباشرة النساء في فروشهن في الحيض ، لأن ذلك

---

(١) التَّدْوِيَةُ : أن تدعو الإبل فتقول : دأه دأه-بالكسر والتسكين . أو ده ده-بالضمّ- لتجيء إلى ولدها . قاله في «القاموس» .

ذريعة إلى جماعهن في الحيض -ويل امّه- أما علم أن ذلك قد ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من فعله وأمره .

ومن هؤلاء من تجاوز الحد في التأديب عند فوات بعض الصلاة ، فضربوا رجلًا منهم حتى مات .

وثبت عندنا عن بعضهم أنه فسر قوله ﷺ : **«اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور»**(١) فزعم أن الكور هي العمامة ، وأن الرسول استعاذ بالله من تركها بعد لبسها .

وثبت عن رجل آخر منهم أنه(٢) يقول لما انقطعت ناقته ، وأعيت من الهزال ، فنحرها أهلها ، . فقال : إنها حرام ، لا تأكلوها . واستدل بقول الله تعالى : ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [المائدة : ٣] فحمل القرآن على لغته الفاسدة . إلى غير ذلك من الأمور التي أحدثوها مما لا يمكن عدّه ولا استقصاؤه .

فلما اشتهر هذا الأمر عنهم ، وهذا الغلو والتجاوز للحد ؛ خاف

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج من «صحيحه» (٢/ ٩٧٩) عن عبد الله بن سرجس قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر يعوّذ من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكون ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال . هذا لفظ مسلم .

وهو في «المسند» : (٥/ ٨٢-٨٣) بلفظ «الكور» . قال الترمذي بعد ذكر الروايتين : ومعنى قوله : الحور بعد الكون أو الكور -وكلاهما له وجه- إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر ، أو من الطاعة إلى المعصية ، إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر . اهـ «سنن الترمذي» (٥/ ٤٩٨) .

(٢) في الأصل : «أن» .

الإمام أن يسيروا بسيرة الخوارج ، فيمرقون من الدين بعد أن دخلوا فيه ، كما مرق منه من غلا في الدين وتجاوز الحد ممن كانوا من أعبد الناس وأزهدهم وأكثر تهليلا ، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة .

فهذا هو المرام الذي أوجب للإمام منع[1] هؤلاء الجهلة عن دخول بلاد النازلين .

وأما المشايخ فلم يمنعوا أحدًا من هؤلاء من الدعوة إلى الله ، بل هذا من الكذب والعدوان ، والزور والبهتان ، وإن كانوا قد استحسنوا ما فعله الإمام واستصوبوه ورأوا أنه الحق والصواب الذي لا شك فيه ولا ارتياب .

ثم إن الإمام -أعزه الله بطاعته- اقتضى رأيه بعد مشاورة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف أن يبعث دعاة إلى كل بلد من هذه البلدان ، فبعث إليهم دعاة معلمين من أهل المعرفة يعلمونهم أصل دينهم وأحكام صلاتهم ، ويخبرونهم بما وجب عليهم من حق الله تعالى في الإسلام ، وبعث -أيضًا- إلى كل قبيلة من الأعراب الذين هم في ولايته دعاة معلمين يصلون بهم ، ويعلمونهم أصل دينهم .

وهذا من كمال نصحه وشفقته برعيته ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء .

---

(١) في الأصل : «يمنع» .

وأما سبّهم المشايخ وثلبهم إياهم وإساءة الظن بهم، وكذلك ما نسبوه إلى ولي الأمر من الأقوال التي لا تروج على عاقل، ويغتر بها كل مغرور جاهل.

فهذا كله مما[1] يرفع الله به درجات الإمام والمشايخ، وحسابهم على الله، وسيجازيهم بما جازى[2] به المفترين؛ لأن الإمام والمشايخ لم يمنعوهم إلا خوفًا على من دخل في هذا الدين أن يسلكوا مسلك الخوارج، الذين مرقوا من دين الإسلام، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وأما قول بعضهم: ما فعل المشايخ ذلك إلا حسدًا منهم للإخوان في دعوتهم:

فنقول: وهذا أيضًا من نمط ما قبله من الكذب والزور والبهتان. وقد أعاذ الله المشايخ من هذه الظنون الكاذبة الخاسرة، والأماني الخاطئة الفاجرة، التي لا يظنها إلا رجل مغموص بالنفاق، أو مدخول في قلبه مشغوف بالشقاق، متخلق بمساوئ الأخلاق.

وهل يدور في عقل عاقل أن المشايخ يحسدونهم على ما أحدثوه من البدع والغلو والمجازفة والتجاوز للحد، وكونهم شرعوا في دين الله ما لم يأذن به الله؟ كما هو معلوم مشهور عنهم، لا يجحده إلا مكابر في

---

(١) في الأصل: «ما».

(٢) في الأصل: «جاز».

الحسيات، مباهت في الضروريات، كما قيل:

نجازي بني سعد بسوء فعالنا
جزاء سنمّار وما كان ذا ذنب

وأما قولهم: إن المشايخ داهنوا في دين الله، والإخوان أمروا وأنكروا. فنقول:

ما أشبه الليلة بالبارحة، فلا جرم قد قالها الذين من قبلهم، لما نهاهم أهل الحق عن الغلو في الدين، قالوا لمن نهاهم[1]: يا أعداء الله قد داهنتم في الدين. وهم يزعمون أنهم ما فعلوا ذلك إلا من أجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تشابهت قلوبهم . . .

وأما قولهم: الإخوان علمونا ملة إبراهيم وبينوها، والمشايخ كتموها ودفنوها.

فنقول: أما قولهم: إن الإخوان علمونا ملة إبراهيم، فإن كان حقًّا فسيجازيهم الله على ذلك، والله عند لسان كل قائل وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، لكنهم مع ذلك قد سلكوا بهم مسالك أهل البدع، وتجاوزوا بهم الحد في الأقوال والأفعال، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، كما قد ذكرنا منه نزرًا قليلًا مما هو معلوم مشهور عنهم، فإن كان هذا هو ملة إبراهيم فقد أعظموا الفرية على الله، وعلى ملة إبراهيم، وكان الحق والواجب الذي أوجبه الله على المشايخ وعلى غيرهم أن يدفنوا هذه المفتريات والأحداث الكاذبة الخاطئة.

---

(١) القائل هم الخوارج لعلي ﷺ وأصحابه، كما تقدم.

وإن كانوا أرادوا أن المشايخ لا يأمرون بعبادة اللَّه وحده لا شريك له ، ولا ينهون عن الشرك ، ولا يكفرون من كفر اللَّه ورسوله ، أو لا يكفرون من شك في كفرهم ، ولا يحبون في اللَّه ، ولا يعادون في اللَّه ، ولا يبغضون في اللَّه ، ولا يوالون فيه ، ولا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر ، وأنهم دفنوا هذا كله ، فمن زعم أن هذه طريقة المشايخ وسيرتهم ، فقد بهتهم وافترى عليهم ، ومن افترى عليهم هذا الكذب ، فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلًا ، وفضحه على رءوس الأشهاد ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢] .

لأن المشايخ -ولله الحمد والمنة- قد بذلوا الجد والاجتهاد في نشر ملة إبراهيم وتعليمها ، والقراءة في أصول الدين : كمثل كتاب «التوحيد» ، و«كشف الشبهات» ، و«ثلاثة الأصول» وجميع ما اشتملت عليه «مجموعة التوحيد» من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتب الحديث والفقه ، ويقرّرونها ويعلّمون طلبة العلم معانيها ، ويفقّهونهم في الدين وفي ملة إبراهيم ، وعندهم من طلبة العلم في هذا الزمان أكثر من مائة رجل كلهم يقرءون في هذه الكتب المذكورة ، كما هو معلوم مشهور ، ولا ينكره إلا مكابر ، فكيف يمكن مع هذا أنهم دفنوا ملة إبراهيم ، وكيف يتصور وقوع هذا عاقل أو عارف أو مجنون؟ ولا يصغي إلى قول هؤلاء الأغبياء إلا رجل مريض القلب ، قد داخله نوع من الحقد والحسد ، وأما سليم القلب فيقول عند سماع هذه المفتريات : ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] .

ومع هذا كله رتب الإمام والمشايخ أناسًا من أهل الحسبة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ورتبوا في كل بلد من بلدان المسلمين -ولله الحمد والمنة- من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فمتى دفنوا ملة إبراهيم؟ لو أنهم يعلمون، كما قيل:

سلي إن جهلت الناس عنا
فليس سواء عالم وجهول

ثم إني -ولله الحمد والمنة- قد كتبت في ذلك ما شاء الله أن أكتب نثرًا ونظمًا، وسأذكر من ذلك شيئًا قليلًا، ليعلم الجاهل بحالنا وما كنا عليه نحن ومشايخنا، وأنا لم ندفن ملة إبراهيم، ولم نداهن في نشرها وإظهارها أحدًا -ولله المنة في ذلك- فمن ذلك ما قلته من النظم في أبيات:

فيا أيها الأخ الأكيد إخاؤه
تمسك بأصل الدين سامي
وكن باذلًا للجد في طلب الهدى
من العلم إن العلم خير الذخائر
وبالعلم ينجو المرء من شرك
ويسمق بالتقوى لشأو المفاخر
ويرسب في قعر الحضيض
لأسبابه اللاتي سمت بالأطاهر
وما العلم إلا الاتباع وضده
فذاك ابتداع من عضال الكبائر

وتقديمه شرط وقد قيل إنه
لثالث أركانٍ لتوحيد قاهر
وتقديم آراء الرجال وخرصها
عليه ضلال موبق في النهابر
وملة إبراهيم فاسلك سبيلها
فمهيعها المنجي لأهل البصائر
هي العروة الوثقى فكن
بجذر عراها عن جهول مقامر
وما الدين إلا الحب والبغض
كذاك البرا من كل طاغ وكافر

ومن ذلك -أيضًا- ما قلته ونحن إذ ذاك في ولاية آل رشيد، لمّا منعونا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا نتكلم في شيء من أمور الدين:

على الدين فليبك ذوو العلم
فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار إقبال الورى واحتيالهم
على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وإصلاح دنياهم بإفساد دينهم
وتحصيل ملذوذاتهم والمطاعم
يعادون فيها بل يوالون أهلها
سواء لديهم ذو التّقى والجرائم

إذا انتقص الإنسان منها بما
يكون له ذخرًا أتى بالعظائم

وأبدى أعاجيبًا من الحزن
على قلة الأنصار من كل حازم

وناح عليها آسفًا متظلما
وباح بما في صدره غير كاتم

فأمًّا على الدين الحنيفى والهدى
وملة إبراهيم ذات الدعائم

فليس عليها بعد أن ثلّ عرشها
من الناس من باك وآس ونادم

وقد درست منها المعالم بل عفت
ولم يبق إلا الاسم بين العوالم

فلا آمر بالعرف يعرف بيننا
ولا زاجر عن معضلات الجرائم

وملة إبراهيم غودر نهجها
عفاء فأضحت طامسات المعالم

وقد عدمت فينا وكيف وقد
عليها السوافي في جميع الأقالم

وما الدين إلا الحب والبغض
كذاك البرا من كل غاوٍ وآثم

وليس لها من سالك متمسك
بدين النبي الأبطحي ابن هاشم

فلسنا نرى ما حل بالدين
به الملة السمحاء إحدى

فنأسى على التقصير منا
إلى الله في محو الذنوب العظائم

فنشكو إلى الله القلوب التى
وران عليها كسب تلك المآثم

ألسنا إذا ما جاءنا متضمّخ
بأوضار أهل الشرك من كل

نهشُّ إليهم بالتحيّة والثّنا
ونهرع في إكرامهم بالولائم

وقد برئ المعصوم من كل مسلم
يقيم بدار الكفر غير مصارم

ولا مظهر للدين بين ذوي
فهل كان منا هجر أهل الجرائم

ولكنّما العقل المعيشيّ عندنا
مسالمة العاصين من كل آثم

فيا محنة الإسلام من كل جاهل
ويا قلة الأنصار من كل عالم

وهذا أوان الصبر إن كنت حازمًا
على الدين فاصبر صبر أهل

فمن يتمسّك بالحنيفيّة التي
أتتنا عن المعصوم صفوة آدم

له أجر خمسين امرئ من ذوي
من الصحب أصحاب النبي
فنح وابك واستنصر بربك
إليه فإن الله أرحم راحم
لينصر هذا الدين بعد ما عفت
معالمه في الأرض بين العوالم
وصلّ على المعصوم والآل
وأصحابه أهل التقى والمكارم
بعدّ وميض البرق والرّمل
وما انهلّ ودق من خلال الغمائم

وأما قولهم: ما أطاع الإمام المشايخ إلا لسكوتهم عنه للمآكل والأغراض.

فنقول: وهذا أيضًا من جنس ما قبله من الطعن على الإمام وعلى المشايخ بالزور والبهتان، والظلم والعدوان، وظن السوء، وقد ذم الله هذا في كتابه وعلى لسان رسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] الآية. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**من قال في أخيه ما ليس فيه أسكنه الله**

ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال» قيل: يا رسول الله وما ردغة الخبال؟ قال: **«عصارة أهل النار»** رواه أبو داود بسنده[1].

ولمسلم عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- مرفوعًا: **«أتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«ذكرك أخاك بما يكره»** قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»**[2].

فإذا تحققت هذا فيما قاله هؤلاء في الإمام وفي المشايخ إن كان حقًّا وصدقًا فقد اغتابوهم، وإن لم يكن حقًّا ولا صدقًا فقد بهتوهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأما قولهم: والمشايخ يرخصون ويبيحون السفر إلى بلاد المشركين.

فالجواب أن نقول: قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن هذا من أعظم الكذب والفرية على مشايخ المسلمين، أنهم يبيحون السفر إلى بلاد المشركين، ومن نقل هذا[3] عنهم فقد أعظم الفرية عليهم.

فإن كان مراد هؤلاء الذين شبهوا على عوام المسلمين بهذه الشبهات أن السفر إلى بلد الأحساء بعد أن أخرج إمام الدولة الكفار

---

(١) في «سننه» - كتاب الأقضية (٤/ ٢٣) وهو حديث صحيح.

(٢) مسلم (٤/ ٢٠٠١) - كتاب البر والصلة والآداب من «صحيحه».

(٣) في الأصل: «ومن هذا نقل عنهم».

منها مباح ، فهذا لا شك فيه ، لأنها صارت دار إسلام ، بعد أن كانت دار كفر ، لجريان أحكام أهل الإسلام على أهلها ، والغلبة والظهور فيها لأهل الإسلام على من كان فيها ممن ظاهر أهل الكفر من الروافض وغيرهم ، كما نص على ذلك العلماء قديمًا وحديثًا .

وإن كان مرادهم أن السفر إلى بلد الأحساء وإلى بلد الكويت[1] مثلا مباح حال ولاية الكفار عليها ، وأن المشايخ إذ ذاك يبيحون السفر إليها ، فقد كان من المعلوم أن المشايخ من أعظم الناس تحريمًا لهذا السفر ، وأن ذلك عندهم من أكبر الكبائر ، ولا يبيحون السفر إليها ، إلا[2] لمن كان قادرًا على إظهار دينه مع عدم الانبساط إليهم والتلطف لهم . وإظهار الدين عندهم هو التصريح لأعداء الله بالكفر ومبادأتهم بالعداوة والبغضاء ، كما قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

ثم إنه قد كان من المعلوم عند جميع المسلمين ما جرى بيننا وبين أعدائنا ممن خالفنا ، وأباح السفر إلى بلاد المشركين من أهل القصيم :

---

(١) الكويت كانت مستعمرة بريطانية . أما الآن -بحمد الله تعالى- فهي بلد المسلمين . والمؤلف إنما عنى الزّمن القديم . فتنبّه . كما أنه ينصّ -هو وغيره من علماء الدعوة- على أن بلاد نجد قبل زمن الدعوة الإصلاحية بلاد كفر ، أما بعد الدعوة فهي بلد المسلمين .

(٢) في الأصل : «لا» .

كمثل عبد الله بن عمرو وابن[1] جاسر وأتباعهم في حال ولاية آل رشيد من المخاصمات والمحاورات، ورد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف عليهم لما كابروا في ذلك برسالة مشهورة بيّن فيها ضلالهم، وأدحض حججهم، فأجابه ابن عمرو عليها بجواب لا يقوله من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعلم أنه موقوف بين يديه مسئول عنه، فأجبته على ذلك بنحو من خمسة عشر كراسًا، وجواب آخر قدر تسعة كراريس، وأجابهم الشيخ إسحق ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن على مسائل أوردوها عليه في هذا المعنى بنحو من ثلاثة كراريس.

فمتى أباح المشايخ السفر إلى بلاد المشركين والحالة هذه وقد كان تحريمه عنهم أشهر من نار على علم؟

وهؤلاء الذين طعنوا على المشايخ بهذه الأكاذيب يعلمون ذلك ولا ينكرونه، ولكن «لهوى النفوس سريرة لا تعلم» ولولا عمى عين الهوى عن الهدى ولبس الحق بالباطل وإرادة الجاه والشرف والترؤس على الناس لما لبّسوا على عوام الناس وخفافيش البصائر الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام، وليس لهم نور يمشون به في غياهب الظلام.

وأما المشايخ -ولله الحمد والمنة- فقد ساروا على منهاج سلفهم الصالح من علماء المسلمين، وسلكوا على طريقتهم في هذه المباحث.

فمن ذلك ما أفتى به الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لما سئل عن السفر إلى بلاد المشركين.

---

(١) في الأصل: «بن جاسر».

قال السائل: هل يجوز للمسلم أن يسافر إلىٰ بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا؟

فأجاب: الحمد لله، إن كان يقدر علىٰ إظهار دينه ولا يوالي المشركين جاز له ذلك، فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة إلىٰ بلدان المشركين، لأجل التجارة، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره.

وإن كان لا يقدر علىٰ إظهار دينه ولا علىٰ عدم موالاتهم لم يجز له السفر إلىٰ ديارهم، كما نصَّ علىٰ ذلك العلماء، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك.

ولأن الله تعالىٰ أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسببًا إلىٰ إسقاط ذلك لم يجز.

وأيضًا، قد يجره إلىٰ موافقتهم وإرضائهم، كما هو الواقع كثيرًا ممن يسافر إلىٰ بلدان المشركين من فساق المسلمين، نعوذ بالله من ذلك.

المسألة الثانية: هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار، وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة؟

الجواب عن هذه المسألة: هو الجواب عن التي قبلها سواء، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب أو دار الصلح، فكل بلد لا يقدر المسلم علىٰ إظهار دينه فيها لا يجوز له السفر إليها. انتهىٰ.

ثم لما كان في هذا الزمان إقبال من البادية على الدخول في هذا الدين وسكن كثير منهم في بلدان المسلمين ووفدوا على الإمام في بلد الرياض ، سأل كثير منهم المشايخ عن السفر إلى بلد الكويت فأجابوهم بما أفتى به سلفهم الصالح ، مما تقدم بيانه قريبًا ، فمتى أباحوا السفر إلى بلاد المشركين ، ومن نقل ذلك عنهم ممن يوثق بنقله؟ والله المستعان .

وأما قولهم : ويسلمون على المسافرين ، فنقول : اعلم يا أخي أنّا قد بينا فيما تقدم براءة المشايخ مما نسبه عنهم هؤلاء المفترون من إباحة السفر إلى بلاد المشركين .

وأما السلام على المسافرين فقد بينا في مسألة الهجر ، أن ذلك من باب التأديب والتعزير لأهل الذنوب والمعاصي ، وأن ذلك مشروع إذا كان فيه مصلحة راجحة على مفسدته ، وأما إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته فليس بمشروع . كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه :

«وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم ، فإن المقصود زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته[1] (كان مشروعًا)[2] ، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف

---

(١) في الأصل : «وخفته» .

(٢) ما بين قوسين من «مجموع الفتاوي» (٢٨/ ٢٠٦) .

بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع (من الهجر)، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف أقوامًا ويهجر آخرين. وقد يكون المؤلفة قلوبهم أشر حالًا في الدين من المهجورين، كما أن الثلاثة الذين خلفوا كانوا خيرًا من أكثر المؤلفة قلوبهم، لكن أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثيرون. فكان في هجرهم عز الدين وتطهيرهم من ذنوبهم...» إلى آخر كلامه.

فإذا تحققت هذا فقد هجر المشايخ المسافرين إلى بلاد المشركين مدة طويلة، فلما لم ينجع فيهم الهجر، ولم ينزجروا عن السفر، رأوا أن درأ المفسدة التي تفضي إلى المقاطعة والمدابرة والتباغض والتحاسد والشحناء أرجح من مصلحة الهجر، كما في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا»**(١).

وقال ﷺ في الحديث الذي في «السنن»: **«ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟»** قالوا: بلى يا رسول الله. قال: **«إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»**(٢).

---

(١) البخاري (١٠/ ٤٨١)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥-١٩٨٦) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب من «سننه» (٥/ ٢١٨)، والترمذي في كتاب صفة القيامة من «سننه» (٤/ ٦٦٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وليس في الحديث: =

وقال في الحديث الصحيح : **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**[١] . انتهى .

فإذا فهمت هذا فاعلم أن للمسلم على المسلم حقوقًا في الإسلام ، يجب مراعاتها ، وله من الذنوب والمعاصي ما يوجب بغضه ومعاداته عليها ، فيحب ويوالى ويكرم من وجه ، ويبغض ويعادى ويهان من وجه آخر . فإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وبر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة ، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الرجل الواحد موجبا الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى ما يكفيه من بيت المال لحاجته .

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه فلم يجعلوا الناس إلا مستحقًّا للثواب فقط ، أو مستحقًّا للعقاب فقط . وأهل السنة يقولون : «**إن الله** يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه ، ثم يخرجهم منها بشفاعة من

= **«لا أقول تحلق الشعر . . .»** وإنما قال الترمذي بعد حديث أبي الدرداء : هذا حديث صحيح ، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : **«هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»** ثم أسند هذه الجملة من حديث الزبير بن العوام مرفوعًا : **«دبّ إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء ، هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر . . .» الحديث .**

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٩) عن النعمان بن بشير .

يأذن له في الشفاعة وبفضله ورحمته، كما استفاضت بذلك السنة عن النبي ﷺ كما قرر ذلك شيخ الإسلام في مسألة الهجر.

فلما عاملنا المسافرين بهذه المعاملة، وأخذنا بقول أئمة الإسلام، أنكر هؤلاء الجهال علينا ذلك وطعنوا به، ورأوا أن ذلك من أعظم المنكرات.

ومراد هؤلاء ومرامهم منا أن نسير في المسلمين بسيرة الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم، فنأخذ بالشدة والتضييق والحرج على الأمة، وأن لا نرىٰ للمسلم على المسلم حقوقًا في الإسلام، وأن نترك ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، فلا نجعل الناس إلا مستحقًّا للثواب فقط أو مستحقًّا للعقاب فقط.

ونحن نبرأ إلى الله من هذا المذهب، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدىٰ.

والدليل من السنة علىٰ أن درأ المفاسد مقدم علىٰ جلب المصالح: حديث أبي هريرة المتفق عليه عنه ﷺ أنه قال: **«لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا يصلي بالناس، ثم أنطلق إلىٰ قوم لا يشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار»** فهمَّ بتحريق من لم يشهد الصلاة.

في «المسند» وغيره: **«لولا ما في البيوت من النساء والذرية لأمرت أن تقام الصلاة»** الحديث[1].

---

(١) البخاري (٢/ ١٢٥)، ومسلم (١/ ٤٠١) عن أبي هريرة، و«المسند» (٢/ ٣٦٧) عن أبي هريرة أيضًا.

فبين ﷺ أنه همّ بتحريق البيوت على من لم يشهد الصلاة، وبين أنه إنما منعه من ذلك من فيها من النساء والذرية، فإنهم لا يجب عليهم شهود الصلاة، وفي تحريق البيوت قتل ما لا يجوز قتله، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه.

وكذلك لما استأذنه بعض الصحابة في قتل المنافقين، قال: **«لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»**[1] وكذلك لما استؤذن في قتل رجل آخر منهم قال: **«إذن ترعد له أنوف كثيرة بيثرب»** إلى غير ذلك من الأحاديث التي قدم فيها درء المفاسد على جلب المصالح، كما قرر ذلك علماء أهل السنة والجماعة، والله أعلم.

وأما قول السائل: ويقولون: ساكن البادية والنازل منها إلى الحاضرة سواء، فنقول:

وهذا أيضًا من الكذب على المشايخ، فإنه لم يقل أحد منهم أن من أسلم من البادية ودخل في هذا الدين ولم يهاجر، كمن هاجر منهم وترك جميع ما كان عليه من أمور الجاهلية وسكن مع الحاضرة: أنهم سواء، بل هذا من أعظم الكذب والافتراء. وقد بينا فضل من هاجر على من لم يهاجر فيما تقدم بما أغنى عن إعادته هنا.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٦٤٨)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩) من حديث جابر بن عبد الله. وهو جواب النبي ﷺ لعمر لما قال عن عبد الله بن أبيّ: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه».

وإنما قال المشايخ لمن سألهم منهم عن حكم من أسلم وتبين له الدين وكان متمكنًا من إقامة دينه وإظهاره بين من لم يسلم من الأعراب الساكنين في البادية : أن الهجرة لا تجب عليه ، بل هي مستحبة في حقه ، لأنه لا واجب إلا ما أوجبه اللّه ورسوله ، ولا حرام إلا ما حرمه اللّه ورسوله ، ولا حلال إلا ما أحله اللّه ورسوله . وقد أوضحنا هذا مفصلًا فيما تقدم . واللّه أعلم .

وأما قول السائل : ويقولون : بروا في آبائكم وأقاربكم الذين ماتوا ، واسكتوا وكفوا عنهم .

فالجواب أن نقول : إن كان مراد هؤلاء الذين يطعنون على المشايخ المسلمين تارة بالظّلم ، وتارة بالعدوان والزور والبهتان ، وتارة بالجهل وعدم العلم بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وعلماء المسلمين ، الذين ساروا على منهاج أهل السنة والجماعة - أن المشايخ يقولون : بروا في آبائكم وأقاربكم الذين ماتوا على الكفر باللّه والإشراك به . فهذا كذب على المشايخ ، ولم يقل ذلك أحد منهم .

وإن كان مرادهم بآبائهم وأقاربهم الذين ماتوا وظاهرهم الإسلام ولم ندر ما ماتوا عليه؟ فهذا القول من هؤلاء الجهلة قد قاله قبلهم من بهت شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -قدس اللّه روحه- بأنه ينهى أتباعه عن الاستغفار والتضحية لمن ماتوا من آبائهم وأقاربهم ولم يدركوا دعوته ، كما ذكر ذلك عثمان بن منصور في المطاعن التي

طعن بها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث قال: «والويل كل الويل لمن استغفر من أتباعه لوالديه، أو ضحى لهم» فأجابه شيخنا الشيخ عبد اللطيف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «فهذه القولة الضالة كأخواتها السابقة، فيها من نقض عهده الذي جعله على نفسه، وفيها من البهت والكذب وطلب العنت للبراء ما يقضي بفسوق القائل. فنعوذ بالله من استحكام الهوى، والضلال بعد الهدى، فمن قال في مؤمن ما ليس فيه حبس في ردغة الخبال حتى يخرج مما قال.

ولا نعلم أن أحدًا من أهل العلم والدين نهى عن الاستغفار والتضحية إلا إذا استبان أن الشخص الذي يستغفر له من أصحاب الجحيم، بأن مات يدعو لله ندّا، وهذا نص القرآن، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

هذا مذهب الشيخ وأهل العلم من أتباعه. وأما التخليط والحكم بالظّنّ[١] والهذيان، فذاك من طوائف الشيطان، يصدهم به عن سبيل العلم والإيمان.

وفي قول المعترض: الذين لم يدركوا دعوته؛ أن من تقادم عهده، وتطاول عصره، داخل في عموم كلامه، وأن الشيخ ينهى عن الاستغفار له. وإطلاق هذا يتناول القرون المفضلة ومن بعدهم، وليس هذا

---

(١) في الأصل: «الظن» والمثبت من «مصباح الظلام» للشيخ عبد اللطيف (ص٤١)، ط. دار الهداية.

ببدع من كذبه وبهته، وحسابه على الله وأمره إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

لي حيلة فيمن ينمّ
وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول
فحيلتي فيه قليلة

أين ميثاقه وعهده؟ قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

حلفت لنا ألا تخون عهودنا
فكأنها حلفت (لنا) أن[1] لا

انتهى.

والعهد الذي ذكره شيخنا الشيخ عبد الله عن ابن منصور أنه أخذ على نفسه ألا ينقل عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا ما صح عنده بنقل العدول الأثبات.

إذا عرفت هذا: فالبهت الذي بهتوا به الشيخ رحمه الله إنما هو بمجرد الاستغفار والتضحية لوالديهم الذين لم يدركوا دعوته. وأما هؤلاء فأطلقوا لفظ البرّ وهو أعم من الاستغفار والتضحية، فيدخل فيه جميع أنواع البرّ.

---

(١) في الأصل: «حلفت بأن لا تفي» والتصحيح من «مصباح الظلام» (ص ٤١).

وأما قولهم : واسكتوا وكفوا عنهم . فالجواب عن ذلك أن نقول : قد تقدم في جواب أولاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن هذه المسائل ما فيه الكفاية ، وفيه : وإن كان لم تقم عليه الحجة فأمره إلى الله تعالى ، وأما سبه ولعنه فلا يجوز ، بل لا يجوز سب الأموات مطلقًا كما في «صحيح البخاري» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : **«لا تسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»** إلا أن يكون أحد من أئمة الكفر وقد اغتر الناس به فلا بأس بسبه ، إذا كان فيه مصلحة دينية . انتهى ، والله أعلم .

وأما قول السائل : ويقولون : لبس العمامة ، ولابس العقال سواء فالجواب أن نقول :

نعم ، قد قال ذلك المشايخ ، لأن لبس العمامة من المباحات التي أباحها الله ورسوله ، وهي من العادات الطبعية التي اعتاد العرب لبسها في الجاهلية والإسلام ، لا من العبادات الشرعية التي شرعها رسول الله ﷺ وسنها لأمته ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا ﴾ [الأعراف : ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ [لأعراف : ٣٢] .

وأما لبس العقال فهو أيضًا من المباحات ، ولم يرد في الأمر به والنهي عنه عن العلماء ما يوجب تحريمه ولا كراهته ؛ لأن لبسه من العادات الطبعية كغيره من الملابس التي اعتاد الناس لباسها ، كالعمامة والرداء والإزار والقميص وغير ذلك من الملابس العادية .

فبهذا الاعتبار يكون لبس العمامة التي كان رسول الله ﷺ وأصحابه يلبسونها عادةً، ولبس العقال الذي يلبسه الناس اليوم من المباحات والعادات، فهما سواء بهذا الاعتبار.

وأما هذه العصائب المحدثة التي يزعم من أحدثها أنها من السنة فهي مكروهة؛ لأنها غير محنكة، ولا ساترة لجميع الرأس عند جميع العلماء، كما سننبه على ذلك، وقد نبهنا على عدم مشروعيتها في «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب»، بما أغنى عن إعادته هاهنا. ونذكر هاهنا مالم نذكره فيها من كلام العلماء.

قال السفاريني في «غذاء الألباب» في شرحه لـ «منظومة الآداب» لابن عبد القوي، قال:

وعمّة مخلي[1] حلقه من تحنّك
لدى أحمد مكروهة بتأكّد

لنص -أحمد رضي الله عنه- على كراهة ذلك، وكذلك الأصحاب، وحكى في «الآداب الكبرى» الخلاف في أن الكراهة هل هي للتحريم أو التنزيه. وقال في«الفروع»: وكره أحمد لبس غير المحنكة. ونقل الحسن بن ثواب كراهية شديدة.

وقال شيخ الإسلام: «المحكي عن الإمام أحمد الكراهة، والأقرب أنها كراهة لا ترتقي إلى التحريم».

---

(١) في الأصل: «مخل» والتصويب من «غذاء الألباب» (٢/ ٢٤١).

وذكر كلامًا طويلًا عن كثير من العلماء من أهل المذاهب إلى أن قال : وقد أطنب ابن الحاج في «المدخل» لاستحباب التحنك ، ثم قال : وإذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها ، من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد -إن كان ممن يلبس جديدًا- وامتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير العمامة بقدر سبعة أذرع أو نحوها ، يخرجون منها التحنك والعذبة ، فإن زاد في العمامة قليلًا لأجل حر أو برد فيتسامح فيه . إلى آخر ما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فانظر إلى قوله : وإذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها ، يستبين لك خطأ من زعم أن العمامة سنة سنَّها رسول الله ﷺ فإن العمامة عند جميع العلماء من باب المباح ، لا من باب السنن . والمباح هو الذي لا يثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه ، وأما السنة فيثاب فاعلها ، ولا يعاقب تاركها .

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها إلى آخر كلامه ، ثم ذكر كلامًا طويلًا إلى أن قال : العاشر : الاقتعاط -هو بهمزة مكسورة فقاف ساكنة فمثناة فوق مكسورة فعين مهملة فألف فطاء مهملة- أن يتعمم بغير تحنيك ، كما تقدم .

قال ابن الأثير في «نهايته» : فيه -أي الحديث- أنه ينهى عن الاقتعاط ، وهو أن يعتم بالعمامة ، ولا يجعل منها شيئًا تحت ذقنه .

ويقال للعمامة: المِقْعَطَة[١]. وفي «القاموس»: اقتعط: تعمّم. ولم يدر تحت الحنك، وكمكنسةٍ: العمامة. انتهى.

وقال علماؤنا: العمامة المحنكة: هي التي يدار منها تحت الحنك كور أو كوران -بفتح الكاف- سواء كان لها ذؤابة أو لا، وهذه عمامة المسلمين على عهده ﷺ وهي أكثر سترًا، ويشق نزعها، فلذلك جاز المسح عليها، والله تعالى أعلم. انتهى.

فهذا ما ورد من الأحاديث وكلام العلماء في هذه العمائم المقتعطة، وهي التي ليس تحت الحنك والذقن منها شيء.

مع أنه ليس المقصود بلبس هذه العصائب التي يسمونها العمائم الاقتداء به ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في هديه في لباسه، وما كان يعتاده هو وأصحابه رضي الله عنهم فإنهم لم يقتدوا به في ذلك، ولو كان هذا هو مقصودهم لاقتدوا به في لبس الرداء والإزار وغير ذلك من لباسه، وجعلوا العمامة محنكة مع الذؤابة.

وإنما مقصودهم الأكبر في إحداث هذه العصائب أن تكون زيًّا وشعارًا يميز به من دخل منهم في هذا الدين ممن لم يدخل فيه، فمن لبسها كان من الإخوان الداخلين في هذا الدين، ومن لم يلبسها فليس منهم، ويقولون: فلان لبس السنة، وفلان لم يلبسها، فلا تسلموا عليه، كما صرحوا بذلك.

---

(١) في الأصل: «المقتعطة»، والتصويب من «اللسان» (٧/ ٣٨٤).

وهذا الزي والشعار الذي أحدثوه في الإسلام، قد أنكره العلماء، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن من أولياء الشيطان»:

«**فصل**: وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس من الظاهر في الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحًا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو تضفيره إذا كان مباحًا كما قيل: كم صديق في قباء، وكم زنديق في عباء».. إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انتهى.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» لما ذكر حال أولياء الله المتقين قال: «وهم مستترون عن أعين الناس بأسبابهم وصفاتهم ولباسهم، لم يجعلوا لطلبهم وإرادتهم إشارة تشير إليهم: اعرفوني.

فهؤلاء الصادقون، فهؤلاء يكونون مع الناس. والمحجوبون لا يعرفونهم ولا يرفعون بهم رءوسًا. ومن سادات أولياء الله صانهم الله عن معرفة الناس لهم لكرامته لهم، لئلا يفتنوا بهم». انتهى المقصود منه.

وهؤلاء الجهلة أحدثوا للناس شعارًا وزيًّا يتميزون به عن المسلمين، بخلاف أولياء الله الصالحين، الذين وصف حالهم شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

وأما لبس العقال: فهو من اللباس المباح، ولم يتكلم فيه العلماء لا في قديم الزمان ولا حديثه؛ لأنه قد كان من المعلوم أن لباس الصوف من الملابس التي كان رسول الله ﷺ يلبسها هو وأصحابه. والعقال من الصوف المباح لبسه.

وقد امتن الله بذلك على عباده، وجعله من النعم التي تفضل بها وأنعم بها عليهم، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠] فقوله:

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾، فهي للظأن، ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ هي للإبل، ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ للمعز، ﴿أَثَٰثًا﴾ من الفرش والأكسية وغيرها، ﴿وَمَتَٰعًا﴾ يتمتعون إلى حين.

فيقال لهؤلاء: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] فإن قالوا: إنما حرمنا العقال أو كرهنا لبسه، لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد أصحابه، ولا لبسه أحد منهم، بل هو من زي الجند وشعارهم. قيل لهم: إذا كان لا يجوز لبس شيء من اللباس إلا ما كان يلبسه رسول الله ﷺ وأصحابه، فهذه الملابس التي تلبسونها من المشالح على اختلاف ألوانها والغتر (الشمغ) وغيرها من شالات الصوف لم يكن الرسول ﷺ وأصحابه يلبسونها، فلأي شيء كانت هذه الملابس من المشالح وغيرها حلالا؟ والعقال الذي هو من الملابس المباحة حرامًا ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨].

ثم إن هذه الملابس من المشالح على اختلاف أنواعها والغتر من الشمغ والصوف من أفخر لباس الجند، الذين كرهتم لبس العقال من أجل مشابهتهم فيه، فهلا تركتم لبس هذه المشالح وهذه الشمغ؛ لأنها من لباسهم وزيهم وشعارهم إن كنتم صادقين.

وكذلك ما كان يعتاده المسلمون مما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه من المحاربة بهذه الآلات والصنائع التي حدثت بعده ﷺ من المدافع والموازر والصمع وغيرها من آلات الحرب؛ لأنه قد كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الملابس والمآكل والمشارب والمراكب وآلات الحرب من العادات الطبيعية لا من العبادات الدينية الشرعية. والله أعلم.

وأما قول السائل: ومما يتقاولونه بينهم: ما فعل المشايخ بهم ذلك إلا أنهم مكفرون لهم.

فالجواب أن نقول: وهذا أيضًا من أعظم كذبهم وافترائهم على المشايخ؛ لأنه قد كان من المعلوم أن المبادرة بالتكفير والجراءة على ذلك بغير بينة من الله ولا برهان من طرائق أهل البدع ومذاهبهم. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن مثالب أهل البدع تكفير بعضهم لبعض، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون».

فإذا فهمت هذا وتحققت أن المشايخ لا يكفرون بما دون الكفر من الذنوب والمعاصي؛ تبين لك أن هذه الأمور التي زعموا أن المشايخ ما منعوهم من فعلها إلا أنهم مكفرون لهم بها، كان من المعلوم أنهم

هم الذين يكفرون بها لاعتقادهم أنها كفر ، والمشايخ يبرءون إلى الله من هذا المعتقد ، لأن هذا هو حقيقة مذهب الخوارج الذين يكفرون بما دون الكفر من الذنوب ، وإذا كان هذا هو معتقدهم وكان هذا القول الذي بهتوا به المشايخ ثابتًا عنهم فلا تسأل عنهم وعن معتقدهم ، هذا عين ما نطقوا به وأظهروه علانية إن كان هذا ثابتًا عنهم .

وهذا هو الذي خاف الإمام والمشايخ بمنعهم أن يتجارى بهم هذا الأمر ، ويبثوه في عوام البدو الذين ليس عندهم من المعرفة والعلم إلا ما ألقاه هؤلاء إليهم ، فيصادف قلوبًا خالية من غيره ، فيصعب إخراجه من قلوبهم ، كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

وهذا قد وقع في كثير من البدو ، لا يقبلون إلا ما قاله هؤلاء لهم ، والعاقل يسير وينظر .

والظاهر أنهم في رميهم وبهتانهم المشايخ بأنهم مكفرون ؛ لهم مبرّئون أنفسهم مما هو معلوم بالضرورة بأن ذلك هي حالتهم وسيرتهم كما قيل : «رمتني بدائها وانسلت» .

ثم إن المشايخ -ولله الحمد والمنة- لا يزكون أنفسهم ولا يبرّئونها من الخطأ والزلل والذنوب والمعاصي ، بل هم معترفون بذلك على أنفسهم ، وأنهم مقصرون في الأعمال الصالحات ، والعصمة إنما هي للرسل ، ولكنهم لا يرضون ما يسخط الله من الأقوال والأعمال والغلو

والتجاوز والمجاوزة للحد بغير ما شرع الله ورسوله ، ولا القول على الله بلا علم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المسألة العاشرة : قول السائل : صبحك الله بالخير ، وكيف أصبحت ، وكيف أمسيت؟ هل بين هذه الألفاظ فرق ، وهل فيها مسنون وغير مسنون؟ وما الفرق بين الدعاء والاستفصال؟

والجواب أن نقول : قد كان من المعلوم عند ذوي المعارف والفهوم أن قول الرجل لأخيه المسلم : صبحك الله بالخير ، مسّاك الله بالخير ، دعاء له بالخير .

وأما قوله : كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ فهو سؤال له عن حاله وعن حقيقة ما هو عليه .

وقد أمر الله بدعاء المؤمنين لإخوانهم المؤمنين خصوصًا وعمومًا في كتابه وعلى لسان رسوله ، كما هو معلوم مشهور ، لا ينكره إلا جاهل .

وكان من المعلوم أيضًا أن دعاء المسلم لأخيه المسلم أفضل وأحب إلى الله من السؤال عن حاله ، هذا لا يشك فيه من كان له أدنى ممارسة وإلمام بالعلوم الشرعية ، والفرق بينهما ظاهر ليس به -ولله الحمد- خفاء على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ لأن دعاء المسلم لأخيه المسلم مما أمر الله به . فذنب الناهي عن ذلك خطره عظيم ، نعوذ بالله من القول على الله بلا علم .

وأما قوله: وهل فيها مسنون وغير مسنون؟ فنقول: كل من اللفظين جائز مسنون، ونحن نذكر ما ذكره العلماء في ذلك، وما ورد فيه من الأحاديث.

قال في «غذاء الألباب»: فوائد: الأولى: لا بأس أن يقول لصاحبه: كيف أمسيت؟ وكيف أصبحت؟ قال الإمام أحمد رضي الله عنه لصدقة[١] -وهم في جنازة: يا أبا محمد كيف أمسيت؟ فقال: مساك الله بالخير وقال -أيضًا- للمروذي: كيف أصبحت يا أبا بكر؟ فقال له: صبحك الله بالخير يا أبا عبد الله.

وروى -أيضًا- عبد الله ابن الإمام أحمد رضي الله عنه عن الحسن مرسلًا أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الصفة: **«كيف أصبحتم؟»**.

وروى ابن ماجه بإسناد لين من حديث أبي أسيد[٢] الساعدي أنه -عليه الصلاة والسلام- دخل على العباس فقال: «السلام عليكم» فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال: «كيف أصبحتم؟» قالوا: بخير نحمد الله، كيف أصبحت بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله؟ قال: **«أصبحت بخير أحمد الله»**[٣].

---

(١) هو صدقة بن موسى، صاحب الإمام أحمد. ترجمته في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٧٨)، و«المقصد الأرشد» (٢/ ٤٥١).

(٢) في الأصل: «سعيد» والصواب ما أثبته.

(٣) «سنن ابن ماجه» -كتاب الأدب- باب الرجل يقال له: كيف أصبحت؟ (٢/ ١٢٢٣) قال في «الزوائد»: قال البخاري: مالك بن حمزة بن أبي أسيد =

وروىٰ -أيضًا- عن جابر، قلت: كيف أصبحت يا رسول الله؟ قال: «**بخير من رجل لم يصبح صائمًا ولم يعد سقيمًا**»[(١)] وفيه عبد الله ابن مسلم بن هرمز ضعيف.

وفي حواشي تعليق القاضي الكبير عند كتاب النذور، وأبو بكر البرقاني بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لو لقيت رجلًا فقال: بارك الله فيك، لقلت: وفيك.

قال في «الآداب الكبرىٰ» فقد ظهر من ذلك الاكتفاء بنحو أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ بدلا من السلام، وأنه يرد على المبتدي بذلك، وإن[(٢)] كان السلام وجوابه أفضل وأكمل. انتهىٰ.

قلت ما ذكره في «الآداب الكبرىٰ» من الاكتفاء: بكيف أصبحت وكيف أمسيت، خطأ لمعارضته لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من لفظ السلام، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ وقد قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١] والله أعلم[(٣)].

= الساعدي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ دعا العباس... الحديث، لا يتابع عليه. وقال أبو حاتم: عبد الله بن عثمان شيخ يروي أحاديث مشتبهة. اهـ.

(١) «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٢٢٢) قال في «الزوائد»: في إسناده عبد الله بن مسلم، وهو ابن مؤمن المكي، ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما. اهـ.

(٢) في الأصل: «فإن» والتصويب من «غذاء الألباب» (١/ ٢٨٩).

(٣) بل ما قاله في «الآداب الكبرىٰ» هو الصحيح؛ لأن الابتداء بالسلام سنة ليس بواجب، فإن بدأ بالسلام فهو أفضل وأكمل، وإن لم يبدأ به، بل قال: كيف أصبحت... ونحو ذلك فلا حرج. والله أعلم.

المسألة الحادية عشر: قول السائل: ما الرخص المذمومة المذموم الترخص بها التي قيل فيها من تتبع الرخص تزندق أو كاد؟ فإن أكثر من لدينا إذا سمع ما لم يدره ولا هو على باله عد ذلك رخصة.

فالجواب أن نقول: الرخص المذمومة التي من ترخص بها تزندق هي ما جاء عن العلماء في بعض المسائل في المعاملات: كالربا وكالأنكحة وغيرها، مما اختلف العلماء فيه: كمن ترخص بقول مالك رضي الله عنه بجواز أكل الكلاب والحشرات وغيرها مما حرم الشارع أكله، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية. فمن ترخص بقول مالك في أكل ما عدا هذه المحرمات المذكورات في بعض الآية فقد أخطأ.

وقول بعض العلماء: إنه يجوز للرجل أن يتزوج من النساء تسعًا لقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣].

وقول بعضهم: إذا وجبت الزكاة أن للرجل أن يهب ماشيته أو نقوده قبل أن يحل وقت الزكاة بشهر أو شهرين لزوجه أو بعض أقاربه لئلا تجب فيها الزكاة، فإذا ذهب وقت إخراجها استرجع ماشيته أو نقوده، وهكذا أبدًا يفعل عند وجوب الزكاة.

وكما ترخص بعض الحنفية بقول أبي حنيفة بعدم وجوب الطمأنينة في الصلاة مستدلًا بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ [الحج: ٧٧].

ونظيره دعواهم أن الإيمان واحد والناس فيه سواء، وهو مجرد التصديق، وليست الأعمال داخلة في ماهيته، وإن مات ولم يصل قط في عمره مع قدرته وصحة جسمه وفراغه فهو مؤمن، إلى غير ذلك مما لا يحصى ولا يستقصى مما رخص فيه بعض العلماء بقول متبوعهم.

فإذا أردت مسألة في أمر أو نهي أو معاملة وقد اختلف العلماء فيها بين مانع من ذلك ومرخص في هذه المسألة ومستنده في ذلك حديث ضعيف أو قياس فاسد أو استحسان أو احتياط يخالف ما أصّله العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، فمن ترخص بما ليس عليه دليل شرعي من أقوال من ذكرنا من العلماء في أي مسألة كانت من الفروع ومع من خالفه في النهي عنها الحق والصواب؛ فقد أخطأ لمخالفته ما جاء عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه أو التابعين لهم بإحسان أو من بعدهم من الأئمة المهتدين.

فمن أخذ بشيء من هذه المسائل التي رخّص فيها بعض العلماء من غير دليل شرعي، وقصده في ذلك اتباع ما يهواه، لا ما يحبه الله ويرضاه فقد تزندق، لما في ذلك من المسائل التي جاءت الرخصة فيها عن الشارع -عليه الصلاة والسلام- فالأخذ برخصة الله في ذلك هو الأحب إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تجتنب مناهيه»**[1] أو كما قال.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨) عن ابن عمر.

وإن كان المراد بالترخص ما ظنه بعض الجهال من العوام أو من أفتاهم به من هؤلاء المتعالمين الجهال، الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام، وليس لهم اطلاع على كلام الأئمة الأعلام، وإنما يقولون بأهوائهم أو ما يظنونه باستحسان عقولهم في العقائد في مسائل التكفير التي ذهب الخوارج وغيرهم من أهل البدع من التشديد فيها والتضييق والحرج وعدم التيسير والتسهيل، مما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ومن بعدهم من الأئمة المهتدين من المكفرات التي تخرج من الملة.

فأما ما لا يخرج من الملة كارتكاب ما حرمه الله من الذنوب والمعاصي كالظلم والفسق والكذب وقول الزور وغير ذلك مما كفّر به الخوارج وغيرهم من أهل البدع، كالمسائل التي أجبنا عنها أولًا، فمن زعم أن ما أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون هو الترخص المذموم الذي من فعله فقد تزندق فقد أعظم الفرية على الله ورسوله وعلى ما أجمع عليه الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون.

وأن ما قاله هؤلاء المتعالمون الحيارى المفتونون، والناقصون المنقوصون، هو الحق والصواب؛ لأن فيه تضييقًا وحرجًا على الأمة فقد غلا وتجاوز الحد واتبع غير سبيل المؤمنين -فإن سبيل المؤمنين هو ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبرُّ هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا

وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإظهار دينه، فخذوا بهديهم، واعرفوا لهم فضلهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم، وكذلك ما كان عليه التابعون ومن بعدهم من الأئمة المهتدين.

ومن مسلك سبيل المؤمنين الذي من سلكه كان على الصراط المستقيم ما ذكره الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «المحجة في سير الدلجة» حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الثاني أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير، دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] كما كان النبي ﷺ يقول: **«يسروا ولا تعسروا، إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»**.

وفي «المسند» عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قيل لرسول الله ﷺ: أي الأعمال إلى الله أحب؟ قال: **«الحنيفية السمحة»**[(١)].

وفيه -أيضًا- عن محجن بن الأدرع أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى رجلًا قائمًا يصلي فقال: **«أتراه صادقًا؟»** فقيل: يا نبي الله هذا فلان من أحسن أهل المدينة أو من أكثر أهل المدينة صلاة. فقال: **«لا تسمعه فتهلكه** -مرتين أو ثلاثًا- **إنكم أمة أريد بكم اليسر»**. وفي رواية أخرى له قال: **«إن خير دينكم أيسره»**. وفي رواية أخرى له: **«لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة»**[(٢)]. وخرج حميد بن زنجويه وزاد،

---

(١) «المسند» (١/ ٢٣٦)

(٢) «المسند» (٤/ ٣٣٨)، (٥/ ٣٢).

فقال : «**واكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، الغدوة والروحة وشيء من الدلجة**» . وفي «المسند»[1] عن بريدة ، قال : خرجت فإذا الرسول ﷺ يمشي فلحقته فإذا نحن بين يدي رجل يصلي يكثر الركوع والسجود . قال : «**أتراه يرائي؟**» قلت : الله ورسوله أعلم . قال : من ليده من يدي فجعل يصوبهما ويقول : «**عليكم هديًا قاصدًا ، عليكم هديًا قاصدًا ، عليكم هديًا قاصدًا ، فإنه من شاد هذا الدين يغلبه**» . وقد روي من وجه آخر مرسل ، وفيه أن النبي ﷺ قال : «**إن هذا آخذ بالعسر ، ولم يأخذ باليسر**» ، ثم دفع في صدره فخرج من المسجد ولم ير فيه بعد ذلك . إلى آخر كلامه .

فهذا ما أخبر به رسول الله ﷺ في الأحاديث التي تقدم ذكرها ، وفيها أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير ، دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج : ٧٨] ، وأخبر ﷺ فيما أن أحب الأديان إلى الله ﷻ الحنيفية السمحة ، وأخبر فيها أن من شاد هذا الدين يغلبه . إلى آخر ما ذكر فيها من الأمر بالتيسير وترك التعسير والتكلف والحرج .

فهذا هديه ﷺ وهدي أصحابه وهدي من سلك سبيلهم من المؤمنين . فمن سلك سبيل المؤمنين سلم ونجا ، ومن ترك سبيلهم زاغ وهلك . فإذا تبين لك هذا عرفت أنه هو الحق ، وماذا بعد الحق إلا

---

(١) (٥/ ٣٥٠-٣٦١) .

الضلال؟ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] فمن بلغته هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ ثم زعم أن الأخذ بها من باب الترخص، ومن أخذ بالترخص فقد تزندق، فقد أعظم الفرية على الله، وسلك غير سبيل المؤمنين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وقوله ﷺ: **«القصد القصد تبلغوا»** حثّ على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير، وكذلك كرره مرة بعد مرة.

وفي «مسند البزار» من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«ما أحسن القصد في الفقر، وما أحسن القصد في الغنىٰ، وما أحسن القصد في العبادة»**[1].

وكان لمطرف بن عبد الله بن الشخير ابن قد اجتهد في العبادة فقال له أبوه: خير الأمور أوسطها: الحسنة بين السيئتين، وشر السير الحقحقة. قال أبو عبيد: يعني: أن الغلو في العبادة سيئة، والتقصير سيئة، والاقتصاد بينهما حسنة. قال: والحقحقة: أن يلح في السير، حتىٰ تقوم عليه راحلته وتعطب، فيبقىٰ منقطعًا به سفره». انتهىٰ.

ويشهد لهذا المعنى الحديث عن عبد الله بن عمر مرفوعًا: **«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغّض إلىٰ نفسك عبادة الله،**

---

(١) «مسند البزار» (٧/ ٣٤٩).

فإن المنبتّ لا سفرًا قطع ولا ظهرًا أبقىٰ، فاعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت إلا هرمًا، واحذر حذر امرئ يحذر أن يموت غدًا» أخرجه حميد بن زنجويه وغيره إلىٰ آخر كلامه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

فمن تحقق هذا، وتأمله حق التأمل، ثم رأىٰ بعد ذلك أن طريقة أهل البدع والأهواء من الخوارج والمعتزلة وغيرهم ممن تشدد في هذا الدين، وغلا فيه، وتكلف باجتهاده ورأيه، وسلك طريقة التعسير والتضييق والعنت والحرج، وظن أنها أهدىٰ وأفضل من هدي رسول **الله** ﷺ وأصحابه، وأنها أحسن وأكمل، فقد قام به ناقض من نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وليبك علىٰ نفسه، ويجدد إسلامه، فإنه قد وقع في أمر عظيم، وخطب جسيم.

وهذا ما تيسر من الجواب علىٰ سبيل الاختصار والاقتصاد، و**الله** يقول الحق، وهو يهدي السبيل، وحسبنا **الله** ونعم الوكيل، والحمد **لله** الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا هدانا **الله**، وصلى **الله** وسلم علىٰ أشرف المرسلين وإمام المتقين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد **لله** رب العالمين[1].

* * *

(١) كان الفراغ من تحقيق هذا الكتاب في ٣/ ٦/ ١٤١٦هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

* * *



مقالات صحفية

للشيخ العالم العلامة

عبد الله بن محمد بن حميد

١٣٢٩هـ - ١٤٠٢هـ

اعتنى بنشرها

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذه درر متناثرة ضمت في هذا العقد الجميل، وجواهر متنوعة جمعت ليتمتع برؤيتها أبناء هذا الجيل، سبكتها يد حاذق بهذه الصنعة، مخلص في تسويق هذه السلعة: الشيخ العلامة المحقق عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله تعالى.

وقد احتوت هذه الدرر النفيسة على مقومات الحياة الإسلامية السعيدة، حيث رسمت الطريق إلى الله والدار الآخرة، وأنارته، وعبدَّته، بألفاظ موجزة، وعبارات متناسقة، وجمل مترابطة، كما ألقت الضوء على الآداب والأخلاق التي يجب أن يتحلى المسلمون بها عمومًا، والعلماء منهم خصوصًا، وبجانب ذلك حذرت من سفساف الأخلاق، ورذائل الطباع... فجاءت هذه الرسالة -بحمد الله- مشتملة على خيري الدنيا والآخرة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدرر كانت مشتتة في بطون الصحف والمجلات القديمة، التي عز وجودها، مما حدَّ الانتفاع بها، والاطلاع عليها.

وقد تكرم فضيلة الشيخ محمد بن سليمان بن جراح حفظه الله تعالى بجمع هذه الكلمات، ولم شتاتها، ثم طبعها مجتمعة في عام ١٣٨٣هـ تسهيلًا للنظر فيها والاطلاع، وحفظًا لها من الشتات والضياع.

وبما أن هذه الطبعة ندر وجودها في هذه الأيام، وكثر السؤال عنها من طلبة العلم والعوام، فقد سارعنا إلى إظهارها في ثوب قشيب يسر الناظرين، ويقر عيون المحبين المولعين، راجين الله -تعالى- أن يصلح أعمالنا ونياتنا، وأن يستر عن الأعين خلاتنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى ربه القدير

د. عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

الرياض ٢٩/ ١١/ ١٤٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي وفق من شاء لهدايته فاستعد ليوم معاده، وخذل من أعرض عن ذكره فكان سببًا لطرده وإبعاده، وأصلي وأسلم على رسوله الداعي بالحكمة والموعظة الحسنة إلى سبيل رشاده، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأجناده.

وبعد:

فهذه عشر مقالات قيمة مفيدة مما سبق نشرها في الجرائد لفضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، قد استحسن بعض المحسنين جمعها وطبعها ليعم الانتفاع بها في هذا الوقت الذي جاشت فيه جيوش الزيغ والإلحاد، وكثرت فيه دعاة البغي والفساد، فكادت تجتاح الفضيلة، وتقضي على النشء الجديد بسموم الرذيلة، وهي كما يلي:

١- الأول: مقال بعنوان الصلاة ومكانتها من الدين.

٢- والثاني: نصيحة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- والثالث: كتاب موجه للعلماء.

٤- والرابع: كتاب موجه لأساتذة الكليات والمعاهد.

٥- والخامس: مقال بعنوان التربية والتعليم.

٦- والسادس : كتاب موجه ردًّا على من استحسن القوانين الوضعية .

٧- والسابع : نقد مساواة المرأة بالرجل على ضوء الإسلام .

٨- والثامن : بدعة الاحتفال بالمولد النبوي .

٩- والتاسع : جواب على سؤال حول إثبات وجود الجن .

١٠- والعاشر : مضار الخمر ومفاسدها .

فجزى الله محررها عن الإسلام والمسلمين خيرًا ، وأخذ بيده في تأييد الدعوة الإسلامية ، ونشر عقائد السلف الصالح ، ووفقنا وإياه لما فيه نصر لدينه ، وإعلاء لكلمته ؛ إنه على كل شيء قدير .

محمد بن سليمان الجراح

الكويت ٢١رجب سنة١٣٨٣هـ

ترجمة صاحب الرسائل

هو الإمام العالم العلامة الشيخ : عبد اللَّه بن محمد بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن حسين بن حميد ، ينتهي نسبه إلى بني خالد .

ولد في مدينة الرياض عام ١٣٢٩هـ في رمضان ، وكُفَّ بصرُه في طفولته .

قرأ على الشيخ حمد بن فارس علوم العربية والحديث .

وعلى الشيخ سعد بن عتيق في أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير .

وعلى الشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ محمد بن إبراهيم وغيرهم من العلماء الأجلاء .

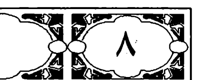
عينه الملك عبد العزيز قاضيًا في الرياض عام ١٣٥٧هـ .

وفي ذي القعدة عام ١٣٦٠هـ عينه الملك عبد العزيز قاضيًا في سدير فسكن المجمعة .

وفي آخر ١٣٦٣هـ تعين قاضيًا في بريدة .

وفي عام ١٣٧٧هـ طلب الإعفاء من منصب القضاء وبقي في بريدة .

وفي عام ١٣٨٤هـ تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام فعينه الملك فيصل رئيسًا لها .



وفي عام ١٣٥٩هـ عينه الملك خالد رئيسًا لمجلس القضاء الأعلى وعضوًا في هيئة كبار العلماء ورئيسًا للمجمع الفقهي وعضوًا في المجلس التأسيسي للرابطة .

له مؤلفات كثيرة منها :

١- الرد على «يسر الإسلام» .

٢- «غاية المقصود» .

٣- «تبيان الأدلة في إثبات الأهلة» .

٤- «هداية الناسك» .

٥- «كمال الشريعة» .

٦- «الإبداع شرح خطبة حجة الوداع» .

٧- «دفاع عن الإسلام» .

٨- «الرسائل الحسان في نصائح الإخوان» ، وهو كتابنا هذا .

وافاه أجله المحتوم مأسوفًا على فقده يوم الأربعاء الموافق ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٤٠٢هـ وصلي عليه في المسجد الحرام ، رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

الصلاة ومكانتها من الدين

نشرت في «مجلة الحج»

بتاريخ : ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ

إن أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلوات الخمس ، كما في «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن عمر وغيره «**بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت**» وللصلاة من المزايا ما ليس[1] لغيرها من سائر العبادات :

منها : أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تولى فرضيتها على رسوله ﷺ بمخاطبته له ليلة المعراج .

ومنها : أن الصلاة أكثر الفرائض ذكرًا في القرآن ، فتارة يخصها بالذكر ، وتارة يقرنها بالزكاة ، وتارة يقرنها بالصبر ، وتارة بالنسك ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ١١٠] ، وقوله ﷻ : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ٤٥] ، وقوله ﷻ : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام١٦٢ : ١٦٣] ، وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] .

---

(١) «ليس» غير موجودة في الطبعة السابقة ، والسياق يقتضيها .

وتارة يفتتح بها أعمال البر ويختمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل، وفي أول سورة المؤمنين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ١١].

ومنها: أن الصلاة أول ما أوجب الله على عباده من العبادات، فإن وجوبها قبل وجوب الزكاة والصيام والحج.

ومنها: أنها أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة، وآخر ما يفقده من دينه.

ومنها: أن وجوبها عام على الذكر والأنثى، والحر والعبد، والغني والفقير، والمقيم والمسافر، والصحيح والمريض، فلا تسقط الصلاة عن المريض ما دام عقله ثابتًا.

ومنها: أنها قوام الدين وعماده فلا يستقيم دين إلا بها، كما في الحديث: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»** فمتى سقط العمود ذهب الدين؛ إذ حظ(١) العبد من الدين على قدر حظه من الصلاة.

---

(١) في الطبعة السابقة «حض-حضه»، والصواب بالظاء كما أثبته ومعناه النصيب كما في القاموس، وأما الحض بالضاد فمعناه الحث.

ومنها : أن الرسول ﷺ اهتم بها اهتمامًا عظيمًا ، فهي آخر ما وصى به أمته عند مفارقته الدنيا ، جعل يقول : **«الصلاة وما ملكت أيمانكم»** .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله في سائر الأمصار : إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها ، حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها أضيع .

ومنها : أن الله أوجبها علينا في اليوم والليلة خمس مرات بخلاف غيرها من بقية الأركان ، فإن منها ما لا يجب في العمر إلا مرة كالحج ، أو في كل سنة مرة كالزكاة والصيام .

وبالجملة ، فأمر الصلاة عظيم ، وشأنها كبير ، فقبول سائر الأعمال موقوف على فعلها ، فلا يقبل الله من تاركها صومًا ولا حجًّا ولا صدقة ولا جهادًا ولا شيئًا من الأعمال ، ولم يكن النبي ﷺ يقبل من أجابه إلى الإسلام إلا بالتزام الصلاة .

فيجب على المسلمين جميعًا من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها ، فعلى أهل القدرة منهم أن يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء والصبيان المميزين ، كما قال النبي ﷺ : **«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع»** .

ويحرم تأخيرها عن وقتها باتفاق العلماء والرجل البالغ إذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس ، أو ترك بعض فرائضها المتفق

عليها فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فمن العلماء من يقول: يكون مرتدًّا كافرًا لا يغسَّل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومنهم من يقول: يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن(١)، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

***

---

(١) الخلاف الذي ذكره الشيخ هو فيمن ترك الصلاة عمدًا كسلًا مع اعتقاده فرضيتها، وأما من جحد وجوبها أو استخف بها فهو كافر مرتد بالإجماع، ويجب على الإمام قتله إن لم يعد إلى الإسلام بعد استتابته وإمهاله ثلاثة أيام، ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، بل يوارى لعدم من يواريه أو ترمى جيفته للكلاب ولا يورث عنه ماله بل يكون فيئًا لبيت المالت. فالواجب على كل مكلف أن يحافظ على تأدية الصلاة في أوقاتها لينجو من الكفر ويخلص من عذاب الله وغضبه، نسأله التوفيق بمنه وكرمه، كتبه ابن جراح.

نصيحة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى كافة إخواننا المسلمين، وفقني الله وإياهم للعمل بما يرضيه، وجنبنا أسباب سخطه ومناهيه، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فلا يخفى ما أصيب به الإسلام والمسلمون من الشرور والفتن والدواهي والمحن... وأن الإسلام قد أدبر وآذن بالوداع، والنفاق قد أشرف وأقبل باطلاع، والإسلام بدأ يرتحل من عقر داره لتقصير أهله، إذ لم يشرحوا للناس محاسنه وفضائله وحكمه وأسراره، ولم يقوموا بالدعوة إليه بغرس محبته في القلوب... بذكر ما تقدم، فإن الآيات القرآنية الدالة على الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة.

والاجتماع المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] تهدمت مبانيه، والائتلاف والتعاون ذهب وذهبت معانيه... فلا حول ولا قوة إلا بالله.

نرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ركن من أركان الإسلام في قول طائفة من العلماء ضعف جانبه، وكثر في الناس مجانبه، وتنوعت مقاصد الخلق وتباينت آراؤهم[١].

---

(١) في الطبعة السابقة «آرائهم».

فالمنكِر للمنكَر في هذه الأزمنة يقول الناس فيه : ما أكثر فضوله ، وما أسفه رأيه ، وربما غمزوه بنقص في عقله ، ومن سكت وأخلد قيل : ما أحسن عقله ، وما أقوىٰ رأيه في معاشرته للناس ومخالطته لهم .

والله قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين ، فأخص أوصاف المؤمنين المميزة لهم عن غيرهم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ورأس الأمر بالمعروف الدعوة إلى الإسلام ، وإرشاد الناس إلىٰ ما خلقوا له ، وتبصيرهم بما دل عليه كتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، وتحذيرهم من مخالفة ذلك .

قال الإمام الغزالي في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة : ٧١] ، وصف الله المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين . انتهىٰ .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] ، ما يدل علىٰ أن الناجي هو الذي ينهىٰ عن السوء دون الواقع فيه والمداهن عليه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الأساس الأعظم للدين ، والمهم الذي بعث الله لأجله النبيين ، ولو أُهمل لاضمحلت الديانة ، وفشت الضلالة ، وعم الفساد ، وهلك العباد .

إن في النهي عن المنكر حفاظ الدين وسياج الآداب والكمالات، فإذا أهمل أو تسوهل فيه تجرأ الفساق على إظهار الفسوق والفجور بلا مبالاة ولا خجل، ومتى صار العامة يرون المنكرات بأعينهم، ويسمعونها بآذانهم، زالت وحشتها وقبحها من نفوسهم، ثم يتجرأ الكثيرون أو الأكثر على ارتكابها.

ولكن يا للأسف استولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، حيث اندرس من هذا الباب عمله وعلمه، وانمحى معظمه ورسمه، واسترسل الناس في اتباع الأهواء والشهوات.

ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للشريعة، وحماية لأحكامها، تدل عليه بعد إجماع الأمة وإرشاد العقول السليمة إليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤]. فدلت الآية الكريمة على عدم صلاحهم بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حيث لم يشهد لهم بذلك إلا بعد أن أضاف إليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد ذم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا

يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨ ، ٧٩] وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد ، فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن السبب للعنهم هو ترك التناهي عن المنكر ، وبين أن ذلك بئس الفعل؟

ولا شك أن من رأىٰ أخاه علىٰ منكر ولم ينهه عنه فقد أعانه عليه بالتخلية بينه وبين ذلك المنكر ، وهو عدم الجد في إبعاد أخيه عن ارتكابه..

قال ابن عباس رضي الله عنه : لعنوا في كل لسان علىٰ عهد موسىٰ في التوراة ، ولعنوا علىٰ عهد داود في الزبور ، ولعنوا علىٰ عهد عيسىٰ في الإنجيل ، ولعنوا علىٰ عهد نبيكم محمد ﷺ في القرآن .

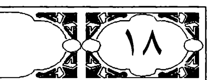
﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣] .

قال القرطبي : وبخ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علماءهم في تركهم نهيهم فقال : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة : ٦٣] ، كما وبخ من سارع في الإثم بقوله : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٩] ، وقال : ودلت الآية علىٰ أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكرات ، فإن الأمة في عهد استقامتها وتمسكها بالسنن لا تطيق أن ترىٰ بين أظهرها عاصيًا ولا معصية ، فإذا رأت شيئًا من ذلك ثارت ثورة الأسد ، ولم تهدأ إلا إذا أذاقت المجرم ما يليق به ، وما يستحق علىٰ قدر جريمته ، تفعل ذلك غيرة علىٰ دينها ، وطلبًا لمرضاة ربها .

والمجرمون إذا رأوا ذلك كفوا عن إجرامهم ، وبالغوا في التستر إذا أرادوا تلويث أنفسهم بما يرتكبون .

فإذا لم تستقم الأمة ، ولم تراعِ سنن دينها ضعفت غيرتها أو انعدمت انعدامًا كليًّا في نفوسها ؛ إذ لو شاهدت ما شاهدت من المعاصي ، إما أن يتحرك بعض أفرادها حركة ضعيفة لا يخاف معها العاصي ، ولا ينزجر عن معصيته ، وإما أن يتفق الجميع على الإغماض عن ذلك العاصي فيفعل ما يشاء بدون خوف ولا خجل ؛ إذ يرفع ذوو الإجرام رءوسهم غير هيابين ولا خجلين من أحد .

ولقد وصلنا إلى حدٍّ ماتت فيه الغَيرة الدينية عند كل أحد ، حتى من يرجى ويظن أنهم حماة الإسلام وأبطال الدين ، مما جعل العصاة يمرحون في ميادين شهواتهم ، ويفتخرون بعصيانهم بدون حسيب ولا رقيب ، ولو شئت لقلت ولا أخشى لائمًا : **نحن في زمن علا فيه واعتز أرباب الرذائل ، وأصبحت الدولة لهم ، وأهل الفضيلة المتمسكون بأهداب دينهم عندما ينكرون على المجرمين إجرامهم يكونون كالمضغة في الأفواه البذيئة ، ترميهم بكل نقيصة ، وأقل ما يقولون : إنهم متأخرون جامدون في بقايا قرون الهمجية ، يبتسمون ويقهقهون ويغمزون بالحواجب والعيون ويخرجون ألسنتهم سخرية واستهزاء بهم ويضحكون من عقولهم ، لما راجت الرذيلة في هذا العصر هذا الرواج .**



وما درى هؤلاء المرذولون أنهم في غاية من السقوط والهمجية التي ليست دونها همجية، لفساد عقولهم وبعدهم عن معرفة أوامر دينهم.

وناهيك لو قام كل منا بما عليه من الدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الناس وعظتهم وتذكيرهم بما فيه صلاحهم واستقامتهم - لاستقر الخير والمعروف فينا، وامتنع فشو الشر والمنكر بيننا ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقد صرح العلماء -رحمة الله عليهم- بأنه يجب على الإمام أن يولي هذا المنصب الجليل والأمر الهام الذي هو في الحقيقة مقام الرسل محتسبًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكون ذا رأي وصرامة، وقوة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة، كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فدلت الآية الكريمة على أنه يجب على المسلمين أن تقوم منهم طائفة بوظيفة الدعوة إلى الخير، وتوجيه الناس، وعظتهم، وتذكيرهم إلى ما فيه صلاحهم واستقامة دينهم، وأن يكونوا على المنهج القويم، والصراط المستقيم.

والمخاطب بهذا كافة المسلمين، فهم المكلفون لا سيما الإمام الأعظم، وأن يختاروا طائفة منهم تقوم بهذه الفريضة الهامة، التي هي أحد أركان الإسلام في قول طائفة من العلماء.

قفا نبك على رسوم الدين والإسلام الذي بدأ يرتحل من بلاده، ولكن يا للأسف على منام القلوب، وقيام الألسنة بالتأول والتأويه على الإسلام بما لا حقيقة له.

لقد انطمس المعنى، وذهب اللب وما بقي إلا قشور ورسوم، واكتفى الكثيرون من الإسلام بمجرد الانتساب إليه بدون أن يعملوا به، ويقوموا بالدعوة إليه تحذيرًا وإنذارًا وأمرًا ونهيًا وتبصيرًا للناس بدينهم بذكر فضله وعظمته وإيضاح أسراره وحكمه، وغرس العقيدة الحقة في قلوبهم، فهذا واجب المسلمين بعضهم لبعض كل على قدر استطاعته ومقدرته.

هذا، وأسأل الله أن يوفق المسلمين وولاة أمورهم لما فيه صلاحهم وصلاح دينهم وأن يجمع كلمتهم على الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى يوم الدين.



كتاب موجه إلى العلماء حفظهم الله

نشرت في «جريدة الندوة» في :

ذي القعدة عام ١٣٧٨هـ

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أيها العلماء الأجلاء ما أصيب به الإسلام من انتقاضه عروة عروة بفشو المنكرات ، وتجرؤ الكثيرين أو الأكثر على ارتكابها ، وزوال وحشتها من النفوس ، وفساد العقيدة مما يلقيه دعاة الغرب من بذور الشبه والشك ، من فساد الأخلاق وظهور البدع التي طغت على السنن ، **كما يقول كثير مدعي الإصلاح الزائف : هذا جمود ، وهذه رجعية ، وإنه يجب التطور مع الزمن والأحداث ، يريدون بذلك نبذ تعاليم الإسلام وعدم تطبيق أحكامه** ، كأن الإسلام بزعمهم هو الذي أخرهم وأقعدهم ، ولم ينتبهوا لدسائس الغرب الذين قالوا هذا القول ، ودعوا إليه ، وكتبوا لأجله الكتابات المختلفة الأساليب ، يريدون أمرًا واحدًا وهو القضاء على الإسلام الذي سطَّر مجدًا خالدًا ، وتاريخًا عظيمًا للمتمسكين به في صدر هذه الأمة .

فقد محوا من الوجود ملك أمتين عظيمتين هما أقوى ملوك وأشدها بأسًا : فارس والروم ، وأخضعوهم لأوامر القرآن ونواهيه ، وامتد سلطان المسلمين إلى البحر الأطلنطي غربًا ، وإلى أقصى الصين

شرقًا ؛ ذلك لأنهم قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأنجز لهم ما وعدهم مجدًا في الدنيا ، وأجرًا في الآخرة .

أيها العلماء الأجلاء : إن الأجانب غزونا في بلادنا غزوًا عظيمًا بانحلال أخلاقنا ، وإضعاف مكانة الدين الإسلامي من قلوبنا ، بما يكتبونه من القصص الغرامية ، والشبه والشكوك التي يلقونها على بني الإسلام ، والتي من شأنها إفساد العقائد الحقة ، فإن العقيدة إذا فسدت وخفت أوامر الإسلام ونواهيه على القلب أصبح مصدرًا لكل رذيلة وانحلال خلقي .

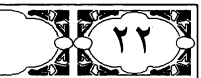
قال بعض الأوربِّيين : إن فن الاحتلال فن عسكري في الأول ، ولكنه فن أخلاقي في الآخر .

أيها العلماء الأجلاء : ما مدح الله أهل العلم بما مدحهم به إلا لأنهم ورثة الأنبياء ، يبلغون الشرائع للناس ، ويوضحون طرق الفلاح والنجاح ، وأسباب السعادة والعزة في هذه الدار ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] ، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

أيها العلماء الفضلاء : لقد علمتم ما قال الله في ذم من لم يقم بواجبه ، ولم يؤدِّ ما عليه لدينه وأمته ، من الدعوة والإرشاد والعظة[1] والتذكير والإنذار بسوء العاقبة ، فإن الآيات في الدعوة أكثر من آيات

---

(١) في الطبعة السابقة : «والعضة» .



الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، دلت الآية الكريمة على وجوب إظهار العلم، وتحريم كتمان شيء من أمور الدين لغرض من الأغراض الفاسدة، والتأويلات البعيدة، ومتى قام العلماء بما عليهم من إرشاد الأمة إلى اتباع كتابها وهديها بإرشاده، وتهذيب أخلاقها بآدابه، وجمع كلمتها حول تعاليمه استقامت أمورها، وانتظمت أحوالها، فتصبح عزيزة الجانب، متكافئة، متضامنة، أمرهم شورى بينهم.

هذا، وإن العلماء -وفقهم الله- يعلمون أن الدعوة إلى الله محفوفة بالمخاطر، محوطة بالأشواك، ومن شأن تلك المخاطر تسرب اليأس إلى النفس فيكون ذريعة عظيمة لتثبيط همة الداعي المرشد، ولكن من الخير والمصلحة أن يحال بين اليأس وبين الداعي المرشد، بما يراه من تلك العقبات التي تعترض الداعي، وتلك الشدائد التي يراها المصلح بأنه لا غنى له عنها، وأنها سنة فيمن سبقه من الدعاة المصلحين كالرسل وأتباعهم.

وتأكد الدعوة واجب متعين في مثل عصرنا هذا الذي فشت فيه المنكرات، وفسدت العقائد، فترك الدعوة والإرشاد أو التقصير فيهما سبب للانحراف عن الدين الذي من شأنه اختلاف الكلمة، وتصدع في الوحدة، وتشتت للشمل، واختلاف في الأمر، ويكون كلٌّ لا همَّ له إلا السعي وراء الغايات الشخصية، ولو كان في ذلك معصية إلهنا،

وضياع لأمتنا وعزتنا ، مع ما انضاف إلى ذلك من تنابذ وشقاق ، وترويج للباطل وتمويه للحقائق ، والله المسئول أن يوفق العلماء والمرشدين للقيام بواجبهم في الدعوة إلى الله ، وعظة الناس ، وتذكيرهم ، وتوجيههم التوجيه الصحيح النافع ، وأن يأخذ بأيدي المسلمين حاكمين ومحكومين إلى ما فيه عزهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة ، وهو الموفق الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

كتاب موجه
لأساتذة الكليات والمعاهد

نشرت في «جريدة حراء» بتاريخ :
٢٧/ ٥/ ١٣٧٨هـ

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى كافة العلماء من أساتذة الكليات والمعاهد وغيرها من مدارس الحكومة ، حفظهم الله ، ونفع بعلومهم ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

تعلمون -وفقكم الله ونفع بكم- أن هذه النابتة المتربية في المدارس على تنوعها هي أمانة تحت أيديكم ، أوجب الله عليكم رعايتها وصيانتها وتعليمها العلوم النافعة ، وتربيتها التربية الصحيحة ، فمتى صحت علومهم واستقامت أنتجت رجالًا مخلصين لدينهم وبلادهم ، والعكس بالعكس .

فإن العقيدة متى اعتراها شيء من الانحراف صارت مصدرًا للأخلاق المرذولة ، ومعالجة مثل هذه أصعب بكثير من الانحراف الناشئ عن طغيان الشهوة وحدها ؛ لأن الأول يستهين ببعض محاسن الأدب بدعوى أنها ليست من الحسن في شيء ، ويخرج عن حدود المكارم بزعم أن هذه الحدود لم تكن حكمه ، والمغلوب للشهوة وحدها قد ينصرف عن الحسنة إلى السيئة معترفًا بخطئه ، وينتهك

حرمة الحق بدون شك منه على أنه ارتكب جريمة، ونصيحة هذا وموعظته والتأثير عليه أيسر وأبلغ من منحرف العقيدة؛ لأن مثل هذا يُصَيِّرُ الحقَّ باطلًا والباطل حقًّا فلا حيلة فيه.

وصلاح الأمة وفلاحها ناتج عن صحة أعمالها، وصحة أعمالها عن صحة علومها، فمتى كانت التربية والتعليم جرت على السنن المستقيمة آدابًا وأخلاقًا فاضلة أنتجت رجالًا ذوي نصح وأمانة، وخبرة ووفاء، وصدق وإخاء، واتحاد في الكلمة، وإذا كان بخلاف ذلك خابت الآمال، وفسد الدين والدنيا، وأصبحوا في جهل وبلاء، وحالة سيئة.

فبالعلوم النافعة الصحيحة يصلح كل شيء، وينتظم كل أمر.

فيا أيها العلماء الأجلاء والأساتذة الفضلاء خذوا بأيدي هذه الناشئة، واهدوهم إلى محاسن الإسلام، وغرس محبته في قلوبهم بشرح محاسنه وفضائله، وبيان ما امتاز به على غيره، فقد رسم أعداء الإسلام خططًا، ووضعوا مناهج لصد بني الإسلام عن الإسلام، وإغرائهم بهذه المدنية الزائفة التي معظمها شر وبلاء، فقد ألفوا في ذلك المؤلفات العديدة، والرسائل الكثيرة بأساليب مختلفة، فإنهم قالوا في تربية النشء الجديد: يجب أن تكون تربيته على العصبية الجنسية، وإحلال خيالها محل الوجدان الديني، وجعلها بدلًا من الأخوة الإيمانية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وفي قوله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى**

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» . وفي قوله ﷺ : **«المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضًا»** .

يريدون أن تكون العصبية الجنسية والوطنية بدلًا من هذه الأخوة الإسلامية ، ليحل مكان الوجدان الديني العصبية الجنسية ، وإن تباينت دياناتهم ، ولجعلها في المثل الأعلى للأمة ، والفخر برجالها المعروفين في التاريخ وإن كانوا من المفسدين المخربين ، لا من الفخر برجال الإسلام من الخلفاء الراشدين ، وغيرهم من أبطال المسلمين الذين شهد لهم التاريخ بالفضل والدين والشجاعة والبطولة والسياسة الحكيمة ، وما زال أعداء الإسلام مجدين في هدمه وتغيير عقائد أهله ، كما قال «مسيو اتين الفرنسي» : إن مقاومة الإسلام بالقوة لا يزيده إلا انتشارًا ، فالواسطة الفعالة لهدمه ، وتقويض بنيانه هي تربية بنيه في المدارس بإلقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد نشأتهم لتفسد عقائدهم من حيث لا يشعرون . اهـ .

فهذا لعلمه قابلية الصغير لما يلقى إليه من العلوم الضارة وغيرها ، ولعدم تمييزه بين الصحيح وغيره ، ولأن الضرر الذي يصعب معالجته هو رفع العقيدة ، فإن زيفها مصدر كل شر وبلاء ، ومصدر للأخلاق الرذيلة .

وانظر إلى ما قاله «زويمر» رئيس إرساليات التبشير ، فقد عقد مؤتمرًا في القرن الماضي حضره دعاة التبشير ، وهذا نص خطابه ليعرف منه مقاصده ومراميه ، قال : «أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين

كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى التوفيق، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه، إني أخبركم أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخفٌّ بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية.

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية -فإن في هذا هداية لهم، وتكريمًا، وإن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أتيتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام الماضية السالفة خير قيام، وهذا ما هنأتكم عليه، وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعًا كل التهنئة، إلى أن قال: إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد، وإنكم أعددتم نشئًا في

ديار المسلمين لا يعرفون الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ، يجود بكل شيء ، إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضي عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب» .

يشير هذا الخبيث إلى الحث على تشكيك المسلمين ، وبقائهم حيارى ، خصوصًا النشء الجديد ، وأنهم إن تعلموا ، أو جمعوا مالًا ، أو تبوءوا مركزًا ما ، ففي سبيل شهواتهم ، ويكونون بعيدين عن معرفة خالقهم ومعبودهم ، وإذا تم لهم ذلك أصبح النشء لا يهتم بأي عظيمة في دينه وأمته ، وهذا مما يمهد الطريق لأغراض المستعمرين لاستملاك الممالك الإسلامية .

وقد قال «زويمر» أيضًا في كتابه «العالم الإسلامي اليوم» : «يجب تبشير المسلمين بواسطة من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم ؛ لأن الشجرة يجب قطعها بأغصانها ، وإن من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين ، وأن هذه العلوم ستزاحم العلوم الإسلامية وتضعفها من نفوسهم» . اهـ .

إن غرض هذا القس وأمثاله كـ «سير هنري» و «جونستون» و«مستر بلس» و«شاتيليه» وأشباههم الذين كتبوا في هذا المعنى إنما غرضهم تربية العقول من عهد نشأتها طبق ما يريدونه من إدخال العلوم الأوربية على العلوم الإسلامية ، وتنميتها في قلوبهم ، لينجذبوا بها إليهم بتعظيمهم وتعظيم آرائهم ، وإخراج المسلم من الإسلام ، أو جعله في حيرة من دينه إلى غير ذلك من الأغراض الفاسدة .

فيجب على العلماء الأجلاء والأساتذة الفضلاء أن يعتنوا بهذا النشء بتحذيرهم من قراءة بعض الكتب والمقالات التي يكتبها بعض تلامذة أوربا المنتسبين إلى الإسلام ، وأن يبينوا لهم عظمة الدين الإسلامي ، وما هو عليه من المحاسن والمزايا التي لا يوجد نظيرها في غيره .

كما أن على الطلاب النجباء إذا لاحت لهم شبهة أو أمر ارتابوا فيه أن يسألوا العلماء من الأساتذة وغيرهم ليكشفوا ما بهم من شبهة ، ويوضحوا ما فيه من إشكال ، وإني معتقد أن الأساتذة الأجلاء قائمون بواجبهم نحو هذه الناشئة فيما يعود عليهم خيره ونقصه في علومهم وأخلاقهم ، بارك الله فيهم ونفع بعلومهم الإسلام والمسلمين ، والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل .

* * *

التربية والتعليم

نشر في «جريدة اليمامة»، بعدد (١٣٠)،

وتاريخ: ٣/ ١/ ١٣٧٨هـ

إن مما لا شك فيه ولا امتراء أن فساد الأمة وصلاحها ناشئ عن حسن تربيتها لأولادها، وتعليمها لهم التربية الحسنة والتعليم النافع، والعكس بالعكس، كما اتفق العقلاء على هذا، فمتى كانت التربية حسنة جارية على السنن المستقيمة والآداب الشرعية والتعليم النافع حسب أوامر الدين وتعاليمه أمرًا ونهيًا واعتقادًا؛ أنتجت تلك التربية والتعليم رجالًا ذوي نصح وأمانة وخبرة ووفاء وصدق وإخاء واتحاد في الكلمة، بهم تستقيم الأمة، فأجدر بهم أن يكونوا غررًا في جبين التاريخ، لأن فلاح الأمة في صلاح أعماله، وصلاح أعمالها في صحة علومها منتج لرجال أمناء مخلصين فيما يعملون، وإذا كانت التربية والتعليم بعكس ذلك خابت الآمال، وفسد الدين والدنيا، وأصبحوا في جهل وبلاء، وفقر وشقاء، وفتنة عمياء، وحالة سيئة.

وهذا مما يعرفه كل عاقل، لأنه أمر معلوم لا يحتاج إلى دليل.

إن الصبي إذا بلغ مبلغ الرجال صارت أعماله وأحواله على مثل ما نشأ عليه وتربى به وتعلمه في الصغر، فهو إنما ينسج على المنوال الذي عرفه في صباه، وقد علم أن أول شيء يقع عليه نظر حديث السن

يأخذ من قلبه المكان الأول ويصادف منه قلبًا خاليًا من الشواغل فينطبع في ذاكرته، ويتمكن منه، ولا يتحول منه إلى غيره غالبًا، ولهذا كان للتعليم سن محدودة -غالبًا- إذا تجاوزها الصبي مهملًا غير متعاهد بالتربية الحسنة والتعليم النافع صار تأديب المؤدب له مما لا فائدة فيه، ومن العبث الذي لا ينجح، ولا يأتي بطائل.

قد ينفع الأدب الأحداث في

وليس ينفعهم من بعده الأدب

فإن تعليم الولد في صغره عبارة عن تغذية روحه بما تتهذب به أخلاقه، وتزكوا شمائله، وتحسن مقاصده، بحيث يكون ميله إلى الخير، ومحبته له، ونفرته من الشر، وبغضه له ملكة ثابتة في نفسه.

وهذه التغذية النافعة إن لم تكن أنفع وأجل من تغذية البدن بما يقوىٰ بها البدن وتنمو بها الأعضاء فليست دونها، مع أن الكمال الإنساني لا يتوقف على بسطة واعتدال البدن التي هي ربما أنها نتيجة التربية الجسدية، فإن من الناس من قوته الأسودان؛ التمر والماء وشيء من خبز شعير ونحوه، ولم يكونوا ممن يتهيأ لهم نفيس المطاعم والمشارب، بل على شظف من العيش وقلة من الدنيا، ومع هذا دانت لهم أعناق الملوك الصيد، وذلت لهيبتهم الأعزة.

أتظن أنهم نالوا ذلك بحسنهم وجمالهم، ونفيس أطعمتهم، أم بوفرة أموالهم وكثرة عَددهم، أم بمتانة عِددهم، أو تفننهم في أساليب السياسة؟ لا والله ما نالوا ذلك إلا بدين وعلم وآداب

وأخلاق فاضلة أخذوها عن رسول الله ﷺ، فبالدين يصلح كل شيء ويستقيم كل معوج.

بغير الدين لا نرجو صلاحًا
بغير الدين لا يحلو البقاء
إذا ما الدين ضيعه بنوه
على الدنيا على الدنيا العفاء

فيا أيها الآباء والمعلمون، ويا أيها العلماء والمسئولون: خذوا بأيدي هؤلاء الشبيبة واهدوهم إلى محاسن الدين بغرس محبته في قلوبهم، وتعظيمه في نفوسهم، بشرح محاسنه وفضائله، وما امتاز به على غيره، فقد رسم أعداء الإسلام خططًا، ووضعوا مناهج لصرف بني الإسلام وإغرائهم بهذه المدنية الزائفة التي معظمها فساد وبلاء.

يا قوم ضعنا وضاع الدين من
لما جعلنا بوجه الدين تشويها

والله المسئول أن يأخذ بأيدي المسلمين جميعًا إلى ما فيه هدايتهم وفلاحهم، وأن يؤيد بهم دينه وشرعه، وهو الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

كتاب في الرد على من استحسن القوانين الوضعية

نشر في «جريدة القصيم» بالعدد (٩٩)،

وتاريخ ٦/ ٦/ ١٣٨١هـ

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى حضرة حَفِظَهُ اللهُ . .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

اطلعت على كلمتكم في صحيفة «القصيم» في عددها (٩٥) وتاريخ: ٨/ ٥/ ١٣٨١هـ تحت عنوان: «مبادؤنا الأصيلة»، ولعلمي بأن هدفكم الحق، ورائدكم الإصلاح، لاحظت على بعض فقرات فيها أحببت تنبيهكم عليها.

فمنها: أنكم ذكرتم أن من الواجب الطبيعي الخوض في هذه الأمور الهامة إلى آخره.

فنفيدكم بأن الطبيعة لا توجب شيئًا، ولا واجب إلا ما أوجبه الشرع فقط.

ثم إنكم علقتم أملكم بأصحاب الفكر والتوجيه، ولو قيدتم ذلك بما تقتضيه الشريعة الإسلامية، أو على الأقل بما لا يخالف الدين الإسلامي لكان هو الواجب.

ثم إنكم وضحتم هذا الأمر المهم الذي توجبه الطبيعة -على حدِّ تعبيركم- وهو نوع النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي لبلادنا، ويلاحظ من هذا حصر الأهمية وشدة الحاجة إلى هذه الثلاث فقط، ولم تذكروا معها أهمية هذا الدين، وشدة الحاجة إلى التمسك به، وإلى فهمه فهمًا صحيحًا، وتطبيقه تطبيقًا شاملًا، فإنه متى فهم وطبق بجميع تعاليمه فإنه كافٍ، بل هو الغاية في حلِّ جميع المشاكل، ومن جملتها النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومنها: قولكم: «الكل يعلم أن باب الاجتهاد مقفول أمام الجميع، باستثناء القلة القليلة التي هي نفسها لا تفعل شيئًا سوى نقل النصوص الفقهية التي كتبت من مئات السنين».

فنقول: إن أريد بالاجتهاد هنا مجاوزة الشريعة، وتخطيها إلى غيرها، ووضع النظم المستمدة من سواها، المأخوذة من الأفكار والعقول التي لا تمشي على الأسس الشرعية، فنعم: هذا مقفول عن كل إنسان يدين بالشريعة المحمدية، ويلتزم بأحكامها لكمالها واستيفائها لكل ما يحتاج إليه، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وإن أريد بذلك الاجتهاد: استنباط الأحكام الشرعية، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتطبيقها على ما يقتضيه الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح فهذا خلاف الواقع؛ فإنه لم يحصر على بعض القلة القليلة كما قلتم، ولله الحمد، بل ولا على طائفة مهما

كثرت، ولا على جيل معين، ولا في زمن مخصوص من حين وفاته ﷺ إلى يومنا هذا، بل أجمع علماء الشريعة على وجوب العمل بما يقتضيه الكتاب والسنة، وقبوله ممن أتى به كائنًا من كان.

وأما قولكم: «باستثناء بعض القلة القليلة» فقد وضحنا أن هذا خلاف الواقع، وأنه لم يحصر على طائفة معينة، وإن كان جمهور الناس أعرضوا عن تعاليم دينهم، والعمل به، ولكن لم يحل بينهم وبينه أحد سوى أنفسهم والشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

نعم، يوجد طوائف وأشخاص تمسكوا بهذا الدين أشد من غيرهم، وهيأهم الله لنصرة دينه، والذب عنه بحسب استطاعتهم امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ولما جاء من أنه يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وفي الحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله تعالى**».

وأما قولكم في هذه القلة: «التي هي نفسها لا تفعل شيئًا سوى نقل النصوص الفقهية» فاعلم أن النصوص الفقهية المستمدة من الكتاب والسنة هي من أفضل ما اشتغل بها، وصرفت الأنفاس في تفهمها، والتفقه أمر مفروض على هذه الأمة، كما قال الله تعالى:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وصح عنه ﷺ أنه قال: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**.

وأما قولكم: «إن هذه القلة لا تأتي بجديد» فهذا الوصف هو الذي جعلهم بهذه المنزلة الرفيعة، وهو الذي جبل القلوب على مودتهم واعتماد أقوالهم، ولو كانوا يأتون بجديد لم تأتِ به الشريعة لضرب بأقوالهم عرض الحائط، ووجب الرد عليهم، ودخلوا تحت قوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**.

وأما قولكم: «بأن هذه النصوص الفقهية مضى عليها مئات السنين» فيفهم منه أن هذا نقص فيها، وهذا في الحقيقة يدل على الكمال التام، فإن مرور مئات السنين عليها دليل على صلاحيتها وحسنها، وأنه لا يستطيع أحد نقضها ولا الاعتراض عليها جملة، وإن قدر وجود أخطاء قليلة فهذا شيء لا يقدح فيها، ولا في أهلها؛ لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء، ولكن العلماء لا يتفقون على خطأ لما ورد عنه ﷺ أن أمته لا تجتمع على ضلالة، فلو قدر وجود خطأ ما من شخص أو طائفة فإن هناك من يبين ذلك الخطأ ويوضح الصواب ويرده إلى الكتاب والسنة لقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

وأما قولكم: «لا بد أن يكون لنا كلمة في شئون ديننا، وأن الدين للجميع، وليس وقفًا على أحد دون الآخر» فهو كما تفضلتم، ولكن لم يقل أحد بذلك، ولا أظن أن يقال هذا.

وأما قولكم: «هل إذا تركت شئون غيري لغيري سوف يهتم بدراسة أحوالي الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من الشئون» إلى آخره.

فنقول: إن جميع ما أشرتم إليه قد أتت به الشريعة الإسلامية، ووضحه علماؤها، ولم يبق شيء مشكل في جميع ما ذكرتم، وقد بينت لنا الأحوال الاجتماعية داخل المنزل وخارجه، فبينت حق الوالد وابنه وما لكل واحد على الآخر، وبينت ما يجب على كل فرد من أفراد الأسرة وما يجب له، وبينت ما للجار وما عليه، وما للقريب وما عليه، وما للغني وما عليه، وما للفقير وما عليه، وما للوالي وما عليه، وما للشعب وما عليه، وما للمسلم وما عليه، وما للكافر وما عليه، ولم تترك شيئًا حتى بينت حق كل واحد من الزوجين على الآخر، وبينت ما عسى أن يقع من خلال بينهما في المستقبل، ولو حشدنا ما ورد في الأحوال الاجتماعية من الشريعة لبلغ منتهى الكثرة.

وكذا الأحوال الاقتصادية لم تقصر في شيء منها، بل أتت بجميع ما يحتاج إليه، فأمرت بالاكتساب، وأمرت بالضرب في الأرض للتجارة، والسعي في مناكبها، والبيع والشراء، والمداينات، والحراثة، والمعاملات، وبينت الحقوق الواجبة في المال، والواجبة له من الحفظ والصيانة، فنهت عن التبذير، ونهت عن التقتير، وأمرت بالاعتدال في ذلك كله إلى غير ذلك مما يطول تعداده.



وكذلك الأحوال السياسية ، فبينت حالات السلام ، وحالات الحرب ، وحالات المعاهدة ، وأحكام الجزية ، وبيان من تؤخذ منه ، ومن لا تؤخذ منه ، ومتى يجوز القتال ، ومتى يمتنع ، ومتى يستحب إلى غير ذلك من الأمور التي لم تأتِ شريعة بما أتت به هذه الشريعة المحمدية ، ولم يبق شأن من الشئون إلا وأعطاه علماء الشريعة العناية الكاملة ، وجميع ما يستحق من البحث ، مستمدين ذلك من تعاليم الإسلام .

لكن يبقى مسألة قد تكون هي المشكلة الوحيدة وهي عدم سؤال الجاهل للعالم والله يقول : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] ، أو عدم الرضا والانقياد لما جاءت به الشريعة والله يقول : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] ، وإلا فلو كان من وجد في نفسه شيئًا من الإشكالات سأل العلماء عنه لوجد عندهم ما يشفي ويكفي ، سواء كانت المسألة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية .

وأما قولكم : «إن التطور والأحداث التي تقع تحتم المبادرة إلى إعادة النظر في جميع أوضاعنا» إلى آخره .

فيقال : ما المراد بالأوضاع؟ هل هو الوضع الديني أو الوضع الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي ، أو يشمل الكلَّ كما يعطيه مدلول كلمة (جميع) فإنه يفهم منها معنى الإحاطة والشمول ، لا سيما حينما وضحتم بالعبارة التالية ، وهي **قولكم :** «إن النظام الأساسي للدولة

كفيل بتحديد كل المعاني التي ننشدها جميعًا ، وأنا أعلم أن هناك من يعتقد أن النظام المذكور إذا وجد فسوف يخالف تعاليم الإسلام وروحه» .

فيالله العجب أنحن في شك من ديننا؟! أنحن في أمر مختلط من وضعنا! أنحن في حيرة من أمرنا؟! أنحن فقدنا كل المعاني من أنفسنا فننشدها كما تنشد الضالة من الحيوان؟! كلا والله ، فإن لدينا شريعة سماوية لم يكن مثلها ، ولا نزل على نبي من الأنبياء نظيرها ، وقد أرشدتنا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، وما نحتاجه في جميع أمورنا .

وأما علمكم بأن هناك من يعتقد أن النظام المذكور يخالف تعاليم الإسلام فهو كذلك كما علمتم ، ولا شك أنه يخالفه ، بل الدين الإسلامي يحارب مثل هذا ، ولا يشك في ذلك مسلم ملتزم بمبادئه الشريفة .

وأما دعوتكم إلى تشكيل هيئة من بلادنا والبلاد الإسلامية الأخرى ورجالًا آخرين إلى آخره ، **فيقال :** إننا لسنا في حاجة إلى هذا ، وقد حصل الاتفاق -ولله الحمد- من جميع علماء الإسلام من حين بعث النبي ﷺ إلى وقتنا هذا ، وهم متفقون كلهم على أن نظامهم ودستورهم هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأنهما كفيلان بكل ما فيه مصلحة البشر من أمري الدنيا والآخرة .

وأما الرجال الآخرون فكأنه يراد بهم غير المسلمين[1] ، فيا للمصيبة ، ويا لعدم الثقة بالمبدأ الشريف أن نأتي بأعدائنا كي يرسموا

---

(١) في الطبعة السابقة : «الغير المسلمين» .

لنا خطة سياسية اقتصادية اجتماعية طالما حاولوها، ونصبوا لنا من أجلها الشباك، وبذلوا فيها الأموال الطائلة، وأتعبوا الأبدان الكثيرة في محاولتها، فنهبها لهم وهبًا بلا مقابل، ونقر أعينهم بها عفوًا بلا تعب، ومن أين لآراء هؤلاء والاتفاق مع الشريعة الإسلامية إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقد تكررت عبارتك بالدعوة إلى القومية العربية، **فنقول**: إنه لا دعوة إلا إسلامية، وإن القومية العربية أو سواها من القوميات متى فارقت الدين ولم تلتزم بما يجب له أنه ينبغي محاربتها أو الابتعاد عنها، حتى ترضح للإسلام وتدين به، وقد قطع الله العلائق والمودة بين المسلم والكافر، ولو كان أقرب قريب كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأما قولكم: «ولا يكفي ننتقد الغير في مبادئهم وأنظمتهم بدون أن يكون لدينا أنظمة أفضل منها نواجههم بها».

فيقال: أليس عندنا من النظم والمبادئ ما هو أفضل وأعلى وأكمل وأشمل من كل نظام على الوجود؟ أليس نظامنا كتاب الله وسنة رسوله؟ أيستوي نظام من نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان، ونظام نزل من حكيم خبير؟ أيستوي نظام في كل عصر يلغى ويبدل ويضلل واضعه، ونظام مضت عليه القرون العديدة وهو يتجدد بذاته؟ أليس عقلاء المستشرقين وبحاثتهم قد أقروا أنه لا يوجد نظام على وجه

الأرض أجمع وأكمل وأحسن من نظام الإسلام؟ ولو سقنا ما بلغنا عنهم لاحتاج إلى صفحات .

مناقبٌ شهد العدو بفضلها
والفضل ما شهدت به الأعداء

وأما قولكم : «نواجههم بها» .

فنقول : لو واجهنا جميع أنظمة العالم بنظامنا ، وجلس الكل مجلس الإنصاف والتجرد من الشهوات النفسانية لأقروا بفضله ، وظهرت لهم عيوب أنظمتهم وتناقضها ، ولصارت أنظمة العالم بأسره كشمعة وقفت أمام الشمس في نحر الظهيرة ، وهذا التنزل للمواجهة على سبيل الفرض والتقدير ، وإلا فالنظام السماوي أعلى وأرفع وأعز من أن يقارن به غيره .

ألم تر أن السيف ينقص قدره
إذا قيل إن السيف أمضى من

وأما هذه الصنائع والعلوم فلم يدركوها بفضل أنظمتهم ، ولكن باجتهادهم في العمل ، فلو أن المسلمين اتبعوا جميع نظامهم ، وعملوا بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء : ٧١] ، وبقوله : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، وبقوله ﷺ : **«استعن بالله ولا تعجزن»** ؛ لأدركوا مرادهم ، وعملوا كغيرهم ، وفاقوهم في العمل ، ولكن لم يعملوا بقدر استطاعتهم ، وأخلدوا إلى العجز والكسل ، وهذا شيء ينهى عنه الشرع ، وإلا فما المانع من أن

نطبق مدلول هذه الكلمة «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لأخراك كأنك تموت غدًا».

وأما ما ذكرتم من أن هذا العصر وقت التنظيم الحديث ليكون الرخاء والتقدم من نصيبنا، فنقول: إن التنظيم الحديث بمعنى المحدث في نظامنا الإسلامي فلسنا في حاجة إليه، فالدين كامل لا يحتاج إلى تجديد، وبكماله كمل لنا كل معنى من المعاني التي نحتاجها، وقد حصل لنا من الرخاء والطمأنينة التي لا توجد في غير بلادنا على حسب ما طبقناه من النظم الشرعية.

وأما التقدم، فإن أريد به الصناعي، فهذا لا يحتاج إلا إلى عمل وجدٍّ، وعدم انهماك في الشهوات، ولم يحصل تقدم لأحد كما حصل لأوائلنا الذين تمسكوا بدينهم حق التمسك، وطبقوا تعاليمه على الوجه الأكمل، فقد سادوا العالم أجمع، فلو طبقناه كتطبيقهم لوصلنا إلى ما وصلوا إليه، ومبادؤنا لا تحتاج إلى صقل وتركيز كما قلتم إنها تحتاج إلى ذلك، فهي الغاية في التركيز، والغاية في الوضوح والبيان، وقد قال ﷺ «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**» والله نسأل أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وصلى الله على من بلغ البلاغ المبين وآله وصحبه وسلم.

* * *

نقد مساواة المرأة بالرجل على ضوء الإسلام

نشرت في كثير من الصحف المحلية السعودية

بيننا اليوم أناس كثير يعتقدون مساواة النساء بالرجال، وأنه يجب لهن ما لهم وعليهن ما عليهم، ولا فرق بين الصنفين في جميع الأحكام؛ لأن النساء شقائق الرجال، ولم يقفوا عند هذا الحد بل أخذوا ينصرون هذا الرأي، ويتعصبون له، مسفهين رأي من خالفهم من أهل الإسلام، كأن القوم لم يعرفوا أوامر الإسلام، ولا قرع آذانهم حكم من أحكامه، فالدين الإسلامي في ناحية وهؤلاء المنتمون إليه في ناحية أخرى، ولا شك أن هذا الرأي رأي خبيث بعيد عن مدلولات الكتاب والسنة، فاسمع الأدلة من الكتاب والسنة على بعض الفوارق بين الرجال والنساء، ومفاضلة الصنف الأول على الثاني:

١ - قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

دلت الآية الكريمة بوضوح على أن الرجل هو القائم على أمر المرأة والمحافظ على حمايتها ورعايتها، لما للرجل من قوة المزاج، والكمال في الخلقة، ولقوة عقله، وصحة نظره في مبادئ الأمور وغاياتها، ولقدرته على التكسب والتصرف في الشئون كلها، ومن ثم كلف الرجال بالإنفاق على النساء، والقيام برئاسة المنزل، والمرأة تقوم بوظيفتها الفطرية وهي الحمل والولادة وتربية الأطفال وهي آمنة في سربها، مكفية ما يهمها من نفقتها ونفقة أولادها.

٢- قوله تعالىٰ : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء : ٣] .

ومن هذه الآية يتضح أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أباح للرجل أن يجمع أربع نسوة ، إذا عرف من نفسه العدل بينهن ، ولا يجوز للمرأة أن يتزوجها أكثر من واحد لما في ذلك من اختلاط الأنساب ، والفساد العريض ، وعدم تمكن المرأة من القيام برغبات رجال متعددين في آنٍ واحد ، إلىٰ غير ذلك مما لا يستقيم معه قيام البيوتات وانتظام العوائل ، فكيف مع هذا يقال بمساواة النساء بالرجال .

٣- قوله تعالىٰ : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء : ١١] ، وقوله : ﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النساء : ١٧٦] .

اتضح من هاتين الآيتين أن للذكر من تركة مورثه مثل ما للأنثيين من أخواته ، والحكمة في ذلك -والله أعلم- أن الرجل يأتي عليه وقت يتزوج فيه فيولد له أولاد ، ونفقة هذه الزوجة وأولئك الأولاد ملزم بها ومطلوبة منه ، في حين أن منزله مقصد للزائرين ، بخلاف الأنثىٰ فإنه يأتي يوم يضمها إليه رجل يتزوجها فيقوم بشئونها والإنفاق عليها وعلىٰ أولادها منه من مأكل ومشرب وملبس ومسكن لا تكلف هي هللة واحدة من مالها الخاص ، ولا يخطر ببال أحد بأن يجعل منزلها مقصده ؛ لما في ذلك من مثار ظنون ، ومهب ريب وشكوك ، فكيف يقال بمساواة المرأة للرجل والحالة هذه؟

٤- قوله تعالىٰ : ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

دلت الآية الكريمة أن الشهادة متىٰ وجد لها رجلان كان أكمل وأحفظ وأضبط ، فإذا لم يكن إلا رجل واحد فلا يقوم مقام الرجل الآخر إلا امرأتان لضعف حفظ المرأة ، وعدم كمال ضبطها ، ولأن الرجل أقوىٰ عقلًا من المرأة كما تدل له الآية ، وكما يؤيده الواقع ، ويشهد له الحس ، في حين أن كثيرًا من الأحكام لا تقبل فيه شهادة النساء كالحدود والقصاص وغيرها ، فكيف مع هذا يقال بمساواة النساء بالرجال؟!

٥- من السنة ما رواه البخاري وغيره من قوله ﷺ في حديث : **«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن . . .»** الحديث .

فهذا نص صريح في نقصان المرأة في عقلها ودينها عن الرجل ، لضرورة أنه لا يتساوىٰ من يصلي بعض حياته بمن يصلي كل حياته ، ولا من يصوم شهر رمضان من أوله إلىٰ آخره بمن لا يصوم إلا البعض ، كما لا تتساوىٰ شهادة الرجل لكمال عقله وقوة ضبطه بمن شهادتها نصف شهادته لضعف عقلها وعدم كمال حفظها ، فمن ساوىٰ بين الرجل والمرأة فقد جنىٰ على الإسلام وسلك سبيل الاعوجاج .

٦- روى أحمد والبخاري وغيرهما من حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لما هلك كسرى قال النبي ﷺ: **من استخلفت فارس عليها؟** قالوا: ابنته، قال: «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**».

فهذا الحديث ينص على أنه لا يجوز أن تكون المرأة في مركز الخلافة، وأن الفلاح منفي عنهم بتولية المرأة، ومتى تخلف الفلاح عنهم قارنهم الخذلان والخيبة، فاتضح أن هذا المنصب الهام مخصوص بالرجال، بل صرح أهل العلم أن المرأة لا يجوز توليتها القضاء، ولا أن تكون إمامة في الصلاة، ولا مؤذنة، ولا خطيبة.

٧- روى الشيخان وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم**».

دل الحديث على منع الخلوة الرجل بالمرأة إلا إذا كان معها محرم من زوج وغيره، والرجل لا خوف عليه إذا خلا به رجل آخر؛ لأنه ليس موضعًا للمعنى الذي من أجله يميل إليه الرجل، بخلاف المرأة فإنه لا يؤمن عليها لقوة الداعي منه ومنها، كما في الحديث الآخر: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا وثالثهما الشيطان**» فكيف يقال بمساواة المرأة للرجل، هذا دعاية أو ريبة قام بها أعداء الإسلام حتى استفحل أمرها، وعظم خطرها، فدعى إليها الكثيرون ممن أظلمت قلوبهم، ولم يشموا رائحة الإيمان من المنتمين إلى الدين الإسلامي.

٨- روى أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها حاضر إلا بإذنه**».

أي إنه لا يجوز للمرأة أن تصوم تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه؛ لأن صومها نفل، وطاعتها له في مقصوده منها فريضة عليها إذ يكون صومها جريمة ارتكبتها لا طاعة مثابة عليها.

٩- جاء في حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**دية المرأة نصف من دية الرجل**»، وهو مجمع عليه بين المسلمين.

فاتضح مما تقدم بطلان قول من قال بأن النساء يساوين الرجال في سائر الأحكام، وهذه الدعاية الشنيعة المخالفة للكتاب والسنة يعرف كلٌّ فسادها ببداهة العقل.

والنصوص الدالة على الفوارق بين النساء والرجال، وعدم مساواة الصنفين كثيرة جدًّا، كحديث: «**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء**»، وحديث: «**ليس على النساء حلق، وإنما يقصرن**»، وحديث: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»، وحديث: «**عليكن بحافات الطريق**»، وحديث: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»، وحديث: «**خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»، وحديث: «**صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها معي**»، وحديث: «**الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعته إلا على أربعة** ذكر منهم المرأة»، وحديث: «**العقيقة عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة**»،



وحديث : «**عتق المرأتين في الفضل يعادل عتق الذكر**» إلى غير ذلك من النصوص التي لا تحصى .

فهل تساوي المرأة الرجل فيما تقدم بيانه في الأحاديث السابقة ، أم يضرب بهذه النصوص عرض الحائط ، ويقال : نحن في القرن العشرين نسير مع العصر ويكفينا مجرد الانتساب إلى الإسلام مع نبذ أوامره ونواهيه ، كما عليه دعاة هذه المذاهب الهدامة ، وقى الله شرهم ، وأراح الإسلام والمسلمين منهم .

هذا ، وأسأل الله أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويوفق الأمة الإسلامية للتمسك بتعاليم دينها الحنيف ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

المولد النبوي الشريف

نشرت في «مجلة الحج» في :

ربيع الأول سنة ١٣٧٦هـ

اعتاد كثير من الناس في مثل هذا الشهر ، شهر ربيع الأول من كل سنة إقامة الحفلات الرائعة لذكرىٰ مولد الرسول ﷺ ، وذلك ليلة الثانية عشرة منه ، قائلين : إنه عبارة عن إظهار الشكر لله ﷻ علىٰ وجود خاتم النبيين وأفضل المرسلين ، بإظهار السرور بمثل اليوم الذي ولد فيه ﷺ ، وبما يكون فيه من الصدقات والأذكار ، فنقول :

لا شك أنه سيد الخلق ، وأعظمهم ، وأفضل من طلعت عليه الشمس ، ولكن لماذا لم يقم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ، ولا الأئمة المجتهدين ، ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية؟ مع أنهم أعظم محبة له منا ، وهم على الخير أحرص ، وعلى اتباعه أشد ، بل كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته ، واتباع أمره ، واجتناب نهيه ، وإحياء سنته ظاهرًا وباطنًا ، ونشر ما بعث به ، والجهاد علىٰ ذلك بالقلب واليد واللسان .

فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، لا في إقامة تلك الحفلات المبتدعة التي هي من سنن النصارىٰ ، فإنه إذا جاء الشتاء في أثناء «كانون الأول» لأربع وعشرين خلت منه بزعمهم أنه ميلاد عيسىٰ عليه الصلاة والسلام أضاءوا في ذلك

الأنوار، ووضعوا الطعام، وصار يوم سرور وفرح عندهم، وليس في الإسلام أصل لهذا، بل الإسلام ينهىٰ عن مشابهتهم، ويأمر بمخالفتهم.

فقد قيل: إن أول من احتفل بالمولد النبوي هو «كوكبوري أبو سعيد بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركماني صاحب إربل» أحدث ذلك في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع، فإنه يقيم الاحتفال ليلة التاسعة علىٰ ما اختاره المحدثون من ولادته ﷺ تلك الليلة، وفارق ليلة الثانية عشرة علىٰ ما قاله الجمهور، فهل كان التركماني ومن تبعه أعلم وأهدىٰ سبيلًا من خيار هذه الأمة وفضلائها من الصحابة ومن بعدهم، في حين أنه لو قيل: إن يوم البعثة أولىٰ بهذا الشكر من يوم الولادة لكان أحرىٰ؛ لأن النعمة والرحمة والخير والبركة إنما حصلت برسالته بنص قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومعلوم أن كل بدعة يتعبد بها أصحابها، أو تجعل من شعائر الدين فهي محرمة ممنوعة؛ لأن الله ﷻ أكمل الدين، وأجمعت الأمة علىٰ أن أهل الصدر الأول أكمل الناس إيمانًا وإسلامًا، فالمقيمون لتلك الحفلات وإن قصدوا بها تعظيمه ﷺ فهم مخالفون لهديه، مخطئون في ذلك إذا ليس من تعظيمه أن تبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل، وحسن النية وصحة القصد لا يبيحان الابتداع في الدين، فإن جل ما أحدثه من كان قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية وقصد، وما زالوا يزيدون وينقصون بقصد التعظيم وحسن النية حتىٰ صارت أديانهم خلاف ما جاءتهم به رسلهم، والله أعلم.

جواب على سؤال حول إثبات وجود الجن

نشرت في «مجلة الحج» ، الجزء الخامس
من السنة الثانية عشرة في : ١٦/ ١١/ ١٣٧٧هـ

«ما قولكم دام فضلكم وكثر النفع بعلومكم عن الجن؟ هل لوجودهم حقيقة أم لا؟ وما حكم من أنكر وجودهم؟ وهل لهم نفوذ في أجسام البشر أم لا؟ لأن بعضهم أنكر ذلك قائلين : إن ما يحدث في بعض الناس من أخلاط في عقل ، وهذيان كلام لا معنى له ، إنما هو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب في عملها منعًا غير تام ، وسببه أخلاط غليظة لزجة تسد منافذ بطون الدماغ سدًّا غير تام ، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه ، وربما كان لأسباب أخرى من شأنها تشنج بعض الأعضاء أو خلل في الأعصاب ، وأن الصرع داء عصبي يعتري المصابين به فيفقدهم حسهم وشعورهم ويصرعهم إلى الأرض ويجعلهم يتخبطون ، وفي بدء حصوله يكون الجسم متوترًا والوجه شاحبًا ، ثم تحدث ارتجافات شديدة ، وانطباق في الفكين ، وخروج زبد من الفم ممزوج بدم ، وتنضم اليدان إحداهما إلى الأخرى ، وبعد مضي بضع دقائق يعود المريض إلى حالته الأولى فيميل للنوم ، فينام ثم يستيقظ كأنه لم يطرأ عليه شيء» .

الجواب : دلت الكتب السماوية على وجود الجن حقيقة ، وأجمع المسلمون عليه ، بل وعقلاء النصارى والمجوس والصابئون ، وهذا أمر معلوم حتى عند جاهلية العرب ، ولم ينكر وجودهم إلا جهلة الأطباء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ، وكذا جمهور الكفار ؛ لأن وجودهم تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالاضطرار ، يعرفه الخاصة والعامة ، قال : ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من الفلاسفة جهلتهم ونحوهم ، وقال : ليس الجن كالإنس في الحد والحقيقة ، فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساويًا لما على الإنس في الحد والحقيقة ، لكنهم شاركوهم في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم بلا نزاع أعلمه بين العلماء» .

وقال ابن حزم في كتابه «الفصل» : ووجود الجن جاءت به النصوص ، وأنهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة ، متناسلة ، يموتون ، وأجمع المسلمون على ذلك ، بل والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود ، وهم يروننا ولا نراهم .

وقال الإمام الماوردي : الجن من العالم الناطق المميز ، يتناسلون ، ويموتون وأشخاصهم محجوبة عن الأبصار وإن تميزوا بأفعال وآثار ، إلا أن يخص الله برؤيتهم من يشاء ، وإنما عرفهم الإنس من الكتب الإلهية ، وما تخيلوه من آثارهم الخفية ، إلى أن قال : فأنكر قوم خلق الجن ، ولم يؤمنوا بالكتب الإلهية ، قهرتهم براهين العقول ، وحجج القياس .

وقال أبو البقاء في «كلياته» : وجمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء قد اعترفوا بوجود الجن ، واعترف جمع عظيم من قدماء الفلاسفة .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» في علاج الصرع ما مثاله: الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه، وأما صرع الأرواح: فأئمتهم وعقلاؤهم يعرفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرية العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فترفع آثارها، وتعارض أفعالها، وتبطلها، وقد نص على ذلك بقراط في كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الاختلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج.

وأما جهلة الأطباء فينكرون صرع الأرواح، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهدان، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها، وقدماء الأطباء يسمون هذا الصرع: المرض الإلهي، وقالوا: من الأرواح.

وقال في «الإقناع» و«شرحه»: والمشهور أن للجن قدرة على النفوذ في بواطن البشر، لقوله ﷺ: **«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»**.

وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا أتي بالمصروع وعظ من صرعه، وأمره ونهاه، فإن انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد ألا يعود، وإن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارقه ضربه حتى يفارقه، والضرب

يقع في الظاهر على المصروع، وإنما يقع في الحقيقة على من صرعه، ولهذا يتألم من صرعه به ويصيح، ويخبر المصروع إذا أفاق بأنه لم يشعر بشيء من ذلك، ولو تتبعنا أقوال العلماء في هذا لكثر جدًّا.

أما حكم منكر الجن فإنهم مكذبون للقرآن العزيز، والسنة النبوية، ومخالفون لما أجمع عليه المسلمون كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وكما في خبر وفد جن نصيبين الذي جاءوا إلى النبي ﷺ فاستمعوا قراءته وآمنوا به وصدقوه.

فظهر مما تقدم إثبات وجود الجن حقيقة، وكفر من أنكر وجودهم، وأن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر، وأن الصرع صرعان: صرع من الأرواح الشريرة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، كما نص عليه كثير من محققي العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

* * *

مضار الخمر ومفاسدها

نشر في «جريدة اليمامة» بعدد :

٣١/ ٩/ ١٣٧٥هـ

حرم الإسلام الخمر تحريمًا قاطعًا، ولم يستثن حالًا من الأحوال، ولا أباحه، ولا أجازه لهضم طعام، ولا رضيه لتقوية شهوة عليه، ولا لإكثار دم في جسم، ولا لغير ذلك، بل عمم التحريم فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقد سأل طارق بن سويد رسول **الله** ﷺ عن الخمر فقال: إنا نضعها للدواء، فقال: **«لكنها داء»**، فأخبر النبي ﷺ بأنه لا دواء فيها، وأثبت ضررها بما فيها من الداء، فكم فيها من رذائل ومفاسد شرحها غير واحد من أطباء الإفرنج وغيرهم، فقد قال «بنتام» الإنجليزي: من محاسن الشريعة الإسلامية تحريم الخمر، فإن من شربها من أبناء إفريقيا يئول أمر نسله إلى الجنون، ومن استدامها من أهل أوربا زاغ عقله، فليحرم شربها على الإفريقين وليعاقب عقابًا صارمًا الأوربيون، وليكن العقاب مقدرًا بمقدار الضرر.

وقال «هنري» الفرنسي في كتابه «خواطر وسوانح في الإسلام»: إن أحدَّ سلاح يُستأصل به الشرقيون، وأمضىٰ سيف يقتل المسلمون هو الخمر وإدخالها عليهم، ولقد جردنا هذا السلاح علىٰ أهل الجزائر

حين دخلناها فأبت شريعتهم الإسلامية أن يتجرعوه، فتضاعف نسلهم، وكثر عددهم، ولو أنهم استقبلونا كما استقبلنا قوم من منافقيهم بالتهليل والترحيب وشربوها لأصبحوا أذلاء لنا، كتلك القبيلة التي تشرب خمرنا، وتحملت إذلالنا.

وقال «كيلوج» الطبيب الأمريكي بمنع التداوي بالخمر؛ إذ بان له أن ضررها في الجسم عند التداوي أكثر من نفعها بالشفاء المؤقت، لما تفعل بالأمعاء وباقي الأحشاء من الضراء، قال: ولما فشت الخمر في بلادنا أغرم بها قوم حتى أخربت البيوت، وأذهبت العقول، ونحن نرقب من الله الخروج من مأزقنا.

وكلام الأطباء من الألمان والروس وغيرهم في الخمر ومضاره وما يترتب عليه من الأدواء أكثر من أن يحصى، ولكن هجمت على المسلمين المدنية الزائفة بخيلها ورجلها، وشاركتهم في الأموال والأولاد، وبهجومها لم يبق للدين في النفوس أثره، ولا في القلوب سطوته فانحسر عن المدن إلى القرى، ثم انحاز إلى الأطراف، وهي تطارد الدين.

ولكن المدنية بلا علم ضلال، والعلم الناقص عناء ووبال، والبلاهة كما قال بعضهم: خير من الفطانة البتراء، والجهلاء أفضل من الأذكياء المغرورين، فإما الدين كله وإما العلم كله، ونحن أخذنا من الديانات أسماءها، ومن العلوم قشورها فخسرنا الصفقتين، وربحنا الرزيتين، وسبقنا المتدينون، وفاتنا من الفرنجة العلماء العاملون، فويل

ثم ويل لمن لا دين له و لا علم ، أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

ثم إن الشاب يصير ضحكة للعقلاء ، فيلعب ببوله وعذرته ، حتى رئي بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .

ورئي بعضهم والكلب يلحس وجهه وهو يقول : أكرمك **الله** . فانظر إلى مطابقة ما قاله هؤلاء الغربيون لما أخبر به النبي ﷺ من أن الخمر ضرر ومفاسد بقوله : **«إنها داء»** .

والله الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله على محمد .

تم بحمد الله

الرياض ٩/ ٩/ ١٤٠٨هـ

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * *

نصيحة مختصرة

في الحث على التمسك بالدين

والتحذير من المدارس الأجنبية

تأليف

العالم العلامة المحقق الفهامة

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

اعتنى بنشرها

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧ هـ - ١٤٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذه وريقات نفيسة، رقمتها يد ناصحٍ للمسلمين، مشفق عليهم، عرف بجهاده المستمر في نشر العلم، وبذله الجزيل في سبيل الخير والبر، وتميز على معاصريه بأفقه الواسع ونظره البعيد، وعلاجه للمشاكل العصرية علاجًا يتناسب مع الزمن ويتفق مع الشرع... هذا الناصح هو: العالم العلامة القدوة الفهامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، رحمه الله رحمة واسعة.

وقد تضمنت هذا الرسالة علاج داء خطير فشا بين الشباب اليوم، هو: الالتحاق بالمدارس الأجنبية للدراسة فيها، وأخذ العلوم عنها.

ولقد انتشر هذا الوباء في أوساطنا حتى رأينا الشباب صرعى من آثاره، تغيرت قيمهم، وساءت أخلاقهم، واختلت موازينهم، بل أعظم من ذلك كله: تركهم الدين بأجمعه، ولزهم عادات وتقاليد آبائهم وأجدادهم.. كل ذلك جناه المسلمون من جراء المدارس الأجنبية..

وإن العجب لا ينقضي من هؤلاء الشباب -هداهم الله- الذين زهدوا في مدارس وطنهم، وآثروا الاغتراب عن أهلهم، مع أن جلوسهم

بين أقاربهم وفي بلادهم : يوفر لهم راحة البال ، ويعصمهم من الزيغ والضلال ، والتطرف والانحلال ، هذا مع وجود المدارس والكليات في بلادنا ، وهي بحمد الله قد بلغت مبلغًا عاليًا في التعليم وطرقه وشموله ، فهي كفيلة بإشباع رغبة الطالب من أي علم شاء وأراد : علم الشرع ، علم الطب ، علم الهندسة . . .

فليتق الله –تعالى– هؤلاء الشباب في أنفسهم ، وليحذروا السفر إلى بلاد الكفر من غير حاجة ملحة ، فإن السفر إلى بلادهم ركون إليهم والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] .

ولعل في هذه الرسالة ما يقنع المبتلين بهذه الظاهرة ، وينور أبصارهم بمفاسد المدارس الأجنبية ، وضررها المتناهي .

والله المسئول المرجو أن يحفظهم وجميع المسلمين من الشرور ومكر الأعداء ، وأن يهدينا جميعًا إلى سواء السبيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد[1] .

كتبه الفقير إلى ربه

د . عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

الرياض ٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ

---

(١) طبعنا هذه الرسالة عن طبعة الحكومة عام ١٣٧٤هـ بالرياض ، وقد قمت بتصحيح ما فيها من الخطأ الطباعي ، وترقيم آياتها ، وتخريج أحاديثها ، والله الموفق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأصلي وأسلم على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد :

فأعظم الفروض على الإطلاق ، وأهم الواجبات ، وأكبر وسائل السعادة الدينية والدنيوية – ما عاد إلى إصلاح العقائد الصحيحة ، وتوسل به إلى حفظ الأخلاق الحميدة ، وحفظ به الدين والدنيا ، وقامت به المصالح ، واستقام به المجتمع ، وذلك كله راجع إلى طاعة الله ، وطاعة رسوله المتضمن تصديق الله ورسوله في كل خبر ، وامتثال الأمر ، واجتناب النهي ، فمن صدق الله ورسوله ، وامتثل أمر الله وأمر رسوله ، واجتنب ما نهى الله عنه ورسوله – أصلح الله بذلك دينه ودنياه ، ومن أخل بشيء من ذلك اختلت أموره ، وحضره شقاه .

وأصل ذلك وأساسه الإيمان الصادق الصحيح ، بأن نؤمن أن الله ربنا الذي أوجدنا من العدم ، وربانا وأنعم علينا بجميع النعم الظاهرة والباطنة ، ويسر لنا جميع ما ينفعنا في ديننا ودنيانا ، وصرف عنَّا كل ما يضرنا ، وأمرنا بسلوك الوسائل النافعة ، وحذرنا من سلوك ما يضرنا في ديننا ودنيانا ، فإذا اعترفنا بكمال ربوبيته لنا ، وتربيته ، وجب علينا أن نشكره على ذلك بعبادته وحده لا شريك له ؛

بأن نقرَّ ونعترف أنه الرب الكامل من جميع الوجوه، وأنه المتفرد بالوحدانية والألوهية، كما أنه المتفرد بالربوبية، ونخلص له أعمالنا وأقوالنا، وبذلك أمرنا، ولذلك خلقنا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ونقوم بحقوقه الواجبة والمستحبة، وحقوق خلقه، وبالقيام بالأمرين تتم النعمة، ويحصل الخير والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] فرتب الرحمة وهو حصول كل خير على طاعته وطاعة رسوله، وذلك يرجع إلى عبادته وحده لا شريك له، والإحسان إلى خلقه، وبالقيام بالأمرين يتم الدين كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[1].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «سننه» (٧/ ١٥٧)، من طريق الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة** . . .».

وأخرجه الترمذي في «سننه» من طريق ابن عجلان . . . به، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن ابن عمر وتميم الداري وجرير وحكيم بن أبي يزيد عن أبيه وثوبان .اهـ.

قلت: حديث تميم الداري أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان (١/ ٧٤) من طريق سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: «**الدين النصيحة**، قلنا: لمن؟ قال: . . .».

=

فمن نصح لله ؛ بعبادته وحده لا شريك له ، ولكتابه ؛ في فهمه والعمل به ، ولرسوله ؛ بالإيمان به ومحبته وتقديم طاعته على طاعة كل أحد ، ولأئمة المسلمين : بمعاونتهم على البر والتقوى وطاعتهم وعدم غشهم ، ولعامة المسلمين : بأن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه ، ويسعى بحسب استطاعته بكل مصلحة تنفعهم .

من قام بهذه الأمور فقد كمل دينه ومن ضيع ذلك أو ضيع شيئًا منه ضاع منه دينه بحسب ما ضيع .

***

= قال الإمام النووي -رحمه الله تعالى وعفا عنه : وهذا الحديث من أفراد مسلم ، وليس لتميم في صحيح البخاري عن النبي ﷺ شيء ، ولا له في مسلم عنه غير هذا الحديث . اهـ .

تنبيه : وقع في بعض نسخ «الأربعين النووية» نسبة الحديث إلى صحيح مسلم بلفظ : «**الدين النصيحة**» ثلاثًا ، والصحيح أن لفظ مسلم ليس مكررًا كما هو في النسخ المعتمدة من «الأربعين النووية» كالمطبوعة في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٢هـ .

فصل

ومن أعظم ما يعين على الدين والدنيا الاعتصام بحبل الله، وبالأخوة الإيمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ: **«وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره»**(١).

وكذلك بالارتباط بين الراعي والرعية، من الراعي الشفقة على رعيته، والحنو عليهم، والقيام بالعدل بينهم، وإعانتهم على مصالح دينهم ودنياهم، ومن الرعية محبة ولاتهم، والذبُّ عنهم، ولزوم طاعتهم، والتحذير من غشهم وإثارة الفتن عليهم، والنصيحة لهم بحسب الإمكان، فمع حصول هذين الأمرين من الراعي والرعية تصلح الأحوال، وتستقيم الأمور، ويستعين الجميع على مصالح دينهم ودنياهم، ويتعاونون على البر والتقوى، وباختلال الأمرين أو أحدهما تختل الأمور، ويحصل الضرر في الدين والدنيا، ويطمع الأعداء فيهم.

فإن الراعي إذا لم يكن شفيقًا على رعيته رحيمًا، ولم يكن مقيمًا بالعدل قائمًا به، ولم يهتم بشأنهم – نفرت منه الرعية، وجرى منهم ما لا ينبغي.

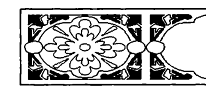
---

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب(٤/ ١٩٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره...»**.

والرعية إذا لم تقم بواجبها من السمع والطاعة ، والنصح لولاتهم : عوقبوا بعقوبات دينية ودنيوية ، كما هو مشاهد محسوس .

فلا أعظم لقيام الأمور ؛ دينها ودنيويها ، من تعاونِ الجميع على البر والتقوىٰ ، وقيام الألفة بين الناس ، والعلم الحقيقي بأن المصالح كلها مشتركة ، والسعي لها من جميعهم بحسب الإمكان ، فهذا أصل كبير مهم لا تتم الأمور كلها إلا به .

* * *



فصل

ومن الأصول العظيمة المهمة لصلاح الدين والدنيا : السعي في إصلاح التعليم ، وإصلاح الأخلاق ؛ لهذا يجب العناية التامة في جميع المدارس والمعاهد والتعاليم الابتدائية والنهائية في تعاليم الدين ، وفي تطبيق أخلاق الدين على المعلمين والمتعلمين ، فلهذا أثره الفعال في حسن نتائج التعليم ، وحصول ثمراته الدينية والدنيوية .

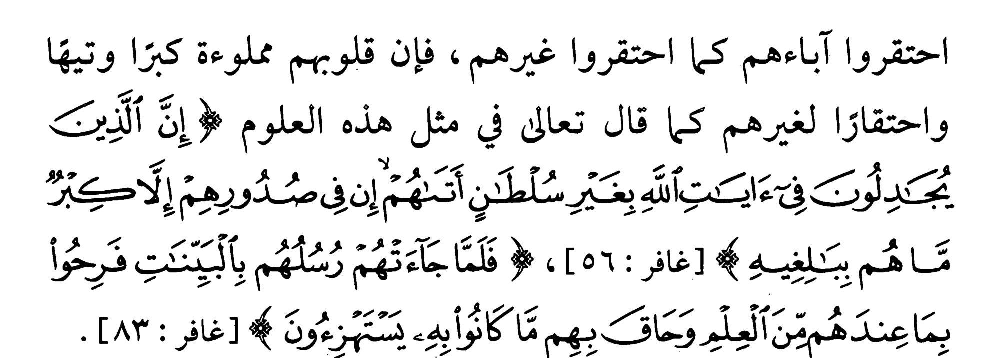
فتعاليم الدين إذا جعلت هي الأساس والأصل في التعليم ، ثم طبقت التعاليم الأخر عليها ، وأنها من وسائلها ومما يعين عليها ، وكلها ترجع إليها ، فإن الدين يهدي ويرشد للتي هي أقوم وأصلح من جميع العلوم التي تفيد الناس في دينهم ودنياهم ، ويستغنون بها عن الأجانب .

ويعلم بذلك غلط من قصر نظره وعلمه ، وضعفت بصيرته ، حتى قدح في علوم الكون ، وفي العلوم العصرية النافعة ، وأعظم منه غلطًا من قبل جميع ما قيل إنه علوم عصرية نافعها وضارها ، خيرها وشرها ، فإن الواجب التمييز بين العلوم العصرية النافعة التي لا تؤثر في العقائد الدينية آثارًا ضارة ، وبين العلوم العصرية التي سلكت ما لا سبيل لها إليه من النظريات الخاطئة الباطلة ، المبنية على الجهل والضلال ، وعلى خلاف المعلوم من دين الرسل ، فكم لهذه العلوم الضارة من الآثار والنتائج القبيحة ، وكم أهلكت من ضعفاء البصائر ،

ومن لا معرفة لهم بالدين من أمم ، وكم كان المشتغلون بها أعداء لدينهم وقومهم وأوطانهم ، وسلاحًا للأعداء عليهم .

لهذا يجب الحذر والتحذير من دخول المدارس الأجنبية التي تدرس فيها هذه العلوم الضارة ، وخصوصًا لمن لا معرفة لهم تامة في الدين ولا بصيرة لهم فيه ، فكيف يرضى من عنده دين وعقل أن يضع ولده وفلذة كبده ويسلمه لمدارس أجنبية قد عُلم عداؤها لدين الإسلام ، بل لجميع الأديان ، ولم تؤسس إلا لصد الناس عن دين الله وتوحيده؟

كيف يسلم العاقل موليه وهو خالي الذهن من التعاليم الدينية ، ومن الأخلاق المرضية إلى هؤلاء الذين يحشون ذهنه بالإلحاد والتشكيكات؟ والله يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم : ٦] أي بتعليمهم ما ينفعهم ، وتهذيب أخلاقهم ، فمن لم يعلمهم العلوم الدينية ، ولم يقومهم بالأخلاق والآداب المرضية ، فإنه لم يمتثل ما فرض الله عليه من جهتهم ، فكيف مع هذا إذا سعى في تعليمهم العلوم الضارة ، والأخلاق الرذيلة ، فهذا من أعظم الناس جرمًا ، وأقلهم دينًا ، وأكبرهم إثمًا ، بل ومن أضعفهم عقلًا ، فإن الأولاد أكبر مغنم ومكسب للإنسان فكيف يرضى عاقل أن يفوت هذا المغنم ، ويخسر أولاده خسارة لا تجبر ، فإن الإنسان إنسان بدينه وأخلاقه ، فإذا ذهب الدين والأخلاق صار أضل من الأنعام ، وربما وجد هؤلاء الآباء الذين رضوا لأولادهم التعلم في المدارس الأجنبية نموذج ما عملوه معهم معجلًا : ربما



احتقروا آباءهم كما احتقروا غيرهم، فإن قلوبهم مملوءة كبرًا وتيهًا واحتقارًا لغيرهم كما قال تعالى في مثل هذه العلوم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر : ٥٦]، ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [غافر : ٨٣].

وهذا مشاهد، فإنك تجد كثيرًا ممن يتخرجون من المدارس الأجنبية المؤسسة على الدعوة لدينهم عندهم من الكبر واحتقار غيرهم، حتى آبائهم ومن يجب عليهم احترامه، ويزعمون أنهم عرفوا ما لم يعرفوا، وأنهم أهل المعرفة والعلم، وغيرهم أهل الجهل والأمية، وهم مع ذلك أجهل الخلق بعلوم الدين، وبالعلوم النافعة التي ترفع أهلها في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة : ١١].

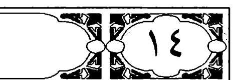
فأخبر -تعالى- أن الرفعة الحقيقية في الدنيا والآخرة هي لمن جمع بين العلم والإيمان الصحيح، فهؤلاء الآباء الذين وضعوا أولادهم في المدارس الأجنبية قد خسروا دينهم ودنياهم، ولا بد أن يجدوا بعض جزائهم في الدنيا قبل الآخرة، فويل لهم من الجهتين، ويل لهم مما أهملوهم وضيعوهم من علوم الدين وأخلاقه وأعماله، وويل لهم من جنايتهم الكبرى إذ وضعوهم بين يدي أعداء الدين، يلقون عليهم ما يريدون، حتى أخرجوهم من الدين، فما ظنك بطفل أو ضعيف البصيرة إذا سلمه أهله ووضعوه بين يدي معلم قد علمت عداوته للدين، وحرصه الشديد إلى الدعوة إلى مذهبه وإلحاده.

والحامل لوليه على هذا ضعف الدين وضعف البصيرة ، والجهل الشديد ، ويظن بجهله أنه بذلك ينال المراتب الدنيوية ، والوظائف الراقية ، وهذا جهل فاضح ، فإن المراتب الدنيوية ، والرياسات لا تتوقف على التعاليم بهذه المدارس ، وكثيرًا ما تكون حائلًا عن ذلك ، كما كانت حائلًا عن الدين ، ولو فرض وقدر حصول ما يؤملون من نيل الوظائف فلا خير في مراتب لا تنال إلا بذهاب الدين والأخلاق .

فاتقوا الله في أولادكم ، فإنهم أمانات عندكم ، لا يحل لكم أن تضيعوهم ، ولا تهملوهم ولا يحل لكم أن تضعوهم في مدارس تهلك دينهم وأخلاقهم ، ويتبع ذلك فساد الدنيا واختلال الأحوال ، فلا بد أن تسألوا عن أولادكم ، وعما عملتم معهم .

فانظروا -رحمكم الله- ماذا تجيبون عن هذا السؤال ، هل تقولون : يا ربنا حفظنا فيهم الأمانة ، وبذلنا ما نستطيع نحوهم من العناية والصيانة ، فربيناهم بالعلوم الدينية ، ولاحظناهم بالآداب المرضية ، وحفظناهم من كل ما يعود عليهم بالضرر في دينهم ودنياهم ، فإن كان هذا صدقًا فأبشروا بالرحمة والرضوان ، وبالثواب العاجل والآجل ، ولكم الهناء والتهنئة بهؤلاء الأولاد الصالحين الأذكياء البارين ، الذين ينفعونكم في أمور الدين والدنيا .

وإن كان الجواب بعكس هذا الجواب فبشراكم بالخيبة والخسران ، ويا ويحكم من الحسرة والندم ، قد فاتكم المطلوب ، وحصل لكم كل شر ومرهوب ، وغضب عليكم علام الغيوب ، قد خسرتم دنياكم



وأخراكم ، وفاتكم رشدكم وتوفيقكم وهداكم ، فيا حسرة المفرطين ، ويا فضيحة المجرمين .

لقد كان لكم في مدارس مملكتكم غنية كبرى عن سفركم إلى المدارس المنحرفة التي لا تعود عليكم إلا بكل شر .

ومن نعمة الله على أهل الجزيرة سلامتهم من البدع ، ولزومهم لمذهب السلف ، واعتقادهم الصحيح وعافيتهم -ولله الحمد- من مذهب الماديين الملحدين ، وسعي حكومتهم الحثيث في فتح المدارس المتنوعة : الابتدائية والنهائية ، وعنايتهم في علوم الدين ، واختيار الأساتذة من خيرة الوطنيين وخيرة الأزهريين ، وحرصهم على تعليمهم وهم في بلادهم وبين أهلهم ، حرصًا على مصالحهم ، وصونًا لعقائدهم عن الدخول والالتحاق بالمدارس الأجنبية التي ضررها كبير على الدين والعقائد والشعب والبلاد ، وبذلهم الأموال الطائلة في سبيل هذا التعليم ، وتنشيط المعلمين والمتعلمين بكل وسيلة ، أليس هذا من أكبر نعم الله عليكم ، وأياديه الجزيلة الواصلة إليكم ، فاحمدوا الله على هذه النعم ، وأقبلوا عليها بجد واجتهاد ، فإن فيها أكبر غنية عن مدارس الماديين أهل الإلحاد .

والحكومة -ولله الحمد- لا تزال تحث المعلمين على العناية التامة في علوم الدين وأخلاقه ، وتلاحظهم في ذلك ، وتضم إلى علوم الدين جميع العلوم التي تعين عليه ، ويتوصل به إليه ، من أنواع علوم العربية ، وكذلك علوم الكون التي يطلق عليها الكثير من الناس العلوم

العصرية ، التي يتوصلون بها إلى المنافع والمصالح الكثيرة ، وتقتصر منها على كل ما فيه نفع للناس في دينهم ودنياهم ، وكذلك تضم إليها المدارس الحربية ؛ مدارس الدفاع التي القصد منها : حفظ البلاد ، وعز الدين والدنيا ، وبها قيام الجهاد ، وكل هذه المدارس لا تزال تترقى في كل وقت من كمال إلى أكمل ، وقد ظهر من نتائجها وثمراتها ما شاهده الناس .

والحكومة لا تزال ملحة في إدخال جميع التحسينات إليها ، وأولتها كل اهتمام ، فنسأل الله العظيم أن يوفق الجميع حكومة وشعبًا للتعاون على البر والتقوى ، وأن يجمع القلوب على الخير والإقبال على كل مصلحة وصلاح ، إنه جواد كريم .

إخواني المسلمين ، أحذركم غاية التحذير من المدارس الأجنبية التي لم تؤسس إلا شرَكًا ومصائد يصطادون بها كل من تعلم فيها ، ويلقونه في هوة الهلاك ، وإذا أردتم أن تعرفوا حق المعرفة نتائجها الوخيمة ، وعواقبها الذميمة ، فانظروا حالة المتعلمين بها ، فإنهم لا يزالون في تردٍ من سوء إلى أسوأ منه ؛ لأنها تنهج لهم منهجًا مرسومًا على الغاية التي يريدونها ، فإنها تعمل على التحلل من الدين ، ومن جميع تقاليده وأخلاقه ، وأخلاق أمته ، وشعائره الدينية ، وفضائله السامية ، وتمسخ الجيل المتعلم بها مسخًا مشوهًا ، تربى المتعلمين تربية تضعف عقولهم ، وتسلب أخلاقهم ، وتتمسك بأهداب الغرب المادية ، وإنها حرية أن تنتج جيلًا يحيا في عزلة تامة عن كل ما يربطه بدينه



وتاريخه المجيد ، فهي دائبة على المحو من أذهان التلاميذ كل طابع وصلة بدينهم وأمتهم ، فهي لا تزال تنفث في عقولهم السموم القتالة لعقائدهم وأخلاقهم ، وتفضي بالعقول الصغيرة إلى الشك والتشكيك والإلحاد ، ولا تزال تنفخ في عقولهم روح التعظيم لأعدائهم ، والإعجاب بهم والتعبد لهم ، وهذه سلسلة عظيمة من سلاسل الاستعمار ، يجرون به النشء المطاوع لهم إلى كل خلق رذيل ، ويبعدونهم عن كل خلق جميل .

ومضار المدارس الأجنبية لا يمكن إحصاؤها ، فنسأل الله أن يوفق المسلمين شعبًا وحكومة على مقاومتها ، والحذر والتحذير عنها بكل ممن ، وأن يكون لهم من براهين دينهم ما يقاومون به كل شبهة وشك وتشكيك ، ولا شك أن هذا من أعظم الجهاد وأفرضه ، والله الموفق ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

قال ذلك وكتبه

الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي

حرر في ٥ ذي القعدة ١٣٧٤هـ

الموضوع	**الصفحة**

❋ ❋ ❋

الدُّرَّةُ المُخْتَصَرَةُ
في
مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلامِيِّ

تأليف الشّيْخ
عبد الرّحمن بن ناصِر بن سعْدي
١٣٠٧ هـ - ١٣٧٦ هـ
رحمهُ الله تعالى

اعتنى بنشرِها
فضِيلة الشّيخ الدّكتور
عبد السّلام بن برجس العبد الكريم
رحمهُ الله
١٣٨٧ هـ - ١٤٢٥ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة نرجو بها النجاة يوم نلقاه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي اصطفاه ربه واجتباه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فإن الله سبحانه أسبغ على عباده كثيرًا من الآلاء والنعم ، ودفع عنهم أعظم الرزايا والنقم ، وأمرهم أن يمسكوا زمام النعم بالشكر ، وحذرهم من تضييعها بالمعاصي والكفر ، فإن شكروا زادت وربت ، وإلا زالت وارتحلت .

وإن أجل نعمة وهبها الله عباده المؤمنين : نعمة الاهتداء إلى دين الإسلام الذي حرمه أكثر أهل الأرض ، فضاقت بهم الأرض بما وسعت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، فأصبحوا في عيشة ضنكة ، يتخللها الحزن الدائم ، والقلق المستمر ، والفراغ القاتل : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤] .

ولقد أدرك الرعيل الأول من هذه الأمة فضل الإسلام ، وما اشتمل عليه من مبادئ ونظم كفيلة بتوفير السعادة التامة ، والسيادة

العامة ، فاعتنقوه وآمنوا به ، وبذلوا أنفس ما يملكون في سبيل نشره وتوطيده ، عند ذلك مكنهم الله تعالىٰ في الأرض ، وأخضع لهم ملوكها وجبابرتها ، وجعل لهم العزة والدولة والهيمنة .

ثم لم يزل المسلمون يضعفون في جانب الإسلام عقيدة وعملًا ، ويتقاعسون عن نصرته شيئًا فشيئًا ، إلىٰ يومنا هذا الذي لا مثيل له في انصراف الناس عن دينهم ، وتكالبهم علىٰ دنياهم ، وتوددهم لأعدائهم ، حتىٰ صدق علىٰ زمنهم قول قائلهم :

والشر قد نتأت رءوس صلاله
والخير تنهشه الرماح الشرع
والدين منصدع الجوانب ضارع
والحق مضطهد النصير مضيع
وهراء كل مدجل ومخرف
ينكي القلوب وللرءوس يصدع
ومنابر التضليل يفترعونها
جهرًا فتهتز الجهات الأربع

وقد جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : إنما تنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية .

وهذا الأثر يدعو المسلم إلى الاطلاع علىٰ أحوال أهل الجاهلية

الجهلاء قبل الإسلام، وما كانوا عليه من مستوىً منحط في جميع المجالات دينية ودنيوية.

ويدعوه -أيضًا- إلى النظر في محاسن دين الإسلام الحنيف، وما امتاز به من سهولة ويسر، وما يدعو إليه من محاسن الأخلاق، وما ينهىٰ عنه من سفسافها، وما يربي عليه أبناءه من صدق المعاملة بينهم وبين ربهم، وبينهم وبين أهليهم وأقاربهم.

فإذا نظر المسلم في هذه القيم والمثل التي يدعو الإسلام إليها، وينشئ أتباعه عليها، وقارن بينها وبين ما عليه الناس قبل ظهور الإسلام علم أنه الدين الصحيح، فانساق إليه بجميع حواسه، وبذل في سبيله كل وسعه، ووقف نفسه وماله وأهله في نصرته والذب عنه.

ولقد أدرك العلماء أهمية الكتابة عن مزايا هذا الدين، وبيان فضائله ومحاسنه، ومن أجمع وأنفع ما رأيته في هذا الموضوع رسالة الشيخ العالم العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة فإنها رسالة عظيمة القدر والشأن، جمعت علىٰ صغر حجمها محاسن الدين الإسلامي بألطف وأوضح وأجمل عبارة.

فهي جديرة بأن تقرأ على المنابر، وفي مجامع الناس، حتىٰ يعم النفع بها، وتحصل الفائدة المرجوة منها، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.



وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

كتبه الفقير إلى ربه القدير

د. عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

٦/ ٧/ ١٤٠٩هـ الرياض

---

(١) طبعنا هذه الرسالة عن الطبعة الأولى في مطبعة أنصار السنة المحمدية، عام ١٣٦٦هـ في حياة المؤلف رحمه الله تعالى.

تنبيه: كانت الطبعة السالفة عام ١٤٠٩هـ تحمل عنوان: «من محاسن الدين الإسلامي»، وهذا خطأ صدر منا سهوًا، والعنوان الصحيح هو ما أثبته في هذه الطبعة، فوجب التنبيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أكمل الأديان وأفضلها، وأعلاها وأجلها، وقد حوى من المحاسن والكمال والصلاح والرحمة والعدل والحكمة ما يشهد لله تعالى بالكمال المطلق، وسعة العلم والحكمة، ويشهد لنبيه ﷺ أنه رسول الله حقًّا، وأنه الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

فهذا الدين الإسلامي أعظم برهان، وأجل شاهد لله بالتفرد بالكمال المطلق كله، ولنبيه ﷺ بالرسالة والصدق.

وغرضي من هذا التعليق إبداء ما وصل إليه علمي من بيان أصول محاسن هذا الدين العظيم؛ فإني وإن كان علمي ومعرفتي تقصر كل القصور عن إبداء بعض ما احتوى عليه هذا الدين من الجلال والجمال والكمال، وعبارتي تضعف عن شرحه على وجه الإجمال، فضلًا عن التفصيل في المقال، وكان ما لا يدرك جميعه ولا يوصل إلى غايته

ومعظمه ، فلا ينبغي أن يترك منه ما يعرفه الإنسان لعجزه عما لا يعرفه ، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] .

وذلك أن في معرفة هذا العلم **فوائد متعددة :**

منها : أن الاشتغال في هذا الموضوع الذي هو أشرف الموضوعات وأجلها من أفضل الأعمال الصالحة ، فمعرفته والبحث عنه ، والتفكير فيه ، وسلوك كل طريق يحصل إلى معرفته خير ما شغل العبد به نفسه ، والوقت الذي تنفقه في ذلك هو الوقت الذي لك لا عليك .

ومنها : أن معرفة النعم والتحدث بها قد أمر الله به ورسوله ، وهو من أكبر الأعمال الصالحة ، ولا شك أن البحث في هذا اعتراف وتحدث وتفكر في أجل نعمه سبحانه على عباده : وهو الدين الإسلامي الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه ؛ فيكون هذا التحدث شكرًا لله ، واستدعاء للمزيد من هذه النعمة .

ومنها : أن الناس يتفاوتون في الإيمان وكماله تفاوتًا عظيمًا ، وكلما كان العبد أعرف بهذا الدين وأشد تعظيمًا له وسرورًا به وابتهاجًا كان أكمل إيمانًا ، وأصح يقينًا ، فإنه برهان على جميع أصول الإيمان وقواعده .

ومنها : أن من أكبر الدعوة إلى دين الإسلام شرح ما احتوى عليه من المحاسن التي يقبلها ويتقبلها كل صاحب عقل وفطرة سليمة .

فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون حقائقه، ويبينون للخلق مصالحه، لكان ذلك كافيًا كفاية تامة في جذب الخلق إليه، لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلى التعرض لدفع شبه المعارضين، والطعن في أديان المخالفين.

فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح، والبراهين الموصلة إلى اليقين.

فإذا كشف عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داع إلى قبوله ورجحانه على غيره.

واعلم أن محاسن الدين الإسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع، وليس القصد هنا استيعاب ذلك وتتبعه، فإنه يستدعي بسطًا كثيرًا، وإنما الغرض ذكر أمثلة نافعة يستدل بها على سواها، وينفتح بها الباب لمن أراد الدخول، وهي أمثلة منتشرة في الأصول والفروع، والعبادات والمعاملات.

فنقول مستعينين بالله، راجين منه أن يهدينا، ويعلمنا، ويفتح لنا من خزائن جوده وكرمه ما تصلح به أحوالنا، وتستقيم به أقوالنا وأفعالنا.

* * *

المثال الأول

دين الإسلام مبني على أصول الإيمان المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فهذه الأصول العظيمة التي أمر الله عباده بها هي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وهي محتوية على أجل المعارف والاعتقادات، من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه على ألسنة رسله، وعلى بذل الجهد في سلوك مرضاته.

فدينٌ أصله الإيمان بالله، وثمرته السعي في كل ما يحبه ويرضاه، وإخلاص ذلك لله، هل يتصور أن يكون دين أحسن منه وأجل وأفضل؟

ودين أمر بالإيمان بكل ما أوتيه الأنبياء، والتصديق برسالاتهم والاعتراف بالحق الذي جاءوا به من عند ربهم، وعدم التفريق بينهم، وأنهم كلهم رسل الله الصادقون، وأمناؤه المخلصون، يستحيل أن يتوجه إليه أي اعتراض وقدح.

فهو يأمر بكل حق، ويعترف بكل صدق، ويقرر الحقائق الدينية المستندة إلى وحي الله لرسله، ويجري مع الحقائق العقلية الفطرية النافعة،

ولا يرد حقًّا بوجه من الوجوه ، ولا يصدق بكذب ، ولا يروَّجُ عليه الباطل ، فهو مهيمن على سائر الأديان .

يأمر بمحاسن الأعمال ، ومكارم الأخلاق ، ومصالح العباد ، ويحث على العدل والفضل والرحمة والخير ، ويزجر عن الظلم والبغي ومساوئ الأخلاق ، ما من خصلة كمال قررها الأنبياء والمرسلون إلا وقررها وأثبتها ، وما من مصلحة دينية ودنيوية دعت إليها الشرائع إلا حث عليها ، ولا مفسدة إلا نهى عنها وأمر بمجانبتها .

والمقصود أن عقائد هذا الدين هي التي تزكو بها القلوب ، وتصلح الأرواح ، وتتأصل بها مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال .

* * *

المثال الثاني

شرائع الإسلام الكبار بعد الإيمان : هي إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام .

تأمل هذه الشرائع العظيمة ، وجليل منافعها ، وما توجبه من السعي في مرضاة الله ، والفوز بثوابه العاجل والآجل .

وتأمل ما في الصلاة من الإخلاص لله ، والإقبال التام عليه ، والثناء والدعاء والخضوع ، وأنها من شجرة الإيمان بمنزلة الملاحظة والسقي للبستان ، فلولا تكرر الصلاة في اليوم والليلة ليبست شجرة الإيمان ، وذوىٰ عوده ، ولكنها تنمو وتتجدد بعبوديات الصلاة .

وانظر إلىٰ ما تحتوي عليه الصلاة من الاشتغال بذكر الله الذي هو أكبر من كل شيءٍ ، وأنها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر .

وانظر إلىٰ حكم الزكاة وما فيها من التخلق بأخلاق الكرام ، من السخاء والجود ، والبعد عن أخلاق اللئام ، والشكر لله علىٰ ما أولاه من الإنعام ، وحفظ المال من المنغصات الحسية والمعنوية ، وما فيها من الإحسان إلى الخلق ومواساة المحتاجين ، وسداد المصالح المحتاج إليها .

فإن في الزكاة دفع حاجة المضطرين المحتاجين ، وفيها الاستعانة على الجهاد والمصالح الكلية التي لا يستغني عنها المسلمون ، وفيها دفع صولة الفقر والفقراء ، وفيها الثقة بخلف الله ، والرجاء لثوابه ، وتصديق موعوده .

وفي الصوم من تمرين النفوس على ترك محبوبها ، الذي ألفته حبًّا لله ، وتقربًا ، وتعويد النفس وتمرينها على قوة العزيمة والصبر .

وفيه تقوية داعي الإخلاص ، وتحقيق محبته على محبة النفس ؛ ولذلك كان الصوم لله ، اختصه لنفسه من بين سائر الأعمال .

وأما ما في الحج من بذل الأموال ، وتحمل المشقات ، والتعرض للأخطار والصعوبات ، طلبًا لرضا الله ، والوفادة على الله ، والتملق له في بيته وفي عرصاته ، والتنوع في عبوديات الله في تلك المشاعر التي هي موائد مدها الله لعباده ووفود بيته .

وما فيها من التعظيم والخضوع التام لله ، والتذكر لأحوال الأنبياء والمرسلين ، والأصفياء والمخلصين ، وتقوية الإيمان بهم ، وشدة التعلق بمحبتهم .

ومافيها من التعارف بين المسلمين ، والسعي في جمع كلمتهم ، واتفاقهم على مصالحهم الخاصة والعامة مما لا يمكن تعداده ، فإنه من أعظم محاسن الدين ، وأجل الفوائد الحاصلة للمؤمنين .

وهذا على وجه التنبيه والاختصار .

* * *

المثال الثالث

ما أمر به الشارع وحث عليه من وجوب الاجتماع والائتلاف، ونهيه وتحذيره عن التفرق والاختلاف.

على هذا الأصل الكبير من نصوص الكتاب والسنة شيء كثير.

وقد علم كل من له أدنى معقول منفعة هذا الأمر، وما يترتب عليه من المصالح الدينية والدنيوية، وما يندفع به من المضار والمفاسد.

ولا يخفى -أيضًا- أن القوة المعنوية المبنية على الحق، هذا أصلها الذي تدور عليه.

كما أنه قد علم ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام من استقامة الدين، وصلاح الأحوال، والعزة التي لم يصل إليها أحد سواهم؛ إذ كانوا مستمسكين بهذا الأصل، قائمين به حق القيام، موقنين أشد اليقين أنه روح دينهم.

يزيد هذا بيانًا وإيضاحًا:

المثال الرابع

إن دين الإسلام دين رحمة وبركة وإحسان، وحث على منفعة نوع الإنسان.

فما عليه هذا الدين من الرحمة، وحسن المعاملة، والدعوة إلى الإحسان، والنهي عن كل ما يضاد ذلك هو الذي صيره نورًا وضياء بين ظلمات الظلم والبغي، وسوء المعاملة، وانتهاك الحرمات.

وهو الذي جذب قلوب من كانوا قبل معرفته ألد أعدائه، حتى استظلوا بظله الظليل.

وهو الذي عطف وحنا على أهله، حتى صارت الرحمة والعفو والإحسان يتدفق من قلوبهم على أقوالهم وأعمالهم، وتخطاهم إلى أعدائه، حتى صاروا من أعظم أوليائه؛ فمنهم من دخل فيه بحسن بصيرة وقوة وجدان، ومنهم من خضع له ورغب في أحكامه وفضلها على أحكام أهل دينه، لما فيها من العدل والرحمة.

* * *

المثال الخامس

دين الإسلام هو دين الحكمة، ودين الفطرة، ودين العقل والصلاح والفلاح.

يوضح هذا الأصل: ما هو محتوٍ عليه من الأحكام الأصولية والفروعية، التي تقبلها الفطر والعقول، وتنقاد لها بوازع الحق والصواب، وما هي عليه من الإحكام، وحسن الانتظام، وأنها صالحة لكل زمان ومكان.

فأخباره كلها حق وصدق، لم يأت ويستحيل أن يأتي علم سابق أو لاحق بما ينقضها أو يكذبها، وإنما العلوم الحقة كلها تؤازرها وتؤيدها، وهي أعظم برهان على صدقها.

وقد حقق المحققون المنصفون أن كل علم نافع ديني أو دنيوي أو سياسي فقد دل عليه القرآن دلالة لا ريب فيها.

فليس في شريعة الإسلام ما تحيله العقول، وإنما فيه ما تشهد العقول الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه.

وكذلك أوامره ونواهيه كلها عدل لا ظلم فيها، فما أمر بشيء إلا وهو خير خالص أو راجح، وما نهى إلا عن الشر الخالص، أو الذي مفسدته تزيد على مصلحته.

وكلما تدبر اللبيب أحكامه ازداد إيمانًا بهذا الأصل، أو علم أنه تنزيل من حكيم حميد.

المثال السادس

ما جاء به هذا الدين من الجهاد، والأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر.

فإن الجهاد الذي جاء به مقصود به دفع عدوان المعتدين على حقوق هذا الدين، وعلى رد دعوته.

وهو أفضل أنواع الجهاد، لم يقصد به جشع ولا طمع ولا أغراض نفسية.

ومن نظر إلى أدلة هذا الأصل، وسيرة النبي ﷺ وأصحابه مع أعدائهم، عرف بلا شك أن الجهاد يدخل في الضروريات، ودفع عادية المعتدين.

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كان لا يستقيم هذا الدين إلا باستقامة أهله على أصوله وشرائعه، وامتثال أوامره التي هي الغاية في الصلاح، واجتناب نواهيه التي هي شر وفساد، وكان أهله ملتزمين لهذه الأمور، ولكيلا تزين لبعضهم نفوسهم الظالمة التجري على بعض المحرمات، والتقصير عن أداء المقدور عليه من الواجبات، وكان ذلك لا يتم إلا بأمر ونهي بحسب ذلك -كان ذلك من أَجَلِّ محاسن الدين، ومن أعظم الضروريات لقيامه، كما أن في ذلك تقويم المعوجين من أهله وتهذيبهم، وقمعهم عن رذائل الأمور، وحملهم على معاليها.

وأما إطلاق الحرية لهم -وهم قد التزموه ودخلوا تحت حكمه وتقيدوا بشرائعه- فمن أعظم الظلم والضرر عليهم، وعلى المجتمع، خصوصًا الحقوق الواجبة المطلوبة شرعًا وعقلًا وعرفًا.

* * *

المثال السابع

ما جاءت به الشريعة من إباحة البيوع ، والإجارات ، والشركات ، وأنواع المعاملات التي تتبادل فيها المعاوضات بين الناس في الأعيان والديون والمنافع وغيرها .

فقد جاءت الشريعة الكاملة بحل هذا النوع ، وإطلاقه للعباد ، لاشتماله على المصالح في الضروريات والحاجيات والكماليات ، وفسحت للعباد فسحًا صلحت به أمورهم وأحوالهم ، واستقامت معايشهم .

وشرطت الشريعة في حل هذه الأشياء الرضا من الطرفين ، واشتمال العقود على العلم ، ومعرفة المعقود عليه ، وموضوع العقد ، ومعرفة ما يترتب عليه من الشروط .

ومنعت من كل ما فيه ضرر وظلم من أقسام الميسر والربا والجهالة .

فمن تأمل المعاملات الشرعية رأى ارتباطها بصلاح الدين والدنيا ، وشهدلله بسعة الرحمة وتمام الحكمة ، حيث أباح سبحانه لعباده جميع الطيبات ، من مكاسب ومطاعم ومشارب ، وطرق المنافع المنظمة المحكمة .

* * *



المثال الثامن

ما جاءت به الشريعة من إباحة الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وغيرها .

فكل طيب نافع فقد أباحه الشارع من أصناف الحبوب والثمار ، ولحوم الحيوانات البحرية مطلقًا ، والحيوانات البرية ، ولم يمنع من هذا إلا كل خبيث ضار على الدين أو العقل أو البدن أو المال ؛ فما أباحه فإنه من إحسانه سبحانه ، ومحاسن دينه ، وما منعه فإنه من إحسانه ، حيث منعهم مما يضرهم ومن محاسن دينه ، حيث إن الحسن تابع للحكمة والمصلحة ، ومراعاة المضار .

وكذلك ما أباحه من الأنكحة ، وأن للعبد أن ينكح ما طاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع ، لما في ذلك من مصلحة الطرفين ، ودفع ضرر الجانبين .

ولم يبح للعبد الجمع بين أكثر من أربع حرائر لما يترتب على ذلك من الظلم وترك العدل .

مع أنه حثه عند خوف الظلم ، وعدم القدرة على إقامة حدود الله في الزوجية على الاقتصار على واحدة ؛ حرصًا على نيل هذا المقصود .

وكما أن الزواج من أكبر النعم ومن الضروريات ؛ فإباحة الطلاق كذلك خشية عيشة الإنسان مع من لا تلائمه ولا توافقه ، واضطراره للبقاء في ضنك الحال ، وشدة العسر : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [النساء : ١٣٠] .

المثال التاسع

ما شرعه الله ورسوله بين الخلق من الحقوق التي هي صلاح وخير وإحسان وعدل وقسط وترك للظلم .

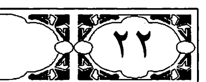
وذلك كالحقوق التي أوجبها وشرعها للوالدين ، والأولاد ، والأقارب ، والجيران ، والأصحاب ، والمعاملين ، ولكل واحد من الزوجين على الآخر .

وكلها حقوق ضروريات وكماليات ، تستحسنها الفطر والعقول الزاكية ، وتتم بها المخالطة ، وتتبادل فيها المصالح والمنافع ، بحسب حال صاحب الحق ومرتبته .

وكلما تفكرت فيها رأيت فيها من الخير وزوال الشر ، ووجدت فيها من المنافع العامة والخاصة ، والإلفة وتمام العشرة ما يشهدك أن هذه الشريعة كفيلة بسعادة الدارين . وترى فيها هذه الحقوق تجري مع الزمان والمكان والأحوال والعرف ، وتراها محصلة للمصالح ، حاصلًا فيها التعاون التام على أمور الدين والدنيا ، جالبة للخواطر ، مزيلة للبغضاء والشحناء .

وهذه الجمل تعرف بالاستقراء والتتبع لها في مصادرها ومواردها .

* * *



المثال العاشر

ما جاءت به الشريعة من انتقال المال والتركات بعد الموت، وكيفية توزيع المال على الورثة.

وقد أشار تعالى إلى حكمة ذلك بقوله: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١]، فوضعها الله بنفسه بحسب ما يعلمه من قرب النفع، وما يحب العبد عادة أن يصل إليه ماله، وما هو أولى ببره وفضله، مرتبًا ذلك ترتيبًا تشهد العقول الصحيحة بحسنه، وأنه لو وكل الأمر إلى آراء الناس وأهوائهم وإراداتهم لحصل بسبب ذلك من الخلل والاختلال وزوال الانتظام وسوء الاختيار ما يشبه الفوضى.

وجعل الشارع للعبد أن يوصي في جهات البر والتقوى بشيء من ماله فيما ينفعه لآخرته، وقيد ذلك بالثلث فأقل لغير وارث؛ لئلا تصير الأمور التي جعلها الله قيامًا للناس ملعبة يتلاعب بها قاصرو العقول والديانة عند انتقالهم من الدنيا، أما حالهم في حالة صحة الأجسام والعقول، فيما يخشونه من الفقر والإفلاس مانع لهم من صرفه فيما يضرهم غالبًا.

* * *

المثال الحادي عشر

ما جاءت به الشريعة الإسلامية من الحدود وتنوعها بحسب الجرائم .

وهذا لأن الجرائم والتعدي على حقوق اللَّه وحقوق عباده من أعظم الظلم الذي يخل بالنظام ، ويختل به الدين والدنيا ، فوضع الشارع للجرائم والتجرئات حدودًا تردع عن مواقعتها ، وتخفف من وطِئَتِها ، من القتل ، والقطع ، والجلد ، وأنواع التعزيرات .

وكلها فيها من المنافع والمصالح الخاصة والعامة ما يعرف به العاقل حسن الشريعة ، وأن الشرور لا يمكن أن تقاوم وتدفع دفعًا كاملًا إلا بالحدود الشرعية التي رتبها الشارع بحسب الجرائم قلة وكثرة ، وشدة وضعفًا .



المثال الثاني عشر

ما جاءت به الشريعة من الأمر بالحجر على الإنسان عن التصرف في ماله إذا كان تصرفه مضرًّا به أو بغيره .

وذلك كالحجر على المجنون والصغير والسفيه ونحوهم ، والحجر على الغريم لمصلحة غرمائه .

وكل هذا من محاسن الشريعة ، حيث منعت الإنسان من التصرف في ماله الذي كان في الأصل مطلق التصرف فيه ، ولكن لما كان تصرفه ضرره أكثر من نفعه وشره أكبر من خيره حجر عليه الشارع حجرًا للتصرفات في ميدان المصالح ، وإرشادًا للعباد أن يسعوا في كل تصرف نافع غير ضار .



المثال الثالث عشر

ما جاءت به الشريعة من مشروعية الوثائق التي يتوثق بها أهل الحقوق .

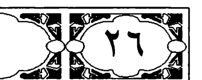
وذلك كالشهادة التي تستوفى بها الحقوق ، وتمنع التجاحد ، ويزول بها الارتياب .

وكالرهن ، والضمان ، والكفالة ، التي إذا تعذر الاستيفاء ممن عليه الحق رجع صاحب الحق إلى الوثيقة التي يُستوفى منها .

ولا يخفى ما في ذلك من المنافع المتنوعة ، وحفظ الحقوق ، وتوسيع المعاملات ، وردها إلى القسط والعدل ، وصلاح الأحوال ، واستقامة المعاملات .

فلولا الوثائق لتعطل القسم الأكبر من المعاملات ، فإنها نافعة للمتوثق ، ونافعة لمن عليه الحق من وجوه متعددة معروفة .

* * *



المثال الرابع عشر

ما حث الشارع عليه من الإحسان الذي يكسب صاحبه الأجر عند الله والمعروف عند الناس ، ثم يرجع إليه ماله بعينه أو بدله ، فيكون مكسب هذا النوع أجل المكاسب دون أن يلحق صاحبه ضرر .

وذلك كالقرض ، والعارية ، ونحوهما .

فإن في ذلك من المصالح ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وحصول الخير والمبرات ، ما لا يعد ولا يحصىٰ .

وصاحبه يرجع إليه ماله ، وقد استفاد من ربه أجرًا جزيلًا ، وبذر عند أخيه إحسانًا وجميلًا ، مع ما يتبع ذلك من الخير والبركة ، وانشراح الصدر ، وحصول الألفة والمودة .

وأما الإحسان المحض الذي يعطيه صاحبه مجانًا ولا يرجع إليه ، فقد تقدمت الإشارة إلىٰ حكمته في الزكاة والصدقة .

* * *

المثال الخامس عشر

الأصول والقواعد التي جعلها الشارع أسسًا لفصل الخصومات ، وحل المشكلات ، وترجيح أحد المتداعيين على الآخر .

فإنها أصول مبنية على العدل والبرهان ، واطراد العرف ، وموافقة الفطر ، فإنه جعل البينة على كل من ادعى شيئًا أو حقًّا من الحقوق ، فإذا أتى بالبينة التي ترجح جانبه وتقويه ثبت له الحق الذي ادعى به ، ومتى لم يأت إلا بمجرد الدعوى حلف المدعى عليه على نفي الدعوى ، ولم يتوجه للمدعى عليه حق .

وجعل الشارع البينات بحسب مراتب الأشياء ، وجعل القرائن المبينة والعرف المطرد بين الناس من البينات .

فالبينة اسم جامع لك ما يبين الحق ويدل عليه .

وجعل عند الاشتباه وتساوي الخصمين طريق الصلح العادل المناسب لكل قضية طريقًا إلى حل المشكلات والمنازعات .

فكل طريق لا ظلم فيه ولا يدخل العباد في معصية الله ، وهو نافع لهم ، فقد حث عليه إذا كان وسيلة إلى فصل الخصومات ، وقطع المشاجرات .

وساوى في هذا بين القوي والضعيف ، والرئيس والمرءوس في جميع الحقوق .

وأرضى الخصوم بسلوك طرق العدل ، وعدم الحيف .



المثال السادس عشر

ما جاءت به الشريعة من الأمر بالشورىٰ ، والثناء على المؤمنين بأن جميع أمورهم الدينية والدنيوية الداخلية والخارجية شورىٰ بينهم .

وهذا الأصل الكبير قد أجمع العقلاء على استحسانه ، وعلىٰ أنه هو السبب الوحيد في سلوك أصلح الأحوال ، وأحسن الوسائل لحصول المقاصد وإصابة الصواب ، وسلوك طرق العدل .

وأنه أرقىٰ للأمم العاملة عليه في تحصيل كل خير وصلاح ، وكلما ازدادت معارف الناس ، واتسعت أفكارهم عرفوا شدة الحاجة لهذا ، ومقداره .

ولما كان المسلمون قد طبقوا هذا الأصل في صدر الإسلام علىٰ أمورهم الدينية والدنيوية كانت الأمور مستقيمة ، والأحوال في رقيٍّ وازدياد ، فلما انحرفوا عن هذا الأصل ما زالوا في انحطاط في دينهم ودنياهم ، حتىٰ وصلت بهم الحال إلىٰ ما ترىٰ ، فلو راجعوا دينهم في هذا الأصل وغيره لأفلحوا ونجحوا .

* * *

المثال السابع عشر

أن هذه الشريعة جاءت بإصلاح الدين، وإصلاح الدنيا، والجمع بين مصلحة الروح والجسد.

وهذا الأصل في الكتاب والسنة منه شيء كثير، يحث الله ورسوله على القيام بالأمرين، وأن كل واحد منهما ممد للآخر، ومعين عليه.

والله تعالى خلق الخلق لعبادته، والقيام بحقوقه، وأدر عليهم الأرزاق، ونوع لهم أسباب الرزق، وطرق المعيشة ليستعينوا بذلك على عبادته، وليكون ذلك قيامًا لداخليتهم وخارجيتهم.

ولم يأمر بتغذية الروح وحدها وإهمال الجسد.

كما أنه نهى عن الاشتغال باللذات والشهوات، وتقوية مصالح القلب والروح[1]. ويتضح هذا في أصل آخر، وهو هذا:

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: وأمر بتقوية مصالح . . .

المثال الثامن عشر

إن الشرع جعل العلم ، والدين ، والولاية ، والحكم متآزرات متعاضدات .

فالعلم والدين يقوِّم الولايات ، وتنبني عليه السلطة والأحكام .

والولايات كلها مقيدة بالعلم والدين الذي هو الحكمة ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الصلاح والفلاح والنجاح .

فحيث كان الدين والسلطة مقترنين متساعدين فإن الأمور تصلح كما أن الأحوال تستقيم .

وحيث فصل أحدهما عن الآخر اختل النظام ، وفقد الصلاح والإصلاح ، ووقعت الفرقة ، وتباعدت القلوب ، وأخذ أمر الناس في الانحطاط .

يؤيد هذا أن العلوم مهما اتسعت ، والمعارف مهما تنوعت ، والاختراعات مهما عظمت وكثرت فإنه لم يرد منها شيء ينافي ما دل عليه القرآن ، ولا يناقض ما جاءت به الشريعة .

فالشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، وإنما يأتي بما تشهد العقول الصحيحة بحسنه ، أو بما لا يهتدي العقل إلى معرفته جملة أو تفصيلًا ، وهذا ينبغي أن يكون مثالًا آخر ، وهو :

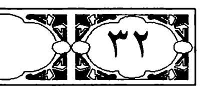
المثال التاسع عشر

إن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولا بما ينقضه العلم الصحيح .

وهذا من أكبر الأدلة على أن ما عند الله محكم ثابت ، صالح لكل زمان ومكان .

وهذه الجمل المختصرة تعرف على وجه التفصيل بالتتبع والاستقراء لجميع الحوادث الكونية ، وحوادث علوم الاجتماع ، وتطبيق ذلك إذا كان من الحقائق الصحيحة على ما جاء به الشرع ، فبذلك يعرف أنه تبيان لكل شيء ، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .





المثال العشرون

نظرة مجملة في فتوحات الإسلام المتسعة الخارقة للعوائد، ثم لبقائه محترمًا مع تكالب الأعداء، ومقاومتهم العنيفة، ومواقفهم المعروفة معه.

وذلك أن من نظر إلى منبع هذا الدين، وكيف ألف جزيرة العرب على افتراق قلوبها، وكثرة ضغائنها وتعاديها، وكيف ألفهم وجمع قاصيهم لدانيهم، وأزال تلك العداوات، وأحل الأخوة الإيمانية محلها.

ثم اندفعوا في أقطار الأرض يفتحونها قطرًا قطرًا، وفي مقدمة هذه الأقطار أمة فارس والروم أقوى الأمم وأعظمها ملكًا وأشدها قوة وأكثرها عددًا وعدة، ففتحوهما وما وراءها بفضل دينهم، وقوة إيمانهم، ونصر الله ومعونته لهم، حتى وصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها.

فصار هذا يعد من آيات الله وبراهين دينه، ومعجزات نبيه، وبهذا دخل الخلق فيه أفواجًا ببصيرة وطمأنينة، لا بقهر ولا إزعاج.

فمن نظر نظرة إجمالية إلى هذا الأمر عرف أن هذا هو الحق الذي لا يقوم له الباطل مهما عظمت قوته وتعاظمت سطوته.

هذا يعرف ببداهة العقول، ولا يرتاب فيه منصف، وهو من الضروريات.

بخلاف ما يقوله طائفة من كتاب هذا العصر الذين دفعهم الرضوخ الفكري إلى مشايعة أعداء الإسلام ، فزعموا أن انتشار الإسلام وفتوحه الخارقة للعادة مبنيٌّ على أمور مادية محضة ، حللوها بمزاعمهم الخاطئة .

ويرجع تحليلها إلى ضعف دولة الأكاسرة ودولة الرومان ، وقوة المادة في العرب .

وهذا مجرد تصوره كافٍ في إبطاله .

فأي قوة في العرب تؤهلهم لمقاومة أدنى حكومة من الحكومات الصغيرة في ذلك الوقت؟ فضلًا عن الحكومات الكبيرة الضخمة ، فضلًا عن مقاومة أضخم الأمم في وقتها على الإطلاق وأقواها وأعظمها عددًا وعدة في وقت واحد ، حتى مزقوا الجميع كل ممزق ، وحلت محل أحكام هؤلاء الملوك الجبابرة أحكام القرآن والدين العادلة ، التي قبلها وتلقاها بالقبول كل منصف مريد للحق .

فهل يمكن تفسير هذا الفتح المنتشر المتسع الأرجاء بتفوق العرب في الأمور المادية المحضة؟

وإنما يتكلم بهذا من يريد القدح في الدين الإسلامي ، أو من راجع عليهم كلام الأعداء من غير معرفة للحقائق .

ثم بقاء هذا الدين على توالي النكبات ، وتكالب الأعداء على محقه وإبطاله بالكلية ، من آيات هذا الدين ، وأنه دين الله الحق ، فلو ساعدته



قوة كافية ترد عنه عادية العادين وطغيان الطاغين لم يبق على وجه الأرض دين سواه، ولقبله الخلق من غير إكراه ولا إلزام، لأنه دين الحق، ودين الفطرة، ودين الصلاح والإصلاح، لكن تقصير أهله وضعفهم، وتفرقهم، وضغط أعدائهم عليهم هو الذي أوقف سيره، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

المثال الحادي والعشرون
الجامع لكل ما سبق

دين الإسلام مبني على العقائد الصحيحة النافعة، وعلى الأخلاق الكريمة المهذبة للأرواح والعقول، وعلى الأعمال المصلحة للأحوال، وعلى البراهين في أصوله وفروعه، وعلى نبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين والمخلوقات، وإخلاص الدين لله رب العالمين، وعلى نبذ الخرافات والخزعبلات المنافية للحس والعقل، المحيرة للفكر، وعلى الصلاح المطلق، وعلى دفع كل شر وفساد، وعلى العدل ورفع الظلم بكل طريق، وعلى الحث على الرقي لأنواع الكمالات.

وهذه الجمل يطول تفصيلها، وكل من له أدنى معرفة يهتدي إلى تفصيلها على وجه الوضوح والبيان الذي لا إشكال فيه.

ولنقتصر على هذا الكلام على اختصاره، فإنه يحتوي على أصول وقواعد يعرف بها ما للإسلام من الكمال والعظمة والإصلاح الحقيقي لكل شيء، وبالله التوفيق.

وقع الفراغ من تعليقها غرة جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بقلم معلقها: **عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي**

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

* * *

تحقيق الكلام

في

مشروعية الجهر بالذكر بعد السلام

تأليف

العلامة الجليل والمحقق النبيل

سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي

١٢٦٦هـ - ١٣٤٩هـ

تحقيق

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

ترجمة موجزة للمؤلف

١- نسبه ، ومولده ، ونشأته ، وطلبه العلم:

هو الإمام العالم العلامة ، المحقق المدقق الفهامة ، مفيد الطالبين ، ومحامي حوزة الدين ، السيف المسلول ، والصارم المشهور ، على أهل الكفر والضلال والفجور ، طنَّت بذكره الأعصار ، وضنَّت بمثله الأمصار ، صاحب التصانيف المشهورة ، والفضائل والمحاسن المأثورة ، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك ابن عامر الخثعمي التبالي العسيري النجدي الحنبلي .

سأله رجل من أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نسبه فقال :

سليمانُ سَحْمانُ وسَحْمانُ مُصْلِحٌ
ومصلحُ حِمدانٍ وحِمدانُ

أولئك آبائي سلالة عامر
إلى خثعم يعزى وبالخير يذكرُ

ولد هذا العالم النبيل في قرية «السقا» ، من قرى أبها سنة ست وستين ومائتين وألف «١٢٦٦» من الهجرة النبوية .

ونشأ في بيئة صالحة ترفل في ثياب العلم والتقى ، وتعرف برفع راية التوحيد والهدى ، فبدأ بقراءة كتاب الله جَلَّ وَعَلَا ، ثم حفظه عن ظهر قلب لم يشرب بحب الميل إلى اللهو والهوى ، فلما امتن عليه المولى

بهذه المكرمة العظمىٰ، شرع في طلب العلم بهمة عالية، ورغبة صادقة، فقرأ علىٰ علماء بلده في أصول الدين وفروعه، وحفظ مبادئ العلوم حتىٰ تمكن من فنونه، ولازم أباه في طلب العلم ليلًا ونهارًا، ورحل في الطلب يمينًا وشمالًا، وخاض جميع العلوم الشرعية بحارًا وأنهارًا، حتىٰ أدرك بغيته توفيقًا من الله وإكرامًا، وحاكى الأكابر من العلماء حفظًا وإتقانًا.

٢- مشايخه وتلامذته:

لازم كثيرًا من العلماء المبرزين الذين لهم قدم راسخ في علوم الدين، ومن أهم هؤلاء الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب، وابنه الشيخ الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشيخ حمد بن عتيق، وكفىٰ بالشيخ -المترجَم له- فخرًا أن يكون تلميذًا لهؤلاء الأجلاء العظام.

وقد وقف الشيخ حياته للعلم وأهله فانتفع به خلق لا يحصون، من أبرزهم الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان، صاحب الردود المشهورة، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وعمر بن حسن، وعبد اللطيف بن إبراهيم، وعبد العزيز بن صالح المرشد رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٣- مؤلفاته:

شموس من التحقيق في طالع

تجلت فأجلت ظلمة الهزل والجد

قواطـع مـن آي الكتـاب كأنهـا
بأعناق أهل الزيغ مرهفـة الحـدِّ

إن الناظر في مؤلفات هذا العالم الجليل يلاحظ أن أغلبها في الردود على أهل الانحراف العقدي ، وإن الاعتناء بهذا الباب من أبواب العلم واجب على نخبة من علماء السنة في كل عصر ؛ لما فيه من الحفاظ على العقيدة السلفية الصحيحة ، وكشف الشبهات النتنة القبيحة ، التي يروج سوقها أهل الطرق والمقاصد الرذيلة ، وقد قال أهل الأصول : «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» .

قال ابن بسام في ترجمة الشيخ من كتابه «علماء نجد» (١/ ٢٨٠) : فجرَّد قلمه للردِّ على هؤلاء المغرضين ، ولسانه برائع الشعر على المارقين ، فصار يكيل لهم الصاع صاعين بقوة الكلام وسطوع الحجة وصحة البرهان فيدحض أقوالهم ، ويرد شبههم ، ويوهن حجتهم ، كما يرميهم بشهب من قصائده الطنانة ، وأشعاره الرنانة ، وقوافيه المحكمة ، وأبياته الرصينة ، وبهذا فهو ذو القلمين ، وصاحب الصناعتين ، وقلما اجتمع النثر والشعر لواحد إلا لنوابغ الكتاب ، وأصحاب الأقلام ، فصار لسان هذه الدعوة ، ومحامي هذه الملة . اهـ كلامه .

ومن هذه الردود الصارمة والمؤلفات الساطعة :

١- «تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف» .

٢- «البيان المبدي لشناعة القول المجدي» .

٣- «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» .

٤- «الجواب المنكي على الكنكي» .

٥- «كشف الالتباس عن تشبيه بعض الناس» .

٦- «الأسنَّة الحداد على علوي حداد» .

٧- «الصواعق المرسلة الوهابية على الشبه الداحضة الشامية» .

٨- «الجيوش الربانية في كشف الشبة العمروية» .

٩- «الجواب الفاصل في الساعة بين من قال إنها سحر ومن قال إنها صناعة» .

١٠- «إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل» .

١١- «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» .

١٢- «مشروعية الجهر بالذكر بعد السلام» «تحقيق الكلام» ، وهو هذا[١] .

٤- وفاته :

وافاه الأجل المحتوم مأسوفًا على فقده في العاشر من شهر صفر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف (١٣٤٩هـ) ، وصلي عليه في الجامع الكبير

(١) هذا العنوان ليس في الأصول ، وقد وضعته اقتداء بالعلماء في تسمية كتبهم .

بالرياض وخرج في جنازته أهل البلد، ودفن في مقبرة العود، وصلي عليه في جوامع نجد صلاة الغائب رحمه الله تعالى ورضي عنه(١).

كتبه

د. عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

الرياض ١٥/ ١٠/ ١٤٠٦هـ

* * *

---

(١) مصادر الترجمة:

١- «الدرر السنية» لابن قاسم (ج١٢).

٢- «علماء نجد خلال ستة قرون» لابن بسام.

٣- «روضة الناظرين» للقاضي.

النسخ المعتمد عليها في تحقيق هذه الرسالة

توفر لدي عند الشروع في تحقيق هذه الرسالة **ثلاث نسخ :**

الأولى : نسخة خطية موجودة في المكتبة السعودية بالرياض ، وتقع في ضمن مجموع رسائل تحت رقم (٨٦/٤٦١) ، وهي نسخة حسنة الخط جدًّا ، وقد فرغ كاتبها من نسخها سنة ١٣٣٣ هجرية .

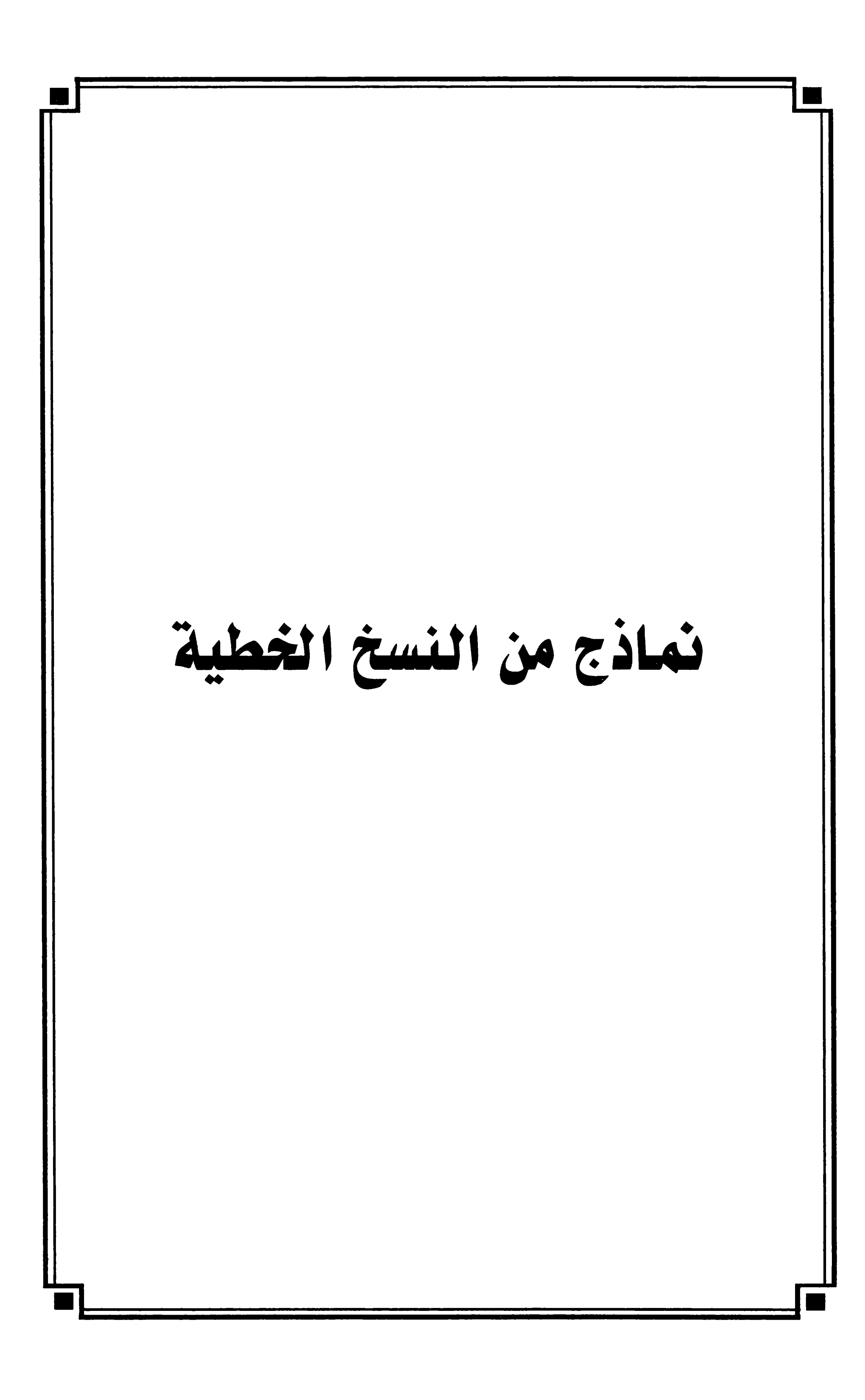
الثانية : النسخة المطبوعة بالهند سنة ١٣٣٥ في المطبعة المصطفوية ببمبي ، وقد تفضل بإعارتي إياها الشيخ الفاضل الجليل عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سحمان ، حفظه الله تعالى وجزاه عنا كل خير .

الثالثة : النسخة المطبوعة بالرياض سنة (١٣٧٦هـ) على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله .

وقد بينت الفروق بين هذه النسخ في الحاشية ، وما رأيته صوابًا أثبته في الأصل .

والله المسئول المرجو أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم ، غير مشوب بالرياء ومحبة السمعة والتعظيم ، كما أسأله سبحانه أن يحشرنا مع أئمة هذه الدعوة السلفية في أعلى عليين ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

***



نماذج من النسخ الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فإني قد رأيت ورقة لا أعرف من قالها ولا من نقلها ولكن لما كان في نقله لهذا الكلام ما يشعر بزعمه النصوص الواردة في الجهر بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة وسمى هذه السنة المتروكة تشنيعا على الناس وجعلها من البدع والمحدثات بمجرد خلاف عمل بعض أهل المذاهب [illegible] لها ونقل فيها عن بعض أهل التحقيق بزعمه أنه قال إن في حديث ابن عباس رضي الله

الورقة الأولى من المخطوطة

رضي الله عنه دلالة ظاهرة على عدم الجهر فكان هذا من قلب الحقائق وقد سألني بعض الإخوان
أن أكتب في ذلك ما يبين غلط هذا القائل المتكلم بلا علم فتعين علي إنكار هذا المنكر لقوله صلى
الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه
وذلك أضعف الإيمان قال المعترض في نقله [illegible] هذا ما نقلته من رسالة لبعض العلماء وقال بعد
كلام سبق وأما الجهر بالذكر بعد الفرائض فهذا الذي شوش به على الناس فقد ذكر الإمام العالم العلامة الحافظ
صاحب التفسير المشهور إسماعيل ابن عمر بن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه قال وفي سنة ست عشرة ومئتين
كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد وما والاها من البلاد فأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقب الصلاة
فكان أول ما بدئ بذلك في جامع المدينة والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه
السنة أنهم لما قضوا الصلاة قام الناس قياما فكبروا ثلاث تكبيرات ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات
وهذه بدعة أحدثها المأمون بلا مستند ولا دليل ولا معتمد فإن هذا لم يفعله قبله أحد ولكن ثبت في الصحيح
عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينصرف الناس من المكتوبة
وقد استحب هذا طائفة كابن حزم وغيره وقال ابن بطال المذاهب الأربعة وغيرهم على عدم استحبابه
ذلك قاله النووي وقد روي عن الشافعي أنه قال إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلاة مشروع
فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى والجواب على ما فهمه هذا المتكلم من
كلامه [illegible] أحدها الوجه الأول أن يقال لهذا الجاهل ليس ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
من الجهر [illegible] تشويشا على الناس بل هذا القول هو التشويش على الناس و
[illegible] أعظم المنكرات لأن ذلك [illegible] في نحر النصوص [illegible]
[illegible]
[illegible]
للنصوص [illegible]
تشويشا على [illegible] المذاهب الأربعة الوجه الثاني أنه ليس في [illegible] الحافظ
ابن كثير [illegible] هذه البدعة المحدثة التي أحدثها المأمون
وما ذكره [illegible] هذه البدعة [illegible] هو الحق والصواب الذي [illegible] هذه البدعة
لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين [illegible] واستند [illegible] ولا دليل [illegible]
عليه الوجه الثالث أن قوله رحمه الله تعالى ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت
بالذكر [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينصرف الناس من المكتوبة فيه دلالة ظاهرة
أن هذه [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما ذكره من البدعة المحدثة
التي أحدثها المأمون ونائبه إسحاق بن إبراهيم [illegible] من سلف [illegible]
[illegible] رحمه الله تعالى أن العلماء اختلفوا [illegible]

الورقة الثانية من المخطوطة

عن انس قال ما اعرف منكم شيأ كنت اعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس قولكم لا اله الا الله اخبرنا اسد باسناده عن الحسن قال لو ان رجلا ادرك
السلف الاول ثم بعث اليوم ماعرف من الاسلام شيأ قال ووضع يده على خده ثم قال
الا هذه الصلوة ثم قال اما والله لمن عاش في هذه النكرى ولم يدرك هذا السلف
الصالح فرأى مبتدعا يدعوا الى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعوا الى دنياه فعصمه الله
من ذالك وجعل قلبه يحن الى ذكر هذا السلف الصالح ليسئل عن سبيلهم ويقتص آثارهم
ويتبع سبيلهم ليعوض اجرا عظيما فكذالك فكونوا ان شاء الله حدثني عبد الله بن
محمد باسناده عن ميمون ابن مهران قال لو ان رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف
فيكم غير هذه القبلة اخبرنا محمد بن قدامة باسناده عن ام الدرداء قالت دخل على ابو
الدرداء مغضبا فقلت له ما اغضبك فقال والله ما اعرف فيهم من امر محمد شيأ الا
انهم يصلون جميعا وفي لفظ لو ان رجلا تعلم الاسلام واهمه ثم تفقده ما عرف منه
شيأ حدثني ابراهيم باسناده عن عبد الله بن عمرو قال لو ان رجلين من اوائل
هذه الامة خليا بمصحفيهما في بعض هذه الاودية لاتيا الناس اليوم ولا يعرفان
شيأ مما كانا عليه قال مالك وبلغني ان اباهريرة تلا قوله تعالى اذا جاء نصر
الله والفتح فقال والذي نفسي بيده ان الناس ليخرجون اليوم من دينهم افواجا كما
دخلوا فيه افواجا فاذا عرفت هذا علمت ان هذا الرجل من اجهل الناس واعظمهم
غباوة والا فما ذكرناه لا يخفى على من له المام بالعلوم وله معرفة بالمنقول والمفهوم
من كلام الله وكلام رسوله وكلام اهل التحقيق من العلماء وهذا الرجل واضرابه
من المتمعلمين لا يعرفون الا ما الفوه من العادات وينكرون ما لم يعرفوه من العبادات
فكان المعروف لديهم منكرا والمنكر معروفا فينكرون ما ثبت النص به في
الجهر بالذكر عقب الصلوة لانهم ما الفوا ذالك ولا اعتادوه ويجهرون بالتهليلات
العشر بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الفجر وهو لم يرد بالجهر بذالك حديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكرون هذا لانه مما اعتادوه وهذا من قلة علمهم
ومعرفتهم وعدم اطلاعهم فالله المستعان وبه الثقة والعصمة ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على
عبده ورسوله محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين
ذو الحجة ١٣٢٣ هـ

الورقة الأخيرة من المخطوطة

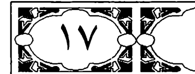
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فاني قد رأيت ورقة لا أعرف من قالها ولا من نقلها ولكن لما كان في نقله هذا الكلام ما يشعر برد النصوص الواردة في الجهر بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة وسمى هذه السنة المتروكة تشويشا على الناس وجعلها من البدع والمحدثات بمجرد خلاف عمل بعض أهل المذاهب الاربعة لها ونقل فيها عن بعض أهل التحقيق بزعمه انه قال ان في حديث ابن عباس رضي الله عنهما دلالة ظاهرة على عدم الجهر فكان هذا من قلب الحقائق وقد سألني بعض الاخوان ان اكتب في ذالك ما يبين غلط هذا القائل المتكلم بلا علم فتعين على انكار هذا المنكر لقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذالك اضعف الايمان قال المعترض في نقله السامج البارد هذا ما نقلته من رسالة لبعض العلماء قال بعد كلام سبق واما الجهر بالذكر بعد الفرائض هذا الذي شوشوا به على الناس فقد ذكر الامام العالم العلامه الحافظ صاحب التفسير المشهور اسمعيل بن عمر بن كثير رحمه الله تعالى في تاريخه قال وفي سنة ست عشرة ومئتين كتب المأمون الى اسحق بن ابراهيم نايب بغداد وما والاها من البلاد فأمره ان يأمر الناس بالتكبير عقب الصلاة فكان اول شئ بدئ به في جامع المدينة والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة انهم لما قضوا الصلاة قام الناس قياما فكبروا ثلاث تكبيرات ثم استمروا على ذالك في بقية الصلواة

الورقة الأولى من طبعة الهند

فتخلف عن جنازته فهذا عمل مجمع عليه عندكم قال بعض المالكية
وروى هشام عن ابيه ان ابا بكر صلي عليه في المسجد فهذا العمل
حق ولو تركت السنن للعمل لتعطلت سنن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودرست رسومها وعفت آثارها وكم من عمل قد
اطرد بخلاف السنة الصريحة على تقادم الزمان والى الآن و
كل وقت تترك سنة ويعمل بخلافها ويستمر عليها العمل فتجد
يسيرا من السنة معمولا به على نوع تقصير وخذ بلا حساب
ما شاء الله من سنن قد اهملت وعطل العمل بها من يعرفها
لقال الناس ترك السنة فقد تقرر ان كل عمل خالف السنة
الصحيحة الصريحة لم يقع من طريق النقل البتة وانما يقع من طريق
الاجتهاد والاجتهاد اذا خالف السنة كان مردودا وكل عمل
طريقه النقل فانه لا يخالف سنة صحيحة البتة انتهى فبهذا
تعرف غلط هذا المتكلم وعدم اطلاعه على كلام اهل التحقيق
من اهل العلم الذي هم القدوة وبهم الاسوة والله
المستعان وبه الثقة والعصمة ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم والحمد لله الذي
بنعمته تتم الصالحات وصلى الله
على عبده ورسوله محمد و
على آله وصحبه اجمعين
١٣٤٢ سنة
هجري

الورقة الأخير من طبعة الهند





الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإني قد رأيت ورقة لا أعرف من قالها ولا من نقلها ، ولكن لما كان في نقله لهذا الكلام ما يشعر برد النصوص الواردة في الجهر بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة ، وسمى هذه السنة المتروكة تشويشًا على الناس ، وجعلها من البدع والمحدثات بمجرد خلاف عمل بعض أهل المذاهب الأربعة لها ، ونقل فيها عن بعض أهل التحقيق بزعمه أنه قال : إن في حديث ابن عباس رضي الله عنهما دلالة ظاهرة على عدم الجهر فكان هذا من قلب الحقائق ، وقد سألني بعض الإخوان أن أكتب في ذلك ما يبين غلط هذا القائل المتكلم بلا علم ، فتعين عليَّ إنكار هذا المنكر ، لقوله ﷺ : **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان»**[1] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٠ ، ٢٠ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤) ، ومسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان (١/ ٦٩) ، وأبو داود في «سننه» كتاب الصلاة (١/ ٦٧٧) ، وفي الملاحم (٤/ ٥١١) ، والترمذي في «سننه» كتاب الفتن (٤/ ٤٦٩) ، والنسائي في «سننه» كتاب الإيمان (٨/ ١١١) ، وابن ماجه في «سننه» كتاب الفتن (٢/ ١٣٣٠) ، جميعهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

قال المعترض في نقله السامج البارد: هذا ما نقلته من رسالة لبعض العلماء، قال بعد كلام سابق: وأما الجهر بالذكر بعد الفرائض هذا الذي شوشوا به على الناس، فقد ذكر الإمام العالم العلامة الحافظ صاحب التفسير المشهور إسماعيل بن عمر بن كثير رحمه الله تعالى في «تاريخه» قال: وفي سنة ست[١] عشرة ومائتين كتب المأمون إلى إسحاق ابن إبراهيم نائب بغداد وما والاها من البلاد فأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقب الصلاة، فكان أول شيء بدئ به في جامع المدينة[٢] والرصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة، [وذلك أنهم كانوا إذا][٣] قضوا الصلاة قام الناس قيامًا فكبروا ثلاث تكبيرات ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات[٤].

وهذه بدعة أحدثها المأمون بلا مستند ولا دليل ولا معتمد فإن هذا لم يفعله قبله أحد، ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس: أن رفع الصوت بالذكر على عهد رسول الله ﷺ حين ينصرف الناس من المكتوبة، وقد استحب هذا طائفة كابن حزم وغيره.

وقال أبو الحسن: المذاهب الأربعة وغيرهم على عدم استحباب ذلك، قاله[٥] النووي، وقد روي عن الشافعي أنه قال: إنما كان

---

(١) في الهندية: «سة»، وهو خطأ إملائي، وما أكثره في هذه النسخة.

(٢) في «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٣٠٦) (بغداد).

(٣) ما بين المعقوفين من «البداية والنهاية»، ووقع في النسخ «أنهم إذا».

(٤) في الهندية: «الصلواة».

(٥) في «البداية والنهاية»: «قال النووي».

ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع ، فلما علم لم يبق للجهر معنىٰ . انتهىٰ كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ[١] .

والجواب علىٰ ما فهمه هذا المتكلم من كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ من وجوه :

الوجه الأول : أن يقال لهذا الجاهل ليس ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ مما سنه ﷺ من الجهر بالذكر بعد المكتوبة تشويشًا على الناس ، بل هذا القول هو التشويش على الناس والتلبيس عليهم ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المنكرات ، لأن ذلك دفع[٢] في نحر النصوص ورد لها بالتمويه والسفسطة والقول بلا علم وقلب للحقائق ، فإن هذا القول لا يقوله من في قلبه تعظيم للنصوص وتوقير لها ، بل أقوال الرجال وخرصها عنده أعظم قدرًا وأجل خطرًا ، فلذلك زعم أن هذا تشويش على الناس بمجرد خلاف بعض أهل المذاهب الأربعة .

الوجه الثاني : أنه ليس في كلام الحافظ ابن كثير ما يرد النصوص ويدفع في نحرها ، وإنما فيه رد هذه البدعة المحدثة التي أحدثها المأمون وما ذكره الحافظ من رد هذه البدعة المحدثة هو الحق والصواب الذي ندين الله به ، فإن هذه البدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الأئمة المهتدين ولا مستند لها ولا دليل علىٰ ذلك يعتمد عليه .

---

(١) من «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٠٦) .

(٢) في الهندية : «دفعًا . . . ردًّا» .

الوجه الثالث: أن قوله رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس: «أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله ﷺ حين ينصرف الناس من المكتوبة»[١] فيه دلالة ظاهرة أن هذه سنة معمول بها على عهد رسول الله ﷺ بخلاف ما ذكره من البدعة المحدثة التي أحدثها المأمون ونائبه إسحاق بن إبراهيم، والخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف، وذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أن العلماء اختلفوا: هل العمل[٢] بها مستحب أو غير مستحب؟ ولم يقل رَحِمَهُ اللَّهُ إن الجهر بدعةوتشويش[٣] على الناس كما يقوله هذا المتنطع الجاهل.

الوجه الرابع: أنه لما نقل اختلاف العلماء لم يذكر أن ما فعله أهل المذاهب الأربعة هو الحق والصواب، بل نقل ذلك نقلًا مجردًا، ولم يرجح ما ذهب إليه أهل المذاهب بدليل يجب المصير إليه فيسوغ لهذا الناقل الاعتراض بكلام ابن كثير والاستدلال به والاحتجاج به على[٤] ترك العمل بهذا السنة.

---

(١) أخرجه الإمام الشافعي في «الأم» (١/ ١٥٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٢٤٥)، والحميدي في «مسنده» (١/ ٢٢٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٦٧)، والبخاري في «صحيحه» (١/ ١٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (٥/ ٨٣- «نووي»)، وأبو داود في «سننه» (١/ ٦٠٩)، والنسائي في «سننه» (٣/ ٦٧)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢/ ٢٦٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٠٠، ١٢٢١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٢٢٣)، والبيهقي في «سننه» (٢/ ١٨٤).

(٢) في الهندية: «العلم».

(٣) في المخطوطة: «أو تشويش».

(٤) في الهندية والمطبوعة: «إلى».

ولكن هذا الناقل لهذا الكلام لا يعقل ما يقول، ولا يعرف المنقول والمعقول، ولو كان يعقل ما يقول لما جعل ما ثبت في الصحيح من السنة الواردة في الجهر بالذكر تشويشًا على الناس، لكونه ما اعتاد العمل بها، وكان أكثر الناس إلا من شاء الله حظهم[١] من العبادات العادات، وما وجدوا عليه الناس، وأما ما جهلوه ولم يعتادوا فعله وإن كان من السنة الثابتة عن النبي ﷺ فهو عندهم من قسيم البدع، وذلك أنه لم يكن لهم نصيب في معرفة ما ثبت عن النبي ﷺ وتلقيه بالقبول والانقياد والتعظيم، وترك ما خالفه ومن قال به كائنًا من كان، وإنما يعتمد هؤلاء في عباداتهم ومعاملاتهم على ما وجدوه مدونًا في الكتب عن أهل المذاهب، سواء كان ذلك مما[٢] نقل عن النبي ﷺ أو مما لم ينقل أو مما يخالف ما نقل، أو كان ذلك مما يستحسنه بعض أهل المذاهب، أو مما قاسوه على المستحسن من غير نظر إلى الدليل، وهؤلاء هم المقلدون الذين أجمع أهل العلم على أنهم ليسوا من أهل العلم فكيف نأخذ بأقوال من أجمع أهل العلم على أنهم ليسوا من أهل العلم وندع ما ثبت عن نبينا محمد ﷺ.

وهذه السنة الواردة في الجهر[٣] بالذكر عقب الفرائض قد انقسم الناس فيها في هذه الأزمان على ثلاثة أصناف: طرفان ووسط.

---

(١) في الهندية: «حضهم».

(٢) سقطت «مما» من المطبوعة.

(٣) في المطبوعة: «في أول الجهر».



أما الصنف الأول : فيلزمون الناس بها ويغلظون في ذلك ويعادون ويوالون على ذلك ومن تركها فليس هو عندهم من أهل السنة ، ويقول قائلهم هؤلاء يتركون السنة ويردونها ولا يرون تاركها من جملة الإخوان .

والصنف الثاني من الطرفين : من لا يرى سنيتها ، وبعضهم يقول إنها من البدع ويرون أن الفاعل لها مشوِّش على الناس ، وبعضهم يدخل هذا الجهر في مسمى الرياء ويقول لمن يجهر(١) بالذكر : هؤلاء يراءون الناس .

وأما الصنف الثالث : وهم الوسط فهم يقولون : ثبت ذلك عن النبي ﷺ من فعله وتقريره ، فكان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون ذلك على عهد رسول الله ﷺ بعد تعليمهم إياه ويقرهم على ذلك ، فعلموه بتعليم الرسول إياهم وعملوا به ، وأقرهم على ذلك العمل بعد العلم به ولم ينكره عليهم ، ثم ترك العمل به كما ترك العمل بكثير من سنن الأقوال والأفعال كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، وهذا الصنف من الناس يقولون : من فعله فقد أحسن وفعل سنة يثاب على فعلها ، ومن لا فلا حرج عليه ولا إثم ولا عقاب على من ترك ذلك ؛ لأنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ، وينكرون على من أنكره ويخبرون

---

(١) في المطبوعة : «يجر» .

بأنه سنة ولا يخاصمون على ذلك كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : أخبر بالسنة ولا تخاصم عليها[١] .

إذا عرفت هذا وتحققته فما نقله هذا المتحذلق عن الحافظ ابن كثير أنه قد استحبه طائفة كابن حزم وغيره ، فهو كذلك ، وقد نقل صاحب «الإقناع»[٢] استحبابه عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وعن طائفة من أهل العلم من الحنابلة وغيرهم ، كما ذكر ذلك في «المغني»[٣] ، و«الشرح الكبير» وغيرهما ، وهو الحق والصواب وعليه تدل السنة وعمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ، وقد قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا قوم[٤] اختارهم الله لصحبة نبيه ولإظهار دينه فخذوا بهديهم واعرفوا لهم فضلهم ، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم .

---

(١) ذكر هذا القول عن الإمام أحمد القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة في ترجمة «العباس بن غالب الوراق» (١/ ٢٣٦) ، ونص هذه المسألة : «قال العباس : قلت لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله ، أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري ، فيتكلم مبتدع فيه ، أرد عليه؟

فقال : لا تنصب نفسك لهذا ، أخبره بالسنة ولا تخاصم ، فأعدت عليه القول .

فقال : ما أراك إلا مخاصمًا» .اهـ .

(٢) ينظر «كشاف القناع» (١/ ٣٦٦) .

(٣) (١/ ٤٠٠ ، ٤٠١) ط . مكتبة القاهرة .

(٤) في المخطوطة : «قومًا» .

وإذا كان هذا عمل الصحابة على عهد رسول الله ﷺ، وكانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، وكانوا على الصراط المستقيم، أفندع ما ثبت في الصحيحين من الجهر بهذه السنة التي عمل بها أصحابه ﷺ، وأقرهم عليها بعد العلم بها، لأن أهل المذاهب الأربعة على عدم استحباب ذلك من غير دليل يجب المصير إليه في ترك العمل به، نعوذ بالله من التعصب للمذاهب على ترك العمل بالسنة.

وأما قوله رحمه الله**:** وقال أبو الحسن -يعني ابن بطال: المذاهب الأربعة على عدم استحباب ذلك، قاله النووي.

فالجواب: أن الحافظ لم يقل بعد هذا: وهذا هو الحق والصواب، ولا استدل لذلك ولا اختاره ولا رجحه بنوع من الترجيحات، وإنما حكاه عن ابن بطال عن النووي، والحجة والعصمة فيما قاله رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه بعده لا فيما قاله النووي وابن بطال، ولا فيما حكاه عن أهل المذاهب الأربعة فإن أهل العلم لم يجمعوا على ذلك، بل الخلاف في ذلك مشهور معروف والحق مع من كان الدليل معه وقد قال بعض العلماء:

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف
بين الرسول وبين رأي فقيه

وأما قوله رَحِمَهُ اللَّهُ **:** وقد روي عن الشافعي أنه قال: إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى. انتهى[١].

فالجواب أن يقال: قد ثبت عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع الناس على أن[٢] من استبانت له سنة رسول **الله** ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس، وصح عنه أنه قال: إذا رويت عن رسول **الله** ﷺ حديثًا ولم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب، وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول **الله** ﷺ، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة رسول[٣] **الله** ﷺ وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول **الله** ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول **الله** ﷺ وهو قولي، وجعل يردد هذا الكلام، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول**الله** ﷺ فقولوا بسنة رسول**الله** ﷺ ودعوا ما قلت.

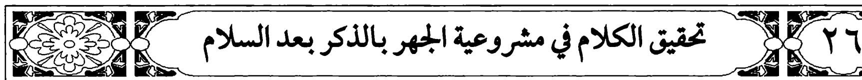
فهذا ما ثبت عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد صح الحديث عن رسول **الله** ﷺ وعمل به الصحابة بعدما علموه وأقرهم على ذلك، فنأخذ بما صح عن نبينا وندع قوله.

---

(١) «الأم» للشافعي (١/ ١٥٠) ط. دار الفكر.

(٢) سقطت «أن» من الهندية.

(٣) في المخطوطة والهندية: «سنة لرسول **الله**...».



وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإعلام»[١] في ذكر تقرير النبي ﷺ أصحابه على أشياء ذكرها قال: ومنه تقريرهم على جلوسهم في المسجد وهم مجنبون إذا توضئوا[٢] إلى أن قال: ومنه تقريرهم على رفع الصوت

---

(١) (٢/ ٣٨٩).

(٢) اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في مسألة لبث الجنب في المسجد إذا توضأ.

فذهب الإمام أحمد وأصحابه وإسحاق إلى جواز ذلك، ومنعه أكثر أهل العلم لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ [النساء: ٤٣]، ولحديث: **«لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»**.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المغني» (١/ ١٠٨): «واحتج أصحابنا بما روي عن زيد بن أسلم قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتحدثون في المسجد على غير وضوء، وكان الرجل يكون جنبًا فيتوضأ ثم يدخل فيتحدث» وهذا إشارة إلى جميعهم، فيكون إجماعًا يخص به العموم، ولأنه إذا توضأ خف حكم الحدث فأشبه التيمم عند عدم الماء، ودليل خفته: أمر النبي ﷺ الجنب به إذا أراد النوم، واستحبابه لمن أراد الأكل، ومعاودة الوطء، فأما الحائض إذا توضأت فلا يباح لها اللبث؛ لأن وضوءها لا يصح...» اهـ.

قلت: وبهذا احتج شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جواز مكث الجنب في المسجد إذا توضأ كما في «مجموع الفتاوى» لابن قاسم (٢١/ ٣٤٤، ٣٤٥)، (٢٦/ ١٧٨، ١٧٩).

وأما الأثر الذي استدل به الأصحاب على تخصيص الآية والحديث فقد ذكره المجد ابن تيمية في «المنتقى» (١/ ٣٩٩) فقال: وروى حنبل بن إسحاق، حدثنا أبو نعيم، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتحدثون في المسجد وهم على غير وضوء...» إلخ. اهـ.

وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات سوى هشام بن سعد، فقد قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام. اهـ. لكن روى الآجري عن أبي داود أنه قال: أثبت الناس في زيد بن أسلم هشام بن سعد.

=

بالذكر بعد السلام بحيث كان من هو خارج المسجد يعرف انقضاء الصلاة بذلك، ولا ينكره عليهم. انتهى.

وهذا غير تعليمه بفعله وقوله، حيث كانوا يجهرون بالذكر بعد أن علمهم ذلك[1] وعلموه، فكان يقرهم على العمل به ولا ينكره عليهم، فلو[2] لم يبق للجهر معنى بعدما علموه لما أقرهم على ذلك، بل كان يمكنه أن يقول: قد علمتم ذلك فأسروا القول به ولا تشوشوا على الناس.

فإذا ثبت ذلك فلا قول لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ كائنًا من كان، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟! وقال الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا

= وقال المجد أيضًا: قال سعيد بن منصور، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: رأيت رجالًا من أصحاب رسول الله ﷺ يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضئوا وضوء الصلاة.

قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٠٢): هذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(١) سقطت «ذلك» من الهندية، والمطبوعة.

(٢) في المخطوطة والهندية والمطبوعة: «فلو كان لم يبق»، والصواب ما أثبته.

رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ : ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر ، يعني رسول الله ﷺ ، إذا فهمت هذا فالمصير إلى ما تدل عليه السنة ، وعمل الصحابة أولى مما يدل عليه كلام الشافعي وقد خالفه غيره ، وقد قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء : ٥٩] .

وأما قول الناقل : فهذه حال الجهر بالذكر كما ترى خلافًا للمذاهب الأربعة .

فجوابه أن نقول : وهذه حال من قال برأيه كما ترى خلافًا لما صح عن رسول الله ﷺ وعمل أصحابه ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يتعبدنا باتباع أقوال أهل المذاهب ، وإنما تعبدنا باتباع رسوله والأخذ بسنته[(١)] وترك كل قول خالفها ، وقد قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة : ٣١] الآية ، وتفسيرها الذي لا إشكال[(٢)] فيه : هو طاعة العلماء[(٣)] [والعباد في المعاصي لا دعاؤهم إياهم][(٤)] كما ذكر ذلك أهل العلم ، وصح الحديث به عن رسول الله ﷺ[(٥)] ، والعلماء -رحمهم الله تعالى- كثيرًا ما يتنازعون

(١) في الهندية : «بسنة» .

(٢) في الهندية : «لاشكال» .

(٣) في المخطوطة : «في معصية الله» ، وفي الهندية : «في المعصية لله» .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة والهندية .

(٥) يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حديث عدي بن حاتم ولفظه : «أتيت النبي ﷺ وفي =

في المسائل ويختلفون فيها بحسب اجتهادهم، وقل مسألة إلا وفيها نزاع، وإذا كان ذلك كذلك.

فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها وكان من أهل العلم أن ينظر القول الذي يدل عليه الكتاب والسنة من الأقوال المتنازع فيها اتباعًا لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال، وأقوال أهل الإجماع والمفتين[1] والحكام وغيرهم إنما اتبعت لكونها تدل على طاعة الله ورسوله، وإلا فلا تجب طاعة مخلوق لم يأمر الله بطاعته، وطاعة الرسل طاعة لله، وهذا هو حقيقة التوحيد الذي يكون كله لله، وإذا عرف أن القول قاله بعض أهل العلم، ومعه دلالة

= عنقي صليب من ذهب، فقال: **يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: **أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه»**.

أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب التفسير (٥/ ٢٧٨)، واللفظ له، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٢)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٦)، وفي «المدخل» (ص٢٠٩، ٢١٠)، وإسناده ضعيف، علته غطيف بن أعين، ضعفه الدارقطني وغيره، وبه أعل الترمذي الحديث فقال عقب إخراجه له: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. اهـ.

وقد حسن شيخ الإسلام أبو العباس هذا الحديث في كتابه «الإيمان» (ص٣٦)، وعلى معنى هذا الحديث جمهور المفسرين.

(١) في المطبوعة والهندية: «والمفتون».

الكتاب والسنة كان هو الراجح ، وإن كان غيره قد قاله[1] من هو أكبر من قائل ذلك القول فإن ذلك القول هو الذي ظهر أن فيه طاعة الله ورسوله ، قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وأما قوله : وقال بعض أهل التحقيق فيه دلالة ظاهرة على عدم الجهر لأن ابن عباس يخبر الصحابة بذلك ، فدل على أن الجهر متروك في زمن الصحابة ، إذ لو لم يكن كذلك لكان كلام ابن عباس من تحصيل الحاصل ، إذ لو كانوا مستمرين على الجهر لم يحتج ابن عباس إلى إيراد هذا الكلام .

فالجواب أن يقال : نسبة هذا الناقل لكلام هذا المتكلم إلى التحقيق من جنس قلب الحقائق ومن التمويه والسفسطة ، فإن هذا الكلام لا يقوله عاقل فضلًا عن العالم ، ولا يفهم هذا عالم يعقل ما يقول ، فإن هذا الكلام بكلام المجاذيب أشبه به من كلام العوام ، فكيف بأهل العلم ، فكيف بأهل التحقيق منهم ، بل هذا يدل على كثافة فهم قائله وعدم معرفته بما نقله عن ابن عباس وعن ابن كثير .

وجوابه من وجوه :

أحدها : أن قوله فيه دلالة ظاهرة على عدم الجهر من الكذب البحت ، بل الدلالة الظاهرة استحباب العمل به كما هو منطوق الحديث ، ونصه أنهم كانوا يجهرون بذلك على عهد رسول الله ﷺ ،

---

(١) في الهندية والمطبوعة : «قال» .

وكان ابن عباس لا يعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ وهو خارج المسجد إلا بذلك، وهذه مكابرة ظاهرة.

الوجه الثاني: أن قوله: لأن ابن عباس يخبر الصحابة بذلك، تعليل بارد بل باطل، لأن ابن عباس من الصحابة، وهو في ذلك لا يتهم بالوهم والكذب، فكان يخبرهم ويخبر التابعين بما حفظه وسمعه من رسول الله ﷺ ونسوه أو تركوا العمل به لشيء من الأسباب، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أنهم ردوا على ابن عباس قوله، فثبت أن ذلك على سبيل الإنكار لترك هذه السنة كما أنكر أشياء كثيرة مما ترك العمل بها من السنن الصحيحة الصريحة عن النبي ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله في «الهدي النبوي»[١]: وأما الاستئذان الذي أمر الله به المماليك ومن لم يبلغ الحلم في العورات الثلاث قبل الفجر ووقت الظهيرة وعند النوم فكان ابن عباس يأمر به، ويقول ترك الناس العمل به[٢].

وكما كان الصحابة رضي الله عنهم يخرجون زكاة الفطر على عهد رسول الله ﷺ، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، كنا نخرج إذ كان فينا رسول الله ﷺ زكاة الفطر عن كل صغير وكبير، حرًّا ومملوكًا[٣]، صاعًا من طعام، أو صاعًا من أقط، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا من

---

(١) (٢/ ٤٣٣).

(٢) في «زاد المعاد»: «بها»، وإلى هنا انتهى كلام الإمام ابن القيم.

(٣) في المخطوطة والهندية: «مملوك».



زبيب ، فلم نزل نخرجه حتىٰ قدم علينا معاوية بن أبي سفيان حاجًّا أو معتمرًا ، فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال : إني أرىٰ أن مُدَّيْنِ من سمراء الشام تعدل صاعًا من تمر ، فأخذ الناس بذلك [قال أبو سعيد : فأما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه أبدًا (ما عشت)][1] .

فأخبر أبو سعيد رضي الله عنه الصحابة والتابعين أنهم كانوا يخرجون زكاة الفطر إذ كان رسول الله ﷺ فيهم حتىٰ قدم معاوية فرأىٰ أن مدين من سمراء الشام تعدل صاعًا من تمر فأخذ الناس بذلك ، كما أخبر ابن عباس الصحابة بما تركوا العمل به من الجهر بالذكر عقب الصلاة وبما ترك الناس العمل به من استئذان المماليك في العورات الثلاث ، أفيقول ذو علم ومعرفة[2] ، أو من له أدنىٰ ممارسة وإلمام بالعلوم النبوية : إن إخبار ابن عباس بذلك وإخبار أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم من تحصيل الحاصل ، وإن في ذلك دلالة ظاهرة علىٰ عدم استئذان المماليك في الثلاث العورات ، وعلىٰ عدم إخراج زكاة الفطر صاعًا من طعام أو صاعًا من أقط علىٰ عهد رسول الله ﷺ ، لأن أبا سعيد الخدري يخبر الصحابة بذلك ، وكذلك ابن عباس .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المطبوعة والهندية . والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٩٨) ، والبخاري في «صحيحه» كتاب الزكاة (٣/ ٣٧٢) ، ومسلم في «صحيحه» كتاب الزكاة (٢/ ٦٧٨ ، ٦٧٩) ، وأبو داود في «سننه» كتاب الزكاة (٢/ ٢٦٧ ، ٢٦٨) ، والترمذي في «سننه» كتاب الزكاة (٣/ ٥٠) ، والنسائي في «سننه» (٥/ ٥٣) ، وابن ماجه في «سننه» كتاب الزكاة (١/ ٥٨٥) .

(٢) في الهندية : «ذوا علم ومعروفة» .

فهذا يدل على أن الجهر متروك في زمن الصحابة وأن إخراج الصاع كذلك متروك في زمن الصحابة، فيكون كلام ابن عباس وكلام أبي سعيد حينئذٍ من تحصيل الحاصل؛ إذ لو كانوا مستمرين على الجهر وعلى إخراج الصاع وعدم استئذان المماليك في الثلاث العورات لم يحتج ابن عباس وأبو سعيد إلى إيراد هذا الكلام على قول هذا المتكلم المتنطع، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهل هذا إلا من قلب الحقائق وضعف البصيرة وعدم العلم بمدارك[1] الأحكام وما عليه الأئمة الأعلام، واستحكام الهوى وإيثار العادات والمألوفات، فنعوذ بالله من القول على الله بلا علم، [وقد قال البيهقي في «سننه»: وأنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو العباس محمد ابن يعقوب، حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري بمصر، حدثنا أبو عامر العقدي[2]، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد[3] بن سمعان، قال: دخل علينا أبو هريرة مسجد بني زريق فقال: ثلاث كان رسول الله ﷺ يعمل بهن وتركهن الناس، وكان إذا قام إلى الصلاة قال هكذا، وأشار أبو عامر بيده ولم يفرج بين أصابعه ولم يضمها فذكر أن أبا هريرة

---

(١) في الهندية: «بمدراك».

(٢) في المطبوعة: «العقيدين»، وفي الهندية: «العقدين» وهو خطأ، والتصويب من «سنن البيهقي» وكتب الرجال.

(٣) في المطبوعة والهندية: «سعد» وهو خطأ، والتصويب من «سنن البيهقي»، وكتب الرجال.

قال : كان رسول الله ﷺ يعمل بهذه الثلاث التي تركهن الناس ، والله المستعان][1] .

وأما قوله : فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف وترك طريق العناد[2] والاعتساف .

فجوابه أن يقال : من نظر بعين الإنصاف ، وترك طريق العناد والاعتساف تبين له عور[3] كلامك ، وسوء مرامك وقلة معرفتك ، وأنك كحاطم سيل أو حاطب ليل ، فإن من كان عريقًا بالإيمان بما جاء به الرسول ، وبمعرفة المنقول وصحيح[4] المعقول لا يقول لما ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من الجهر بالذكر عقب المكتوبة لمن عمل به بعد ترك الناس لذلك أن هذا من البدع والتشويش على الناس ، وأن إخبار ابن عباس الصحابة بذلك من تحصيل الحاصل إذ لو كانوا مستمرين على الجهر لم يحتج ابن عباس إلى إيراد هذا الكلام ، فمفهوم هذا الكلام أن هذا لو كان صحيحًا معمولًا به على

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة . والحديث أخرجه البيهقي في «سننه» (٢/ ٢٧) ، والحاكم في «مستدركه» (١/ ٢٣٤) ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

وأخرجه النسائي في «سننه» (٢/ ١٢٤) ، ورجاله ثقات . وينظر «نصب الراية» للزيلعي (١/ ٣٣٦) .

(٢) في المطبوعة : «العناه» .

(٣) في المطبوعة : «عود» .

(٤) في المخطوطة : «وصريح» .

عهد رسول الله ﷺ لم يكن ابن عباس هو الذي يخبر بذلك ، فيكون هذا غير صحيح ولا معلوم وفيه من الرد على حبر الأمة وترجمان القرآن ما لا يستجيزه من كان له مسكة من عقل ومعرفة بما يقول ، ثم لو كان الجهر بالذكر بعد الصلاة متروكًا في زمن الصحابة لم يكن هذا دليلًا على أنه ليس سنة ، بل قد أقام الله لهذه السنة من يأمر بها ويعمل بها ويبين سنيتها[١] ، كما أقام لبيان مشروعية الاستئذان للمماليك في العورات الثلاث وبإخراج الصاع في زكاة الفطر [بعد ترك العمل بذلك][٢] من يبين هذه السنن ويأمر بها .

فإن قيل : بل كان هذا على عهد رسول الله ﷺ أولًا ثم لما كان عندهم من المعلوم أن هذا مشروع وأن الجهر به لأجل[٣] إعلام الناس بذلك ، فلما علموه تركوا الجهر به وكان الإسرار به أفضل .

قيل : هذا لا يصح ، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجهرون بذلك على عهد رسول الله ﷺ بعد أن علموه ، فكان يسمعهم ويقرهم على ذلك الجهر ، وكان يمكنه لو كان الإسرار به أفضل أن يقول قد علمتم ذلك فأسروا به ولا تجهروا به ، لأن في الجهر به تشويشًا على الناس ، أو أن في الجهر بذلك مراءاة للناس بهذا العمل ، فلما لم ينههم عن الجهر علم أن ذلك محبوب لله مرضيٌّ له مشروع ، وترك العمل به

---

(١) في الهندية والمطبوعة : «سنتها» .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المطبوعة ، وفي الهندية : «زكاة الفطر لله ترك العمل بذلك من . . .» .

(٣) في المطبوعة : «لأجله» .

لا يخرجه ذلك عن كونه مشروعًا مسنونًا كما تركوا إخراج الصاع في زكاة الفطر وعدلوا إلى رأي معاوية في إخراج مدين من سمراء الشام، وكما ترك الناس العمل من أمر المماليك بالاستئذان في ثلاث[١] العورات.

فلو كان كل ما ترك من السنن القولية والفعلية مما كان على عهد رسول الله ﷺ مما تساهل الناس بترك العمل به من الأمور التي يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاقب على تركها إذا أخبر بها مخبر أنها سنة مهجورة غير معمول بها أن المخبر بذلك مشوِّش على الناس إذا عمل به، أو مبتدع في الدين ما لم يأذن به الله، لانسد باب العلم وأُمِيتَت[٢] السنن، في ذلك من المفاسد ما لا يحصيه إلا الله، فإذا علمت هذا وعرفته تبين لك أن هذا المتكلم قد سلك طريق العناد والاعتساف ولم ينظر بعين العدل والإنصاف.

* * *

(١) في المخطوطة: «الثلاث».

(٢) في الهندية: «أميتة»، وهو خطأ إملائي.

فصل

ومما يدل على أن كثيرًا من السنن القولية والفعلية، وكذلك الأعمال الشرعية قد ترك العمل بها على عهد الصحابة رضي الله عنهم، كما قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله في أثناء كلام له قال فيه: أخبرنا محمد ابن سعيد بإسناده[1]، عن أبي الدرداء، قال: لو خرج رسول الله ﷺ إليكم اليوم[2] ما عرف شيئًا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلوات، قال الأوزاعي: فكيف لو[3] كان اليوم؟ قال عيسى -يعني الراوي عن الأوزاعي-: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان[4].

أخبرنا محمد بن سليمان بإسناده، عن علي، قال: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه سيأتي من[5] بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم[6].

---

(١) في المطبوعة: «بإسناد».

(٢) سقطت «اليوم» من المطبوعة.

(٣) سقطت «لو» من المخطوطة والهندية والمطبوعة، والاستدراك من «البدع والنهي عنها» لابن وضاح.

(٤) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٦١).

(٥) سقطت «من» من النسخ الثلاث، والاستدراك من «البدع والنهي عنها» لابن وضاح.

(٦) في المطبوعة: «أعشاركم»، انظر «البدع والنهي عنها» (ص٦٢).

أخبرنا يحيىٰ بإسناده، عن أبي سهيل بن مالك، عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئًا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة[١].

حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده[٢] عن أنس، قال: ما أعرف منكم شيئًا كنت أعهده علىٰ عهد رسول الله ﷺ ليس قولكم: «لا إله إلا الله»[١].

أخبرنا محمد بن سعيد[٣] بإسناده عن الحسن، قال: لو أن رجلًا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئًا، قال: ووضع يده علىٰ خده، ثم قال: إلا هذه الصلوات، ثم قال: أما والله لمن عاش في هذه النكر ولم يدرك هذا السلف الصالح فرأىٰ مبتدعًا يدعو إلىٰ بدعة ورأىٰ صاحب دنيا يدعو إلىٰ دنياه، فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلىٰ ذكر هذا السلف الصالح، ليسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم، ليعوض أجرًا عظيمًا فكذلك كونوا إن شاء الله.

حدثني عبد الله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران، قال: لو أن رجلًا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة[٤].

---

(١) «البدع والنهي عنها» لابن وضاح (ص٦٦).

(٢) في المطبوعة: «بإسناد».

(٣) في النسخ الثلاث: «أخبرنا أسد»، والتصويب من «البدع والنهي عنها» (ص٦٧).

(٤) «البدع والنهي عنها» (ص٦٧).

أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم[١] الدرداء قالت : دخل علي أبو الدرداء مغضبًا فقلت له : ما أغضبك؟ فقال : والله ما أعرف[٢] فيهم من أمر محمد شيئًا إلا إنهم يصلون جميعًا ، وفي لفظ : لو أن رجلًا تعلم الإسلام وأهمه ، ثم تفقده ما عرف منه شيئًا[٣] .

حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو ، قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية ، لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئًا مما كانا عليه[٤] .

قال مالك : وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر : ١] ، فقال : والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا[٤] .

فإذا فهمت هذا علمت أن هذا الرجل من أجهل الناس وأشدهم غباوة ، وإلا فما ذكرناه لا يخفى على من له إلمام بالعلوم ، وله معرفة بالمنطوق والمفهوم من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل التحقيق من العلماء ، وهذا الرجل وأضرابه من المتمعلمين لا يعرفون إلا ما ألفوه من العادات ، وينكرون ما لم يعرفوه[٥] من العبادات ، فكان المعروف

---

(١) في الهندية والمطبوعة : «إمام» .

(٢) في المطبوعة : «ما عرفت» .

(٣) «البدع والنهي عنها» (ص٦٧ ، ٦٨) .

(٤) «البدع والنهي عنها» (ص٦٨) .

(٥) في المطبوعة والهندية : «يعرفونه» .

لديهم منكرًا والمنكر معروفًا ، فينكرون ما ثبت النص به في الجهر بالذكر[١] عقب الصلاة ؛ لأنهم ما ألفوا ذلك ولا اعتادوه ، ويجهرون بالتهليلات العشر بعد صلاة المغرب وبعد صلاة الفجر وهو لم يرد بالجهر بذلك حديث عن النبي ﷺ ، ولا ينكرون هذا لأنه مما اعتادوه وهذا[٢] من قلة علمهم ومعرفتهم وعدم اطلاعهم ، فالله المستعان .

* * *

---

(١) سقطت «بالذكر» من المطبوعة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : «وهذه» .

فصل[١]

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إعلام الموقعين»[٢] نحوًا من ثلاثة وسبعين مثالًا في الرد على من رد السنن الثابتة المحكمة[٣] الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ بأنها زائدة على ما في القرآن، ومخالفة للأصول وللقياس أو الظاهر، أو لعمل أهل المدينة، أو لعمل غيرهم من أهل المذاهب، فذكر كلامًا طويلًا أفاد فيه وأجاد.

ثم قال[٤]: وإذا أردت وضوح ذلك فانظر العمل في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جهره بالاستفتاح في الفرض في مصلى النبي ﷺ، وعمل الصحابة به، ثم العمل في زمن مالك بوصل التكبير بالقراءة من غير استفتاح ولا تعوذ، وانظر العمل في زمن الصحابة كعبد الله بن عمر في اعتبار خيار المجلس ومفارقته لمكان التبايع ليلزم العقد، ولا يخالفه في ذلك صحابي[٥]، ثم العمل به في

---

(١) هذا الفصل غير موجود في المخطوطة.

(٢) (٢/ ٢٩٤) ط. الكليات الأزهرية.

(٣) في الهندية: «الحكمة».

(٤) (٢/ ٣٩٥).

(٥) ثبت ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين، لكن لا يقر رضي الله عنه على ذلك العمل، لما روى الترمذي وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«البائع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا، إلا أن تكون صفقة خيار، فلا يحل له أن يفارق صاحبه خشية أن يستقيله»**، قال الترمذي: هذا =

زمن التابعين وإمامهم وعالمهم سعيد بن المسيب يعمل به ويفتي به ، ولا ينكر عليه منكر ، ثم صار العمل في زمن ربيعة وسليمان بن بلال بخلاف ذلك .

وانظر إلى العمل في زمن رسول الله ﷺ والصحابة خلفه وهم يرفعون أيديهم في الصلاة في الركوع وفي الرفع منه ، ثم العمل في زمن الصحابة بعده حتى كان عبد الله بن عمر إذا رأى من لا يرفع يديه حصبه ، وهو عمل كأنه رأي عين ، وجمهور التابعين يعمل به بالمدينة وغيرها من الأمصار كما حكاه البخاري[1] ومحمد بن نصر المروزي[2] وغيرهما عنهم ، ثم صار العمل بخلافه[3] ، وانظر إلى العمل الذي[4] كأنه رأي عين من صلاة رسول الله ﷺ على ابني بيضاء سهيل وأخيه

= حديث حسن ، وهو كما قال : فإن الأئمة ما زالوا يحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المغني» (٣/ ٤٨٥) ط . القاهرة : « . . . قول النبي ﷺ يقدم على فعل ابن عمر ، والظاهر أن ابن عمر لم يبلغه هذا ، ولو علمه لما خالفه» . اهـ . وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢٣) ط . الكليات الأزهرية : تنبيه : لم يبلغ ابن عمر النهي المذكور .اهـ .

وقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ولا يخالفه في ذلك صحابي» يريد أنه لم يخالفه صحابي في أن البيع ينعقد بالتفرق ، ما لم يكن هناك خيار .

(١) في رسالته «رفع اليدين» .

(٢) في كتاب «الصلاة» .

(٣) في الهندية «بخلاف» .

(٤) في الهندية «الديمي» .

في المسجد والصحابة معه، وصلت عائشة على سعد بن أبي وقاص في المسجد[١]، وصُلِّيَ على عمر بن الخطاب في المسجد، ذكره مالك عن نافع عن عبد الله، قال الشافعي: ولا نرى أحدًا من الصحابة حضر موته فتخلف عن جنازته، فهذا عمل مجمع عليه عندكم، قاله بعض المالكية، وروى هشام عن أبيه، أن أبا بكر صلي عليه في المسجد[٢].

فهذا العمل حق، ولو تركت السنن للعمل لتعطلت سنن رسول الله ﷺ ودرست رسومها وعفت آثارها، وكم من عمل قد[٣] اطرد بخلاف السنة الصريحة على تقادم الزمان، وإلى الآن وكل وقت تترك فيه سنة[٤] ويعمل بخلافها ويستمر عليها العمل، فتجد يسيرًا من السنة معمولًا به على نوع تقصير، وخذ بلا حساب ما شاء الله من سنن قد أهملت وعطل العمل بها [جملة، فلو عمل بها][٥] من يعرفها لقال الناس: ترك السنة، فقد تقرر أن كل عمل خالف السنة الصحيحة الصريحة لم يقع من طريق النقل البتة، وإنما يقع من طريق الاجتهاد، والاجتهاد إذا خالف السنة كان مردودًا، وكل عمل طريقه النقل فإنه لا يخالف سنة صحيحة البتة. انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الجنائز (٢/ ٦٦٨، ٦٦٩) من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف كلاهما عن عائشة... به.

(٢) انظر «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٦٤).

(٣) سقطت «قد» من المطبوعة.

(٤) في الهندية: «تترك وسنة».

(٥) ما بين المعقوفين سقط من الهندية.

وبهذا تعرف غلط هذا المتكلم وعدم اطلاعه على كلام أهل التحقيق من أهل العلم الذين هم القدوة وبهم الأسوة ، والله المستعان وبه الثقة والعصمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١] .

تم بحمد الله

* * *

---

(١) في آخر النسخة الخطية : «تم نسخ هذه الأوراق سنة ١٣٣٣هـ» .

قال محققه عفا الله عنه : تم تحقيق هذه الرسالة وتخريج أحاديثها في شهر جمادى الثانية سنة ست وأربعمائة بعد الألف ، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

د . عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

أهم المراجع

١- «تفسير ابن جرير الطبري» .
٢- «تفسير ابن كثير» ط . الاستقامة ، مصر ، ١٣٧٦هـ .
٣- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ط . السلفية .
٤- «مسند أحمد» .
٥- «صحيح مسلم» .
٦- «سنن أبي داود» .
٧- «سنن الترمذي» .
٨- «سنن ابن ماجه» .
٩- «سنن النسائي» .
١٠- «البداية والنهاية» لابن كثير .
١١- «الأم» للشافعي ، ط . دار الفكر .
١٢- «مصنف عبد الرزاق» .
١٣- «مصنف ابن أبي شيبة» .
١٤- «مسند الحميدي» .
١٥- «مستخرج أبي عوانة» .
١٦- «المعجم الكبير» للطبراني .
١٧- «شرح السنة» للبغوي .
١٨- «سنن البيهقي» .

١٩- «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى .

٢٠- «كشف القناع عن متن الإقناع» .

٢١- «المغني» لابن قدامة .

٢٢- «مجموع فتاوى ابن تيمية» لابن قاسم ، الرياض .

٢٣- «منتقى الأخبار» للمجد ابن تيمية .

٢٤- «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، المكتب الإسلامي .

٢٥- «نصب الراية» للزيلعي .

٢٦- «البدع والنهي عنها» لابن وضاح .

٢٧- «التلخيص الحبير» لابن حجر ، الكليات الأزهرية .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

* * *

مُناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج

اعتنى بنشرها

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن الخوارج قوم سوءٍ، ودعاة فتنة، وراية تَفَرُّقٍ، ما إن يستقيم للمسلمين أمرهم وينتظم جمعهم إلا ووظيفة الخوارج تمزيق ما استقام، وإفساد ما صلح.

ومنذ أن ظهروا لم ينقطعوا، فلا يخلو منهم الزمان، حتى يكون آخرهم مَنْ يخرج مع الدجال.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بالتحذير منهم، وبيان صفاتهم، وحكم الله تعالى فيهم.

ولذا قاتلهم صحابةُ رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم من الولاة على مرِّ العصور الإسلامية.

ولم يسلم من طعنهم وكيدهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ولا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ولا أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهم أجمعين، حتى الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لم

يسلم منهم، فقد خرجوا عليه؛ فهم في الحقيقة أعداء أهل الإسلام، لا يرضون بحكم أحد من المسلمين مهما بلغ صلاحه.

حتى أن رسول الله ﷺ لم يسلم من طعنهم، حيث قال له إمامهم ذو الخويصرة: «اعدل يا محمد» فطعن في عدالة رسول الله ﷺ.

والخوارج في كل زمان ومكان بينهم رحمٌ تنزع بالشبه، فقلوبهم متشابهة، وألسنتهم متشابهة، وأفعالهم متشابهة.

وفي هذه الرسالة التي استللتها من ترجمة الإمام وهب بن منبه رحمه الله تعالى ما يوضح هذه الصورة ويجليها، حيث إن الخوارج في ذلك الزمن طرحوا قضايهم المعروفة:

أ- عدم جواز دفع الزكاة إلى ولاة الأمر من المسلمين؛ بناء على رأي الخوارج في تكفيرهم، وزعمًا أنهم لا يضعونها في مواضعها.

ب- عدم الاستغفار لمن لا يرى رأيهم؛ بناء على أنه كافرٌ بالله العظيم.

فتأثر بهذه الأطروحات من تأثر ممن قل نصيبه من العلم، فخدعه زهد الخوارج وعبادتهم وشدتهم في الدين.

وكان ممن تأثر بهم رجلٌ كبير السن كثير المال من أهل اليمن، فلما أراد الله به خيرًا ساقه إلى الإمام وهب بن منبه رحمه الله تعالى فناصحه الإمام وهب في شأنهم، وأقنعه بفساد رأيهم، وخطورته على دين المرء

ودنياه، كل ذلك بأسلوب واضح مدعم بالأدلة التي يفهمها أولو الألباب.

وإذا تأملت ماكان يطرحه الخوارج آنذاك، ورأيت ما يطرحه خوارج هذا العصر، حضر في ذهنك قول الله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

* * *

ترجمة الإمام وهب بن منبه

هو : وهب بن منبه بن كامل بن سِيَج بن ذي كِبار . أبو عبد الله اليماني الصنعاني ، قَدِم والده إلى اليمن من خراسان من هَرَاة .

وُلد وهبٌ سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وروى عن جماعة من الصحابة ، منهم : أنس بن مالك ، وجابر ابن عبد الله ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري .

وروى -أيضًا- عن طاوس بن كيسان ، وعمرو بن دينار ، وعمرو بن شعيب ، وأخيه همام بن منبه ، وغيرهم .

قال الإمام أحمد : كان من أبناء فارس ، قال : وكل من كان من أهل اليمن له «ذي» هو شريف ، يقال : فلان له ذي ، وفلان لا ذي له[١] .

وقال العجلي : تابعي ثقة ، وكان على قضاء صنعاء[٢] .

ووثقه أبو زرعة والنسائي ، وغيرهم .

ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز رحمه الله في صنعاء[٣] ، حديثه في

(١) «العلل» (٢/ ٥٢) .

(٢) «ثقات العجلي» (٤٧٦) .

(٣) «أخبار القضاة» لوكيع (٣/ ٣٠٣) .

«الصحيحين» ، عنده من علم أهل الكتاب شيء كثير ، وهومعدود من الزهاد أهل الورع والتقوى ، كثير العبادة .

مات سنة عشر ومائة (١١٠هـ) بصنعاء في أول خلافة هشام بن عبدالملك ، وقيل : مات سنة أربع عشرة ومائة (١١٤هـ) ، ورجَّح هذا ياقوت في «معجم الأدباء»[١] .

***

(١) (١٥/ ٢٦٠)، وينظر : «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٠٠)، و«تهذيب الكمال» (٣١/ ١٤٠-١٦٢) .

مصدر هذه الرسالة

وردت هذه الرسالة في ترجمة الإمام وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل من :

١- «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧/ ٠٠٠/ ٤٨٣أ) .

٢- «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢٦/ ٣٨٨) .

٣- «تهذيب الكمال» للمزي (٣١/ ١٥٠ ط . مؤسسة الرسالة) ، وقد قابلت ما جاء في مطبوعة «تهذيب الكمال» على المخطوطة (٣/ ١٤٨١ مصورة دار المأمون) .

٤- «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٥٥٣) .

* * *

عملي في الكتاب

جعلت سياق «تهذيب الكمال» أصلًا، وقابلت عليه سياق بقية المراجع المذكورة وأثبت الصواب، كما علقت تعليقات يسيرة على ما يحتاج إلى تعليق.

والله أسأل التوفيق والإعانة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم

٦/٦/١٤١٨هـ

قَالَ علي بن الْمَدِينِيّ : حَدثنَا هِشَام بن يُوسُف الصَّنْعَانِيّ أَبُو عبد الرَّحْمَن قَاضِي صنعاء ، قَالَ : أَخْبرنِي دَاوُد بن قيس ، قَالَ : كَانَ لي صديق من أهل بَيت خولان[١] من حُضُور[٢] يُقَال لَهُ : أَبُو شمر ذُو خولان ، قَالَ : فَخرجت من صنعاء أُرِيد قريته ، فَلَمَّا دَنَوْت مِنْهَا وجدت كتابا[٣] مَخْتُومًا فِي ظَهره : إِلَى أبي شمر ذِي خولان .

فَجِئْته فَوَجَدته مهموما حَزِينًا فَسَأَلته عَن ذَلِك ، فَقَالَ : قدم رَسُول من صنعاء فَذكر أن أصدقاء لي كتبُوا إِلَيّ كتابا فضيعه الرَّسُول ، فَبعثت مَعَه من رقيقي من يلتمسه بَين[٤] قريتي وَصَنْعَاء فَلم يجدوه ، وأشفقت من ذَلِك .

قلت : فَهَذَا الْكتاب قد وجدته .

فَقَالَ : الْحَمد لله الَّذِي أقدرك عَلَيْهِ ، ففضه فقرأه .

---

(١) نسبه إلى خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن سبأ ، وإليه تنسب قرية : «خَوْلان» باليمن ، فتحت أيام عمر بن الخطاب سنة ثلاث أو أربع عشرة . ينظر : «معجم البلدان» (٢/ ٤٠٦) .

(٢) بالفتح ، ثم الضم ، وسكون الواو ، وراء : بلدة باليمن من أعمال زبيد ، قيل : هي المقصود بقوله تعالى : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ...﴾ [الأنبياء : ١١] فقد سلط الله عليهم بُختنصر فاستصأل أهلها ؛ لقتلهم أحد أنبياء الله . ينظر : «معجم البلدان» (٢/ ٢٧٢) ، و«الدر المنثور» (٥/ ٦١٨) .

(٣) أي : وجد كتابًا قد فقد من صاحبه ، مكتوب عليه : إلى أبي شمر ذي خولان .

(٤) في مطبوعة «تهذيب الكمال» : «من» ، والمثبت من المخطوطة .

فَقلت : أقرئنيه .

فَقَالَ : إِنِّي لأستحدث سنك .

قلت : فَمَا فِيهِ قَالَ ضرب الرّقاب .

قلت : لَعَلَّه كتبه إِلَيْك نَاس من أهل حروراء فِي زَكَاة مَالك .

قَالَ : من أَيْن تعرفهم .

قلت : إِنِّي وأصحابا[1] لي نجالس وهب بن مُنَبّه ، فَيَقُول : لنا احذورا أَيهَا الْأَحْدَاث الأغمار هَؤُلَاءِ الحروراء ، لَا يدخلوكم فِي رَأْيهمْ الْمُخَالف ؛ فَإِنَّهُم عرة لهَذِهِ الْأمة ، فَدفع إِلَي الْكتاب فَقَرَأته فَإِذا فِيهِ :

بِسم اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم ، إِلَى أبي شمر ذِي خولان ، سَلام عَلَيْك ، فَإنَّا نحمد إِلَيك اللَّه الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ، ونوصيك بتقوى اللَّه وَحده لَا شريك لَهُ ، فَإِن دين اللَّه رشد وَهدى فِي الدُّنْيَا ، وَنَجَاة وَفَوْز فِي الْآخِرَة ، وَإِن دين اللَّه طَاعَة اللَّه[2] وَمُخَالفَة من خَالف سنة نبيه وشريعته ، فَإِذا جَاءَك كتابنَا هَذَا فَانْظُر أَن تُؤَدِّي -إِن شَاءَ اللَّه- مَا افْترض اللَّه عَلَيْك من حَقه ؛ تستَحقّ بذلك ولَايَة اللَّه وَولَايَة أوليائه ، وَالسَّلَام عَلَيْك وَرَحْمَة اللَّه .

فَقلت لَهُ : فَإِنِّي أنهاك عَنْهُم .

---

(١) في المخطوطة : «وأصحاب» ، والمثبت من المطبوعة .

(٢) سقط لفظ الجلالة من المطبوعة ، وأثبته من المخطوطة .

قَالَ : فكيف أتبع قَوْلك وأترك قَول من هُوَ أقدم مِنْك .

قَالَ : قلت : أفتحب أن أدخلك علىٰ وهب بن مُنَبّه حَتَّىٰ تسمع قَوْله ويخبرك خبرهم؟ قَالَ : نعم .

فَنزلت وَنزل معي إلىٰ صنعاء ، ثمَّ غدونا حَتَّىٰ أدخلته علىٰ وهب ابن مُنَبّه ، ومسعود بن عَوْف وَال على الْيمن من قبل عُرْوَة بن مُحَمَّد .

قَالَ عَليّ ابْن الْمَدِينِيّ : هُوَ عُرْوَة بن مُحَمَّد بن عَطِيَّة السَّعْدِيّ ، ولاؤنا لَهُم من سعد بن بكر بن هوَازن[1] ، قَالَ : فَوَجَدنَا عِنْد وهب نَفرا من جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ لي بَعضهم : من هَذَا الشَّيْخ؟ فَقلت : هَذَا أَبُو شمر ذُو خولان من أهل حُضُور ، وَله حَاجَة إلىٰ أبي عبد الله .

قَالُوا : أَفلا يذكرهَا .

قلت : إِنَّهَا حَاجَة يُرِيد أن يستشيره فِي بعض أمره ، فَقَامَ الْقَوْم .

وَقَالَ وهب : مَا حَاجَتك يَا ذَا خولان ، فهرج[2] وَجبن من الْكَلَام .

فَقَالَ لي وهب : عبر عَن شيخك .

فَقلت : نعم يَا أَبَا عبد الله ، إِن ذَا خولان من أهل الْقُرْآن وَأهل الصّلاح فِيمَا علمنَا وَالله أعلم بسريرته ، فَأَخْبرنِي أنه عرض لَهُ نفر من أهل صنعاء من أهل حروراء فَقَالُوا لَهُ : زكاتك الَّتِي تؤديها إلى

---

(١) والذي ولاه أمر اليمن هو الخليفة أمير المؤمنين ؛ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ . ينظر : «الطبقات» لابن سعد (٥/ ٣٤١) .

(٢) هرج بمعنىٰ : خلَّط في كلامه . ينظر : «القاموس» (ص٢٦٩) .

الْأُمَرَاء لَا تجزي عَنْك فِيمَا بَيْنك وَبَين اللَّه ؛ لأَنهم لَا يضعونها فِي موَاضعهَا ، فأدها إلينا فَإنَّا نضعها فِي موَاضعهَا ، نقسمها فِي فُقَرَاء الْمُسلمين وَنُقِيم الْحُدُود .

وَرَأَيْت أن كلامك يَا أبا عبد اللَّه أشفى لَهُ من كَلَامي ، وَلَقَد ذكر لي أنه يُؤَدِّي إِلَيْهِم الثَّمَرَة لوَاحِدَة مائة فرق[1] على دوابه ، وَيبْعَث بهَا مَعَ رَقِيقه .

فَقَالَ لَهُ وهب : يَا ذَا خولان أَتُرِيدُ أن تكون بعد الْكبر حروريا تشهد على من هُوَ خير مِنْك بالضلالة؟! فَمَاذَا أنت قَائِل للَّه غدا حِين يقفك اللَّه؟

وَمن شهِدت عَلَيْهِ ، اللَّه يشْهد لَهُ بِالْإِيمَان وأنت تشهد عَلَيْهِ بالْكفْر ، وَاللَّه يشْهد لَهُ بِالْهدى وأنت تشهد عَلَيْهِ بالضلالة ، فَأين تقع إِذا خَالف رَأْيك أَمر اللَّه وشهادتك شَهَادَة اللَّه؟!

أخبرني يَا ذَا خولان مَاذَا يَقُولُونَ لَك؟ فَتكلم عِنْد ذَلِك ذُو خولان وَقَالَ لوهب : إِنَّهُم يأمرونني أن لَا أَتصدق إلا على من يرى رَأْيهمْ ، وَلَا أَسْتَغْفر إِلَّا لَهُ .

فَقَالَ وهب : صدقت ، هَذِه محبتهم[2] الكاذبة .

فَأما قَوْلهم فِي الصَّدَقَة ، فَإِنَّهُ قد بَلغنِي أن رَسُول اللَّه ﷺ ذكر : «أن امْرَأَة من أهل الْيمن دخلت النَّار فِي هرة ربطتها ، فَلَا هِيَ أطعمتها

(١) قيل : إنه ثلاثة آصع . رواه مسلم عن سفيان بن عيينة .

(٢) في المخطوطة : «محنتهم» .

وَلَا هِيَ تركتهَا تأكل من خشَاش الأَرْض[(١)]» ، أفإنسان مِمَّن يعبد اللَّه ويوحده وَلَا يُشْرك بِهِ شَيْئا أحب إِلىٰ اللَّه من أن تطعمه من جوع أَوْ هرة؟ وَاللَّه يَقُول فِي كِتَابه : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨-١٠]، يَقُول : يَوْمًا عسيرًا غضوبًا علىٰ أهل مَعْصِيَته ؛ لغضب اللَّه عَلَيْهِم ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ حَتَّىٰ بلغ ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[(٢)] ثمَّ قَالَ وهب : مَا كَاد تبَارك وَتَعَالَىٰ أن يفرغ من نعت مَا أعد لَهُم بذلك من النَّعيم فِي الْجنَّة .

وأما قَوْلهم لَا يسْتَغْفر إلا لمن يرىٰ رَأْيهمْ ، أهم خير من الْمَلَائِكَة وَاللَّه تَعَالَىٰ يَقُول فِي سُورَة ﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴾[(٣)] : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورىٰ : ٥] .

---

(١) أخرجه البخاري في «بدء الوحي ، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم» (٦/ ٢٥٤) . ومسلم في «البر والصلة» رقم (٢٢٤٢) عن ابن عمر . وأخرجه مسلم عن أبي هريرة - أيضًا .

(٢) سورة الإنسان ، الآيات : (١١-٢٢) ، وهي بتمامها : ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ .

(٣) هي سورة الشورىٰ .

وَأَنا أقسم بِاللَّه مَا كَانَت الْمَلَائِكَة ليقدروا على ذَلِك وَلَا ليفعلوا حَتَّى أمروا بِهِ ؛ لِأَن اللَّه تَعَالَى قَالَ : ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] ، وأنه أَثْبَتَ هَذِه الْآيَة فِي سُورَة ﴿ حمٓ ١ عٓسٓقٓ ﴾ ، وفسرت فِي ﴿ حمٓ ﴾ الْكُبْرَى[1] قَالَ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[2] . . . الْآيَات .

أَلا ترى يَا ذَا خولان أَنِّي قد أدْركْت صدر الْإِسْلَام ، فوَاللَّه مَا كَانَت للخوارج جمَاعَة قطّ إِلا فرقها اللَّه على شَرّ حالاتهم ، وَمَا أظهر أحد مِنْهُم قَوْله إِلا ضرب اللَّه عُنُقه ، وَمَا اجْتمعت الْأمة على رجل قطّ من الْخَوَارِج .

وَلَو أمكن اللَّه الْخَوَارِج من رَأْيهمْ لفسدت الأَرْض ، وَقطعت السبل ، وَقطع الْحَج عَن بَيت اللَّه الْحَرَام ، وَإِذن لعاد أَمْر الاسلام جَاهِلِيَّة حَتَّى يعود النَّاس يستعينون برءوس الْجبَال كَمَا كَانُوا فِي

---

(١) هي سورة غافر .

(٢) سورة غافر ، الآية : (٧) . والمراد بالآيات قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ .

الْجَاهِلِيَّة ، وَإِذن لقام أكثر من عشرَة أَوْ عشْرين رجلا لَيْسَ مِنْهُم رجل إلا وَهُوَ يَدْعُو إلىٰ نَفسه بالخلافة ، وَمَعَ كل رجل مِنْهُم أَكثر من عشرَة آلَاف يُقَاتل بَعضهم بَعْضًا ، وَيشْهد بَعضهم علىٰ بعض بالْكفْر ، حَتَّىٰ يصبح الرجل الْمُؤمن خَائفًا علىٰ نَفسه وَدينه وَدمه وَأَهله وَمَاله ، لَا يدْرِي أَيْن يسْلك أَوْ مَعَ من يكون .

غير أن اللَّه بِحكمِهِ وَعلمه وَرَحمته نظر لهَذِهِ الْأمة فَأحْسن النّظر لَهُم ، فَجَمعهُمْ وَألف بَين قُلُوبهم علىٰ رجل وَاحِد لَيْسَ من الْخَوَارِج ، فحقن اللَّه بِهِ دِمَاءهُمْ وستر بِهِ عَوْرَاتهمْ وعورات ذَرَارِيهمْ ، وَجمع بِهِ فرقتهم ، وأمن بِهِ سبلهم ، وَقَاتل بِهِ عَن بَيْضَة الْمُسلمين عدوهم ، وَأَقَام بِهِ حدودهم ، وأنصف بِهِ مظلومهم ، وجاهد بِهِ ظالمهم رَحْمَة من اللَّه رَحِمهم بهَا .

قَالَ اللَّه تَعَالَىٰ فِي كتابه : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ إلىٰ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١) ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ حَتَّىٰ بلغ ﴿تَهْتَدُونَ﴾ (٢) ، وَقَالَ اللَّه تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا

---

(١) سورة البقرة ، الآية : (٢٥١) . والآية بتمامها : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : (١٠٣) . والآية بتمامها : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إلى ﴿ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾(١)، فَأَيْنَ هم من هَذِه الْآيَة؟! فَلَو كَانُوا مُؤمنين نصروا .

وَقَالَ : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١-١٧٣] .

فلَو كَانُوا جند الله غلبوا وَلَو مرّة وَاحِدَة فِي الْإِسْلَام .

وَقَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ حَتَّى بلغ ﴿ نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢)، فَلَو كَانُوا مُؤمنين نصروا .

وَقَالَ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ حَتَّى بلغ ﴿ لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾(٣)، فَأَيْنَ هم من هَذَا؟ هَل كَانَ لأحد مِنْهُم قطّ أخبر إِلَى الْإِسْلَام من يَوْم عمر بن الْخطاب بِغَيْر خَليفَة وَلَا جمَاعَة وَلَا نظر(٤)؟ وَقد قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

---

(١) سورة غافر ، الآية : (٥١) . والآية بتمامها : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ .

(٢) سورة الروم ، الآية : (٤٧) . ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٥٥ . ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ .

(٤) هكذا في جميع المصادر ، ولم أتمكن من قراءة هذه الجملة قراءة صحيحة .

وأنا أشهد أن اللَّه قد أنفذ مَا وعدهم من الظُّهُور والتمكين والنصر علىٰ عدوهم وَمن خَالف رَأْي جمَاعَتهمْ .

وَقَالَ وهب : أَلا يسعك يَا ذَا خولان من أهل التَّوْحِيد وأهل الْقبْلَة وَأهل الإقرار بشرائع[١] الْإِسْلَام وسننه وفرائضه مَا وسع نَبِي اللَّه نوحًا من عَبدة الْأَصْنَام وَالْكفَّار؟ إِذْ قَالَ لَهُ قومه : ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ حَتَّىٰ بلغ ﴿تَشۡعُرُونَ﴾[٢] ، أَولا يسعك مِنْهُم مَا وسع نَبِي اللَّه وخليله إِبْرَاهِيم من عَبدة الْأَصْنَام؟ إِذْ قَالَ : ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ حَتَّىٰ بلغ ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٣] ، أَولا يسعك يَا ذَا خولان مَا وسع عِيسَىٰ من الْكفَّار الَّذين اتخذوه إِلَهًا من دون اللَّه؟

إِن اللَّه قد رَضِي قَول نوح وَقَول إبراهيم وَقَول عِيسَىٰ إِلَىٰ يَوْم الْقِيَامَة ليقتدي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَمن بعدهمْ ، يَعْنِي : ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة : ١١٨] ، وَلَا يخالفون قَول أَنْبيَاء اللَّه ورأيهم فبمن[٤] يُقْتَدَىٰ إِذا لم يُقتد بِكِتَاب اللَّه وَقَول أنبيائه ورأيهم؟!

---

(١) في المطبوعة : «لشرائع» .

(٢) سورة الشعراء ، الآيات : (١١١-١١٣) . ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ .

(٣) سورة إبراهيم ، الآيات : (٣٥ ، ٣٦) . ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ .

(٤) في المطبوعة : «فيمن» ، والمثبت من المخطوطة .

وَاعْلَم أن دخولك عَليّ رَحْمَة لَك إِن سَمِعت قولي وَقبلت نصيحتي لَك ، وَحجَّة عَلَيْك غَدا عِنْد اللَّه إِن تركت كتاب اللَّه وعدت إِلىٰ قَول الحروراء .

قَالَ ذُو خولان : فَمَا تأمرني؟

فَقَالَ وهب : انْظُر زكاتك الْمَفْرُوضَة فأدها إِلىٰ من ولاه اللَّه أَمر هَذِه الْأمة وجمعهم عَلَيْهِ ، فَإِن الْملك من اللَّه وَحده وَبِيَدِهِ يؤتيه من يَشَاء وينزعه مِمَّن يَشَاء ، فَمن ملكه اللَّه لم يقدر أحد أن يَنْزعهُ مِنْهُ ، فَإِذا أدّيت الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة إِلىٰ وَالِي الْأَمر بَرِئت مِنْهَا ، فَإِن كل فضل فصل بِهِ أرحامك ومواليك وَجِيرَانك من أهل الْحَاجة وضيف إِن ضافك .

فَقَالَ ذُو خولان : فَقَالَ : أشهد أَنِّي نزلت عَن رَأْي الحرورية وصدقت مَا قلت .

فَلم يلبث ذُو خولان إلا يَسِيرا حَتَّىٰ مَاتَ [(١)] .

* * *

---

(١) تمت هذه الرسالة ، وقد فرغت من تصحيحها في الرياض ١٤١٨/٦/١هـ ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

* * *

تأسيس التقديس
في
كشف تلبيس داود بن جرجيس

للعالم العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين

١١٩٤ - ١٢٨٢هـ

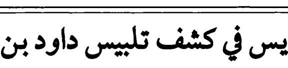
تحقيق

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ



المقدمة

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على رسول الله ﷺ .

أما بعد :

فبين يديك -أيها الموفق- رسالة محررة من يد أحد فحول العلماء وأكابرهم العالم الشهير الفقيه الكبير عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين ، ردًّا على شبهات أثارها : داود بن جرجيس ، تتعلق بقضايا في توحيد الألوهية .

هذه الشبهات ما زال لها أهلون ، يثيرونها كلما درست ، ويحيونها كلما خبت ، ليضلوا عباد الله ، ويصرفونهم عن عبادته وحده لا شريك له ، وعن تعظيمه -جل جلاله- اللائق به دون من سواه إلى عبادة غيره من المخلوقات!!

عجبًا لأولئك الذين يرمون أهل التوحيد والسنة بأنهم يتنقصون الأولياء بل الأنبياء ؛ إذ لم يجوزوا دعاءهم من دون الله؟! أليس هم قد تنقصوا الله -جل جلاله- إذ جوزوا أن تصرف العبادة لغيره وهو القائل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، بلى والله ، هم تنقصوا الله جل جلاله ، وتنقصوا -أيضًا- الأنبياء والأولياء ؛ لأن أنبياء الله ورسله وأولياء الله -تعالى- براء مما يعملون . بل أرسلوا

ليجاهدوا إخوان هؤلاء من كفار بني إسرائيل وكفار قريش بالحجة والبرهان وبالسيف والسنان.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤٢].

فهذه براءة الملائكة عليهم السلام من عبادة المشركين لهم؛ إذ زعموا أنهم ما يعبدونهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨].

وبراءة أخرى لنبي الله عيسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

كل ذلك وما جاء في معناه في القرآن العزيز والسنة المطهرة ليؤكد أن الواقعين في دعاء الأنبياء والأولياء والملائكة، فضلًا عن غيرهم من الجن والشياطين؛ هم المذمومون المتنقصون حقًّا لجناب الأنبياء والصالحين؛ إذ خالفوا أوامرهم، بل نقضوا أصل دعوتهم: لا معبود بحق إلا الله وحده، ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

إن هؤلاء الذين يضلون الأمة ويربونها على تنقيص جانب الربوبية، ويزيدون على ذلك: رمي أهل الحق والتوحيد بأعظم الفرى وأقبح الشائعات ليصدوا الناس عن سبيل الله تعالى، لينتقم الله تعالى منهم، ومن انتقام الله -تعالى- منهم وغيرته -تعالى وتقدس- على حدوده ومحارمه؛ بعث من يتصدى لهم: يبطل ما بنوه، ويفرق ما جمعوه، ويكشف ما ستروه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]. وإن يضرب مثل في ذلك؛ فمثل عزيز: أمة في رجل.

إنه محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى العالم الإمام شيخ الإسلام. رجل واحد حمل لواء الدعوة إلى التوحيد، وتبديد ما أرساه القبوريون بثقل علماء السوء وولاة السوء، فجعل بفضل الله وحده ذلك كله قاعًا صفصفًا، وبنى للتوحيد وأهله بناء مشيدًا وحصنًا عظيمًا، صمد إلى الآن أمام كل التحديات، بل تثلمت معاول الهدم التي هرع إليها حفدة القبوريين ووراثهم، وذلك دليل صدق على عون الله تعالى للشيخ محمد، وتأييده له، وأنه صادق مخلص محب لصلاح الأمة مشفق عليها.

لقد ترامت دعوته المباركة في جميع الأقطار، واستجاب لها أهل الفطر والأبصار، فلا بلد بحمد الله -تعالى- إلا وأثر دعوة الشيخ فيه واضحة وآثاره مرفوعة ظاهرة[١].

وخلفه في هذا المنصب الكبير أبناؤه وأحفاده وتلامذة الجميع رحمهم الله تعالى- رحمة واسعة.

والشيخ العالم الفقيه: عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، أحد ثمار غرس الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، فقد تتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين، وغيرهم من تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حتى كان من أوعية العلم وفحول العلماء: درس وقضى، وأفتى، ووعظ، وألف.

وكان مما جلس فيه للقضاء من الأمصار: القصيم، حيث بعثه الإمام تركي بن عبد الله عام ١٢٤٨هـ إلى ذلك. ثم رجع إلى شقراء للتدريس والإفتاء بعد مقتل الإمام تركي سنة ١٢٤٩هـ. وفي سنة ١٢٥١هـ بعثه الإمام فيصل بن تركي إلى القصيم لتولي القضاء، فذهب واستوطن عنيزة حتى سنة ١٢٧٠هـ.

---

(١) زعم بعضهم: أن الشيخ محمدًا «قام مع من شاء الله من إخوانه من علماء نجد بالدعوة إلى التوحيد» وهذا قول جاهل بمبادئ تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ إذ قد أجمع الناس كلهم على أن القائم بالدعوة إلى التوحيد هو الشيخ محمد وحده، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا راد لفضل الله تعالى.

وقد جاء إلىٰ عنيزة وقت قضاء الشيخ بها رجل عراقي يقال له : داود بن جرجيس ، في طريقه إلى الحج ، فقرأ على الشيخ طرفًا من «تفسير البيضاوي» ، وبعضًا من فقه الحنابلة ، ثم طلب من الشيخ أن يجيزه في فقه الحنابلة ، فأجازه ، وأذن له بالتدريس .

ثم إنه وقعت منه مخالفات عقدية ، فأحضره الشيخ عبد الله ، وكشف شبهته فيها ، وكتب رسالة في ذلك سماها بعض طلبته : «الانتصار»[١] .

فأظهر داود الرجوع عما وقع فيه من الخطأ ، ثم إن داود حج ورجع إلىٰ بلده ، وأخذ ينصر تلك الشبهة ، ويتطلب أشياء من كلام العلماء ليؤيد بها شبهته ، فأخذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أشياء ظنها له ، وهي عليه .

وبعد أربع سنوات حج داود مرة أخرىٰ ، ونزل أيضًا في بلد عنيزة ، وصرح بأنه ما زال علىٰ تأييد شبهته ، وأن رجوعه السابق قد رجع عنه .

فأحضره الشيخ عبد الله ، وسأله عن نقضه لرجوعه السابق ، فأبرز داود عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية . فطلب الشيخ عبد الله إحضار الكتب التي نقل منها تلك العبارات ، فوجدت إيرادات يوردها

---

(١) طبعت عدة طبعات . آخرها طبعة بتحقيق الشيخ الفاضل الدكتور الوليد بن عبد الرحمن الفريان .

ابن تيمية للرد عليها وإبطالها، فسكت داود وأسر في نفسه العداوة للشيخ وعامة علماء نجد.

فلما رجع إلى بلاده في العراق؛ أرسل رسالة إلى أحد أصدقائه في بلد عنيزة ضمنها أدلة لما رد به على الشيخ عبد الله، فاطلع الشيخ عليها، فوجدها نفس الشبهة الأولى إلا أنه زاد عليها: أنه لا فرق بين الأحياء والأموات، وأن السؤال من الميت كالسؤال من الحي. فانتدب لها الشيخ وردها بكتاب سماه: «تأسيس التقديس».

هذه قصة كتابنا هذا كما حكاها الشيخ المؤرخ عثمان بن عبد الله ابن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «عنوان المجد في تاريخ نجد»[1].

* * *

---

(١) من مخطوطة للكتاب عند الشيخ الفاضل عبد الله بن عبد الرحمن البسام، نقله عنها في كتابه الفريد المحرر: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤/ ٢٣٠).

عملي في الكتاب

* اعتمدت في ضبط نص الكتاب على **ثلاث نسخ** :

الأولى : الطبعة الأولى في مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٢٤٤هـ في رمضان منها .

جاء على صفحة العنوان منها :

طبع بإذن الشيخ عبد الله بن حسن خطيب الحرم المكي .

الثانية : نسخة خطية في ملك الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى وهي محفوظة في المكتبة السعودية بالرياض . ورمزها «ب» .

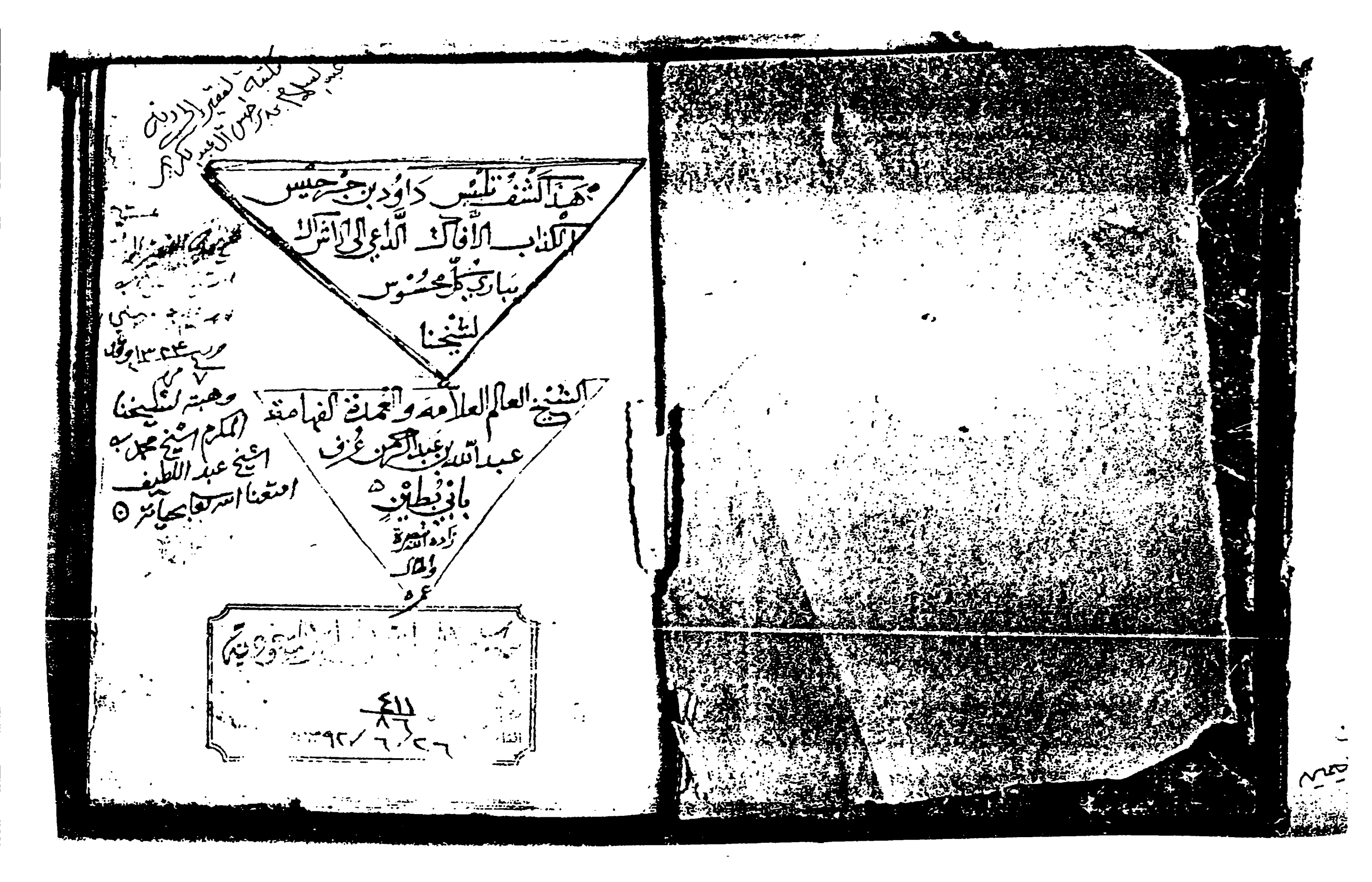
الثالثة : نسخة خطية نسخت عام ١٣٠٦هـ ، وهي مصورة عندي . ورمزها «أ» .

* عزوت الأحاديث إلى مخرجيها .

* وضعت فهرسًا للموضوعات .

* * *

نماذج من النسخ الخطية



هذا كشف تلبيس داود بن جرجيس
الكذاب الأفاك الداعي إلى الإشراك

لشيخنا
الشيخ العالم العلامة و... الفهامة
عبد الله بن عبد الرحمن عرف
بأبي بطين
زاده الله بصيرة
وأطال عمره

وهبته لشيخنا
المكرم الشيخ محمد بن
الشيخ عبد اللطيف
أمتعنا الله بحياته

٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما. أما بعد فإنه قدم علينا في اثني عشر بعد سنة رجل اسمه داود بن سليمان البغدادي ومعه شيء من كتب المذهب وجلس عندنا مدة وطلب مني إجازة في الفتيا في المذهب وكتبت له وبعد ذلك بنحو أربع سنين قدم حاجا وذكر لي أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي الدين يشبه بها على الناس يضع كلام الشيخ على غير موضعه فاحضرته وبحثته فإذا حقيقة أمره دعواه استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ~~والذبح لغير الله~~ ليس بشرك ويقول إن الطلب من الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء ويقول الشرك هو السجود لغير الله فقط وسألته عن معنى لا إله إلا الله وما معنى الإله فارتبك وتحير فقلت أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره فقال هو السجود لغير الله فقلت نهى الله عن السجود لغيره لكن ما دليلك على أنه شرك فلم يكن عنده جواب فلما أوردت بعض الأدلة على بطلان دعواه ودحضت حجته أظهر الموافقة قصداً لقطع الكلام لا للموافقة باطنا ~~لأن~~ فيما أظن وكتبت على ورقته التي معه نحو ثلاثين ورقة سماها بعض الطلبة الانتصار وقبل ذلك طلب مني بعض الإخوان بيان معنى بعض أبيات البردة وتشطيرها للرجل المذكور فكتبت عليها قدر ورقتين

ان رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان
عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم عليه الا قبلتكم هذه

آخر ما كشف به المصنف رحمه الله تلبيس داود وشبهاته الواهية
ولها بقية لم يظفر بها المصنف وشبهات داود لا تحتاج الى الرد لمن
بقي على فطرته وسلم من الكبر والتعصب لان بطلانها وتناقضها
لا يخفى الا على من اعمى الله قلبه ومن يضلل الله فما له من هاد ولكن
لما تغير كثير من الفطر احتاجت الى كشف فكشفها الشيخ عبد الله ابابطين
رحمه الله احسن كشف ورد ها اوضح رد فجزاه الله عن الاسلام
والمسلمين خيرا. تم غرة جمادى الاولى ١٣٠٠ والحمد لله اولا وآخرا
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

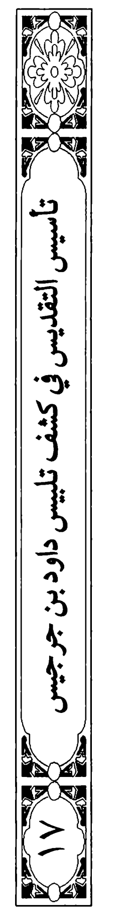
قال الشيخ الامام مفتي الديار النجدية عبد الله بن عبد الرحمن
ابابطين رحمه الله وكتب ذلك وهو اذ ذاك في الطايف قاضي على
وقت استيلاء المسلمين وذلك بعد القيام من مجلس مناظرة
حصلت بينه وبين بعض من يدعي العلم في ذلك البلد ممن هو
مخالف لطريقة اهل السنة والجماعة وذلك في اول عمر الشيخ
رحمه الله فلقد نفع الله به الاسلام والمسلمين قال رح
الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
انفسنا وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
اما بعد فقد جرت مناظرة بيننا وبينكم في كلام الله تعالى هل
هو مخلوق ام لا فذكرتم ان اختياركم الوقف فلا تقولون مخلوق

ولا غير مخلوق وزعمت ان الخلاف في ذلك لفظي فاما قولكم ان الخلاف (في ذلكم)
لفظي فليس الامر كذلك وانما يقال الخلاف لفظي بين المعتزلة و
الاشاعرة لان المعتزلة يقولون كلام الله مخلوق والاشاعرة
يقولون ليس بمخلوق والكلام عندهم المعنى ويقولون الحروف
مخلوقة فقالت المعتزلة لا خلاف بيننا وبينكم لان الكلام هو الحروف
فاذا اقررتم بان الحروف مخلوقة ارتفع النزاع فيكون الخلاف
بين الفريقين لفظيا واما مذهب اهل السنة والجماعة فهو
مخالف للمذهبين خلافا معنويا لانهم يقولون كلام الله غير مخلوق
والكلام عندهم اسم للحروف والمعاني فتبين بذلك غلط من قال (في ذلكم)
ان الخلاف لفظي ومذهب اهل التوحيد والسنة ان الله يتكلم
بحرف وصوت وان القرآن كلام الله حروفه ومعانيه وان
موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة والقرآن والسنة يدلان على
ذلك دلالة صريحة ولله الحمد والمنة قال الله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله وكلم الله موسى تكليما
ففرق بين الايحاء المشترك وبين التكليم الخاص وقال تعالى يا
موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال تعالى قل
لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
وقال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من
بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وقال وتمت كلمة ربك
صدقا وعدلا وقال تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وقال تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله والآيات
في ذلك كثيرة واما السنة فاكثر من ان تحصر منها امره صلى الله
عليه وسلم بالاستعاذة بكلمات الله في عدة احاديث وقوله صلى الله
عليه وسلم ما منكم احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان الحديث

(وقال تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نحمده ونستعينه
ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد
فإنه قدم علينا في اثنتي عشرة بعد المائتين والألف رجل اسمه داود بن سليمان
البغدادي ومعه شيء من كتب المذهب فجلس عندنا مدة وطلب
مني إجازة في الفقه في المذهب وكتبت له ثم بعد ذلك بنحو [illegible]
سنين قدم حاجا وذكر أن معه [illegible] فيها عبارات من كلام الشيخ
تقي الدين ابن تيمية يلبس بها على الناس يضع كلام الشيخ على غير موضعه فأحضرته
وبحثته فإذا حقيقة أمره استحسان [illegible] الشرك في الأمة المحمدية
ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والنذر والذبح لغير الله ليس بشرك
ويقول إن طلب الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء ويقول الشرك
هو السجود لغير الله فقط فسألته عن معنى لا إله إلا الله وما معنى
الإله فارتبك وتحير فقلت خبرني عن حقيقة الشرك الذي حرم الله

[illegible] في المدح ووصفه بشيء من خصائص [illegible] وأبيات [illegible] البردة
وأخبر أنه لا يغفر فقال هو السجود لغير الله فقلت أي الله عن السجود
لغيره [illegible] ما أمليت عليك أنه شرك فلم يكن منه جواب فلما أوردت بعض
الأدلة على بطلان دعواه ودحضت حجته أظهر الموافقة قصدا لقطع الكلام
لا للموافقة بالمنافقة فيما أظن وكتبت على ورقة التي معه نحو [illegible]
[illegible] بعض الطلبة الانتصار وبعد ذلك طلب مني بعض [illegible] أن
[illegible] معنى أبيات في البردة وتشطيرها الرجل المذكور فكتبت عليها قد
[illegible] أن بعض الغافلين [illegible] في قلبه واعترض على ما كتبته بكتب ورقة
متضمنة [illegible] خطأ فكتبت على كلامه [illegible]
حول الأول والثاني الكبير [illegible] داود المذكور متنصرا به فقام وقعد [illegible] وجهد
في البحث عن الأوراق التي اعترض فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمة الله عليه فيما دعا إليه من التوحيد فخص فيها [illegible] جملة منها
[illegible] منها وزاد من عنده فضائح وضعها في تسويده هذا الذي [illegible]
عليه فيه ترويج على الجهال [illegible] أنه يتعين علي تبيان تلبيسه و
تمويهه لفعل الله [illegible] في زمرة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين [illegible]
في أول التسويد بأنا نكفر من كانت البردة عنده ومن قرأها [illegible] وأنا نبيح
قتله وهذا من أول كذبه وافترائه [illegible] زعم أن ما كتبناه متضمن



والسلف على شيء كما قيل سارت مشرقة وسرت مغربا شتان
بين مشرق ومغرب والأمر والله أعظم مما ذكرنا وقد ذكر البخاري
في صحيحه عن أم الدرداء قالت دخل علي أبو الدرداء مغضبا فقلت
ما لك فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا
وروى مالك في الموطأ عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه
أنه قال ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة
يعني الصحابة رضي الله عنهم وقال الزهري دخلت على أنس
ابن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له ما يبكيك فقال ما أعرف
شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت
ذكره البخاري وفي لفظ ما كنت أعرف شيئا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلا قد أنكرته اليوم وقال الحسن البصري
سأل رجل أبا الدرداء فقال رحمك الله لو أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين أظهرنا هل كان ينكر شيئا مما نحن عليه فغضب
واشتد غضبه فقال وهل كان يعرف شيئا مما أنتم عليه وقال
المبارك بن فضالة صلى الحسن الجمعة وجلس يبكي فقيل له ما يبكيك
يا أبا سعيد فقال تلوموني على البكاء ولو أن رجلا من المهاجرين

اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان عليه على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أنتم عليه إلا قبلتكم هذه
والله المستعان

ترجمة موجزة للمؤلف

• العالم العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبابطين . يرجع نسبه إلى عائذ من عبيدة من قحطان .

• ولد في : روضة سدير ٢٠/ ١٢/ ١١٩٤هـ .

• قرأ على قاضي روضة سدير الفقيه الشيخ محمد بن طراد الدوسري ولازمه ملازمة تامة .

• ارتحل إلى شقراء ، وقرأ على قاضيها الشيخ عبد العزيز الحصين .

• ثم رحل إلى الدرعية فقرأ على علمائها : الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . والشيخ حمد بن ناصر بن مُعمّر . وقرأ فيها على الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد العفالقي الأحسائي ، وأجازه .

• ولاه الإمام عبد الله بن سعود قضاء عمان .

ووولاه الإمام تركي بن عبد الله قضاء الوشم ، ثم كلفه بقضاء سدير معها ، فكان يقيم في كل مقاطعة شهرين .

ثم نقله الإمام تركي إلى قضاء القصيم .

ثم ولاه الإمام فيصل بن تركي قضاء القصيم مرة أخرى .

● له مؤلفات منها :

١- حاشية نفيسة على «شرح المنتهى» .

٢- مختصر «بدائع الفوائد» لابن القيم .

٣- مختصر «إغاثة اللهفان» .

٤- «تأسيس التقديس في كشف شبه داود بن جرجيس» .

٥- «الانتصار» في الرد على داود أيضًا .

٦- رسالة في تجويد القرآن الكريم .

٧- «التفصيل والبيان في تنزيه الرحمن» .

٨- وله فتاوى ورسائل محررة . طبع بعضها في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وجمعها أخيرًا الأخ الشيخ إبراهيم بن محمد الحازمي - الشريف .

● توفي في شقراء في ٧/ ٥/ ١٢٨٢هـ .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعد، فإنه قد قدم علينا في أثناء عشر ستين بعد المائتين والألف[١] رجل اسمه داود بن سليمان البغدادي ومعه شيء من كتب المذهب، وجلس عندنا مدة وطلب مني إجازة في الفتيا في المذهب، وكتبت له، ثم بعد ذلك بنحو أربع سنين قدم حاجًّا، وذكر لي أن معه ورقة فيها عبارات من كلام الشيخ تقي الدين يشبه بها على الناس، يضع كلام الشيخ على غير موضعه فأحضرته وباحثته فإذا حقيقة أمر دعواه: استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية، ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك، ويقول: إن الطلب من الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء، ويقول: الشرك هو السجود لغير الله فقط، وسألته عن معنى لا اله الله وما معنى الإله

---

(١) في (أ): «في اثني عشر ستين سنة»، والمثبت من هامش (ب) مع حذف كلمة «السنة» بعد الجملة المثبتة.

فارتبك وتحير، فقلت أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه اللَّه وأخبر أنه لا يغفره؟ فقال: هو السجود لغير اللَّه.

فقلت: نهى اللَّه عن السجود لغيره، لكن ما دليلك على أنه شرك؟ فلم يكن عنده جواب، فلما أوردت بعض الأدلة على بطلان دعواه ودحضت حجته أظهر الموافقة قصدًا لقطع الكلام لا للموافقة باطنًا فيما أظن، وكتبت على ورقته التي معه نحو ثلاثين ورقة سماها بعض الطلبة «الانتصار».

وبعد ذلك طلب مني بعض الإخوان بيان معنى بعض أبيات في البردة وتشطيرها للرجل المذكور، فكتبت عليها قدر ورقتين فاشمأز بعض المخالفين لزيغ في قلبه، واعترض على ما كتبته بكتابة ورقة متضمنة شركًا عظيمًا، فكتبت على كلامه قدر ثلاثة كراريس وهم قد رفعوا جوابي الأول والثاني إلى كبيرهم داود المذكور، مستنصرين به، فقام وقعد، وجد واجتهد في البحث عن الأوراق التي اعترض فيها أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمة اللَّه عليه- فيما دعا إليه من التوحيد، فحصل فيما بلغني جملة منها فاستمد منها وزاد من عنده فضائح وضعها في تسويده هذا الذي عثرنا عليه، فيه ترويج على الجهال.

فرأيت أنه يتعين على مثلي بيان تلبيسه وتمويهه لعل اللَّه أن يحشرنا في زمرة الذين ينفون عن كتاب اللَّه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ذكر المعترض في أول تسويده بأنا نكفِّر من كانت البردة عنده ومن قرأها ومن سمعها، وأننا نبيح قتله، وهذا من أول كذبه وافترائه.

وزعم أن ما كتبناه متضمن لتنقص الرسول ﷺ، وسلفه في ذلك عباد المسيح، لما نهى النبي ﷺ عن عبادته قالوا: تنقص المسيح عليه السلام، ونحن إنما نهينا عن الغلو فيه ﷺ الذي حذر منه بقوله: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»**(١).

وقوله: **«ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»**(٢).

وقوله: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد»**(٣).

وقوله للذي قال ما شاء الله وشئت: **«أجعلتني لله ندًا»**(٤).

وأما ما ذكره هذا من مدحه نفسه وتزكيتها بدعوى العلم، وذمه المخالف وتجهيله فالعاقل مايغتر بذلك بل يقوم لله وينظر لنفسه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا . . .﴾ حديث رقم (٣٤٤٥).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، حديث رقم (٣١١٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (٢٣٧)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٨٠٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٦٦)، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (٢٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٩)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٩).

ويتأمل ما يورده من الحجج ولا يقلد فإن التقليد لا يجوز[١] في هذا الأصل العظيم .

قال وقد روىٰ هذه القصيدة مع الهمزية جماعة من العلماء وشرحها بعضهم ولم يفهموا منها محذورا .

فنقول كما قال الأئمة الأعلام : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وأيضًا لا يلزم أن كل من روىٰ كتابًا أو قصيدة أن يكون مستصوبًا لكل ما روىٰ .

وذكر ممن روىٰ البردة أبو حيان ، والبيضاوي ، والمحلي ، وابن حجر العسقلاني ، وكذا القسطلاني .

فيقال له : تفسير الثلاثة للقرآن موجود ، وكذا شرح البخاري ، هل تجد في شيء منها ما يمكن تشبيهك به على الناس بما يوافق دعواكم الباطلة من أن علم اللوح والقلم من علوم النبي ﷺ وأنه لا يخفىٰ عليه شيء من أدواء القلوب كما في بيت الهمزية من قوله : وليس يخفىٰ عليك في القلب داء ، وأن الدنيا والآخرة من جوده ﷺ وأنه يطلب منه اليوم الإنقاذ من عذاب الله والألم ، وأن ما جاز طلبه منه في حياته جاز طلبه منه بعد موته ، وأن الله -سبحانه- أمر عباده المؤمنين بطلب حاجاتهم من الأموات والغائبين وغير ذلك من دعاويكم الباطلة ، ولن تجد في كتب المذكورين وغيرهم من العلماء المحققين إلا ما يبطل حجتك ،

---

(١) في (ط) : «لما يجوز» .

بل يوجد في كلام كثير ممن ليس من أهل العلم المعروفين به شيء كثير تصديقًا لقول النبي ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»**(١).

قال المعترض: وعصر الناظم متقدم على عصر ابن تيمية ولم ينقل عن ابن تيمية الإنكار عليه.

قلنا: إن كان نظمه هذا قد بلغ الشيخ فهو ممن عنى بقوله: «والاستغاثة به ﷺ بعد موته موجودة في كلام بعض الناس مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان وأمثالهما. قال: وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كمن يستغيث بشيخه عند الشدائد ويدعوه»، وقد يكون البوصيري وغيره ممن أراد بقوله وأمثالهما.

وقد صنف شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا في الرد على من جوز الاستغاثة بالنبي ﷺ وقرر أن ذلك من الشرك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد طاف هذا بجوابه -يعني الذي أجاز فيه الاستغاثة به ﷺ- على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبته فما خالفوه مع أن قومًا كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قيامًا عظيمًا واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم». انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم»** حديث رقم (٧٣٢٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى حديث رقم (٦٧٢٣).



فهؤلاء علماء مصر في ذلك الزمان لم يخالفوا ما كتبه الشيخ فعدم مخالفتهم دليل الموافقة لا سيما وحال أكثر أهل ذلك الزمان مع الشيخ ومخالفتهم له في أشياء غير ذلك معلومة ، فلو رأوا لمخالفته في هذه المسألة مساغًا لبادروا وأظهروا ذلك .

قال البغدادي معترضًا على ما كتبناه على قول الناظم : «فإن من جودك الدنيا وضرتها» . قال : ومن قال لك : إن الدنيا والآخرة لغير الله ، أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو منها؟ أو ليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده؟ فما هذا الاعتراض الفاسد؟

قال : وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله ، وورد في البخاري أنه أكرم من الريح المرسلة ، فماذا يضر لو كرم بما لربه[1] وهو حبيبه الأعظم . انتهى .

فنقول : هل يشك أحد في جوده ﷺ ، فهو أجود الناس ، وأجود من الريح المرسلة صلوات الله وسلامه عليه ، والمعترض حرف قول الصحابي وهو ابن عباس في قوله رضي الله عنه : **«فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة»**[2] . فحرفه المعترض وقال إنه أكرم من الريح المرسلة . وقوله : أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو منها .

---

(١) في (أ) و (ب) : «بمال ربه» .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الوحي ، باب : ٥ حديث رقم (٦) . ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة . . . حديث رقم (٥٩٦٤) .

يعني أنه يجوز أن الله يعطي الدنيا كلها لإنسان ، وذلك الإنسان يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، وهذا لا يليق به -سبحانه- أن يجعل رزق العباد عند غيره بحيث يصير ذلك الغير هو مقصودهم الذي يرغبون إليه ويسألونه قضاء حوائجهم ، ومقتضى قول الناظم «فإن من جودك الدنيا وضرتها» أنه ﷺ هو الذي جاد بهما ؛ لأن الله أعطاه ذلك ليجود به على عباده ، بل مقتضى كلامه -وإن لم يرده- أن النبي ﷺ هو الذي جاد على أهل الدنيا بإعطائهم ما يحبون ويجود على أهل الجنة بها .

وقوله : أوليس كل الوجود له وقد ملَّكه لعباده .

فهذا كلام باطل ؛ لأن الوجود يتناول كل موجود من ذلك الجنة والنار والسماء والأرض والعرش والكرسي والحجب وغير ذلك من العالم العلوي والسفلي مما لا يعلمه إلا الله ، ولم يملكه لأحد من عباده ، بل لم يملك عباده من الوجود إلا النزر القليل .

قوله : وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله[1] ﷺ .

فهذا حديث لا يصح ، والله -سبحانه- قد أعلمنا بالحكمة في خلق هذه المخلوقات كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الديلمي وابن عساكر بلفظ : **«لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار»** . وفي رواية ابن عساكر : **«لولاك ما خلقت الدنيا»** . وهو حديث موضوع كما قال السيوطي في «اللآلئ» (١/ ٢٧٢) والعلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١/ ٤٥١) .

وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] . وقال تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

فأخبر -سبحانه- بالحكمة في خلق هذه الأشياء ، وأنه إنما خلقها للحكم التي ذكرها لا لأجل أحد من عباده ، مع أن هذا الحديث -لو صح- لم يكن فيه حجة ولا شبهة يستأنس بها لما ادعاه ، مع أنه ﷺ أكرم الخلق على ربه وأقربهم إليه وسيلة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ، لكنه نهى عن الغلو فيه فقال : **«لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»**(١) .

وقول المعترض : فماذا يضره لو كرم بها لربه .

مقتضى هذه العبارة أنه يتصرف في خزائن الرب سبحانه ؛ لأن التصرف والتكرم بما في يده ليس مختصًا به ﷺ ؛ لأن كل أحد يتصرف فيما أعطاه الله وملكه ، والنبي ﷺ إنما يتصرف فيما في يده يضعه حيث

(١) تقدم تخريجه (ص٢١) .

أمره ربه . قال ﷺ : **«إني لا أعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا وإنما أنا قاسم أضع كما أمرت»**[١] .

وقال في حكم الزكاة : **«إن الله لم يرض فيها بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء»**[٢] .

وقول الناظم : إن من جودك الدنيا وضرتها : أي من عطائك وإنعامك وإفضالك الدنيا والآخرة ، وهذا كلام لا يحتمل تأويله بغير ذلك ، ووازن بين قول الناظم من جودك الدنيا وضرتها ، وبين قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن : ٢١] . وقوله : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

قال ابن كثير[٣] : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ أي خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون ، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ فأخبركم بما غاب مما مضى وما سيكون ، ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده الآدمي .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب : قول الله تعالى : ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ حديث رقم (٣١١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب الزكاة ، باب من يعطي من الصدقة ، وحد الغنى حديث رقم (١٦٣٠) ، وضعفه العلامة الألباني كما في «الإرواء» رقم (٨٥٩) .

(٣) كذا في جميع النسخ والصحيح أن هذا كلام البغوي رحمه الله تعالى إلى قوله «الآدمي» ، ينظر : البغوي وابن كثير (٣/ ٣١٢ ، ٣١٣) .



وقوله تعالى ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

قال ابن كثير : أمر الله نبيه أن يخبر بتفويض الأمور إليه ، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل إلا ما أطلعه الله عليه كما قال تعالى : ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] . فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه . قال : والأحسن في قوله : ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأعراف : ١٨٨] . ما رواه الضحاك عن ابن عباس ، ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي من المال ، وفي رواية لعلمت إذا اشتريت رخيصًا ما أربح فيه فلا أبيع شيئًا إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر . وقال ابن جرير رحمه الله تعالى : وقال آخرون معنى ذلك ولوكنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من السنة المخصبة ولوقت الغلاء من الرخص . وقال ابن زيد رحمه الله : ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ لا اجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون واتقيته[1] . وقال تعالى : ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال المعترض على ما كتبناه على قول الناظم : «ومن علومك علم اللوح والقلم» . فقال : قد قال الشراح : المراد باللوح ما يكتب فيه الناس ، وبالقلم ما يكتبون به . قال : ويحتمل أن يكون المراد باللوح

---

(١) انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

اللوح المحفوظ ولا يلزم على هذا الاعتراض الذي قاله هذا الرجل ؛ لأن مراده علم اللوح غير الفواتح الخمس . قال على أن قوله علم اللوح ، الإضافة فيه جنسية أي بعض علم ما في اللوح ، والجنس يصدق على بعض الأفراد -إلى أن قال- بل ولو لم نقل هذا لم يلزم هذا الاعتراض ؛ لأن فواتح الغيب الخمس لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ ، بل هي في أم الكتاب وهي غير اللوح -إلى أن قال- فتبين من هذا أن أم الكتاب غير اللوح المحفوظ بل هي أصل اللوح . انتهى .

قوله : إن الشراح قالوا : المراد باللوح ما يكتب فيه الناس وبالقلم ما يكتبون به .

فيقال : هذا بعيد من مراد الناظم ومن مقتضى لفظه ؛ لأن أل في اللوح والقلم للعهد الذهني ، لا يقع في ذهن السامع غير اللوح المحفوظ والقلم الذي جرى بالمقادير ، وكونه بعيدًا من مراد الناظم في هذه الحال لأنه بالغ في مدح النبي ﷺ وإطرائه ، فلما وصفه بكون الدنيا والآخرة من جوده فتعدى في وصفه بالجود ناسب أن يصفه بسعة العلم ، ولو أراد أقلام الناس لم يخص الألواح بل يأتي بلفظ يعم ما يكتبون فيه من لوح وقرطاس وغيره . وأيضًا فالناس يكتبون بأقلامهم الحق والباطل ، ويكتبون الكفر والسحر والشعر وجميع العلوم الباطلة مما ينزه الرسول ﷺ عن إضافته إليه ، ويكتبون بعد موته ﷺ الرسائل والمداينات وغير ذلك مما يقع في غد وذلك من الخمس التي لا يعلمها إلا الله ، وقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : «من زعم أن محمدًا يعلم

ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان : ٣٤] (١) .

وقوله : ويحتمل أن المراد اللوح المحفوظ ، ولا يلزم على هذا اعتراض المعترض ؛ لأن المراد علم اللوح غير الفواتح الخمس . إلى قوله : وهذه الفواتح لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ بل هي في أم الكتاب ، وهي غير اللوح . إلى قوله : فتبين بهذا أن أم الكتاب غير اللوح بل هي أصل اللوح .

لم يذكر ما يبين ذلك وإنما هو مجرد دعوى كاذبة . وذكر ما ذكره البغوي عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : هما كتابان سوى أم الكتاب . وهذا حجة عليه لأنه ذكر كتابين غير أم الكتاب بل كلامه يدل على أن اللوح الذي ذكر صفته هو أم الكتاب لأنه لما ذكره قرأ ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد : ٣٩] .

فالظاهر أن هذا إشارة إلى أن هذا اللوح الذي وصفه هو أم الكتاب ، لم يقل إن اللوح المحفوظ غير أم الكتاب . وما ذكره عن عطاء عن ابن عباس لم يقل فيه إن اللوح المحفوظ غير أم الكتاب . والمعترض يرى أن البغوي قد جزم عند قوله سبحانه : ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بأن أم الكتاب هي اللوح المحفوظ . وقال البغوي -أيضًا- في قوله سبحانه : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج : ٢١ ، ٢٢] قال :

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ حديث رقم (٤٣٨) .

هو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب، محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان.

وقال -أيضًا- في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ يعني القرآن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ. قال قتادة رحمه الله تعالى: أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله. قوله: ﴿لَدَيْنَا﴾ [الزخرف: ٤] أي القرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]. وقال البغوي أيضًا في قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. هو اللوح المحفوظ. وقال الواحدي ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الزخرف: ٤]. أي في اللوح المحفوظ. قال الزجاج: أم الكتاب أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمه. قال: والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

وقال الواحدي على قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ عند الله وهو أم الكتاب منه نسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان.

وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي اللوح المحفوظ قاله ابن عباس ومجاهد ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ وقال في قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي وجميع الكائنات مكتوب مسطور في لوح محفوظ. والإمام المبين هنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. انتهى.

وقال البيضاوي ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه . وقال في قوله سبحانه : ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ فإنه أصل لكل الكتب السماوية ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ .

وقال النسفي : أم الكتاب أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه . انتهى .

والمراد بذكرنا كلام المفسرين -رحمهم الله تعالى- وبيان إجماعهم على أن اللوح المحفوظ هو أم الكتاب وهو نص حديث عمران بن حصين الآتي قال : **«وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء»**[1] تبين كذب هذا وجراءته في جزمه بأن أم الكتاب غير اللوح المحفوظ مع أن هذا لا ينفعه لو سلم له ؛ لأن الكل جرى به القلم ، فيدخل في قول الناظم : «ومن علومك علم اللوح والقلم» .

وقوله : إن الإضافة في قوله : «علم اللوح والقلم» جنسية أي بعض علم ما في اللوح ، والجنس يصدق على بعض أفراده .

فيقال علم بعض ما في اللوح لا يختص به ﷺ بل يشاركه في ذلك غيره من الأنبياء وغيرهم من آحاد الناس من كل من علم شيئًا مما جرى به القلم ، مع أنه لا يصح حمل كلام الناظم على ذلك ولا يحتمله ؛ لأنه قال : «ومن علومك علم اللوح والقلم» ، فمن في كلام الناظم للتبعيض فمقتضى اللفظ أن علم اللوح والقلم بعض علومك .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٥٧٨) .

وزعم بعض المنازعين أن من في قول الناظم من جودك ومن علومك إلخ، أنها لبيان الجنس، وبينا غلطه في جوابنا السابق، ولو سلم أنها لبيان الجنس مع أنها لا تصلح لذلك فالمعنى على ذلك أن علومك هي عين علم اللوح والقلم لا تقصر عنها؛ لأن هذا هو معنى من البيانية. وكلام الناظم خطأ على كلا التقديرين، ومما يبين أن مراد الناظم إحاطة النبي ﷺ بعلم الغيب قوله في الهمزية في حق النبي ﷺ: «ليس يخفى عليك في القلب داء». فوصفه ﷺ بالعلم بجميع أدواء القلوب وعللها؛ لأن قوله داء نكرة في سياق النفي فتعم جميع ما احتوت عليه القلوب، وهذا مما اختص به الرب -سبحانه- قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

والآيات في هذا كثيرة معلومة وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آخر ما نزل من القرآن: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١].

وقال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي ﷺ: **«إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب: من أقام البينة بعد اليمين حديث رقم =

قال القاضي عياض في «الشفا» على هذا الحديث: وتجرى أحكامه عليه السلام على الظاهر، ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته -إلى أن قال- وكل ذلك من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء، ولا يقدح هذا في نبوته، ولا يفصم عروة من عصمته[١]، وخفي عليه ﷺ حال أهل الإفك حتى جاءه الخبر من الله، ويخفى عليه ﷺ أمور كثيرة يطول عدها، حتى يأتيه الوحي بخبرها.

وقال ﷺ: «**إنه سيجاء برجال من أمتي يوم القيامة فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[٢].

ثم قال المعترض: وهو -أي الناظم- أثبت للنبي ﷺ علم اللوح والقلم، ومراده بتعليم الله له.

ثم قال بعد ذلك: ما المانع أن يكون من علوم النبي ﷺ علم اللوح والقلم.

فالعجب من تناقض هذا المبطل، ادعى أولا أن المراد باللوح والقلم ألواح الناس وأقلامهم، ثم ادعى أن الإضافة جنسية، ثم اعترف

= (٢٦٨٠)، ومسلم، كتاب الأقضية، الحكم بالظاهر واللحن والحجة حديث رقم (٤٤٤٨).

(١) سقطت «ولا يفصم عروة من عصمته» من (ب).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأنبياء، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ حديث رقم (٤٧٤٠).

بأن الناظم أثبت للنبي ﷺ علم اللوح والقلم، ثم قال: فما المانع أن يكون من علوم النبي ﷺ علم اللوح والقلم.

قال: وهذا الذي قررناه بناء على أن الله -تعالى- يطلع نبينا وغيره على الخمس.

قال: فهناك نقول: من أطلعنا على كلامه.

وذكر أشياء ليس فيها ما يستأنس له به فضلًا عن أن يكون حجة، وإنما أكثر من النقول للتمويه والترويج على الجهال، ومنها ما هو حجة عليه كنقله عن شرح المشكاة لعلي القاري على قوله ﷺ: **«مفاتح الغيب خمس»**(١) أي لا يعلم تفصيله إلا هو ولا يعلم مجمله بحسب خرق العادة إلا من قبله.

وقال في شرح قوله: **«في خمس لا يعلمهن إلا الله»**، فإن قلت: قد أخبر الأنبياء بكثير من ذلك فكيف الحصر، قلت الحصر، باعتبار كلياتها دون جزئياتها، قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. انتهى.

وهذا حجة عليه؛ لأننا لا ننكر أن الله يطلع الأنبياء على أشياء من الغيب معجزة لهم ويكشف لبعض أتباعهم شيئًا من ذلك كرامة لهم، وإنما ننكر القول بأن محمدًا ﷺ يعلم جميع ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب: لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، حديث رقم (١٠٣٩).

ومن ذلك مفاتح الغيب الخمس، وأنه ﷺ يعلم جميع ما احتوت عليه القلوب بقوله: «ليس يخفى عليك في القلب داء».

واستدل المعترض بقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. وبقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وليس في ذلك حجة له بل هي حجة عليه، ومعنى الآيتين عند جميع المفسرين: أن الله –سبحانه– يطلع رسله على ما يشاء من الغيب آية لهم ومعجزة، ولنبينا ﷺ من ذلك ما لا يحصى ولا يشك فيه مسلم.

واحتج المعترض بما نقله عن المدابغي فقال: قال العلامة المدابغي في حاشيته على «شرح الأربعين» لابن حجر: والحق كما قال جمع إن الله لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه إلا أنه أمر بكتم بعض وإعلام بعض. انتهى.

قلت: قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن بعض ضلال أهل زمانه أنه ادعى ذلك للنبي ﷺ وهذه دعوى عظيمة تعارض نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة وتخالف ما عليه الصحابة والتابعون والعلماء بعدهم، يحتاج مدعيها إلى دليل واضح ولن يجد إلى ذلك سبيلا، ولا شبهة معه، وإنما هي مجرد دعوى كاذبة جمع مدعيها بين رد نصوص الكتاب والسنة وإجماع العلماء وبين افتراء الكذب على الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

قال المموه: وقد أشار النبي ﷺ إلى مصارع القتلى يوم بدر، وكل منهم صرع في ذلك المكان، فقد علم أن هذه الأنفس بأي أرض تموت وهي من الخمس، وأخبر عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة فوقعت كما أخبر، وهذا مما لا تدري نفس ماذا تكسب غدا. انتهى.

فانظر -أولًا- إلى هذه العبارات الركيكة، وقوله: وأخبر عن أشياء تقع بعده إلى يوم القيامة فوقعت كما أخبر. مقتضى هذه العبارة أن جميع ما أخبر بوقوعه بعده إلى فناء الدنيا قد وقع، وليس كذلك وإنما وقع منه ما وقع إلى زمان هذا الرجل، وأخبر عن وقوع أشياء لم تقع بعد وهي واقعة بلا شك، والمراد أن هذا الرجل يأتي بعبارات فاسدة.

ويقال -ثانيًا- هل ينكر ذلك مسلم، وهذا ونحوه مما أخبر به من الغيب الذي استثناه سبحانه في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧]. فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه.

واستدل بقول المسيح عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فنقول وهذا من معجزات المسيح عليه السلام.

وأورد ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: «أن الملك الموكل بالرحم يقول: أي رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن كانت مخلقة قال: ذكر أو

أنثى ، شقي أم سعيد ، ما الأجل ، ما الأثر ، بأي أرض تموت؟ فيقال اذهب إلى الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة»(١) .

قال : فهذا يدل على أن الله يطلع بعض خلقه على شيء من الخمس وهو الملك .

قال : والنبي ﷺ أولى لأنه منصوص عليه في قوله : ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

فقوله : «إنه منصوص عليه» . الذي يظهر من كلامه أنه منصوص عليه بأنه يعلم ما في الأرحام ، وهذا كذب منه وإنما النص في أنه سبحانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ، ومن ذلك إطلاعه -سبحانه- رسوله على ما يشاء إطلاعه عليه مما في الأرحام إن كان قد وجد من ذلك شيء ، لا أنه يعلم جميع ما في الأرحام ، وجميع ما أورده المعترض في هذا المحل من خبر المسيح وأثر ابن مسعود وأمر قتلى بدر وغير ذلك مما يعلم هو أنه لا حجة له فيه وأننا لا ننكره ، إنما أراد التجهيم على الجهال وتكثير السواد في القرطاس .

وجاء في الحديث عنه ﷺ قال في الساعة لا يجليها لوقتها إلا الله ، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك وما شاء الله من خلقه .

وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه -تعالى- سواه ، لكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى أو سعيدًا أو شقيًا علم الملائكة

---

(١) أخرجه ابن جرير (٩/ ١١٠) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٤٧٤) .

الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدًا في دنياها وأخراها وما تدري نفس بأي أرض تموت .

قال المعترض : وقد أخذ جمع من العلماء أن قول النبي ﷺ لجبريل : **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل»**[١] أن المعنى أنا وأنت في العلم بها سواء فكما تعلمها أنت أعلمها أنا .

فالعجب من هذا التحريف لكلام رسول الله ﷺ الذي شابه فيه اليهود الذي يحرفون الكلم عن مواضعه مع معارضته لنص الحديث نفسه حديث جبريل من رواية أبي هريرة في «الصحيحين» لما سأل النبي ﷺ عن الساعة قال : **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، وسأحدثك عن أشراطها ، إذا ولدت الأمة ربتها فذلك من أشراطها ، وإذا رأيت الحفاة العراة رءوس الناس**[٢] **فذالك من أشراطها وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله»** ثم تلا رسول الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾[٣] الآية .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ، حديث رقم (٥٠) ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإسلام ما هو ، وبيان خصاله ، حديث رقم (٩٩) . كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإيمان والإسلام والإحسان . . . حديث رقم (٩٣) ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في (أ) : «الحفاة العراة رعاء الشاء رؤس الناس» .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، سورة لقمان ، باب قوله : إن الله عنده =

وقوله: «**في خمس لا يعلمهن إلا الله**»(١) أي: هي من الخمس المذكورة في الآية التي اختص الله بعلمها ولا أظن هذا التأويل يصدر ممن عنده علم؛ لأن نص الحديث يكذبه واحتجاج المعترض بما حكاه في تأويل هذا الحديث وبما نقله عن المدابغي صريح في أنه يقول بذلك وهذا كفر صريح لمعارضته نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

واستشهد هذا على دعواه بما نقله عن علي القارئ في «شرح المشكاة» أنه قال: ما التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] وبين ما اشتهر عن العرفاء من الأخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير أبو عبد الله في «معتقده» أنه قال: «ونعتقد أن العبد يتنقل في الأحوال حتى يصير إلى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الأرض، ويمشي على الماء، ويغيب عن الأبصار.

فالجواب: أن للغيب مبادئ ولواحق فمبادئه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأما اللواحق فهو ما أظهره الله على بعض أحبابه من لوحة علمه وخرج ذلك عن الغيب المطلق فصار غيبًا إضافيًا وذلك إذا تنورت الروح(٢) القدسية وازداد نورها وإشراقها والمواظبة على العلم والعمل وفيضان الأنوار الإلهية حتى يقوى النور وينبسط في

= علم الساعة، حديث رقم (٤٧٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو وبيان خصاله حديث رقم (٩٩).

(١) تقدم تخريجه آنفًا.

(٢) في (ب): «تنور الريح».

فضاء قلبه فتنعكس فيه النقوش المرسمة في اللوح المحفوظ ويطلع على المغيبات ويتصرف في أجسام العالم السفلي» . انتهى .

مراده بالنقوش المرسمة في اللوح المحفوظ الكتابة التي جرى بها القلم في اللوح المحفوظ .

أورد المعترض هذا الكلام بعد قوله : «وهذا الذي قررناه بناء على أن الله سبحانه يطلع نبينا وغيره من المقربين على الخمس ، فاحتج بقول هذا الضال على دعواه الباطلة من أن الله يطلع نبينا وغيره على الخمس ، فمن ادعى أنه إذا أراض نفسه يرى ما كتب في اللوح المحفوظ ويعلم الغيب فهو كافر ، فإذا ضم إلى ذلك دعوى أنه يحصل له من القدرة ما يتصرف به في[1] العالم السفلي ازداد كفرًا .

ثم قال المعترض : ويحتمل أن هذه الخمس لم تكتب في اللوح المحفوظ وأنها في غامض علم الله وما استأثر الله به ، وقد قال قبل ذلك : وهذه الفواتح لا يلزم أنها في اللوح المحفوظ بل هي في أم الكتاب وهي غير اللوح . وهنا قال : إنها في غامض علم الله ، وكذب نفسه بذكره بعد ذلك الأثر المروي أن الملك الموكل بالرحم يقول : أي رب مخلقة أو غير مخلقة -إلى أن قال- فيقال اذهب إلى الكتاب فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة .

فانظر إلى تناقص هذا ، تارة يقول : إن الناظم أراد بقوله اللوح والقلم ألواح الناس وأقلامهم ، وتارة يعترف بأن الناظم أراد اللوح

(١) في (ب) : «في أجسام العالم» .

والقلم الذي جرى بالمقادير[١]، ولكن هذه الخمس لم تكتب فيه، بل[٢] هي في غامض علم الله، وتارة يقول: هي في أم الكتاب، يعني الخمس[٣] وهي غير اللوح المحفوظ ويجزم بذلك، وتارة يقول في أثناء كلامه: وهذا بناء على أن الله يطلع نبينا وغيره على الخمس، ويحتج على ذلك بما نقله عن المدابغي والقاري والشيخ الضال الذي يدعي أن الإنسان قد يطلع على اللوح المحفوظ ويعلم الغيب ويتصرف في العالم السفلي.

وقوله: إنها في غامض علم الله، يعني الخمس وأنها لم تكتب في اللوح المحفوظ.

يكذب هذا القول نصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] قال ابن كثير في الآية: يخبر سبحانه وتعالى عن كمال علمه بخلقه فلا يعزب عنه مثقال ذرة وأنه -سبحانه- علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في اللوح المحفوظ كما في «صحيح مسلم» عن عبد الله ابن عمرو: قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»**[٤].

---

(١) في (ط): «به المقادير».

(٢) في (أ): «لم تكتب فيه وتارة يقول هي في غامض».

(٣) سقطت من (أ) يعني: «الخمس».

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث (٦٦٩٠).

وفي «السنن» من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : **«أول ما خلق الله القلم قال له اكتب ، قال : وما أكتب؟ قال : اكتب ما هو كائن فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»**[١] .

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : «خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة[٢] مائة عام . وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش -تبارك وتعالى- اكتب ، قال : وما أكتب؟ قال : علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة ، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله تعالى إلى يوم القيامة ، فذلك قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾» [الحج : ٧٠] .

وجميع المفسرين على أن المراد بالكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ ، وأن كل شيء من الكائنات مكتوب فيه ، وقال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد : ٢٢] . وفي «الصحيحين» عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : **«اقبلو البشرى يا بني تميم ، قالوا : قد بشرتنا فأعطنا ، قال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ، قالوا : قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال : كان الله قبل كل شيء**

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في القدر حديث (٤٧٠٠) ، والترمذي ، كتاب القدر ، باب (١٧) حديث (٢١٥٥) .

(٢) في (أ) : «مسيرة» ، وفي (ب ، ط) : «بمسيرة» ، والمثبت من «تفسير ابن كثير» .

وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء ثم خلق السموات والأرض»[١].

فهذا الحديث شاهد للمفسرين في تفسيرهم الكتاب في الآيات باللوح المحفوظ، وأن كل شيء مكتوب فيه وأنه أم الكتاب. والمراد بيان كذب هذا وبيان تناقضه، وهو لا يشعر بذلك بل هو خابط خبط عشواء، وثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم أحد ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم**[٢] **متى تقوم الساعة أحد إلا الله»**[٣]. وتقدم حديث أبي هريرة، وقول النبي ﷺ: **«في خمس لا يعلمهن إلا الله»**[٤].

أفيظن مسلم أن أصحاب رسول الله ﷺ يحدثون الأمة بهذه الأحاديث المصرحة بتفرد الله -سبحانه- بعلم هذه الأمور المذكورة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، حديث رقم (٧٤١٨) وفيه: **«كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء»** هذا نص البخاري، وأما لفظ المؤلف فقد أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٥٧٨).

(٢) في (أ): «يدري»، وفي (ب): «لا يعلم أحد متى».

(٣) تقدم تخريجه (ص٣١).

(٤) تقدم تخريجه (ص٣٤).

في هذه الأحاديث، وأن عندهم ما يخالف ذلك فيكتمونه فيحصل التلبيس على الناس في هذا الباب، فيلزم من ذلك اعتقاد الباطل حقًّا والحق باطلًا، والصواب خطأً والخطأ صوابًا، صانهم الله عن ذلك.

أم يظن مسلم أنه خفي على أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ما ادعاه هؤلاء الضلال وعلموه هم، هذا من أبطل الباطل، ويزيد ذلك وضوحًا ما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمدًا يخبر بما في غد فقد أعظم الفرية على الله، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[1] هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: **«من حدثكم أن محمدا يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت:** ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾»[2]. ومرادها رضي الله عنها نفي ذلك عنه ﷺ في حال[3] حياته.

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أوتي نبيكم مفاتيح كل شيء غير خمس ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ الآية[4].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ حديث رقم (٤٣٨) وفيه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بدل ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة النجم، باب (١) حديث رقم (٤٨٥٥).

(٣) سقطت «حال» من (أ).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٥٥٧).

وفيما ذكرنا من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة كفاية في بيان بطلان دعاوى هذا البغدادي ومن نقل عنه كالمدابغي والقاري وغيرهما كمحرف قوله ﷺ: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل»**(١).

وأورد المعترض حديث المنام وقوله ﷺ: **«رأيت ربي في أحسن صورة، فقال يا محمد فيم يختصم الملأ**(٢) **الأعلى** -إلى أن قال- **فتجلى لي كل شيء وعرفت** -وفي رواية- **فعلمت ما في السماء والأرض** - وفي رواية- **فعلمت ما بين المشرق والمغرب»**(٣).

وليس في ذلك ما يدل على أنه ﷺ علم ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ، ولا أنه علم مفاتيح الغيب. قال غير واحد ممن شرح الحديث: يحمل ذلك على أن الله -سبحانه- كشف له عن الأعيان الموجودة إذ ذاك.

وهذا هو الظاهر وهو صريح رواية **«فعلمت ما في السماء والأرض»** ورواية **«فعلمت ما بين المشرق والمغرب»** وما موصولة، أي فعلمت الذي بين المشرق والمغرب، أي الموجود بينهما(٤)، يوضح ذلك لو(٥)

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٩).

(٢) سقطت «الملأ» من (ب).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٦٠) والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة ص» حديث رقم (٣٢٣٢).

(٤) في (ب): «والذي في السماء والأرض».

(٥) في (ب): «إنك لو قلت».

قلت : دخلت دار فلان فعلمت ما فيها ، إنما يتناول علمك الموجود فيها من الأشياء حين دخولك ، لا ما يوجد فيها بعد ذلك والله أعلم .

ولما ذكر ابن كثير قول بعض المفسرين على قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام : ٧٥] . أنه فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما فيهن ، قال[1] : فيحتمل هذا أنه كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانًا ، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة .

كما روى الإمام أحمد ، والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث المنام : «**أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا محمد ، فيم يختصم الملأ الأعلى**» -فذكر الحديث- ثم تلا : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[2] . انتهى .

وذكر المعترض حديث حذيفة أنه قال : «إن النبي ﷺ أخبرنا عن كل ما يقع إلى يوم القيامة حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حتى إنا لنرى الطائر يقلب جناحيه فنذكر منه علمًا» .

هكذا أورده البغدادي ، جعل ذلك كله من قول حذيفة ، وحرف اللفظ والمعنى ، فأول هذه الجملة من كلام حذيفة ، وآخرها من قول

---

(١) ابن كثير رحمه الله تعالى .

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٦) .

أبي ذر ، لكنه غير الكلام فأفسد اللفظ والمعنىٰ . فنميز قول حذيفة من قول أبي ذر رضي الله عنهما ؛ ليتبين للناظر تخبيط هذا الجاهل ، ففي «صحيح البخاري» عن حذيفة رضي الله عنه قال : «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلىٰ قيام الساعة إلا حدثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون من الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم رآه عرفه»(١) .

قال حذيفة : «ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلىٰ أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا إلا سماه لنا باسم أبيه وقبيلته» هذا لفظ حذيفة .

وقال أبو ذر : «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما»(٢) . انتهىٰ .

فانظر إلىٰ تخبيط هذا وتحريفه الفاحش ، يقول أبو ذر : «وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما» يعني : إلا ذكر لنا النبي منه علما ، وهذا يقول : «إنا لنرىٰ الطائر يقلب جناحيه فنذكر منه علما» أي نذكر نحن من الطير علما . فغير كلام الصحابي وأبدله بكلام لا معنىٰ له .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب القدر ، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ حديث رقم (٦٦٠٤) ، ومسلم ، كتاب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلىٰ قيام الساعة ، حديث رقم (٧١٩٢) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٠٠) .

وقول أبي ذر وحذيفة يدل على أنه ﷺ أخبرهم بأمور جزئيات من الغيب تحدث بعده أطلعه الله عليها ، وهل في ذلك ما يدل على أنه أخبرهم بوقت الساعة؟

أو أنه أخبرهم بما في أرحام نسائهم ودوابهم؟ أو أنه أخبر كل واحد بأي أرض يموت؟ أو بما يحدث له من الذرية ، ومتى يموت هذا؟ مما يعلم قطعًا أنه لم يكن منه شيء .

وكذلك حديث المنام ليس فيه ما يستأنس به لهذا المبطل ، وما ذكرنا من قول عائشة وابن مسعود كاف في بطلان دعوى من قال : إن الله لم يقبض نبيه حتى أطلعه على جميع ما كتمه عنه . وكذلك ما حدث به أصحاب رسول الله ﷺ عنه ﷺ مثل قوله : «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله**» وقوله عن الساعة : «**في خمس لا يعلمهن إلا الله**»(١) يخبر الصحابة التابعين بذلك ؛ والتابعون يخبرون من بعدهم ، وأهل الحديث يروون هذه الأحاديث ويثبتونها في كتبهم ولا يذكرون ما يخالفها مما هو الحق في زعم هؤلاء الملحدين حتى يجيء هؤلاء المفترون على الله الكذب وعلى رسوله فيبينون للناس ما خفي على الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين!! هذا مما يقطع ببطلانه كل عاقل .

وأبلغ من ذلك إخبار الله -سبحانه- في كتابه بتفرده بعلم الغيب ونفيه عن غيره حتى عن نبيه محمد ﷺ . والمفسرون من الصحابة ومن بعدهم يقررون ما دلت عليه الآيات ولم يذكر أحد منهم خلاف

---

(١) سقطت «وقوله عن الساعة : في خمس لا يعلمهن إلا الله» من (ب) .

مدلولها وهذا ظاهر ولله الحمد، لكن لأجل ترويج الكذبة على الجهال يحتاج إلى إيضاح ذلك.

واعترض هذا على ما كتبناه على قول الناظم:

يا أكرم الخلق ما لي من ألـوذ بـه
سواك . . . .

إلى قوله مع قول المشطر:

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي
ومنقـذي مـن عـذاب الله والألم
أو شافعا لي مما قـد جنيـت غـدا
فضلًا و إلا فقـل يـا زلـة القـدم

قال: هذا الاعتراض باطل من **وجوه:**

الأول: أن هذا الرجل يزعم أن قول الناظم «إن لم تكن في معادي آخذا بيدي». وقول المشطر: «ومنقذي من عذاب الله والألم. أو شافعا لي» إلى آخره: أن هذا الإنقاذ بالفعل، وأنه غير الشفاعة وأنه إن لم يحصل بالفعل فبالشفاعة.

وليس كما زعم لأن الإنقاذ والأخذ باليد هو أيضا بالشفاعة لأن غير الشفاعة يكون استقلالا من دون الله، ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم ولو كان بدويًا جاهلًا، والمراد: تنوع الشفاعة؛ فالنوع الأول هو الأخذ باليد والإنقاذ، وقد ورد هذا في الأحاديث الصحيحة في الشفاعة: **«فأقول: يا رب، أمتي أمتي!! فيقال: انطلق فأخرج من في قلبه مثقال**

ذرة من إيمان، فأنطلق فأفعل. فأقول: يا رب، أمتي أمتي!! فيقال: انطلق فأخرج من في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأنطلق فأخرجهم من النار»[١]. -إلى أن قال- فما المانع من إطلاق هذا اللفظ؟ وهل هذا الإخراج إلا الإنقاذ من العذاب؟

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ في المعاد وهو يوم القيامة حي كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق فلا مانع ذلك اليوم من أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة لأنه حي حاضر.

قال: وعند هذا الرجل وأشياعه أن الحي الحاضر له قدرة بنفسه، قال ابن عبد الوهاب في «كشف الشبهات» في جواب الحديث الصحيح: **«أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين فيقول: أنا لها أنا لها»**[٢].

قال: فأجاب عن هذا بأن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة كما قال تعالى في قصة موسى[٣]: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيره في أشياء يقدر عليها المخلوق. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم حديث رقم (٧٥١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب حديث الشفاعة، حديث رقم (٤٧٨).

(٢) جزء من الحديث المتقدم تخريجه آنفًا.

(٣) سقطت «في قصة موسى» من (أ).

قال : فإذا كان الحي الحاضر عند هؤلاء ينسبون له الفعل لأنه يقدر عليه ، وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ في معادي وهو يوم القيامة آخذًا بيدي فضلاً و إلا فقل يا زلة القدم ، والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم أحياء حاضرون لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الأمور العادية الحسية ، ونسبة الأفعال إلى فاعلها وأسبابها جائزة شرعًا وعرفًا .

فكيف ينكر إنقاذ النبي ﷺ أمته من العذاب ويجعله ممتنعًا وأنه خلاف الشفاعة! مع أن النبي ﷺ حينئذ حاضر ، له قدرة فيما يقدر عليه ذلك اليوم ، ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا ، كما كان يرمي العدو وهم ألوف بكف من تراب فيعميهم ، ويروي الألوف العطاش ويشبعهم بقليل من الماء والطعام ، وفي الحديث : **«إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش ، وأنا آخذ بحجزكم لئلا تقعوا فيها»**[1] .

وأعظم من هذا أن الله نسب إخراج الكفار من النور إلى الظلمات إلى الطاغوت وهي الأصنام ، مع أنها لا قدرة لها بوجه ، لكن لما كانت سببًا للإخراج نسب الإخراج إليها وكذلك هنا لما كان النبي ﷺ سببًا للإنقاذ من العذاب نسب الإنقاذ إليه .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٨٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرج نحوه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء من المعاصي ، حديث رقم (٦٤٨٢) ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقته على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم ، حديث رقم (٥٩١٤) .

وفي دعاء الاستسقاء: «**اللهم أغثنا غيثا مغيثا**»[(١)] قالوا: معناه منقذًا من الشدة، مع أن الغيث جماد لا قدرة له، لكن لما كان سببًا للإنقاذ والإغاثة نسب الإنقاذ إليه، وقد اشتهر عند العلماء: أنبت الربيع البقل، ومنع البقاء تقلب الشمس، مع أن المنبت في الحقيقة هو الله، والمانع للبقاء هو الله، وقال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص: ١٥]. مع أن القضاء من الله.

وقال في حق نبيه: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧] مع أن الواضع هو الله، لكن لما كان سببًا للفعل نسب الفعل إليه، بل جميع الأفعال تنسب إلى فاعلها فيقال: فلان أعطى وفلان منع، وفلان نفعني وفلان ضرني، ويلزم على قول هذا ألا تنسب الأفعال إلى فاعلها ولا قائل به.

قال: وورد نسبة الإنقاذ من النار إلى المعاني من الأعمال، وقد ورد في حديث صحيح قال: «**رأيت رجلًا من أمتي عذب في قبره، فجاءته صلاته فأنقذته من العذاب، والآخر أنقذه حجه، والآخر**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٢) وأبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء حديث رقم (١١٦٩ بلفظ: «**اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا مريئا...**» وأخرج نحوه البخاري، كتاب الاستسقاء باب الاستسقاء، في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة رقم (١٠١٤)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، حديث رقم (٢٠٧٥ بلفظ: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**».

صيامه»[1] . فإذا جاز نسبة الإنقاذ من النار إلى المعاني لكونها أسبابًا فنسبتها إلى الذوات من باب أولى ، خصوصًا أشرف الذوات من المخلوقين . انتهى .

وجوابه أن يقال : أولًا وازن بين قول : «يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك» ، وبين قول الذي قال له النبي ﷺ : **«أجعلتني لله ندًا»** حيث قال له : ما شاء الله وشئت[2] . فهذا لو قال : ما لي من ألوذ به إلا الله وأنت ، لكان أقبح من قول القائل : ما شاء الله وشئت ؛ لأن الله أثبت للعبد مشيئة بقوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير : ٢٨] . ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الإنسان : ٢٩] فكيف إذا أفرد الرسول باللياذ والالتجاء من عذاب ذلك اليوم الذي لا تكلم فيه نفس إلا بإذنه!

وقد ذكرت في الجواب السابق الفرق بين قول هذا في تشطيره «ومنقذي من عذاب الله والألم» ، وبين قوله : «أو شافعا لي» ؛ لأن المعترض الأول ادعى بجهله أن عطف الشفاعة على الإنقاذ عطف تفسير ومعنى الكلمتين واحد ، وبينا بطلان قوله هذا وأن قوله : «أو شافعا لي» لا يصلح كونه عطف تفسير لأنهم ذكروا أن عطف التفسير

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٧١) من حديث عبد الرحمن بن سمرة وقال : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي ، وفي الآخر خالد ابن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف .

(٢) تقدم تخريجه (ص٢١) .

إنما يكون بالواو خاصة ، وممن ذكر ذلك ابن هشام ، وأما العطف بأو فهو نص في أن المعطوف غير المعطوف عليه ، مع أن العامي فضلًا عن العالم يفرق بين اللفظين ، فلو قصد إنسان إنسانًا وقال : قصدتك لحاجة[١] كذا ، فإما أن تقضيها أو تشفع لي عند فلان في قضائها . فكل أحد يعرف الفرق بين العبارتين كما فرق القرآن بينهما في قول صاحب يس ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس : ٢٣] . فالإنقاذ هو بالنصرة والمظاهرة ، والشفاعة بالجاه والمكانة .

قال ابن القيم بعد كلام سبق على الآية : إن العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت الحاجة دائمًا ، وإذا أرادني الرحمن الذي خلقني بضر لم يكن لهذه الآلهة من القدرة ما تنقذني بها من ذلك الضر ، ولا من الجاه والمكانة ما تشفع لي إليه لأتخلص[٢] من ذلك الضر فبأي شيء تستحق العبادة ، إني إذا لفي ضلال مبين إن عبدت من دون الله[٣] مَن هذا شأنه . انتهى .

وقال البيضاوي : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس : ٢٣] أي : لا تنفعني

(١) في (ط) : «لحاجتي» .

(٢) في (ط) : «ولا تخلصني» .

(٣) سقطت «من دون الله» من (أ) .

شفاعتهم، ولا ينقذون بالنصر والمظاهرة: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ٢٤]. فإن إيثار من لا ينفع ولا يدفع ضرًّا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال مبين لا يخفى على عاقل. انتهى.

وقوله: إن الإنقاذ والأخذ باليد هو -أيضًا- بالشفاعة؛ لأن غير الشافع يكون استقلالا من دون الله، ولا يتصور اعتقاد هذا من مسلم.

قلت: ولا يتصور ذلك من أحد من مشركي العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ؛ فإنهم كلهم معترفون بأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر شيئا من دون الله، ونصوص القرآن كثيرة في ذلك كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] أي: أفلا تتقون الشرك في الألوهية إذا أقررتم بالربوبية.

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩].

واعترفوا أيضا بصفة العزة[١] والعلم لله، والآيات في هذا كثيرة معلومة عند الجميع يحتج -سبحانه- عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية على إشراكهم في توحيد الألوهية كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السموات والأرض والجبال؟ قالوا: الله، وهم يعبدون معه غيره! ولهذا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وقال عطاء في الآية: إيمانهم إخلاصهم الدعاءلله في الشدائد وينسون في الرخاء كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. الآية.

والآية تعم ذلك كله فهذه نصوص القرآن صريحة في أن المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافًا جازمًا غير مترددين ولا متوقفين، بل يقرون بجملة من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينكرها كثير من المسلمين المنحرفين كإقرارهم بصفة العزة والعلم، ويقرون -أيضًا- بعلوه فوق سمواته كما في حديث حصين بن المنذر لما قال له النبي ﷺ: **«كم إلهًا تعبد؟»** قال: سبعة؛ ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: **«فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟»** قال الذي في السماء[٢]. وكما في

---

(١) في (أ): «العز».

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٧٠)، حديث (٣٤٨٣). من حديث =

شعر أمية بن أبي الصلت وغيره.

وأخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا من آلهتهم إلا الشفاعة عند الله في أمور دنياهم، وكذا من يعترف منهم بالآخرة، فإذا طلبوا من آلهتهم حاجة من حوائجهم من رزق أو نصر على عدو ونحو ذلك لم يقولوا إن آلهتهم تحدث شيئا من مطلوبهم من دون الله وتستقل بذلك، لم يقل هذا أحد منهم، وإنما كانوا يقولون: إننا إذا طلبنا حاجتنا من هذا الوجيه عند الله حصل مطلوبنا لوجاهته عند الله؛ ولهذا يخلصون الدعاء لله في الشدائد وينسون الوسائط كما قال تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١].

إذا تبين هذا فإذا خوطب النبي ﷺ أو غيره من الأموات والغائبين بلفظ من ألفاظ الاستغاثة أو طلب منه حاجة بقول: أغثني، أو أنقذني من كذا، أو خذ بيدي، أو اقض حاجتي، أو أنت حسبي، أو أشكوا إليك حاجتي، ونحو ذلك، يتخذه واسطة بينه وبين الله في ذلك فهذا شرك العرب الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ.

= عمران بن حصين، قال: قال النبي ﷺ لأبي: «**يا حصين**...» الحديث. وضعفه العلامة الألباني. انظر: ضعيف الترمذي رقم (٦٩٠)، والحديث على ضعفه فإن السؤال فيه موجه إلى والد عمران بن حصين وهو الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، وليس إلى الحصين بن المنذر كما ذكر المؤلف. ثم إني لم أجد أحدًا من الصحابة سمي بالحصين بن المنذر «بالصاد المهملة» وقد وجد في التابعين من اسمه الحضين بن المنذر «بالضاد المعجمة» روى عن عثمان وعلي والمهاجر بن منقذ... ومات سنة ٩٧هـ. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٥٦).

وقول المستغيث : خد بيدي ، أو أنقذني ، من أبلغ ألفاظ الاستغاثة فلو اعتقد الداعي أن من دعاه وطلبه يقضي حاجته استقلالا من دون الله كان هذا شركا في توحيد الربوبية والألوهية .

قال شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : ومن رحمة الله سبحانه أن الدعاء المتضمن شركًا كدعاء غيره إن يفعل ، أو دعائه إن يدعو ، ونحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقيرة ، فأما الأمور العظيمة كإنزال الغيث عند القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠-٤١] . وقال : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٦٧] . وقال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٢] . وقال : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٣-٤٤] . فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : وجماع الأمر أن الشرك **نوعان :**

شرك في ربوبيته : بأن يجعل لغيره معه تدبير ما ، كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ : ٢٢] . فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالًا ، ولا يشركونه في شيء من ذلك ، ولا يعينونه على ملكه ، فمن لم[1] يكن مالكًا ولا شريكًا ولا عونًا فقد انقطعت علاقته .

وشرك في الألوهية : بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فكما أن إثبات المخلوقات سببًا لا يقدح في توحيد الربوبية ، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء ، ولا يوجب أن يدعي المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة[2] كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابًا لا تقدح في توحيد الألوهية ، ولا تمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ، ولا توجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب عليه ، ويكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته ؛ إذ قد جعل الخير كله في ألا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا به .

قال : وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل ، حتى إنه –سبحانه– قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وقال : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١] . وقال : ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) في (ب ، و ط) : «فلم» .

(٢) في (ط) : «استغاثة» .

وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٧٠] . وقال : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٤] .

وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان ، وكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ [السجدة : ٤] . وقال : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] . وقال : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٣ ، ٤٤] . وسورة الزمر أصل عظيم في هذا .

قال : والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول . انتهى .

وما احتج به هذا الملحد من قول النبي ﷺ : **«أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج من في قلبه كذا وكذا من إيمان»**(١) وقوله : فما المانع من إطلاق هذا اللفظ -يعني لفظ الإنقاذ- وطلبه من النبي ﷺ ، وهل هذا الإخراج إلا الإنقاذ من عذاب **الله** .

فالعجب من هذا التمويه ، فهل فعل هذا ﷺ بنفسه أو بأمر **الله** له بذلك؟! **فالله** -سبحانه- هو الذي أكرمه بهذه الشفاعة ، فهو ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥١) .

عبد مأمور لا يشفع إلا بإذن ربه فيمن أذن الله له أن يشفع فيه فقط ، لا يتجاسر أن يشفع في غير من أذن له فيه ربه .

ثم انظر قول هذا : إن النبي ﷺ حي كحاله في الدنيا هو وجميع الخلائق ؛ فلا مانع في ذلك اليوم من أن يتسبب ويخرج وينقذ من الشدة لأنه حي حاضر ، والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم أحياء حاضرون لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الأمور العادية الحسية .

قال : وعند هذا الرجل وأشياعه أن الحي الحاضر له قدرة بنفسه ، فكيف ينكر إنقاذ النبي أمته من العذاب ويجعله ممتنعا مع أن النبي حينئذٍ حاضر له قدرة فيما يقدر عليه ذلك اليوم ، ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا ، كما كان يرمي العدو وهم ألوف بكف من تراب فيعميهم ، ويروي الألوف العطاش ويشبعهم بقليل من الماء والطعام .

فلينظر المنصف إلى تقرير هذا المبطل وجعله النبي بل وغيره يتصرفون في ذلك اليوم كتصرفهم في الدنيا ، وأنه ﷺ يخرج وينقذ من الشدة ، ويقرر ذلك هذا التقرير ، وأنه ﷺ يقدر على ذلك أي الإنقاذ ، وتعجبه ممن ينكر ذلك فقال : وكيف ينكر إنقاذ النبي أمته من العذاب ، ويحتج علينا بأنا إذا قلنا : إن للحي[1] الحاضر قدرة في الدنيا على التصرف بالفعل بنفسه يقول[2] فيلزمكم أن تثبتوا ذلك في الآخرة لا فرق-ثم قال- ويقدر على ذلك كما هو في حال الحياة الدنيا .

---

(١) في (ط) : «بأن للحي» .

(٢) في (ط) : «فنقول» .

وقوله: والنبي وجميع الخلائق ذلك اليوم لهم قدرة فيما يقدرون عليه من الأمور العادية الحسية، والمراد بالأمور العادية: الأشياء التي يفعلها الحي في العادة، والحسية: الأفعال المشهودة بالعيان مثل إعطاء بعضهم بعضًا ومعاونة بعضهم لبعض وكذا جناية بعضهم على بعض، والعجب من هذا الضال سوى في هذه الأمور بين الدنيا والآخرة ولم يجعل لإخباره سبحانه بتفرده بالملك والأمر في ذلك اليوم فائدة ولا معنى، وأي محادة لله ورسوله أكبر من هذا؟! وهذه نصوص الكتاب والسنة نذكر بعضها فيعرض المنصف كلام هذا الرجل عليها.

قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال ابن كثير: إنما أضيف الملك إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هناك شيئًا ولا يتكلم أحد إلا بإذنه[1] ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]. وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]. وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]. وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم حكمًا كملكهم في الدنيا -قال- ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم يدينهم بأعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر إلا من عفي عنه -قال- وكذا قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف وهو ظاهر[2].

---

(١) في «تفسير ابن كثير»: «كما قال تعالى».

(٢) انتهى كلام ابن كثير رحمه الله تعالى.

وقال البغوي: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ إنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكًا للأيام كلها؛ لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وقال ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]. انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤]. وقال: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣]. وهذا معنى قوله: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] وقال تعالى: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]. وقال: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الحج: ٥٦]. وقال: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

قال البيضاوي في هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ قال: وإيراده شيئًا منكرًا مع تنكير النفسين(١) للتعميم والإقناط الكلي، انتهى.

وما ذكره البيضاوي من أن النكرة في سياق النفي تعم مجمع عليه عند البيانيين والأصوليين وعليه جميع المفسرين والفقهاء.

وقال تعالى: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]. وقال: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى

---

(١) في (ط): «النفس».

شَيْـًٔا ﴾ [الدخان: ٤١]. وقال: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾، [الانفطار: ١٩]، فنكر النفسين وشيئا، وهذا من أبلغ صيغ العموم في النفي كما قال البيضاوي، فيعم جميع الأنفس وكل ما يقع عليه اسم شيء، ثم أكد بقوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقال ابن كثير: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]. تهويل لشأن ذلك اليوم ولهذا قال: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ [الانفطار: ١٩]. أي لا ينفع أحد أحدًا ولا يدفع أحد عن أحد شيئًا ولهذا قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ كقوله: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]. وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ وكقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال قتادة: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ قال: والأمر -والله- لله اليوم ولكن لا ينازعه يومئذٍ أحد ولا يصنع أحد شيئًا إلا رب العالمين.

وقال الزمخشري: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]. يعني أن أمر يوم الدين عظيم بحيث لا يدرك كنهه في الهول والشدة، وكيفما تصورت فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل، ثم أجمل القول عن وصفه فقال: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ أي لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه ولا أمر إلا الله وحده[1].

---

(١) «الكشاف» (٣/ ٣٥٨).

وفي «تفسير الجلالين» : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا أمر لغيره معه ، أي لم يمكن أحدًا من التوسط فيه[١] بخلاف الدنيا[٢] .

وقول المعترض : إن البغوي قال في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ إن هذا في النفس الكافرة .

وكذب في نسبة ذلك إلى البغوي ، فإن البغوي حكىٰ ذلك عن مقاتل ، فيحتمل أن مقاتلًا خصَّ بعض ما تناولته الآية لمعنىٰ ما ، والظاهر أن مراده أن غير الكافر يشفع فيه الشافعون ويرىٰ[٣] أن من أذن له في الشفاعة يملك ما أذن له فيه كما قال بعض المفسرين في قوله سبحانه : ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم : ٨٧] . وقوله : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف : ٨٦] بناء علىٰ أن الاستثناء في الآيتين متصل ، وأن من أذن له في الشفاعة يصدق عليه أنه ملك الشفاعة فيمن أذن له فيه فقط .

والشفاعة المأذون فيها هي من الأمر[٤] الذي اختص به سبحانه في قوله : ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ والألف واللام في الأمر تفيد العموم عند الجميع كقوله : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ ، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

---

(١) في (ط) : «لم يمكن لأحد من الخلق التوسط فيه» .
(٢) «تفسير الجلالين» (ص٥٣٠) .
(٣) في (ب) : «ويروىٰ» .
(٤) في (ط) هي «غير الأمر» .

ٱلۡأُمُورُ ﴾[١] فهو سبحانه الآمر والآذن فله الأمر كله وله الملك كله. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾، ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ: ٣٨]. والعموم في قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الانفطار: ١٩]. كالعموم في نظائرها من الآيات التي قدمنا ذكرها كقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾[٢] وقوله: ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [لقمان: ٣٣].

وما رأينا أحدًا من المفسرين قال في هذه الآيات بالخصوص بل قرروا عمومها على مقتضاه، ولم يقل أحد منهم في شيء منها إنه مختص بالكفار سوى ما ذكره البغوي عن مقاتل في قوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ وليس هو بصواب، وهو مخالف لما عليه المفسرون وأهل العربية والأصوليون[٣] والفقهاء في قولهم بعموم النكرة في سياق النفي، فمن له نظر في كتب الجميع وجد ذلك صريحًا.

قال في «شرح مختصر التحرير»: ومن صيغ العموم نكرة في نفي، صرح به أهل العربية. وكذا قال العراقي في «شرح جمع الجوامع» إن النكرة في سياق النفي تعم ولم يذكر خلافًا، وهذا يفهمه كل أحد من

---

(١) في (ب) والألف واللام في الأمر كقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ تفيد العموم عند الجميع.

(٢) سقطت الآية من (ب).

(٣) في (ب و ط): «والأصوليين».

مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾. ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

فمن سمع هذه الآيات ونحوها لم يشك في عمومها، كيف وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ زيادة تأكيد للنفي لأنه نكر النفسين وشيئًا، فهو كما قال البيضاوي في قوله: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ إذ قال: وإيراده شيئًا منكرًا مع تنكير النفسين[1] للتعميم والإقناط الكلي.

ولا ريب أن الشفاعة الحاصلة بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليست داخلة تحت النفي حتىٰ يقال إن هذا مخصوص بالكافرة، وإنما المنفي نفع أحد أحدًا بشفاعة أو غيرها بدون إذنه -سبحانه- كما قال قتادة: وليس أحد يصنع يومئذٍ شيئًا إلا رب العالمين.

ومما يوضح خطأ من خصَّ الآية بالكافرة ما ثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا إلىٰ أن قال: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا»**[2].

---

(١) في (ب): «التفسير».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء الولد في الأقارب، حديث رقم (٢٧٥٣) ومسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ حديث رقم (٥٠٣).

وفي رواية الترمذي لحديث أبي هريرة : «**يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرًّا و لا نفعًا** ، إلى أن قال : **يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرًّا ولا نفعًا ، إن لك رحمًا سأبلها ببلالها**»(١) .

وفي «صحيح مسلم» من طريق آخر عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشًا فعم وخص ، فقال : «**يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئًا إلا أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها**»(٢) .

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله ﷺ فقال : «**يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئًا سلوني من مالي ما شئتم**»(٣) .

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الشعراء ، حديث رقم (٣١٨٥) .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ حديث رقم (٥٠٠) .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ حديث رقم (٥٠٢) .

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: **«لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك»**[1] الحديث.

فأخبر الصادق المصدوق أنه لا يملك لابنته سيدة نساء الأمة وعمه وعمته والمهاجرين والأنصار من الله شيئًا ولا يغني عنهم من الله شيئًا، فهذه الأحاديث ونحوها شاهدة للعموم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ مع أن الآية صريحة في ذلك، فهذه الأحاديث تزيد الواضح وضوحًا ولله الحمد، مع أن قول مقاتل ليس فيه حجة لهذا المبطل لأننا نقطع أن مقاتلًا لم يرد أن أحدًا يفعل في ذلك اليوم شيئًا من دون الله سبحانه، أو أن أحدًا يشفع عنده بغير إذنه، وإنما أراد نفي الشفاعة في الكافر.

وليتأمل المنصف ما ذكرنا من الآيات والأحاديث المصرحة بتفرد الله -سبحانه- بالملك والأمر في ذلك اليوم، وأنه لا حاكم ولا متصرف هناك سواه سبحانه، ويعرض قول هذا الملحد المشرك بين الله وبين رسوله، بل وغير الرسول في التصرف والأمر في ذلك اليوم العظيم

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغلول حديث رقم (٣٠٧٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول حديث رقم (٤٧١١).

بقوله: إن النبي ﷺ يقدر على إنقاذ أمته من العذاب في ذلك اليوم، وإنه يقدر على ما كان يقدر عليه في الدنيا، وإنه يتصرف في ذلك اليوم هو وغيره كما كانوا في الدنيا، فيعرض كلامه هذا على ما ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله ليتبين الهدى لمن أراد الله هداه.

قال المعترض: وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ في معادي آخذًا بيدي وإلا فقل يا زلة القدم.

فيقال له: قول صاحب البردة وقولك ليس إخبارًا، بل هو استغاثة[1] بل من أبلغ ألفاظ الاستغاثة، كقول الأبوين ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. وقول بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

أترى أن الأبوين وجميع المذكورين يخبرون الله بأنه إن لم يغفر لهم ويرحمهم فهم خاسرون وأن هذا منهم مجرد إخبار، بل كل أحد يعرف أن هؤلاء الذين أخبر الله عنهم بهذا الكلام يسألون الله ويرغبون إليه في أن يغفر لهم ويرحمهم ومعترفون بأنه إن لم يغفر لهم ويرحمهم فهم خاسرون وهذا الجاهل لا يفرق[2] بين نوعي الكلام من الإنشاء والخبر.

---

(١) سقط «بل» من (ط) و (ب).

(٢) في (ب): «لا يعرف يفرق»، وفي (ط): «لا يعرف الفرق».

فالكلام عند علماء البيان نوعان: خبر وإنشاء، فالخبر ما احتمل الصدق والكذب، أي ما احتمل أن يكون قائله صادقًا ويحتمل أن يكون كاذبًا كقوله: جاء زيد وقدم عمرو، فهذا قول يحتمل أن يكون صدقًا وأن يكون كذبًا، فهذا تعريف الخبر، وما سواه يسمى إنشاء.

وأما قول صاحب البردة وقول المشطر:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به

سواك ....

إلى قولهما:

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي

ومنقذي من عذاب الله والألم

....

فضلا[1] وإلا فقل يا زلة القدم

أي وإن لم تأخذ بيدي وتنقذني من عذاب الله فقل يا زلة القدم. أي فأنا خاسر أو هالك، فهو كقول الأبوين: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. وقول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]. وقول بني إسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

---

(١) في (ط): «إلى قوله».

ثم أورد المعترض أشياء يستدل بها لقوله : «ومنقذي من عذاب الله والألم» .

وليس فيها ما يستأنس له به فضلًا عن أن يكون حجة ، وإنما أراد الإكثار من الكلام إيهامًا للطغام .

وقد قدمنا جملة من شبهه حقيقتها نسبة المسبب إلى سببه ، منها قوله : ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص : ١٥] . قال : مع أن القضاء من الله ، يعني أن القضاء في هذا الموضع هو فعل الرب -سبحانه- الذي بمعنى التقدير كما يقال : قضى الله كذا ، أي قدر كذا ، وقد أخطأ في معنى هذه الكلمة ، وإنما المراد بالقضاء في قوله : ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ القتل الذي هو فعل موسى لا فعل الرب ، يقول : فوكزه موسى فقضى عليه ، أي قتله . هذا هو المراد عند جميع المفسرين ، تقول العرب : قضى فلان على فلان إذا قتله ، ويقال قضى فلان أي مات .

وقوله ﷺ : **«وأنا آخذ بحجزكم عن النار»**[1] المراد تحذيرهم عن الأعمال التي توجب غضب الرب وتورد النار .

وقوله : إن الله نسب إخراج الكفار من النور إلى الظلمات إلى الطاغوت وهي الأصنام .

فأخطأ في قوله : إن المراد بالطاغوت هنا الأصنام ، وأكثر المفسرين يقولون المراد بالطاغوت هنا الشياطين ، وقيل : المراد كعب بن الأشرف

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٢) .

وأشباهه من علماء اليهود، ولم نر من فسر الطاغوت هنا بالأصنام؛ ولهذا قال: ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ فأتى بضمير العقلاء.

فلو ذهبنا نتتبع خطأه وتخبيطه في نحو ذلك لطال الكلام.

وذكر قول الشاعر: «منع البقاء تقلب الشمس».

وقولهم: «أنبت الربيع البقل».

ومن استدل بنحو ذلك على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأموات والغائبين بطلب الحاجات منهم، ثم طلب الإنقاذ من عذاب يوم القيامة وشدائده فقد أتى بما ينكره العامي السليم الفطرة ولكن الهوى يعمي ويصم.

ونحن لا ننكر إضافة الأشياء إلى أسبابها ولكن الله -سبحانه- هو خالق الأسباب والمسببات ولا يلزم من ذلك أن نعتمد على الأسباب فضلًا عن أن نسألها ونرغب إليها وهي مخلوقة، بل يتعين على العباد أن يعتمدوا على خالق الأسباب ويرغبوا إليه ويستعينوا به ويعبدوه وحده ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقال شيخ الإسلام تقي الدين في أثناء كلام له: «إن إثبات المخلوقات أسبابًا لا يقدح في توحيد الربوبية، ولا يمنع أن يكون الله خالق كل شيء ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة». انتهى، وقد تقدم.

وهذا المبطل يقول: إذا كان الله قد جعل النبي سببًا للإنقاذ من النار من أراد الله هدايته جاز أن يطلب الإنقاذ من النار منه ﷺ فطرد هذا الأصل الباطل أن يجوز ذلك في جميع الأسباب، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨]. فيلزمه أن يجوز للناس أن يطلبوا من الريح أن تثير[1] لهم سحابًا ماطرًا.

وقال تعالى في حق نبيه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]. والمراد بالظلمات ظلمات الجهل والكفر والشك إلى نور العلم والإيمان، فيجوز على أصل هذا أن يقال: يا رسول الله أخرجنا من الظلمات إلى النور، وهذا حقيقة هداية الصراط المستقيم فيقال: يا رسول الله اهدنا الصراط المستقيم، وهذا لازم لهذا المبطل على أصله الباطل لا محيد له عنه ولا أستبعد التزامه ذلك لجهله وعناده، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

قوله: «وقد ورد نسبة الإنقاذ إلى المعاني من الأعمال...» إلى آخر كلامه.

هذا مما احتج به لقوله: «ومنقذي من عذاب الله والألم»، فانظر هذا القياس الفاسد وجعله هذا من باب أولى، وقياسه هذا أقبح من قياس الذين قالوا: إنما البيع مثل الربا، لو أنه ساوى بين الأمرين فكيف وهو يقول: هذا من باب أولى.

---

(١) في (ط): «تسير».

فكذب على الله وعلى رسوله في زعمه إن ذوات المخلوقين تنقذ من عذاب الله كما تنقذ الأعمال الصالحة بل هي أولى في زعمه .

ومراده طلب الإنقاذ من المخلوقين ؛ لأنه أراد بذلك الاحتجاج لطلبه الإنقاذ من النبي ﷺ بقوله ومنقذي من عذاب الله والألم ، وبقوله : إن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات والغائبين ، وهذا من الكذب على الله ، وشرع دين لم يأذن به الله ؛ حيث زعم أن الله يحب من عباده أن يطلبوا من غيره أن ينقذهم من عذابه ، وأنه يحب من المؤمنين طلب الحاجات من الأموات والغائبين ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

والله –سبحانه- جعل دخول الجنة والنجاة من النار معلقًا على الأعمال الصالحة ، لا على الالتجاء إلى المخلوقين والاستغاثة بهم والتوسل بذواتهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [الصف : ١٠-١٢] الآيتين[١] .

فعلق سبحانه النجاة من عذابه ومغفرة ذنوبهم ودخولهم الجنة والنصر على الأعداء على الإيمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله .

---

(١) والصواب : «الآيات» .

وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقال: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢-٣]

وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر].

كما جعل -سبحانه- اتباع رسوله سببًا لمحبته ومغفرة الذنوب والفلاح في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذا المفتري على الله الكذب يزعم أن التقرب إلى الله بذوات المخلوقين أولى من التقرب إليه بالأعمال الصالحة وباتباع رسوله ﷺ.

فيا سبحان الله! كيف يروج تمويه هذا على من يسمع هذه الآيات ونحوها مما لا يحصى من آي القرآن، وعلى من يسمع قول الله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

ونحو هذه الآيات مع قول النبي ﷺ لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والأنصار: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا، لا أملك لكم من**

الله شيئًا»[١] ويؤكد ذلك بحلفه لابنته وعمته أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا .

وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن : ٢١- ٢٢] أي لا أجد من ألتجئ إليه وأعتمد عليه ، وصاحب البردة يقول فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدًا ، يعني أنا في ذمته وجواره لموافقة اسمي اسمه ، وهذا يقتضي أن كل من سمي محمدًا فهو في ذمته ﷺ .

وقوله في الهمزية الأمان الأمان ، أي أسألك الأمان ، فأكده تأكيدًا لفظيًا ، فهو يطلب من النبي ﷺ أن يؤمنه ويجيره من عذاب الله ، وقد قال النبي ﷺ : **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله** . قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»**[٢] ، وكان أكثر دعاء النبي ﷺ : **«اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»**[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦٨) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المرضى والطب ، باب تمني المريض الموت ، حديث رقم (٥٦٧٣) ، ومسلم ، كتاب صفات المنافقين ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ، حديث رقم (٧٠٤٧) .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ : **«ربنا آتنا في الدنيا حسنة»** حديث رقم (٦٣٨٩) ، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء بـ**«اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»** ، حديث رقم (٦٧٨١) .

ومن دعائه ﷺ: **«رب قني عذابك يوم تبعث -أو تجمع- عبادك»**[١]، وفي دعاء الخروج إلى الصلاة: **«أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**[٢].

فالنبي ﷺ يسأل الله أن يقيه عذابه وعذاب النار ويسأله أن ينقذه من النار وهذا يطلب الإنقاذ من النبي ﷺ. ما أعظمه من ضلال!

وفي بعض أدعيته ﷺ: **«أسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار»**[٣].

وقال للذي قال لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ: **«إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار حولها ندندن»**[٤]. ومن دعائه ﷺ: **«لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك»**[٥]. **«أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك»**[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، حديث رقم (٥٠٤٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة، حديث رقم (٧٧٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٥). وضعفه العلامة الألباني، انظر «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٤).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٤) من حديث ابن مسعود. وصححه. قال الذهبي: فيه حميد الأعرج وهو متروك.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة باب في تخفيف الصلاة، حديث رقم (٧٩٢)، وابن ماجه كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء حديث رقم (٣٨٤٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، حديث رقم (٦٣١٣)، ومسلم، كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٦٨٢٢) عن البراء بن عازب.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (١٠٩٠) عن عائشة رضي الله عنها.

فالتجأ إلى الله منه واستعاذ به منه . وصاحب البردة والمشطر التجأ إلى الرسول ﷺ من عذاب الله ، وعاذا به منه وقد قال النبي ﷺ للذي قال : اللهم إني أتوب إليك لا إلى محمد : **«عرف الحق لأهله»**[١] .

وزعم هذا المتخبط أن الشفاعة **نوعان :**

أحدهما : الأخذ باليد والإنقاذ .

والثاني : معنى قولي أو[٢] شافعًا لي[٣] باستغفاره . فالأولى شفاعة فعلية بأن يخرجه من العذاب بعد وقوعه فيه . والثانية شفاعة قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة[٤] . انتهى .

فانظر إلى هذا التقسيم الباطل ، وهل يعقل الناس شفاعة إلا بالكلام من الشافع كما في حديث الشفاعة الطويل : **«حتى أستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت له أو خررت ساجدًا لربي فيدعني ما شاء الله ثم يقال ارفع محمد ، قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، فأرفع رأسي**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٥٦٢ - ٥٦٣) والطبراني في «الكبير» (٨٣٩) ، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٥) ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : ابن مصعب ضعيف . قلت : وفيه علة أخرى وهي الانقطاع بين الحسن والأسود بن سريع ، فإن الحسن لم ير الأسود ، انظر : «نصب الراية» (١/ ٩٠) .

(٢) في (ط) : «أي» .

(٣) سقطت «لي» من (أ) .

(٤) في (أ) : «بين الذنب وبين المؤاخذة به» .

فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة»[1] .
وذكر الثانية كذلك والثالثة والرابعة .

وكذلك ، شفاعة النبي ﷺ في إخراج ناس من النار يقال له انطلق فأخرج من في قلبه كذا من إيمان .

فالعجب من ترويج هذا المبطل وهل يسمى الفعل المجرد عن القول شفاعة عند عالم أو جاهل؟! إنما الشفاعة بالكلام وقبولها بالفعل من الشافع فيما أذن له فيه ، فإدخاله ﷺ الجنة من أمره الله بإدخاله وإخراجه من النار من أمره بإخراجه هذا حقيقة قبول الشفاعة ، لا أن ذلك شفاعة أخرىٰ .

وهل يوجد في حديث أنه ﷺ أدخل أحدًا الجنة أو أخرج أحدًا من النار بغير أمر الله؟ وهذا أمر واضح ما يحتاج إلىٰ توضيح لكن ربما يحصل بكلامه تشبيه على الجاهل فلو ذهبنا نتتبع ما في كلامه من الركاكة والتناقض والعيب لاحتمل مجلدًا .

من ذلك قوله علىٰ قوله في القصيدة : «أو شافعًا لي مما قد جنيت» : «فمراد إخباره عن نوع آخر من الشفاعة وهو كونه شافعًا لي باستغفاره أو بدعائه لا بفعله ، فيشفع لي شفاعة ثانية مما جنيت من الذنوب فلا يؤاخذني بها فلا أرىٰ العذاب بالكلية أو يزيد في درجاتي» .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، حديث (٦٥٦٥) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب حديث الشفاعة ، حديث (٤٧٤) .

ثم قال بعد ذلك: «وقولي ثانيًا أو شافعًا لي مما قد جنيت غدًا فهي شفاعة أخرىٰ غير شفاعة الإنقاذ بالاستغفار للذنب، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. فالأولىٰ شفاعة فعلية بأن ينقذه من العذاب بعد وقوعه فيه، والثانية شفاعة قولية بأن يحال بين المذنب وبين المؤاخذة -قال- وهذا ظاهر». انتهىٰ.

أقول بل كله كلام باطل متناقض، من ذلك كونه جعل قوله في خطابه للنبي ﷺ ومنقذي من عذاب الله والألم أو شافعًا لي إخبارًا فهذا باطل، بل هو استغاثة به ﷺ لا خبر وقد قدمنا -عند قوله فيما تقدم: وصاحب البردة يخبر أنه إن لم يكن النبي ﷺ آخذًا بيده وإلا فقل يا زلة القدم- إيضاح ذلك ولكن لو سلم أنه خبر مع استحالة كونه خبرًا فهو إخبار منه للنبي ﷺ؛ لأن الخطاب معه فهو يخبر النبي ﷺ بأن يشفع له شفاعتين قولية وفعلية، فهو يخبر النبي بما لا يعلمه؛ لأنه لو كان يعلم ذلك لم يحتج إلىٰ إخباره له بذلك.

وحقيقة كلامه إذا جعله خبرًا أنه يقول: أنت يا رسول الله تشفع لي شفاعتين فعلية وقولية. فهل يوجد كلام أسمج من هذا الكلام؟! مع تضمنه الكذب على الله وعلىٰ رسوله وتزكية نفسه بحصول شفاعة النبي ﷺ له، فهو والحالة هذه شاهد لنفسه بأنه من أهل الجنة، وجعله الشفاعة الأولىٰ بأن ينقذه النبي ﷺ من العذاب بعد وقوعه فيه، والشفاعة الثانية استغفار النبي ﷺ له ما أعجب هذا!!

هل في الآخرة توبة واستغفار؟! وإنما الواقع من الأنبياء وغيرهم الشفاعة، ولم يأت أهل الموقف إلى الأنبياء يقولون استغفروا لنا بل يقولون اشفعوا لنا.

وأيضًا، إذا حصلت لهذا الشفاعة الفعلية بزعمه، وهي الإنقاذ من العذاب فقد سلم من المؤاخذة بذنبه فلا يحتاج أن يشفع له ثانيًا بألا يؤاخذ بذنبه، ومن له أدنى نظر تبين له فساد كلامه وتناقضه في أكثر المواضع من تسويده هذا. والله الهادي إلى سواء السبيل.

وذكر المعترض أني استدللت بقول الله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ ولا أذكر ذلك ولا وجدته في المسودة عندي، ولا شك أن معنى الآية أن من كتبه الله شقيًا لا تنقذه مما هو فيه من الضلالة؛ لأن من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

هذا مع أني أقول الاستدلال بعموم الآية على ما نحن فيه سائغ، وما زال العلماء يستدلون بآيات نزلت في أمور خاصة على ما يتناوله اللفظ بعمومه، والعبرة عند العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما والمستدل بهذه الآية عليه ثابت حكمه بنصوص آيات وأحاديث كقوله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾.

وكقوله ﷺ لسيدة نساء الأمة ولقرابته: «**أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا**». وقوله للمهاجرين والأنصار:

«لا أملك لكم من الله شيئًا»[1] ومعنى لا أملك لكم من الله شيئًا: لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا كما في رواية الترمذي للحديث.

قال البغدادي: وهذا الرجل ينكر نسبة الإنقاذ من النار بالفعل إلى رسول الله ﷺ ويذكر الأحاديث التي فيها نسبة الإنقاذ من النار إلى قريش ولا يدري أنها رادة عليه مدعاه الذي يدعيه؛ إذ يقال كيف نفى الله الإنقاذ عن نبيه ويثبته لأقاربه من قريش بقوله: **«أنقذوا أنفسكم من النار»**؟ فإنه نسب الإنقاذ من النار لهم. فإن قلت: أراد أنكم تتسببون في إنقاذ أنفسكم بالإسلام. قلنا: وكذلك إطلاق كلامنا ككلامه، فإن مرادنا بقولنا: ومنقذي من عذاب الله والألم، أي متسببًا في إنقاذي أو منقذي بفعله» . انتهى.

فانظر إلى هذا الكلام الباطل والقياس الفاسد، يقول: كيف ينفي الإنقاذ عن نبيه ويثبته لأقاربه من قريش، وقوله وإطلاق كلامنا ككلامه. . . . إلخ.

قلنا: أما الاتفاق في الحروف فنعم وأما في المعنى فبين الكلامين من التباين ما لا نهاية له، فالعجب من هذا التلبيس الذي لا يخفى على العامي السليم الفطرة.

ويقال له أيضًا: كذبت في قولك كلامنا ككلامه، فهو ﷺ يقول أنقذوا أنفسكم من النار بطاعة الله ورسوله، فهذا السبب الذي أمرهم

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦٩).

به ﷺ في دار العمل ، وأنت تطلب الإنقاذ من النار من النبي ﷺ في دار الجزاء ، فسببك الذي تعتمد عليه الشرك وهو الاستغاثة به ﷺ لينقذك من عذاب الله يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذٍ لله ، والسبب الذي أمر به ﷺ التوحيد ولزوم طاعة الله ورسوله ، فالسبب الذي أمر به ﷺ يوصل إلىٰ رضى الله والجنة والسبب الذي تدلي به يبعد عن الله غاية الإبعاد وهل قال النبي ﷺ لابنته وعمه وعمته والمهاجرين والأنصار أنا أنقذكم من عذاب الله أو أتسبب في إنقاذكم فلا تخافوا ، فلو كان له ﷺ شيء من هذا الأمر ذلك اليوم لكان هؤلاء أحق من غيرهم .

وقوله : كيف ينفي الإنقاذ عن نبيه ويثبته لقريش .

قلنا : لم ننف الإنقاذ عنه ﷺ ، بل هو الذي نفاه عن نفسه بقوله : **«لا أملك لكم من الله شيئًا»** . **«لا أغني عنكم من الله شيئًا»** فالإنقاذ الذي أمرهم به غير الإنقاذ الذي نفاه عن نفسه .

قال المعترض : وأما استدلاله بقوله -سبحانه- عن صاحب يس : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [يس : ٢٣] . فإن هذا في الأصنام التي اتخذها الكفار آلهة وأربابًا من دون الله – قال – فهل يستدل من له أدنىٰ تمييز علىٰ عدم شفاعة النبي ﷺ وإنقاذه لأمته بمثل هذا الدليل الباطل الذي ساوىٰ فيه الأصنام بسيد الأنام بعدما أخبر الله عنه بقوله ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحىٰ : ٥] .

قال : وظاهر كلام هذا الرجل إنكار الشفاعة بالكلية لقوله وهذا نص في أن من أراده اللَّه بضرٍّ فلا منقذ له ولا شفيع – قال - ومعلوم أن من استوجب العذاب من المسلمين أو دخل فيه وشفع فيه الأنبياء أو الملائكة أو المؤمنون لا شك أن اللَّه أراده بضر ونفعه[1] شفاعة الشافعين ، فكيف يجوز لمسلم إنكار الشفاعة وهو يدعي أنه من أهل السنة والجماعة ويستدل عليها بآية الأصنام المتخذة أربابًا . انتهى .

قوله : إن هذه الآية أعني آية يس في الأصنام خاصة فهو كاذب ضال في قوله هذا ، بل الآية عامة في كل ما عبد من دون اللَّه ؛ لأن من أراده اللَّه بضرٍّ لم يغن عنه معبوده شيئًا سواء كان معبوده ملكًا أو نبيًّا أو غيرهما فلا يكشف عنه ضرًّا أراده اللَّه به ولا يجلب له نفعًا ، وأتى -سبحانه- في الآية بضمير العقلاء بالواو والميم فهي عامة في كل معبود من دون اللَّه سواء كان عاقلًا أو جمادًا ، يوضح ذلك قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٥٦] .

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هم الملائكة والمسيح وأمه وعزير . وقال ابن مسعود نزلت في أناس يعبدون ناسًا من الجن فأخبر -سبحانه- أن هؤلاء لا يملكون كشف الضر عمن عبدهم ولا تحويلًا من موضع إلى موضع . وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ١٧] .

---

(١) في (ط) : «ونفعته» .

وهذا المعترض يقول هذه الآية آية يس فيمن عبد الأصنام، ومقتضى كلامه أن من عبد غير الأصنام أن معبوده ينفعه بشفاعة وغيرها، ومن المعلوم بالسنة المتواترة وإجماع أهل السنة بل الأمة أن من مات مشركًا لا شفيع له، وأخبر سيد الشفعاء -صلوات الله وسلامه عليه- أن شفاعته لمن مات لا يشرك بالله شيئًا، فمن عبد غير الله من ملك أو نبي أو صالح أو صنم أو غير ذلك، فإنه لا يشفع فيه شافع ولا يدفع عنه دافع، قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وانظر إلى إنكار هذا المعترض قولنا: إن من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع كما هو نص الآية بقوله ظاهر كلام هذا الرجل إنكار الشفاعة بالكلية لقوله وهذا نص في أن من أراده الله بضر فلا منقذ له ولا شفيع، فيا عجبًا من جرأة هذا، وهل قلت من عند نفسي: إن من أراده الله بضر فلا شفيع له ولا منقذ، أو هذا قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا قول غيره؟! وزعم أن استدلالنا بالآية إنكار منا للشفاعة وهو يعلم أننا لا ننكر الشفاعة الواقعة بإذن الله، وإنما ننكر الشفاعة الشركية التي يثبتها هو وأشباهه.

قوله: وهل يستدل من له أدنى عقل على عدم شفاعة النبي ﷺ وإنقاذه لأمته بمثل هذا الدليل الباطل.

فوصف الخبيث كلام الله بالبطلان مما يبين جهل هذا وفجوره، فلو قال الاستدلال الباطل لكان أخفَّ إثمًا؛ لأن وصف الدليل بالبطلان كفر صريح؛ لأن القرآن هو الدليل، قال الإمام أحمد: الدالُّ الله والدليل القرآن والمبين الرسول، والمستدل أولو العلم، هذه قواعد الإسلام. والمقصود بذكر كلام الإمام أحمد بيان أن الذي يوصف بالدليل هو القرآن، فقول المعترض مثل هذا الدليل الباطل وصف للقرآن بالبطلان.

وانظر قوله: ومعلوم أن من استوجب العذاب أو دخل فيه وشفع فيه الملائكة والأنبياء وغيرهم لا شك أن الله أراده بضرٍّ ونفعه شفاعة الشافعين.

فصريح كلامه هذا تكذيب لصاحب يس -الذي صدقه الله فيه، ويشهد له من نصوص القرآن ما لا يحصى إلا بكلفة- في قوله: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]. فيقال لهذا المتخرص: إنما تكون الشفاعة لمن أراد الله رحمته وإن كان قد عذبه قبل ذلك، فإذا أراد الله -سبحانه- رحمة إنسان قد استوجب العذاب أو قد دخل النار أخرجه منها برحمته، أو أذن لمن يشاء من عباده أن يشفع فيه كما في بعض أحاديث الشفاعة «أن الله -سبحانه- إذا أراد رحمة من شاء ممن في النار أذن في الشفاعة فيه»[١].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٥).

وأما من أراد الله ضره في الآخرة أو في الدنيا فلا منقذ له ولا شفيع، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقوله: لا شك أن الله أراد بضر ونفعه شفاعة الشافعين.

فنقول: لا شك في بطلان هذا الكلام، بل هو كفر؛ لأن حقيقة كلامه هذا أن شفاعة الشافعين منعت من نفوذ إرادة الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال المعترض: وأما استدلاله بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. فيقال هذه نازلة في أناس مخصوصين من الكفار آذوا النبي ﷺ فدعا عليهم بالهلاك وكان علم الله فيهم من يؤمن فقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ فهذه الآية في أناس مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي ﷺ أمته بالشفاعة فقد أخبره الله بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ وأنزل له جبريل بقول الله(١) «**إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**»(٢) ولم يقل هنا ليس لك من الأمر شيء. انتهى.

يزعم المعترض أن قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ في أناس مخصوصين، ونحن كلامنا في نفع النبي ﷺ أمته بالشفاعة وقد

---

(١) في (ب): «وأنزل له جبريل بقوله».

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، حديث رقم (٤٩٨).

أخبره بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ ولم يقل هنا ليس لك من الأمر شيء .

فيقال : وهل في قوله سبحانه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ معارضة لقوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ فالأمر كله له وحده ووعد نبيه أنه سيرضيه ، وقوله : إن الآية في أناس مخصوصين ، مراده أن حكمها لا يتعداهم ، ليس مراده أنهم سبب النزول فهو يقول : إن غير هؤلاء المخصوصين للنبي من أمرهم شيء ، فيكون شريكًا لله في أمر غير هؤلاء المخصوصين ؛ ولهذا احتج بقوله سبحانه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ قال : ولم يقل هنا ليس لك من الأمر شيء .

فجعل قوله سبحانه : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ معارضًا لقوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ لأنه عارض هذه الآية بتلك الآية وضرب كلام الله ورسوله بعضه ببعض ، مع أنه ليس بين الآيتين ما يوهم التعارض فالذي له الأمر كله وعد نبيه أن يعطيه فيرضى ، وإنما مراده بإيراد الآية التلبيس والإيهام للجهال ، والله -سبحانه- لم يقل ليس لك من أمر هؤلاء المخصوصين شيء وإنما قال : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ والألف واللام تفيد العموم عند الأصوليين ، وقال تعالى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ وقال : ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ .

قال ابن كثير على قول سبحانه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ بعد الكلام على أول الآية قال : ثم اعترض بجملة دالة على أن الحكم في

الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ بل الأمر كله لي كما قال تعالىٰ[١] : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ وقال : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ، قال محمد بن إسحاق : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أي ليس لك شيء من الحكم في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم . انتهىٰ .

قال تعالىٰ : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ أورد ابن جرير عند تفسير هذه الآية حديثًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال : من زعم أن الله جعل للعباد شيئًا من الأمر فقد كفر بما أنزل الله علىٰ أنبيائه لقوله : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ فله سبحانه الأمر كله وله الملك كله والحمد كله وإليه يرجع الأمر كله .

فالأمر كله له -سبحانه- في الدنيا والآخرة ، وإنما خصَّ يوم القيامة في نحو قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار : ١٩] لتفرده -سبحانه- في ذلك اليوم بالتصرف والحكم والتدبير ، فليس لأحد معه في ذلك اليوم تصرف ولا تدبير ولا أمر ولا نهي ، بخلاف الحال في الدنيا فإن الله -سبحانه- ملك أهلها ما خولهم فيها ، فهم يتصرفون فيما أعطاهم بحسب اختيارهم مع كون الملك والأمر في الحقيقة لله وحده في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله -سبحانه- لنبيه لما قال في شأن عمه أبي طالب : **«لأستغفرن لك ما لم**

---

(١) في (ط) و (ب) سقطت «تعالىٰ» .

أنه عنك»[(١)] ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣]. وقال في شأن المنافقين : ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠]. وقال : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة : ٨٤].

قال المعترض : «وأما استدلاله بقوله لقرابته وبضعته **«لا أغني عنكم من الله شيئًا»** معناه : إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله لا أغني عنكم من الله شيئًا بدليل قوله : **«أنقذوا أنفسكم من النار»**[(٢)]. يعني بالإسلام -قال- وفي بعض روايات «الصحيحين» أنه ﷺ دعا قريشًا فاجتمعوا وقال : **«يا بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار** - إلى أن قال - **فإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»**. انتهى.

هذه الجملة من قوله : **«لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»** كل هذه الجملة التي عزاها للصحيحين كذب وافتراء منه، ليس في «الصحيحين» منها حرف واحد، ما أجرأ هذا على الكذب على الله ورسوله وعلى العلماء، ثم المعارضة

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، حديث رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع، وهو الغرغرة، حديث رقم (١٣١).

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٩).

لكلام اللَّه وكلام رسوله في مواضع من أوراقه هذه، ثم العجب ممن تلقىٰ ذلك كله بالقبول ولم يفطنوا لشيء من فضائحه، فيا أسفىٰ من غلبة الجهل واستيلاء الهوىٰ وعمى التقليد علىٰ أكثر النفوس، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

ثم كيف يقول: إلا أن تقولوا لا إله إلا اللَّه، وهو يقول لابنته وعمته والمهاجرين والأنصار:

«لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا» «لا أملك لكم من اللَّه شيئًا» أليس هؤلاء هم أهل لا إله إلا اللَّه الذين هم أحق بها وأهلها، قال اللَّه تعالىٰ في حقهم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ وقد قال تعالىٰ في حق نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [أي لا أملك لنفسي جلب نفع ولا دفع ضر إلا ما شاء اللَّه] (١) ربي من النفع لي ودفع الضر عني ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

ومن المعلوم يقينًا أن من أراد اللَّه به سوءًا من أهل التوحيد أن النبي ﷺ وغيره لا يملكون دفعه عنه كحال أهل الكبائر من أهل لا إله إلا اللَّه الذين يعذبون في النار حتىٰ تدركهم رحمة أرحم الراحمين فيأذن في الشفاعة فيهم لمن أراد إكرامه بها.

ثم انظر إلىٰ قول هذا المفتري إن قوله ﷺ لابنته وقرابته لا أغني عنكم من اللَّه شيئًا إذا لم تؤمنوا باللَّه ورسوله! ما أجرأ هذا على

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

الافتراء على الرسول وما أقل حياءه من ارتكاب ما فيه فضيحته، أو ليست ابنته ﷺ سيدة نساء هذه الأمة أو سيدة نساء المؤمنين؟! ثبت ذلك في «الصحيحين»(١). أوليس المهاجرون والأنصار الذين قال لهم النبي ﷺ لا أملك لكم من الله شيئًا سادات الأمة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! وهذا يقول المعنى لا أملك لكم من الله شيئًا إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله، وأيضًا فقوله إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله، استدراك منه على الرسول ﷺ فهو ﷺ قال: **«لا أملك لكم من الله شيئًا»** فأطلق ولم يقيد بشرط الإيمان بالله ورسوله، ومفهوم الشرط الذي زاده هذا بقوله إذا لم تؤمنوا بالله ورسوله أنه يملك لهم من الله شيئًا إذا آمنوا بالله ورسوله، وهذا منه رد على النبي ﷺ، النبي يقول لسادات المؤمنين: لا أملك لكم من الله شيئًا، وهذا يقول: بل يملك من الله شيئًا لمن آمن به.

ثم قال المعترض: وكيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئًا وقد أنزل الله عليه في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال: وكيف لا يغني عنهم شيئًا وهو لما أنزلت عليه هذه الآية جمعهم وجللهم بكسائه، وقال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث (٣٦٢٤)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ حديث رقم (٦٢٦٣).

الرجس وطهرهم تطهيرا»(١) هل هذا إلا إغناء وفائدة لهم، بل هو يغني عن كل من آمن به . انتهىٰ .

فانظر قوله كيف لا يغني عن بضعته وقرابته شيئًا، فهذا منه استفهام إنكار فهو ينكر على النبي ﷺ في قوله لا أغني عنكم من الله شيئًا، ويكرر الخبيث هذه الكلمة مرتين. النبي ﷺ يقول لا أغني عنكم من الله شيئًا، وهذا يقول كيف لا يغني عنهم من الله شيئًا، فهل يستريب من له أدنىٰ نظر أن كلامه هذا رد على الرسول وإنكار عليه، بل العامي البليد يفهم هذا ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، وهل في قول الله سبحانه : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣] .

وفي دعائه ﷺ لهم معارضة لقوله : **«لا أغني عنكم من الله شيئا»** ولقول الله سبحانه : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾؟ [الانفطار : ١٩] .

وإنما مقصود هذا بتكثير الإيرادات التي لا شبهة له فيها الترويج على الجهال وكثرة التسويد في القرطاس، مثل كلامه في الشفاعة وذكر بعض ما ورد فيها مع علمه أننا لا ننكر ما ورد في الشفاعة من الأحاديث عنه ﷺ .

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، حديث رقم (٣٨٧١)، قال الترمذي : هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب .

وانظر قوله : فهل هذا إلا إغناء وفائدة[1] لهم .

فنقول : كل خير دنيوي وأخروي حصل لأمته عامة ولأهل بيته خاصة من ربهم فعلى يديه صلوات الله وسلامه عليه ، وهل في هذا معارضة لقوله : «**لا أغني عنكم من الله شيئا**» ولقول الله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن : ٢١] . ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩] .

قال المعترض : بقي أن يقال : قوله يا أكرم الخلق ، فإن هذا عندهم دعاء وهو النداء ، ولا وجه للتكفير به ؛ لأن النداء إذا كان ضارًّا وهو دعاء -كما يزعمون- لزم ألا ينادي أحد لا حي ولا ميت ؛ لأن كون الشيء الواحد بالنسبة للحي يكون طاعة وللميت والغائب يكون عبادة ، لم يعهد هذا شرعًا ولا عرفًا ، وإنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربًّا وإلهًا ، وهذا لا يقصده أجهل المسلمين فضلًا عن أكابر العلماء . والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة بل هو مأمور به شرعًا آيات وأحاديث وآثار وأقوال العلماء الكبار من الأئمة الأربعة الأخيار . . هذا لفظه .

قوله : فإن هذا عندهم دعاء وهو النداء -يقول- هم يسمونه دعاء وليس كما يزعمون ، وإنما هو نداء لا دعاء -يقول- لو كان دعاء كما يزعمون لزم ألا ينادي أحد لا حي ولا ميت ، وهذا الرجل حين

---

(١) في (ب) : «فهل في هذا إغناء وفايدة» .

واجهني ادعى ذلك، فقال: الطلب من الأموات والغائبين لا يسمى دعاء بل هو نداء، وبينت له بعض الأدلة وأذعن ظاهرًا في هذه المسألة وغيرها، وظننت أن مراده قطع الكلام لا الموافقة.

فيقال لهذا: تفريقك بين الدعاء والنداء تفريق باطل مخالف(١) للكتاب والسنة وإجماع الأمة مع مخالفته اللغة، فقد سمى الله -سبحانه- سؤال عباده له دعاء ونداء، قال تعالى عن نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]. وقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]. فسماه في موضع دعاء وفي موضع نداء.

وقال عن زكريا: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. وقال في موضع: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال عن أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقال ﷺ: **«دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مسلم إلا استجيب له»**(٢). وقال بعض الصحابة للنبي ﷺ: «أقريب ربنا فنناجيه أم

---

(١) في (ط): «تفريقًا باطلًا مخالفًا».

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ٨٢ حديث رقم (٣٥٠٥)، والنسائي «في عمل اليوم والليلة» حديث رقم (٦٦١).

بعيد فنناديه»[(١)] فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقد سمى الله -سبحانه- طلب المخلوق من المخلوق واستغاثته به دعاء واستغاثة ونداء[(٢)] . قال سبحانه : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص : ١٥] . وقال الصحابة : «قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق»[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ [فاطر ١٤] . فهذا نص في دعاء المسألة وقال : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ ﴾[(٤)] . وقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] . قوله فادعوهم أي اطلبوا منهم . وقال : ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٣] . فأراد بالدعاء هنا الطلب الذي هو ضد الصمت .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/ ١٦٤) وابن أبي حاتم (١/ ٣١٤) .

(٢) في (أ) : «طلب المخلوق من المخلوق دعاء واستعانة به واستغاثة ونداء» .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٨) وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٥٩) وقال : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث» .

(٤) سقطت الآية من (أ) .

وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥] أي استغيثوا[1] بشركائكم. وقال: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [القصص: ٦٤] أي استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابي ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤]. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ فقال في موضع: ادعوا، وفي موضع نادوا. وقوله: فدعوهم صريح في الطلب منهم. وقال: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي استعينوا بهم، وقال: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي استعينوا بهم. فسمى -سبحانه- استعانتهم بهم دعاء، بل قد سمى الله نعيق الراعي بالبهائم دعاء ونداء فقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١].

فجميع ما قدمنا صريح في أن سؤال العبد ربه يسمى دعاء ونداء وأن استغاثة المخلوق بالمخلوق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء.

وقد قال النحويون: النداء هو الدعاء بأحرف مخصوصة وأن المنادى منصوب، لفظًا أو محلًّا بفعل محذوف، فقولك: يا زيد، أي أدعو زيدًا. ومن أقسام المنادى المستغاث وهو كل من نودي ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة كقول عمر رضي الله عنه: يا لله للمسلمين، أي أدعوك للمسلمين.

---

(١) في (أ و ط): «استعينوا».

فاتضح بطلان قول هذا في أن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء، فهو يقول: إن الطلب من الملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء لا دعاء، فما أدري ما يقول فيمن طلب من العزى ومناة واللات! فإن قال: إن الطلب منها لا يسمى دعاء، بل هو نداء وأن النداء لا يضر عنده افتضح عند العامة والخاصة، وإن قال: إنه يسمى دعاء. قيل له نقضت أصلك حيث جعلت الطلب من هذه الأوثان دعاء ومن غيرها نداء، فهذا شيء واحد جعلته بالنسبة إلى الأموات والغائبين والملائكة والمسيح وأمه وعزير والجن نداء، وبالنسبة إلى العزى وغيرها من الأوثان دعاء مع أنه يلزمه ألا يسميه دعاء إذا لم يسم مدعوه ربًّا وإلهًا لقوله: إن الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربًّا وإلهًا.

إذا تبين بطلان قول هذا فالدعاء يكون -أيضًا- أعم من النداء لأنه قد يكون بغير حرف نداء كقول نوح: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] وقول بني اسرائيل: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

وقول السائل: أشكو إلى الله حاجتي أو ذنوبي، وأسأل الله كذا أو أعوذ به من كذا، وكل هذا يسمى دعاء، وسمى النبي ﷺ قول ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دعوة كما تقدم في الحديث.

وفي الترمذي : **«كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**[١] .

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما : «كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب : **لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم**»[٢] ، فسمى هذا دعاء مع أنه ليس فيه تصريح بالسؤال .

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله في الكلام على دعوة ذي النون -قال : فالسائل تارة يسأل بصيغة الطلب ، وتارة بصيغة الخبر ، إما بوصف حاله أو حال المسئول أو بهما ، وهو من حسن الأدب في السؤال كقول أيوب مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، والسؤال بالحال أبلغ من جهة العلم والبيان ، وبالطلب أظهر من جهة القصد والإرادة ، فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني ؛ لأن السائل يتصور مراده فيسأله بالمطابقة .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٧) وهذا لفظ الإمام أحمد . وأما لفظ الترمذي : **«خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك والحمد وهو على كل شيء قدير»** . أخرجه برقم (٣٥٨٥) ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وحماد بن أبي حميد هو محمد ابن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب ، حديث رقم (٦٣٤٦) ، ومسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب دعاء الكرب . حديث رقم (٦٨٥٨) .

فإن تضمن وصف حال السائل والمسئول فهو أكمل كقوله : اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، فيه وصف لحال نفسه المقتضي حاجته إلى المغفرة ووصف ربه أنه لا يقدر على هذا غيره ، وفيه تصريح بالمطلوب وفيه وصف الرب بما يقتضي الإجابة وهو وصفه بالمغفرة والرحمة ، فهذا ونحوه أكمل الأنواع . انتهى .

قال ابن كثير : وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال موسى : ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسئول كقول ذي النون : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول كقول الشاعر :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حباؤك إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يومًا
كفاه من تعرضه الثناء

وقول المعترض : «إن الشيء الواحد يكون بالنسبة إلى الحي طاعة وللميت أو الغائب عبادة لم يعهد هذا شرعًا ولا عرفًا» .

يقال لهذا : وهل يوجد شيء واحد يختلف اسمه باختلاف متعلقه ، وهو قولك : إن سؤال الميت والغائب لا يسمى دعاء بل نداء وسؤال العبد ربه يسمى دعاء ، ليس معك على هذا إلا مجرد دعوى باطلة قد بينا بطلانها وافتضاحها .

وقوله فيما بعد : «بل على قولكم إن الطلب نفسه عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات ؛ لأن العبادة ممنوعة في الحالين» . انتهى .

قوله : يكون بالنسبة للحي طاعة . جعل سؤال الحي طاعة وهو كاذب في جعله طاعة ؛ لأن الله -سبحانه- لم يأمر مخلوقًا قطُّ أن يسأل مخلوقًا ، بل قد تواترت الأحاديث عنه ﷺ في ذم السؤال ، وبايع ﷺ جماعة من الصحابة على ألا يسألوا الناس شيئًا ، وفي حديث ابن عباس : **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»**[1] أي : إذا سألت فاسأل الله وحده ، وإذا استعنت فاستعن بالله[2] وحده ، وترك سؤال الناس من كمال التوحيد ، وهذا المفتري يقول : إن الله يقول سلوا عبادي خصوصًا الأموات والغائبين واستعينوا بهم ، ومسألة الناس قد تكون محرمة ، وتكون مكروهة ، وتكون جائزة ، وتسميتها طاعة خطأ وضلال ، وكذا قوله : ولا عرفًا . خطأ لأن العرف لا مدخل له في العبادات .

وأما قوله : إذا جاز سؤال الحي فالميت كذلك ، أي يجوز سؤاله ، بل هو يقول إنه طاعة ؛ لأن الله -في زعمه- أمر به . ويقول إذا قلتم إن الطلب عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات وهذه شبهة ربما تدخل في نفوس كثير من الناس .

فيقال أولًا : ذو الفطرة السليمة وإن كان جاهلًا يفرق بين الطلب من الحي الحاضر مما في يده وبين الطلب من الميت أوالغائب

---

(١) أخرجه الترمذي ، في كتاب صفة القيامة ، باب (٥٩) ، حديث رقم (٢٥١٦) .
(٢) سقطت الجملتان من (أ) والجملة الأولى فقط من (ب) .

ولا يسوي بين الحي والميت إلا من اجتالته الشياطين عن الفطرة التي فطره الله عليها أو إنسان أعماه الهوى والتقليد، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر: ٢٢].

معنى ذلك: أنه لايستوي المؤمن والكافر كما لا يستوي الحي والميت، [شبه المسلم بالحي والميت بالكافر](١) فلما كان معلومًا عند المخاطبين أن الحي والميت لا يستويان، يقول -سبحانه- فكذلك المؤمن والكافر، فمن سوى بين الحي والميت بقوله يطلب من الميت ما يطلب من الحي فقد سوى بين ما فرق الله والناس بينهما، حتى المجانين يفرقون بين الحي والميت، فلو قصد مجنون بيت إنسان ليطعمه فوجده ميتًا وأهله عنده لعدل إلى الطلب من أهله الأحياء الحاضرين عنده ولم يلتفت إلى الميت.

ومما يوضح بطلان هذه الشبهة أن الله -سبحانه- أمر عباده بالاستعاذة به كما في المعوذتين ومواضع من القرآن معلومة، وكذلك في السنة عن النبي ﷺ من ذلك كثير، وفعل العبد ما أمره به ربه أمر إيجاب أو استحباب عبادة له بإجماع العلماء، فإذا امتثل العبد أمر ربه فاستعاذ به أو بصفاته فقد عبده، والاستعاذة نوع من الدعاءت؛ لأن المستعيذ يلتجئ إلى الله ليدفع عنه ما يحذر وصوله إليه مما يكره أو ليرفع ما قد وصل إليه من ذلك، كما في الحديث **«أعوذ بعزة الله وقدرته**

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

من شر ما أجد وأحاذر»(١) وهذا حقيقة الدعاء .

فلما كان مستقرًّا عند العلماء أن الاستعاذة بالله عبادة له قالوا : لا تجوز الاستعاذة بمخلوق ، فلما كان هذا الأصل مستقرًّا عندهم استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ الاستعاذة بكلمات الله التامات فعلًا منه وقولًا ، وهذا من حجة أهل السنة على الجهمية القائلين بخلق القرآن -يقولون- لو كان القرآن مخلوقًا امتنعت الاستعاذة به ، فعلى ما ذكرنا أن الاستعاذة نوع من الدعاء كما قرره شيخ الإسلام تقي الدين ، وهو واضح ، فالعلماء القائلون بامتناع الاستعاذة بالمخلوق يقولون لا يجوز دعاء المخلوق ؛ لأن الاستعاذة دعاء حقيقة ؛ لأن المستعيذ بربه يطلب منه دفع مكروه أو رفعه وهذا حقيقة الدعاء .

قال شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها نوع من الدعاء ، وهي ألفاظ متقاربة ، وسمى النبي ﷺ الاستعاذة دعاء ، كما في «السنن» أن رجلًا قال : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به قال : **«قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي»**(٢) .

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الطب ، باب كيف الرقى ، حديث رقم (٣٨٩١) ، والترمذي ، كتاب الطب ، باب ٢٩ حديث رقم (٢٠٨٠) . وابن ماجه ، كتاب الطب ، باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به ، حديث (٣٥٢٢) ، وصححه العلامة الألباني ، انظر : صحيح ابن ماجه رقم (٢٨٥٥) .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة حديث رقم (١٥٥١) ، =

وقال أبو هريرة : كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول : **«اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»**(١) ، رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وفي «السنن» عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات : **«اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ، وعذاب النار ، ومن شر الغنى والفقر»**(٢) .

وفي «صحيح مسلم» : كان من دعاء النبي ﷺ : **«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك»**(٣) .

والمقصود من إيراد هذه الأحاديث بيان أن الاستعاذة تسمى دعاء في كلام النبي ﷺ وأصحابه .

فلما قال العلماء : إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق بل هي مختصة بالله سبحانه ؛ لأنها دعاء فهكذا سائر أنواع الدعاء ، إذا تقرر هذا

= والترمذي ، كتاب الدعوات ، باب (٧٥) ، حديث رقم (٢٤٩٢) ، والنسائي ، كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من شر السمع والبصر ، حديث رقم (٥٤٥٩) .

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة حديث رقم (١٥٤٧) ، والنسائي ، كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من الخيانة رقم (٥٤٨٣) ، وابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، باب التعوذ من الجوع ، رقم (٣٣٥٤) ، وحسنه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (٢٧٢٣) .

(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب (٧٧) ، حديث رقم (٣٤٩٥) ، والنسائي ، كتاب الاستعاذة ، باب من شر فتنة القبر ، حديث رقم (٥٤٨١) .

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء ، حديث (٦٨٧٩) .

فمن المعلوم بالضرورة أنه لو خاف إنسان من عدو له فالتجأ إلى حي حاضر ليجيره من عدوه لم يكن بهذا بأس عند جميع المسلمين ، وليس بداخل تحت قول العلماء إن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق ، فهذا شيء واحد اختلف حكمه باختلاف متعلقه ، فبالنسبة للحي الحاضر جائز وبالنسبة لغيره ممتنع ، فكذلك دعاء غير الله بطلب قضاء الحاجات لا يجوز لقوله تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] . ولا يدخل في هذا النهي طلب الإنسان حاجة من حي حاضر مما يدخل تحت قدرة البشر .

ويقال -أيضًا- لهذا المساوي بين الحي والميت : لو أعطى إنسان آخر مالًا وقال أودعه عند ثقة ، فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبد القادر وقال : هذا وديعة عندك لفلان واستحفظه إياه فضاع لعده الناس مجنونًا جنونًا لا يرفع التكليف وألزموه بالضمان ، ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي والميت أن يقول هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه ، وربما أنه لا يلتزم هذا ؛ خوفًا من الفضيحة عند الناس وحينئذٍ يقول له الوكيل في الإيداع أنا ما فرطت على مذهبك في التسوية بين الحي والميت ؛ لأنك تقول ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت ، وأنا طلبت من الشيخ عبد القادر حفظ هذه الوديعة وهي حاجتي عنده ، وأنت تجوز طلب الحاجات من الأموات فكيف تخطئني؟

ومما يوضح بطلان شبهته ما لو خرج شخصان من بيتهما وقصد أحدهما رجلًا حيًّا غنيًّا وقال : أشكو إليك الجوع ، وقصد الآخر هبل

وقال : يا هبل أشكو إليك الجوع ، هل يستوي الشخصان عند جاهل فضلًا عن العالم؟! فهذا شيء واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة ، فالبنسبة إلى هبل شرك وبالنسبة إلى الرجل الحي الحاضر الغني جائز ، لا يتوقف في هذا عاقل ، وعلى مذهب هذا الضال في قوله : إن الطلب من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء ، فلا يضر عنده نداء الطالب من هبل ونحوه ؛ لأنه يقول : إنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربًّا وإلهًا ، فصريح كلامه أنه لو استغاث بالعزى أو مناة أو اللات ونحوها أن ذلك لا يضر ؛ لأنه ليس بعبادة عنده ما لم يسم من دعاه أو استغاث به ربًّا وإلهًا .

ومن الفرق بين الحي والميت أن الاستغاثة بالحي إنما تكون في الأسباب الظاهرة [العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدوٍّ ونحو ذلك][١] ، بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل ، وأما الميت فحركته منقطعة ، وإنما يزعم الذين يدعونهم أن نفعهم بالقوة والتأثير الذي يسميه بعضهم السر ، ولا يشك عاقل في انقطاع الحركة من الميت المعهودة من الحي .

فإن قيل : هذه الأوثان المعروفة للمشركين جماد كاللات ومناة والعزى والمقبور إنسان فما الجامع بينهما .

قلنا : نصوص القرآن في النهي عن دعوة غير الله عامة في كل من دعا من دون الله ما لا يضر ولا ينفع قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ) .

مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وقال : ﴿ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] . وقال : ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام ٧١] . وقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] .

قال البيضاوي على هذه الآية : هذا إنكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلاً عن أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم وهم عن دعائهم غافلون ؛ لأنهم إما جمادات وإما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم . وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ﴾ [فاطر : ١٣- ١٤] .

والذم إنما توجه إلى من دعا من هذه صفته سواء كان بشرًا أو ملكًا أو صنمًا وهو من لا ينفع من دعاه ولا يضر من لم يدعه ، ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو ولو سمعه ما استجاب له لاستحالة الإجابة منه ، وهذه صفة الميت . وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٧] .

وهذه -أيضًا- صفة الميت ، ومن المعلوم أن المشركين يعبدون الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والجن ، ويعبدون اللاتَ وهو رجل صالح في قول ابن عباس ومجاهد ، ويعبدون الأصنام المصورة في زعمهم على

صورة من يقصدونه كفعل قوم نوح في تصويرهم على صور الذين ذكرهم الله في سورة نوح . قال تعالى فيمن يعبد الملائكة : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ : ٤٠] . وقال : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف : ١٩] إلى أن قال : ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف : ٢٠] .

فهذا صريح في أنهم يعبدون الملائكة ، وما قاله الصحابة والتابعون في سورة بني إسرائيل ، والمراد بذلك بيان بطلان ما لو قال جاهل : إنهم إنما يعبدون الأصنام فقط .

وقال ابن القيم بعد كلام سبق : ومن هاهنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورتها ، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب ، فجعلوا الصنم على صورته وشكله وهيئته ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه ، وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده ، ومن أسباب عبادتها -أيضًا- أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشياطين . انتهى .

والمقصود بيان أن عباد الأصنام إنما قصدوا عبادة من صوروا الصنم على صورته من ملك أو نبي أو صالح أو كوكب ، فكل ما في القرآن من النهي عن دعاء غير الله والإنكار على من دعا غيره يتناول كل معبود للمشركين من نبي وملك وبشر حي أو ميت أو صنم ، يوضح

ذلك قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صحَّت دعواكم ، فلا يملكون كشف الضر عنكم[1] ولا تحويلا ، أي لا يملكون كشف الضر بالكلية ولا تحويله من موضع إلىٰ غيره ولا تغيير صفته .

وقد قال المفسرون من الصحابة والتابعين : إن هذه الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة وعيسىٰ وأمه وعزيرًا وفيمن يعبد الجن ، وهؤلاء غائبون أحياء وفيهم من هو ميت . فكل من دعا ميتًا أو غائبًا تناولته الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

وأما الطلب من الحي الحاضر مما يدخل تحت قدرة البشر فليس مرادًا بالنهي ولا يمنع منه ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص : ١٥] . وقال : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ [الأنفال : ٧٢] . وقال الصحابة : «قوموا بنا نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق»[2] وقال تعالىٰ : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ فمن ساوىٰ بين الأحياء والأموات في ذلك بقوله ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت فقد جمع بين ما فرق اللَّه بينه وضل ضلالًا بعيدًا .

---

(١) في (ب) : «عليكم»

(٢) تقدم تخريجه (ص٩٨) .

ويقال لهذا المساوي بين الأحياء والأموات : من المعلوم أن أهل الدنيا يستقضون حوائجهم بعضهم من بعض برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم ، وقد استعار النبي ﷺ أدراعًا من صفوان بن أمية وهو مشرك ، واستعان في بعض غزواته بأناس من المشركين ، وما زال المسلمون يستقضون حوائجهم من المسلم والذمي والبر والفاجر ، فيلزم المساوي بين الأحياء والأموات أن يساوي بين أموات المذكورين كما كانوا في الدنيا كذلك .

فإن قال : طلب الحاجات مختص بموتى الصالحين فلا يجوز طلبها من موتى الكفار والفساق .

قيل له : نقضت أصلك حيث فرقت بين أحياء هؤلاء وأمواتهم .

فإن قال : موتى الصالحين أحياء في قبورهم كما زعم ، فهو كاذب في ذلك لم يرد في ذلك حديث إلا ما أخبر الله عن حياة الشهداء ، مع أن حياتهم لا تدرك بالحس ولا بالعقل فالله -سبحانه- أعلم بحقيقتها ، وأما سوى الشهداء غير الأنبياء فلم يأت خبر عن الرسول أنهم أحياء في قبورهم ، وإنما هو افتراء وكذب من هذا الضال .

فإن قال : إن صالحي الأموات ينعمون في البرزخ .

قيل له : وضدهم يعذبون فيدركون العذاب كما يدرك الصالح النعيم ، وهذا إدراك وإحساس لا يعلم حقيقته إلا الله .

والحاصل أن من سوى بين الحي والميت في استقضاء الحوائج فقد ضل في عقله ودينه ، ونصوص القرآن كثيرة في إبطال هذا القول .

والله -سبحانه- جعل أهل الدنيا فيها وخولهم ما ملكهم فيها ، ولا يتم أمرهم إلا بمعاونة بعضهم بعضًا ولم يحجر عليهم -سبحانه- التعاون والتناصر فيما لا يسخطه ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

يوضح ذلك أن دعاء الإنسان للمسلمين واستغفاره لهم وقضاء حوائجهم ومعاونتهم عليها من الأعمال الصالحة المرغب فيها ، فلو كان هذا يحصل من الميت لم يكن عمله قد انقطع . وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ قال : **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به من بعده أو ولد صالح يدعو له»**[1] .

فدل على أن هذه الأشياء التي يطلبها المشركون من الأموات من قضاء حوائجهم أو الدعاء لهم ونحو ذلك التي هي أعمال صالحة من الحي قد استحال وجودها من الميت فطلبها منه طلب مستحيل لعجزه حسًا ، فلا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ، فهو داخل تحت قوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] . ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

والنبي ﷺ فرق بين الحي والميت في الحديث المتقدم آنفًا ، كما فرق الله بينهما في مثل قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ وجميع العقلاء بل والمجانين كما قدمنا يفرقون بين الحي والميت ، فالميت

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، حديث رقم (٤١٩٩) .

لا يستجيب لداعيه ولا يسمع دعاءه، ولو فرض سماعه فهو عاجز لا ينفع من دعاه كداعي الجمادات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤]. فالمتصف بعدم سماع الدعاء وعدم الاستجابة أو المتصف بأحدهما ممتنع دعاؤه شرعًا وعقلًا تتناوله هذه الآيات ونحوها من آي القرآن.

فإن قيل: وردت الآثار بسماع الميت.

قلنا: لم تدل على أنه يسمع كل كلام.

قال شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وردت الآثار بأن الميت يسمع لكن لا تدل على أنه يسمع كل كلام، قال ابن عبد البر: صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا ردَّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»**[1]. فهذا وغيره يدل على أن روح الميت ليست دائمًا في قبره، وأن لها اتصالًا به لا يعلم حقيقته إلا الله، واعتبر هذا بسرعة نزول الملك وروح النائم وشعاع الشمس ونحوه.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» رقم (١٥٢٣)، وقال هذا حديث لا يصح وقد أجمعوا على تضعيف عبدالرحمن بن زيد، قال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته مع رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك.

وقد أخبر النبي ﷺ عن صفة حياة الشهداء بها في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود لما سئل عن ذلك فقال : إنا سألنا عن ذلك فقال : **«أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل»**[1] الحديث . ففسر حياتهم بذلك .

وثبت في الحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال : **«إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»**[2] . ورواه الترمذي وصححه . فهذا يدل على أن روح المؤمن في الجنة ، وتدل الآثار على أن لها اتصالًا به في القبر لا يعلم حقيقته إلا الله ، قوله «يعلق» روي بفتح اللام وضمها ، والمعنى واحد وهو الأكل والرعي ، يقول يأكل من ثمار الجنة ويرعى ويسرح بين أشجارها .

وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله[3] . وإنما المقصود هنا بيان

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، حديث رقم (٤٨٦٢) .

(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» رقم (٩٩٢) . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر القبر والبلى ، حديث رقم (٤٢٧١) ، وصححه العلامة الألباني ، انظر : «السلسلة الصحيحة» رقم (٩٩٥) .

(٣) وجد في هامش (ب) عند هذا الكلام ما نصه :

ثم بعد تقريرنا الكلام في الفرق بين الحي والميت وقفت على كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية جواب سؤال وقد سئل عمن يعظم بعض المشايخ الموتى =

بطلان قوله في تسويته بين الحي والميت ، وتجويزه الطلب من الميت ما يطلب من الحي ، وأن ذلك لا يسمى دعاء ، - قال- وإنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربًا وإلهًا .

وقد بينا فيما تقدم بطلان قوله إن ذلك لا يسمى دعاء ، وأما كونه يسمى عبادة فقد تقدم ما يدل على ذلك وسيأتي له زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى .

ومما يوضح ذلك معرفة حد العبادة في الشرع وأنها كل ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة .

وبعض العلماء يقول : العبادة هي الطاعة ، فيتناول فعل المأمور وترك المحظور ، ومما أمر الله به -سبحانه- دعاؤه وسؤاله قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] . إلى قوله : ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر ٦٠] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا

= ويستغيث بهم فأجاب : من استغاث بغائب من البشر أو ميت بحيث يدعوه عند الشدائد ويطلب منه قضاء الحاجات فيقول : يا سيدي فلان ، يستوحيه ، ويستغيث به ، فإن هذا ضال ظالم مشرك عاصلله باتفاق المسلمين ، فهم متفقون على أن الميت والغائب -كلام غير واضح بمقدار سطرين- يطلبون منه في حياته وهذا هو التوسل الذي جاءت به الشريعة . . . انتهى ملخصًا .

فانظر حكايته إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يطلب من الميت والغائب شيء وهذا شرك وضلال . كذا على هامش نسخة شيخنا .

وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء ٩٠] . وقال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة ١٨٦] . وقال : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : ٣٢] . وقال : ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] أي لا عند غيره ؛ لأن تقديم المعمول يفيد الاختصاص عند البيانيين ، وفي حديث نزول الرب إلى السماء الدنيا : **«من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له»**(١) وفي السنة من ذلك ما لا يحصىٰ .

فإذا امتثل العبد أمر ربه فدعاه مخلصًا صار ذلك عبادة منه لربه ، فإذا دعا غيره فقد عبد ذلك الغير . وفي «السنن» عن النبي ﷺ **«الدعاء هو العبادة»**(٢) . وفي الحديث الآخر : **«الدعاء مخ العبادة»**(٣) . فسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة .

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة آخر الليل ، حديث رقم (١١٤٥) ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، حديث رقم (١٧٦٩) .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، حديث (١٤٧٩) ، والترمذي ، كتاب الدعاء ، باب ما جاء في فضل الدعاء ، حديث رقم (٣٣٧٢) ، وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء حديث رقم (٣٨٢٨) ، وصححه العلامة الألباني ، انظر : «صحيح ابن ماجه» رقم (٣١٠١) .

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعاء ، باب ما جاء في فضل الدعاء ، حديث رقم (٣٣٧١) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ، وضعفه العلامة الألباني ، انظر : «ضعيف الترمذي» رقم (٦٦٩) .

فالدعاء في نفسه عبادة فكل مدعو معبود، وما أدري ما يقول هذا الرجل في دعاء العبد ربه واستغاثته به هل هو عبادة أم لا .

فإن قال : ليس بعبادة، فهذا مكابرة يعرفه كل عاقل، ومخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، وإن أقر أنه عبادة من العبد لربه، قيل له : هل تجد شيئًا واحدًا يكون بالنسبة إلى الله عبادة، وغير عبادة بالنسبة إلى غيره؟ فيظهر حينئذٍ بطلان شبهته التي اعتمدها في قوله إنه لا يوجد شرعًا ولا عرفًا .

وهذا الرجل لما قرر أن الطلب من الأموات والغائبين والاستغاثة بهم جائز، بل يقول هو قربة[1] كما يأتي في احتجاجه بالآية . ثم قال : وإنما الدعاء الذي هو عبادة [فهو اتخاذ غير الله ربًا وإلهًا فحصر الدعاء الذي هو عبادة][2] في تسمية المدعو ربًا وإلهًا؛ لأنه يقول : إن مجرد الطلب لا يضر مقتضى إطلاقه، وإن كان المطلوب منه صنمًا أو شجرًا أو حجرًا، وإن طلب منه مغفرة الذنوب وهداية القلوب وإنزال الغيث وشفاء المرضى، فإن هذا لا يضر عنده إذ لم يسمه أو يعتقده ربًا وإلهًا .

وهذا الرجل لما اجتمع بي قبل تسويده هذا بنحو ثمان سنين ومعه ورقة نقل فيها عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يشبه بها على بعض الناس، فأحضرته وبحثته وإذا هو في هذا الأصل العظيم جاهل جهلًا مركبًا ومعاند، وإحدى العلتين في المرء تهلكه .

---

(١) سقطت «هو قربة» من (أ) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .

وقلت له : أخبرني ما حقيقة هذا الشرك الذي لا يغفر ، وصاحبه مخلد في النار .

فقال : الشرك : السجود لغير الله لا غير . فأوردت عليه بعض الأدلة فبهت وأحب قطع الكلام بالموافقة ظاهرًا ، وكتبت على ورقته التي معه أوراقًا سماها بعض الطلبة بـ«الانتصار»(١) وما زال من ذلك الوقت يدأب ويبحث في تحصيل ما جمعه في هذه الأوراق التي اطلعنا عليها .

وقوله : إن أجهل المسلمين لا يسمي غير الله ربًّا وإلهًا ولا يقصد ذلك .

فيقال : التسمية لا حكم لها ، ولا تتغير حقيقة الشيء بتغير الاسم كما جاء عنه ﷺ : **«أنه يأتي ناس من أمتي يسمون الخمر بغير اسمها»**(٢) وكذا ، من سمى الزنا نكاحًا ، فالتسمية لا تزيل الاسم ولا الحكم ؛ ومن عامل معاملة ربوية فهو مرابٍ وإن لم يسمه ربًا ، فكذا من ارتكب شيئًا من الأمور الشركية فهو مشرك وإن سمى ذلك توسلا وتشفعًا ونحوه .

---

(١) طبعت بتحقيق الشيخ الفاضل الوليد بن عبد الرحمن الفريان باسم «الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين» .

(٢) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الأشربة ، باب الخمر يسمونها بغير اسمها ، حديث (٣٣٨٤) ، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٤) ، وصححه العلامة الألباني . انظر : «الصحيحة» رقم (٤١٤) .

والشيطان لما علم أن النفوس تنفر من تسمية ما يفعله المشركون تألهًا أخرجه في قالب آخر تقبله النفوس، ومما يفضح هذا في قوله: إن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل هو نداء، وإنما الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربًّا وإلهًا.

فعلى قوله أن من نادى إبليس وطلب منه قضاء حاجاته وكشف كرباته مع كونه لا يسميه ربًّا ولا إلهًا، بل يقول: أنا أبغضه ولكن أطلب منه حوائجي وأستنصر به على عدوي؛ لأنه يقوى على ما لا يقوى عليه البشر، ولا يضرني ذلك على مذهب الشيخ داود؛ لأني لا أسمي الشيطان ربًّا ولا إلهًا ولا أعتقد ذلك فيه [فعلى مذهبه الباطل أن هذا جائز](١).

يحقق ذلك أن كل أحد يعترف بأن عبادة غير الله شرك. وقد قدمنا تعريف العبادة فمن جعل نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك وإن كان لا يظنه شركًا ولا تألهًا وسماه بأي اسم شاء. فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن المرابي مرابٍ شاء أم أبى.

يوضح ذلك أن من أطاع مخلوقًا في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله فقد اتخذه ربًّا وإلهًا من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة ٣١].

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

وروى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما أن عدي بن حاتم قدم على النبي ﷺ وكان قد تنصر في الجاهلية فسمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، فقال للنبي ﷺ إنهم لم يعبدوهم فقال: **«بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم»**[(١)].

وقال ابن عباس وحذيفة بن اليمان في تفسير هذه الآية: إنهم اتبعوهم فيما حللوا. وقال الربيع بن أنس: قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية [في بني اسرائيل؟ قال: كانت الربوبية][(٢)] أنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء، فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم. فاستنصحوا[(٣)] الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم[(٤)]. وقال أبو البختري: أما إنهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم ما أطاعوهم، ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية. انتهى.

فهؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية لم يسموا أحبارهم ورهبانهم أربابًا ولا آلهة، ولا كانوا يظنون أن فعلهم هذا معهم عبادة لهم ولهذا قال عدي: إنهم لم يعبدوهم، وحكم الشيء تابع لحقيقته لا

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٩٥).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في (ب): «فاستضحوا».

(٤) أخرجه ابن جرير (٦/ ٣٥٥).

لاسمه ولا لاعتقاد فاعله ، فهؤلاء كانوا يعتقدون أن طاعتهم لهم في ذلك ليس بعبادة لهم فلم يكن ذلك عذرًا لهم ولا مزيلًا لاسم فعلهم ولا لحقيقته وحكمه ، فكذلك ما يفعله عباد القبور في سؤالهم من المقبورين قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب إليهم بالنذور والذبائح عبادة منهم للمقبورين وإن كانوا لا يسمونه ولا يظنونه عبادة .

ويوضح ذلك -أيضًا- ما روى الترمذي وصححه عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : «**إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[1] .

فهؤلاء لقرب عهدهم بالكفر ما كانوا يظنون أن الذي طلبوه من التأله لغير الله ؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله ويعرفون معناها ، وخفي عليهم أن ذلك الذي طلبوه مما تنفيه لا إله إلا الله ، فلم يكن ظنهم مغيرًا لحقيقة هذا الأمر وحكمه .

ومن له معرفة بما بعث الله به رسوله علم أن ما يفعل عند القبور من دعاء أصحابها والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم أعظم وأكبر من

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء «**لتركبن سنن من كان قبلكم**» ، حديث (٢١٨٠) .

فعل الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، وأقبح من الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عليها اتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده ، فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون؟! وقد قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٩-٨٠] .

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت اليهود والنصارى من أهل نجران عند النبي ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد منا أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس : أو تريد ذلك منا يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ : **«معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله ، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني»** فأنزل الله في ذلك قوله : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿مُّسْلِمُونَ ﴾(١) .

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣/ ٣٢٣) ، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩٣) .

فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من عبد الملائكة والنبيين فقد اتخذهم أربابًا من دون الله ، وأنه يكفر بذلك وإن لم يعتقده ربوبية أو لم يسمه ربًّا ، وأن من أمر بعبادتهم فقد أمر باتخاذهم أربابًا من دون الله فكيف بمن هو دونهم ، وهذا الذي يقول : إن الله أمر عباده المؤمنين أن يطلبوا حوائجهم من الأموات والغائبين!! ويقول بجواز الذبح والنذر لهم[1] ، وغير ذلك من أنواع العبادات غير السجود لهم!! لأنه حين كلمته قال : إن الممنوع منه السجود للميت فقط . فحقيقة قوله إن الله -سبحانه- أمر عباده أن يتخذوا أهل القبور أربابًا من دون الله ، وإن تبرأ من ذلك فهو حقيقة دعواه .

قوله : والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة ، بل هو مأمور به شرعًا آيات وأحاديث وآثار -قال- الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

فالعجب من هذا الملحد لم يقتصر على الجواز ، بل ادعى أن الله أمر عباده المؤمنين بذلك ، ولعله يري أن الأمر فيها فهمه من الآية للوجوب ؛ لأن الأصل في الأمر الوجوب ما لم يوجد دليل يصرفه إلى الاستحباب ، وبكل حال فهو يقول : إن الله أمر عباده المؤمنين أن يفزعوا إلى الأموات في قضاء مآربهم وكشف شدائدهم سواء قال إن الأمر للإيجاب أو للاستحباب ، ومقتضى كلامه العموم في جميع الأموات

---

(١) سقطت «لهم» من (ب) و (ط) .

صالحهم وطالحهم!! ما أجرأ هذا على الكذب على الله والإلحاد في آيات الله بوضعها[1] على غير ما أراد الله . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فصلت : ٤٠] . قال ابن عباس : ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يضعون الكلام على غير موضعه .

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] . فعلى قول هذا إن الله يحب من عباده أن يطلبوا حوائجهم من الأموات والغائبين ، وأنه ينبغي الإكثار من ذلك والإلحاح في الطلب منهم ؛ لأن الله يحب الملحين في الدعاء ، ويقتضي -أيضًا- أن يستكثر الإنسان من المدعوين المطلوبين ويعلق قلبه ورجاءه بالكثير منهم بحيث يقول لو لم يجبني بعض أجابني الآخرون ، فيصير الاستكثار أوثق عنده وأحب إلى الله في زعم هذا الضال ، فيا سبحان الله!! أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟!

وظاهر كلامه في إطلاقه أنه يطلب من الأموات والغائبين كل شيء .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من جوز أن يطلب من المخلوق كل ما يطلب من الخالق من كشف الشدائد فكفره شر من كفر عباد الأصنام فإنهم لا يطلبون منها كل ما يطلب من الله كما ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ ، ٤١] .

---

(١) في (ط) : «بوضعهما» .

فبين -سبحانه- أنه إذا جاء عذاب الله أو أتت الساعة لا يطلبون إلا الله في كشف الشدائد وجلب الفوائد. وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]. قال وقد وقع في كثير من ذلك من وقع من العامة وغيرهم. انتهى.

وافتراء هذا الرجل على الله أعظم من افتراء الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] نزلت هذه الآية في الذين يطوفون بالبيت عراة اتبعوا في ذلك آباءهم، ويزعمون أنه مستند إلى أمر الله، فقال تعالى مكذبًا لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]. وهذا يقول: إن الله أمر بدعاء الأموات والغائبين ووجدنا الناس على هذا غيركم.

وهذا الأمر الذي ادعى أن الله أمر به، مما بعث الله الرسل من أولهم إلى آخرهم ينهون عنه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. والآيات في هذا كثيرة معلومة.

والدعاء من أجلّ العبادات كما في الحديث المرفوع: **«الدعاء مخ العبادة»**(١) قالوا: معناه خالص العبادة؛ لأن الداعي إنما يدعو عند انقطاع أمله مما سوى الله وهذا حقيقة التوحيد والإخلاص. وفي الحديث

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٧).

الآخر: **«إن الدعاء هو العبادة»**(١)، وفي الحديث الآخر: **«إن الله يحب الملحين في الدعاء»**(٢) وفي حديث آخر: **«من لم يسأل الله يغضب عليه»**(٣)، وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»**(٤).

فذكر أولًا لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار، والمستغفر سائل كما أن السائل داعٍ. فعطف السؤال والاستغفار على الدعاء من عطف الخاص على العام الذي يتناولهما وغيرهما، قاله شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله تعالى.

والله -سبحانه- أمر بدعائه في كتابه في مواضع، والنبي ﷺ كان يكثر من دعاء الله واستغفاره وأمر بذلك في أحاديث كثيرة. وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال ابن عباس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٧).

(٢) ذكره العلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٦٣٧)، وفي «الإرواء» رقم (٦٧٧) وقال: حديث موضوع رواه العقيلي في «الضعفاء» والقاسمي في «الفوائد».

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعاء، باب ٢ حديث (٣٣٧٣)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٣٨٢٧).

(٤) تقدم تخريجه (ص١١٧).

وقال قتادة : يأمركم ربكم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم كلها . وتقديم المعمول في الكلمتين يفيد الحصر والاختصاص عند البيانيين وجميع المفسرين ، والقاري[1] لما ذكر الحقيق بالحمد وصفه بصفات عظام يتميز بها عن سائر المخلوقين . وتعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ، خوطب الموصوف بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته نعبد ، وإياك نستعين لا غيرك .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ : وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين ، وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، حتى قيل أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب ، جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن ، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن ، وجمع معاني القرآن في المفصل ، وجمع معاني المفصل في الفاتحة ، وجمع معاني الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين فنصفها له وهو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونصفها للعبد وهو ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انتهى .

فالله -سبحانه- فرض على العباد أن يعبدوه وحده ، وأن يستعينوا به وحده ، وهذا الملحد المفتري على الله الكذب يقول إن الله يأمركم أن تستعينوا بالأموات والغائبين وترغبوا إليهم في مهماتكم!! ما أعظم هذه المحادة لله وقد قال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ أي : ارغب

---

(١) في (ط) : «قال القاري» .

إليه لا إلى غيره، وقال النبي ﷺ: **«إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»**[١].

وقد قررنا فيما تقدم تعريف العبادة وأن كل ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة، فإذا دعوت الله فقد عبدته، فإذا دعوت غيره من ميت أو غائب أو حجر أو شجر فقد عبدت ذلك الغير، فإذا سجدت لله فقد عبدته، [فإذا سجدت لغيره صرت عابدًا لذلك الغير، فإذا ذبحت لله فقد عبدته][٢]، فإذا ذبحت لغيره صرت عابدًا له، وهكذا سائر العبادات، هذا مع أن نصوص القرآن في النهي عن دعاء غير الله وذم من فعل ذلك والإنكار عليه أكثر من النهي عن خاصية السجود لغيره كما هو معلوم عند الخاصة والعامة.

قال شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله في الكلام على دعوة ذي النون: لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة، وفسر قوله سبحانه: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ بهذا وهذا[٣].

وقال ابن القيم في بدائع الفوائد بعد آيات ذكرها: وهذا في القرآن كثير يبين أن المعبود لا بد أن يكون مالكًا للنفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعى رجاء وخوفًا دعاء عبادة، فاعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٠٣).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في (أ): «بالوجهين».



مسألة متضمن لدعاء العبادة -إلى أن قال- وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ولا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا . انتهى .

فعلى هذا ، فنهيه -سبحانه- عن دعاء غيره نص في دعاء العبادة ودعاء المسألة حقيقة ، فهو نهي عن كل واحد منهما حقيقة ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر : ١٣] . فهذا يتناول نوعي الدعاء ثم قال : ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر : ١٤] . فهذا صريح في دعاء المسألة ؛ ولهذا قال : ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ [فاطر : ١٤] .

ومن لا يسمع دعاء من دعاه ليس بأهل لأن يدعى ، ومن لا يستجيب له لو سمعه لا يستحق أن يدعى ، وهذه حال الميت لا يسمع دعاء من دعاه ، ولو فرض أنه يسمعه لم يستجب له لعجزه فقوله سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر : ١٣] . إن الآيتين تتناولان كل من يدعوه المشركون من دون الله . ومعلوم أنهم يدعون الملائكة[١] والمسيح وأمه وعزيرًا والجن واللات وغيرهم ، وبعض من يدعونه ميت يدخل في العموم .

فإن قيل : إن الميت يسمع . قلنا كما تقدم إنه لم يثبت أنه يسمع كل كلام ، فقوله ﷺ : **«ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي**

---

(١) في (ب) : «يعبدون» .

حتى أرد عليه السلام»[١] . وكذلك الحديث الذي تقدم **«ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»**[٢] . يدل على أن رد الروح يحصل حين السلام .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٦- ٥٧] .

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في الكلام على هذه الآية لما ذكر أن السلف من ذكر أن المراد بهم الملائكة ، ومنهم من ذكر معهم الإنس كالمسيح وأمه وعزير ، ومنهم من ذكر أنهم من الجن قال : إن السلف يذكرون جنس المراد من الآية على التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله عن لفظ الخبز فيريد رغيفًا ، والآية هنا قصد بها التعميم لكل ما يدعى من دون الله ، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية كما تتناول من دعا الملائكة والجن ، ومعلوم أن هؤلاء يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم ، ومع هذا فقد نهى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله ، لا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ومن حال إلى حال كتغير صفته أو

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ، حديث (٢٠٤١) .
(٢) تقدم تخريجه (ص١١٤) .

قدره؛ ولهذا قال: ولا تحويلا، فذكر نكرة تعم أنواع التحويل وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. كان أحدهم إذا نزل واديًا قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه. فقالت الجن: الإنس تستعيذ بنا. فازدادوا رهقًا.

قد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا ما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق لما ثبت عنه ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، فإذا كان لا يجوز ذلك فأن لا يجوز[1] أن يقال أنت خير معاذ يستعاذ به أولى. فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب وهي ألفاظ متقاربة. انتهى.

وقد قدمنا بعض الأحاديث التي فيها تسمية الاستعاذة دعاء ولهذا كان الأئمة المصنفون يدخلون أحاديث الاستعاذة[2] في أثناء كتاب الدعوات كصاحبي «الصحيحين» وغيرهما؛ لأن الاستعاذة عندهم دعاء حقيقة وهذا ظاهر، فقول الإنسان أعوذ بفلان من كذا أو أسأله أن يدفع عني أو يرفع عني كذا فهو في الحالتين سائل طالب داع، فانظر إلى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكل من دعا ميتًا أو غائبًا تناولته هذه الآية، وهو ظاهر لأن هؤلاء غائبون كالملائكة والمسيح، وغائب الملائكة أقرب من غائب البشر ويقدرون على ما لا يقدر عليه البشر وهم يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم، وممن أريد بالآية من هو ميت كمريم وعزير.

---

(١) في (أ): «فلأن لا يجوز».

(٢) في (ط): «الاستغاثة».

ومن المعلوم يقينًا أن أموات البشر وغائبهم لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، فالآية تتناولهم قطعًا، فيقال لداعيهم: ادعوهم[(١)] فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا.

وقال ابن القيم في «المدارج»: ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا فضلًا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة.

فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد، وسموا قصدها حجًّا، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء أعداء الرسل وأهل التوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب

(١) في (ط) و(ب): «أدعهم».

بمقتهم إلى اللَّه واتخذ اللَّه وحده وليه وإلهه ومعبوده ، فجرد حبه وخوفه للَّه ورجاءه للَّه وذله للَّه وتوكله على اللَّه واستعانته باللَّه ، إذا سأل سأل اللَّه وإذا استعان استعان باللَّه وإذا عمل عمل للَّه فهو للَّه وباللَّه ومع اللَّه .

وقال في موضع آخر : وهكذا قول عباد المسيح للنبي ﷺ لما قال لهم إن المسيح عبد ، قالوا : تنقصت المسيح وعبته . وهكذا أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثانًا تعبد ومساجد وأمر بزيارتها على الوجه الذي أذن اللَّه فيه ورسوله قالوا تنقصت أصحابها ، فانظر إلى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصوا به ، ومن يهد اللَّه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا .

وقد قطع اللَّه -سبحانه- في كتابه الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعًا ، يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون اللَّه وليًّا أو شفيعًا فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، فقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢- ٢٣] .

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع . والنفع[١] لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا ، فإن لم يكن شريكًا

(١) سقطت «والنفع» من (ب) .

كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده، فنفى -سبحانه- المراتب الأربع نفيًا مرتبًا منتقلًا من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه، وكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا ونجاة وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده[١]، لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم ودونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك[٢].

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرًا والمنكر معروفًا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الإنسان بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة

---

(١) في (ط): «وموارده».

(٢) في (ط): «كتناول أولئك».

الرسول ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانًا، والله المستعان.

هذا كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ في زمانه فكيف لو أدرك هذا الزمان فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال ابن القيم أيضًا: «قال شيخنا وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس -قال- وهؤلاء من جنس عباد الأصنام؛ ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانًا وقد يخاطبه ببعض الأمور الغائبة، وكذا السجود للقبر والتمسح به وتقبيله.

المرتبة الثانية: أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضًا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة الدين، وإن كان كثير[1] من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول: بعضهم قبر فلان الترياق المجرب. والحكاية

---

(١) في (ب): «كثيرا».

المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر» . انتهىٰ .

قال ابن القيم : «ورأيت لأبي الوفاء بن عقيل في ذلك فصلًا حسنًا فذكرته بلفظه قال : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلىٰ أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها[1] تحت أمر غيرهم - قال - وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهىٰ عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها ، وخطاب الموتىٰ بالحوائج وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركًا ، وإفاضة الطيب على القبور ، وشد الرحال إليها ، وإلقاء الخرق على الشجر ، اقتداء بمن عبد اللات والعزىٰ» . انتهى المقصود منه .

وقال شيخ الإسلام : وقد سئل عن رجلين تنازعا ، فقال أحدهما : لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإنا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك .

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بقوله : «إن أراد بذلك أنه لا بد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما يأمر به وما ينهىٰ عنه إلا بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلىٰ عباده ، وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارىٰ ، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله

---

(١) في (ب) : «يدخلونها» .

أوامره ونواهيه قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]. ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه[١] ذلك ويرجعون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين؛ حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ودفع المضار.

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين -إلى أن قال- فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحُجَّاب الذين يكونون[٢] بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبًا[٣] منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم

---

(١) في (ب): «يسألونهم».

(٢) في (ب): «الذي يكون».

(٣) في (ب): «لأبا».

من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل . وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أندادًا . وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى فإن هذا دين المشركين عباد الأوثان الذين كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء والصالحين وأنها وسائل يتقربون بها إلى الله» . انتهى ملخصًا .

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في «الرسالة السنية» لما ذكر حديث الخوارج قال : فإذا كان في زمن النبي ﷺ من قد مرق من الإسلام مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان قد يمرق أيضًا ، وذلك بأمور منها : الغلو الذي ذمه الله ، كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي ، بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح . فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول : يا سيدي فلان أغثني أو اجبرني أو توكلت عليك أو أنا في حسبك .

فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر . والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة والمسيح وعزير والصالحين أو صورهم لم يكونوا يقولون إنها تخلق وترزق ، وإنما كانوا يدعونهم ؛ يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دون الله ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استعانة . انتهى .

ونصوص القرآن كثيرة مصرحة بأن المشركين في الشدائد ينسون آلهتهم من الملائكة والبشر وغيرهم ويخلصون الدعاء لله وحده كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠- ٤١] وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [الزمر: ٨]. الآية. وقال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ [يونس: ١٢]. والآيات في ذلك كثيرة معلومة. فالله -سبحانه- رضي إخلاصهم في هذه الأحوال.

ومقتضى قول هذا المفتري أن الله -سبحانه- أمر بالطلب من الأموات وغيرهم، وأن الله يحبه ويرضاه، وأن يكون عدم إخلاص هؤلاء المشركين في الشدائد أصوب، وأن الأولى بهم الاستمرار على الطلب من الملائكة والمسيح وعزير وغيرهم؛ لأن ذلك من الوسيلة التي أمر الله بها في زعم هذا الضال. وكفى بهذا فضيحة له.

ومما يزيد ما قررناه وضوحًا أن الله -سبحانه- سمى الدعاء في كتابه دينًا قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]

وقال: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان: ٣٢].

وقال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [يونس : ٢٢] .

والمراد بالدين في هذه الآيات الدعاء عند جميع المفسرين ، وهو ظاهر مفسر في مثل قوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٦٧] . وفي قوله : ﴿ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ ، ٤١] .

وقال : ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ ﴾ [الأنعام : ٦٣] . أي سرًّا وعلانية . ﴿ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٦٣] . أي يقولون لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . وذكر -سبحانه- الدين في هذه الآيات معرفًا بالألف واللام وهو الدعاء . وقال : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] . وقال : ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ١٤] . وقال : ﴿ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] . وقال : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٢- ٣] . وقال : ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر : ١١] .

فلما سمى الله -سبحانه- الدعاء دينًا وأمر بإخلاص الدين له وضد الإخلاص الشرك ، ومن جملة الدين الدعاء ، فمن جعل شيئًا من الدين لغير الله فقد أشرك . وقد قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] أي وحتى

يكون الدين كله لله ، فمتى كان شيء من الدين لغير الله فالعصمة منتفية ، ومن أنواع الدين الدعاء بنص القرآن .

فإن قيل ما معنى الوسيلة في قول الله سبحانه : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : ٣٥] . قيل : المراد بالوسيلة التقرب إليه -سبحانه- بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .

قال البغوي : الوسيلة القربة . وقال البيضاوي : أي ما تتوسلون به إلى ثوابه والزلفى لديه من فعل الطاعات وترك المعاصي .

وقال ابن كثير : المعنى تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه - قال- وهذا إجماع من المفسرين ، وكذا قوله في الآية الأخرى : ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، [قال البغوي الوسيلة القربة وقيل الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله . وقال البيضاوي : يبتغون إلى ربهم الوسيلة][١] بالطاعة ، أي هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ونحو ذلك .

قال ابن كثير : وقيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بطاعته وازدياد الخير . وقول البغوي : ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به ، هذا لفظ البغوي لا ابن[٢] عباس ، وضل الناقل في عزوه إلى ابن عباس .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (أ) و (ب) .

(٢) في (ب) و (ط) : «لابن» .

فإن كان معنى هذه الكلمة كما قال البغوي فالمراد بذلك ما كان يفعله الصحابة مع النبي ﷺ في حياته[(١)] من طلبهم دعاءه لهم واستسقائهم به في أحاديث كثيرة، وما فعله عمر بعد موته ﷺ من استسقائه بالعباس في قوله: **«اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»**[(٢)].

وكذلك فعل معاوية مع يزيد بن الأسود الجرشي لما استسقى قال: **«اللهم إنا نستشفع إليك بخيارنا يزيد، يا يزيد! ارفع يديك إلى الله فرفع يديه ودعا ودعوا فسقوا»**[(٣)]. فهذا من الوسيلة.

قال شيخ الإسلام تقي الدين: أما التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر الله بها كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وقوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به، أي يتوصل به ويتقرب إليه به -سبحانه- سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر أو كان على وجه السؤال والاستعاذة به رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار، ومن ذلك سؤاله بأسمائه وصفاته كقوله: أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) في (ب): «في حياتهم».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، حديث (٣٧١٠).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٤٤)، والذهبي في «السير» (٤/ ١٣٧).

واستدل المعترض بقول الله سبحانه : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧] . قال : فقد أخبر أن الله ملك المؤمنين الشفاعة ، فطلبها ممن يملكها بتمليك الله له لا مانع منه ، كمن طلب المال وغيره ممن ملكه الله إياه ، ومراد المنادي له ﷺ والمتوسل به إنما هو الشفاعة . انتهى .

قوله : إن الله ملك المؤمنين الشفاعة كما ملك أهل الدنيا المال وغيره فحقيقة هذا القياس أن الشفعاء يشفعون عنده بغير إذنه وفيمن لا يرضى أن يشفع فيه(١) ، كما أن أهل الدنيا [يتصرفون فيما أعطاهم الله بغير إذنه -سبحانه- وقد](٢) ، يتصرفون تصرفًا لا يرضاه الله ، يتصرفون بحسب اختيارهم لا بأمر الله لهم وإذنه ، فقد يعطون من لا يرضى الله إعطاءه [ويمنعون من يحب الله إعطاءه](٢) ، بل يعطون من نهى الله عن إعطائه ويمنعون من أمر الله بإعطائه ويقربون إليهم من أمر الله بإبعاده ويبعدون من أمر الله بتقريبه ، وليس كذلك حال الشفعاء عند الله .

ونصوص القرآن صريحة في أنه لا يشفع عنده أحد إلا بوجود أمرين : إذنه للشافع ، ورضائه عن المشفوع فيه ، فمتى فقد الأمران أو أحدهما لم يوجد شفاعة قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦] .

---

(١) في (ب) : «وفيما يرضى أن يشفعون فيه» .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .

وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

وقياس هذا أقبح من قياس المشركين بالشفعاء عند الملوك[1]. فالمشركون جعلوا شفعاءهم بمنزلة خواص الملوك عند الملوك يشفعون عندهم بغير إذنهم، وفيمن لا يرضونه، وهذه هي الشفاعة الشركية التي نفاها القرآن، وأما قياس هذا الجاهل الشفاعة بحال أهل الدنيا وملكهم فيها، فالذي يسأل أهل الدنيا يسألهم مما في أيديهم يقول: أعطوني مما في أيديكم. لا يقول إنهم يشفعون له عند الله ولا يقول اشفعوا، لي فتبين بطلان قياس هذا وضلاله.

قال شيخ الإسلام تقي الدين بعد كلام سبق: «ولهذا كانوا في الشفاعة على **ثلاثة أقسام**:

فالمشركون[2] أثبتوا الشفاعة التي هي شرك، كشفاعة المخلوق عند المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلى ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم، فالذين

---

(١) سقطت «عند الملوك» من (ب).

(٢) وهؤلاء هم القسم الأول من أصناف الناس في الشفاعة.

أثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله مشركون كفار ؛ لأن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه ، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافع ؛ ولهذا قال ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة : ٤] إلى أن قال : وأما الخوارج والمعتزلة[١] فإنهم أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته ، وهؤلاء مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ ولإجماع خير القرون .

القسم الثالث : أهل السنة والجماعة ، وهم سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان ، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه وسنة رسوله ، ونفوا ما نفاه ، فالشفاعة التي أثبتوها ، هي الشفاعة التي جاءت بها الأحاديث ، وأما الشفاعة التي نفاها القرآن - كما عكسه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم من هذه الأمة- فينفيها أهل العلم والإيمان ، مثل أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم ، ويقولون إنهم إن أرادوا ذلك قضوها ، ويقولون إنهم عند الله كخواص الملوك عند الملوك ، يشفعون بغير إذن الملوك ، ولهم على الملوك إدلال يقضون به حوائجهم ، فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك . والله سبحانه قد نزه نفسه عن ذلك» . انتهى .

وقوله : إن الله ملّك المؤمنين الشفاعة مستدلًّا بقوله سبحانه : ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم : ٨٧] . وقوله : ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) وهم القسم الثاني .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]. بناء على أحد قولي المفسرين: إن الاستثناء في الآيتين متصل.

فإطلاق القول بأن الله ملك المؤمنين الشفاعة خطأ، بل الشفاعة كلها لله وحده ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وأثبت سبحانه الشفاعة بإذنه، وأخبر النبي ﷺ أن الأنبياء يشفعون والصالحين يشفعون، وعلى هذا فمن أذن الله له في الشفاعة يصح أن يقال: إنه ملك ما أذن له فيه فقط، لا ما لم يؤذن له فيه، فهو تمليك معلق على الإذن والرضا، لا تمليك مطلق كما يزعمه هذا الضال.

وسيد الشفعاء -صلوات الله وسلامه عليه- لا يشفع حتى يقال له: ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع، قال الله سبحانه لأكرم الخلق عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] لما قال ﷺ في حق عمه: **«لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»**[1] وقال في حق المنافقين: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

وقوله: إن مراد المنادي له ﷺ والمتوسل به إنما هو بالشفاعة.

فقد تقدم جواب ذلك، وهو أن هذا مراد المشركين ممن قصدوه، كما أخبر الله عنهم بذلك، كقوله عنهم ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٩٢).

لم يقولوا إن أحدًا من الملائكة أو المسيح أو عزيرًا أو الجن يستقلون بقضاء حوائجهم ، وإنما يقولون : إنهم يشفعون لنا عند الله في قضاء حوائجنا .

وقوله : إن الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ ولم ينكر عليهم ، ولم يقل أنتم أشركتم لأنكم طلبتم مني قبل الإذن - قال - فدل أن ذلك جائز في حياته وبعد موته لأنه حي في قبره بالاتفاق - قال - وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد الموت ، ومن منع فعليه الدليل ، وعلى قولكم : إن الطلب عبادة ، يقتضي أن لا فرق بين الحياة والممات . انتهى .

أما استدلاله بطلب الصحابة منه في حياته أن يدعو لهم ، ولم ينكر عليهم ولم يقل أنتم أشركتم ، فهذا من المغالطة والترويج على الجهال ، يقول إذا أنكرتم طلب الدعاء منه بعد موته لزمكم ألا تجيزوا[1] طلب الدعاء منه في حياته!! وإذا قلتم إنه لا يشفع في الآخرة إلا من بعد إذن الله له لزمكم القول إنه لا يدعو لأحد في الدنيا إلا من بعد إذن الله له في ذلك[2]!!

ويقول : لما ثبت أن الصحابة يطلبون الدعاء منه في حياته فكذلك يجوز بعد موته .

ويقول : إذا كان يدعو لهم بغير إذن الله في ذلك جاز أن يشفع لهم في الآخرة بغير إذن الله له هذا حقيقة كلامه .

---

(١) بياض في مكان هذه الكلمة في (ب) .

(٢) في (ب) : «إلا من بعد أن يأذن الله في ذلك» .

فيقال لهذا: وهل يقول أحد إنه لا يجوز طلب الدعاء منه في حياته ﷺ أو من غيره؟ فلا يقول هذا أحد، فقد كان أصحابه يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقي لهم ويستنصر لهم ويستغفر لهم، وأمره الله بذلك فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] فدعاؤه ﷺ لهم من أعظم الوسائل إلى مطلوبهم وقال ﷺ لعمر لما استأذنه في العمرة: «**أشركنا يا أخي في دعائك**»(١) وما زال المسلمون يطلب بعضهم من بعض الدعاء قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقوله: أن النبي ﷺ لم ينكر عليهم طلب الدعاء منه، ولم يقل أنتم أشركتم لأنكم طلبتم الدعاء مني قبل الإذن.

فهذا تهويل منه وتوهيم للطغام، وهل يقول هذا أحد؟ وإنما الذي يتوقف على الإذن من الله -سبحانه- هو الشفاعة في الآخرة حين يرجع الأمر والملك لله الواحد القهار الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث (١٤٩٨)، والترمذي، كتاب الدعوات، باب (١١٠)، حديث (٣٥٦٢)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل دعاء الحاج، حديث (٢٨٩٤)، وضعفه العلامة الألباني. انظر: «ضعيف ابن ماجه» رقم (٥٧٥).

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

والله سبحانه وتعالى فرق بين أحكام الدنيا والآخرة، فشرع لأهل الدنيا دعاء بعضهم لبعض للأحياء والأموات، وملكهم ما يتصرفون فيه، فهم يتصرفون بحسب اختيارهم، وأما الآخرة فأخبر -سبحانه- أنه المتفرد بالملك والأمر والتصرف في ذلك اليوم، فلا يصنع أحد شيئًا، ولا أمر لغيره معه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]. ولا شفاعة إلا من بعد إذنه ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

فكلام هذا الضال يدور على التسوية بين أحكام الدنيا والآخرة، وهذا من أعظم المحادة والمشاقة لله ولرسوله، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقوله: إنه ﷺ حي في قبره بالاتفاق، حكاية الاتفاق[1] كذب منه، وهو قد نقض حكاية الاتفاق بما ذكره بعد من الحكاية المروية عن مالك رحمه الله، وقوله لأبي جعفر: إن حرمته ميتا كحرمته حيًا، فوصفه مالك بالموت حال كلامه مع أبي جعفر، فما ذكره عن مالك يكذب دعواه الاتفاق. ويأتي في عبارة لهذا وصف فيها النبي ﷺ بالموت الآن، فهو متناقض.

---

(١) سقطت «حكاية الاتفاق» من (ب)، وفي (ط): «حكايته».

وعبارته التي أشرنا إليها قوله في الكلام على حديث: «**يا عباد الله احبسوا**»[(١)] فقال: ولكون النبي ﷺ حاضرًا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة، وهو قولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فقوله: حاضرًا مع موته، وصف له بالموت الآن. هذا مع أنه لا يمكنه أن يأتي بحرف واحد عن الأئمة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم كالأئمة الأربعة وأمثالهم على حياته ﷺ في قبره الحياة التي يشير إليها.

قال ابن القيم: «لم يرد حديث صحيح أنه ﷺ حي في قبره، لكن نقطع أن الأنبياء لا سيما خاتمهم وأفضلهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أعلى رتبة من الشهداء، وقد قال -سبحانه- عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، فالأنبياء أولى بذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. ومع ذلك فالشهداء داخلون تحت قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧]. ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. فأثبت سبحانه للشهداء موتًا بدخولهم في العموم كالأنبياء وهو الموت المشاهد، ونفى عنهم موتًا، فالموت المثبت غير الموت المنفي[(٢)]، فالموت المثبت هو فراق الروح الجسد وهو مشاهد محسوس، والمنفي زوال الحياة بالجملة عن الروح والبدن». انتهى.

---

(١) انظر تخريجه (ص١٧٥).

(٢) سقطت «فالموت المثبت غير الموت المنفي» من (ب).

وقال البيضاوي على قوله سبحانه: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. «فيه تنبيه على أن حياتهم ليست في الجسد، ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي». انتهى.

ومن العجب أنه لو جاء إنسان إلى ميت على وجه الأرض شهيدًا أو غيره يطلب منه أن يدعو له فضلًا أن يطلب منه أن ينصره على عدوه أو يكسوه لقال الناس: هذا مجنون، فإذا صار رميمًا في بطن الأرض زين لهم الشيطان ودعاة الضلال من الإنس الاستغاثة به وطلب الحاجات منه. والعامي السليم الفطرة يعلم بطلان هذا بفطرته، كما حكي لنا أن رجلًا من أهل مكة ينسب إلى علم قال لرجل عامي من أهل نجد: أنتم ما للأولياء عندكم قدر، والله يقول في الشهداء: إنهم أحياء عند ربهم يُرزقون. قال له العامي: هل قال: يَرزقون يعني بفتح الياء أو قال: يُرزقون يعني بالضم؛ فإن كان يعني بالفتح فأنا أطلب منهم، فإن كان يعني بالضم فأنا أطلب من الذي يرزقهم. فقال المكي: حجاجكم كثيرة. وسكت.

ويقال لمن ادعى أن النبي ﷺ حي في قبره كحياته كما كان على وجه الأرض: [ثبت أنه ﷺ مات بنص القرآن، فما حجتكم على أنه عاد حيًا كما كان على وجه الأرض][1] قبل موته؟ فلن يجد[2] إلى ذلك

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) في (ب): «تجد».

سبيلًا، وليس عندهم إلا مجرد دعوىٰ أو شبهة لا حقيقة لها، ويدل علىٰ بطلان هذه الدعوىٰ ما رواه أبو داود عنه ﷺ قال: **«ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتىٰ أرد عليه السلام»**[(١)] .

فهذا يدل علىٰ أن روحه الشريفة ﷺ ليست في بدنه دائمًا، وإنما هي في أعلىٰ عليين؛ ولهذا اتصال بالجسد الله أعلم بحقيقته، لا يدركه الحس ولا العقل، وليس ذلك خاصًا به ﷺ لحديث تقدم عنه ﷺ قال: **«ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتىٰ يرد عليه السلام»**[(٢)] .

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ: **«إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلىٰ قناديل معلقة تحت العرش»**[(٣)] الحديث .

وقد أخبر -سبحانه- أنهم في البرزخ أحياء عند ربهم يرزقون .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حق النبي ﷺ: **«أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها، ولن يجمع الله عليك موتتين»** .

وقد قام الدليل القاطع أنه عند النفخة في الصور لا يبقىٰ أحد حيًا، فلو كان الأمر كما يزعمون لكان الله قد يجمع عليه موتتين، ولما قال ﷺ: **«أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي»**

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣١) .

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٤) .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة حديث (٤٨٦٢) .

قالوا: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت -يعني قد بليت- قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(١)] .

ولم يقل لهم أنا حي في قبري كحياتي الآن صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين .

قوله: وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته، ومن منع فعليه الدليل .

ليس هذا خاصًّا به ﷺ عند هذا المعارض، بل يزعم كما تقدم أن الله أمر بطلب الحاجات ممن يعترف هذا بموتهم في قوله: إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين . وادعى في موضع آخر حياتهم، فهو متناقض كما ترى .

قوله: ومن منع فعليه الدليل .

فنقول: جميع ما تقدم من الأدلة الدالة على أن دعاء الأموات والغائبين وطلب الحاجات منهم من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، يدخل في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون وغيرهم؛ لأن ذلك عبادة، وهي محض حق الله لا يرضى أن يشرك معه فيها ملك مقرب ولا نبي

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، حديث (١٠٤٧)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، حديث (١١٣٧٣)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، حديث (١٠٨٥)، وصححه العلامة الألباني. انظر: «الإرواء» رقم (٤).

مرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال سيد ولد آدم ﷺ: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»**(١)، وقال: **«ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»**(٢).

وقول المعترض: وما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته. تقدم الجواب عنه عند قوله: لأن الشيء الواحد يكون بالنسبة للحي طاعة وبالنسبة للميت عبادة... إلخ. تقدم هناك ما فيه كفاية لمن أراد الله هدايته.

وكلامه في هذا الموضع في حق النبي ﷺ يحتاج إلى زيادة بيان وإيضاح، فمن المعلوم بالضرورة أن الصحابة كانوا يطلبون منه ﷺ في حياته أن يدعو لهم ويستغفر لهم ويستسقي لهم ويستفتونه، ويطلب الناس منه عرض الدنيا مما أعطاه الله تعالى، ويرجعون إليه فيما أشكل عليهم من أمر دينهم، وهذا كله معلوم بالضرورة.

وأما بعد موته فلم يأت أحد من الصحابة إلى قبره ﷺ يطلب منه أن يدعو له، فضلًا عن أن يطلب منه شيئًا من عرض الدنيا أو

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢١).

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٣).

نصر على عدو ونحو ذلك ، ولا استفتاه أحد منهم فيما أشكل عليهم . فأول ذلك لما أشكل عليهم هل يجردونه من ثيابه عند غسله أو لا ، لم يسألوه وهو بين أيديهم . ولما عزم الصديق على قتال مانعي الزكاة وحصل عند عمر توقف في ذلك لم يأت إلى قبره يسأله عما استراب فيه . ولما حضرت عمر الوفاة طلب من عائشة أن يدفن مع صاحبيه ولم يقل : استأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك ؛ لعلمهم رضي الله عنهم أن هذه الأمور مستحيلة منه بعد موته .

واستسقى عمر بالعباس ولم يأت هو والصحابة إلى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلونه في حياته . وحدث في المدينة حوادث عظيمة كوقعة الحرة ولم يأت أحد إلى قبره ليستنصر لهم ، فضلًا عن أن يطلبوا منه أن ينصرهم ، فلو كان هذا جائزًا لأتوا إلى قبره ، ذكرهم وأنثاهم ، لا سيما والمضطر يتشبث بأدنى سبب يظن به النفع ، وهذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله لو فعل ، لكنهم أعلم بالله ورسوله من هؤلاء الخلوف .

وكان الناس يأتون إلى عائشة يستفتونها وهي في بيته ﷺ فكيف يستفتونها وتفتيهم وهو ﷺ عندهم يسمع كلامهم ويجيبهم لو سألوه في زعم هذا المبطل . ولما وقع الاختلاف بين علي ومعاوية وأشكل أمرهم على كثير من الناس[١] لم يأتوا إلى قبره يستفتونه في هذا الأمر ليزيل الإشكال عنهم . وأشكل على الصحابة مسائل كثيرة يختلفون فيها

---

(١) سقط «وأشكل أمرهم على كثير من الناس» من (ب) .

يوجد في المسألة لهم قولان وثلاثة وأربعة وأكثر . وقال عمر : ثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنها .

فأين هذا المفتري عن أصحاب رسول الله ﷺ من أن يقول لهم كيف تشكل عليكم المسائل وتختلفون فيها[1] ، وهذا نبيكم بين ظهرانيكم حي ما عرفتم قدره؟! هذه حقيقة دعوىٰ هذا الملبس ، تخطئة أصحاب رسول الله ﷺ وتجهيلهم . وكان ابن عمر يأتي إلى القبر فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ، ثم ينصرف . وقال سلمة بن وردان[2] : رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلىٰ جدران القبر ثم يدعو .

ونص الأئمة الأربعة علىٰ أنه إذا سلم على النبي ﷺ وأراد الدعاء أنه يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر .

ومن المعلوم أن أعظم مطلوب الأمة منه ﷺ أخذ العلم عنه ، ولم يقصد أحد منهم قبره ﷺ لذلك ؛ فالتابعون أخذوا العلم عن الصحابة ، وتابعو التابعين أخذوا العلم عن التابعين ، وكذلك كل طبقة يأخذون العلم عمن فوقهم ، والعلماء يرحلون إلى الآفاق حجازًا وشامًا ويمنًا وعراقًا لطلب الحديث بالأسانيد والوسائط الكثيرة ، وتحملوا المشاق العظيمة ، فلو كان ما يقوله هذا حقًّا من أنه يطلب منه ﷺ بعد موته كل ما يطلب منه في حياته لتزاحموا عند قبره لأخذ العلم عنه علىٰ

---

(١) سقطت «فيها» من (أ) و (ط) .

(٢) في (ط) : «ورد إني» .

حقيقته ويتركون الوسائط، وهذا أمر ظاهر الفساد، لكن ربما يدخل كلام هذا في نفوس بعض الجهال لظنهم أن عند هذا الرجل علمًا، فيتهموا الفطرة التي فطروا عليها حتى يبين لهم بطلانه.

وقوله: فمن منع فعليه الدليل. فأي دليل أبلغ وأوضح مما قررنا من أن الصحابة قبل موته ﷺ يطلبون منه جميع ما تقدم، وأنهم بعد موته ﷺ ما فعلوا معه شيئًا مما كانوا يفعلون معه في حياته من طلب الدعاء منه أو استغاثته أو طلب حاجة من حوائجهم أو نصر على عدو، وكذلك التابعون بعدهم، فلا دليل أوضح من هذا على بطلان قوله: إنه يطلب منه بعد موته جميع ما يطلب منه في حياته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه -إلى أن قال- ومن المحال أن يكون دعاء الأموات أو الدعاء بهم مشروعًا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعًا وعشرين سنة حتى توفاه الله، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشرًا على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها، فضلًا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم؟

---

(١) في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٢٠٠) فما بعدها.

فليوقفونا على أثر واحد في ذلك، بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة حرف واحد من ذلك، بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمنا من الأحاديث المرفوعة، وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها.

وقد ذكر جملة[1] مما روي في ذلك، منها ما ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال حدثنا أبو العالية قال: لما فتحت تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا كعبًا فنسخه بالعربية فأنا أول[2] رجل من العرب قرأه مثل ما أقرأ القرآن. قلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرًا فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه. فقلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجلًا يقال له دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة. قلت: ما كان تغير

---

(١) أي ابن القيم رحمه الله.

(٢) في (ب): «أحمل».

منه شيء؟ قال: إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به هؤلاء المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثانا من لا يداني هذا ولا يقاربه وأقاموا لها سدنة، فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحًا لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علمًا لذلك ودعوا عنده وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم.

وكذلك التابعون لهم بإحسان درجوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعا به ولا دعاه ولا دعا عنده أو استسقى به ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه.

وذكر ابن القيم -أيضًا- ما رواه أبو داود في «سننه» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، حديث (٢٠٤٢).

وروى أبو يعلى عن علي بن الحسين أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم»**[1]. رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في «مختارته».

وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال: رسول الله ﷺ **«لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»**.

وروى سعيد أيضًا عن سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم -ثم قال- إن رسول الله ﷺ قال: **«لا تتخذوا بيتي عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء»**.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» رقم (٤٦٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٦٦٨) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه جعفر بن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه مدحًا وبقية رجاله ثقات.

قلت : ورواه عبد الرزاق في كتابه عن الحسن بن الحسن بن علي أنه رأى قومًا عند القبر فنهاهم وقال : إن النبي ﷺ قال : **«لا تتخذوا قبري عيدًا ، ولا بيوتكم قبورًا ، وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»**[(١)] .

قال ابن القيم : «فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث ، لا سيما وقد احتج به من أرسله فهذا يقتضي ثبوته عنده ، هذا لو لم يكن روي من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد تقدم مسندًا» .

قال شيخ الإسلام تقي الدين قدس الله روحه : «ووجه الدلالة منه أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيدًا فقبر غيره أولى» . انتهى .

ففيما ذكرناه أوضح برهان وأبين دليل على بطلان دعوى هذا المفتري في قوله : إن ما جاز أن يطلب منه في حياته جاز أن يطلب منه بعد موته صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين .

وقوله : بل على قولكم : إن الطلب نفسه عبادة يقتضي ألا فرق بين الحياة والممات . . إلخ .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في «المصنف» رقم (٦٧٢٦) ، وابن أبي شيبة في «مصنفه» رقم (٧٥٤٢) ، وانظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للعلامة الألباني (ص٩٦) .

فقد تقدم الجواب عن هذه الشبهة في كلامنا على قوله فيما تقدم : إذا كان النداء دعاء لزم ألا ينادى أحد لا حي ولا ميت .

وقوله هنا : فعلى قولكم إن الطلب نفسه عبادة . مقتضى كلامه أن الطلب من حيث هو ليس بعبادة سواء كان الطلب من الله أو من غيره .

فيقال له : إن زعمت أن الطلب من الله ليس بعبادة فهذا معلوم البطلان كما قررناه فيما تقدم وبينا دلائله ، من ذلك أن الله أمر بدعائه ، وأثنى على من دعاه رغبًا ورهبًا فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، وسمى النبي ﷺ الدعاء عبادة فقال : **«إن الدعاء هو العبادة»**(١) وقال : **«الدعاء مخ العبادة»**(٢) وكل ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء .

فمن قال إن دعاء العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال ، بل كافر ، فإن أقر أنه عبادة ولابد أن يقر إلا أن يعاند ويكابر ، فإذا أقر أن دعاء العبد ربه عبادة فإذا دعا ربه راغبًا وراهبًا فقد عبده(٣) ، فإذا دعا من لا يسمعه أو لا يستجيب له من ميت أو غائب كان قد دعا من لا ينفعه ولا يضره ، ونصوص القرآن صريحة في النهي عنه وذم من دعا من هذه

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٧) .

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٧) .

(٣) في (ب) : «فقد عبده فإذا دعا من لا يسمعه فقد عبده فإذا دعا من لا يسمعه . . .» .

صفته، فيدخل في ذلك الأموات والغائبون كالجماد[١]؛ لأن كلًّا من هؤلاء لا يستجيب لداعيه فلا ينفعه إن دعاه ولا يضره إن لم يدعه.

وتقدم حكاية الشيخ تقي الدين إجماع المسلمين على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم. وتقدم أيضا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]. وقول المفسرين: إنها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والجن، وقول الشيخ تقي الدين: إن الآية تعم من دعا الأموات والغائبين. فكل من دعا ميتًا أو غائبًا فهو داخل في حكم هذه الآية، وهذا ظاهر؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والذين هم سبب النزول غائبون، وغائبهم أقرب من غائب الإنس، ومنهم الميت كعزير ومريم.

ويقال لهؤلاء الذين يدعون الأموات والغائبين: ادعوهم فيما يهمكم وينزل بكم من الشدائد فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله، فكل من دعا من لا يملك كشف الضر[٢]، ولا تحويله داخل في عموم الآية.

وأما طلب الإنسان حاجته من حي حاضر ما[٣] يدخل تحت مقدور البشر فلم يمنع الله سبحانه من ذلك كما قدمنا مع أن ترك مسألة

---

(١) في (أ): «والجمادات».

(٢) في (ب): «من لا يقدر على كشف ضره».

(٣) في (ط): «مما».

الناس من تحقيق التوحيد وكماله . فلو أن الله -سبحانه- أمرنا بطلب حاجاتنا من الأموات والغائبين كما زعم هذا وفعلنا ذلك امتثالا لأمر الله كان ذلك عبادة منالله لا لغيره ، كما أن الله -سبحانه- لما أمر الملائكة بالسجود لآدم وسجدوا كان ذلك عبادة لله لا لآدم . ولو أمرنا الله بالسجود لنبينا وفعلنا كان ذلك عبادة منالله لا لنبينا ﷺ ولو فعلنا ما نهانا الله عنه من السجود لغيره كان ذلك عبادة للمسجود له .

واحتج المعارض بما رواه الترمذي عن أنس أنه طلب من النبي ﷺ أن يشفع له .

وهذا لا ينكر كطلب أهل موقف القيامة من الرسل أن يشفعوا لهم ، وإنما ننكر الطلب منه بعد موته ، وننكر الشفاعة الشركية التي أثبتها هذا بقوله : إن الله ملَّك المؤمنين الشفاعة كما ملَّك أهل الدنيا ما أعطاهم فيها ، فهم كما قدمنا يتصرفون على حسب اختيارهم . وحقيقة تشبيهه أن المؤمنين يشفعون بحسب اختيارهم من غير إذن من الله كحال أهل الدنيا فيما أعطاهم الله . فهذه هي الشفاعة التي ننكرها كما نفاها القرآن .

واستدل المعترض بحديث الأعمى .

ولا حجة له فيه ، وليس فيه ما يوهم جواز دعائنا له[1] والاستغاثة به . وغاية ما يفهم من حديث الأعمى التوسل بجاهه ﷺ كما فهمه

---

(١) سقطت «له» من (ب) .

منه ابن عبد السلام . وقد بين شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ معنى الحديث وأوضحه غاية الإيضاح .

ولفظ الحديث : «أن رجلًا أعمىٰ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري ، قال : **إن شئت دعوت لك الله وإن شئت صبرت** . قال : ادعه . فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ، ويقول : **اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضىٰ ، اللهم فشفعه في**»[1] هذا لفظه . وليس فيه حجة لهذا في جواز الاستغاثة به ﷺ ؛ فهو لم يطلب من النبي ﷺ أن يرد عليه بصره ، وإنما طلب منه ﷺ أن يدعو الله له ، وليس في الحديث صراحة لما فهمه ابن عبد السلام .

قال شيخ الإسلام تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلام ذكره : «ومن هذا استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة ، بمعنىٰ أنهم [يطلبون منه أن يشفع إلى الله كما كانوا في الدنيا][2] يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره . وقول عمر : إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا . معناه : نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ، ونحن نتوسل إليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، وليس المراد أنا نقسم عليك به ، أو ما يجري هذا المجرىٰ مما يفعل بعد موته وفي مغيبه

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ١١٩ حديث (٣٥٧٨) ، وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ، حديث (١٣٨٥) ، وصححه العلامة الألباني ، انظر : «صحيح ابن ماجه» رقم (١١٤٥) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .

كما يقول بعض الناس : أسألك بجاه فلان عندك ، أو يقولون : إنا نتوسل إلى الله بأنبيائه ورسله وأوليائه . ويروون حديثًا موضوعًا : **«إذا سألتم الله فأسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عريض»**(١) .

فلو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه إلى العباس ، مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظم من العباس . فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكره عمر هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات ، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فإن الحي يطلب منه ذلك ، والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الأعمى فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره ، فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره أن يسأل الله به قبول شفاعته ، وإن قوله : أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر : كنا نتوسل إليك بنبينا . فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد . ثم قال : يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه في ، فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه .

وقوله : يا محمد يا نبي الله ، فهذا وأمثاله نداء(٢) يطلب به منه استحضار المنادى في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ، كما يقول المصلي : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . والإنسان يقول مثل هذا كثيرًا ، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب» . انتهى .

---

(١) لا أصل له ، ذكره العلامة الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٢) .
(٢) سقطت «نداء» من (ط) .

وقول المعترض : إن ابن تيمية يقول : إن الأعمىٰ صور صورة النبي ﷺ وخاطبه كما يخاطب الإنسان من يتصوره في ذهنه ممن يحبه أو يبغضه وإن لم يكن حاضرًا -قال- وهذا عجيب من ابن تيمية ، فإن نداء الصورة والطلب منها مع كونها وهما خياليًّا أقوىٰ في الحجة على المانع ، فهذا الحديث هو الدليل لمن يجوز نداء النبي ﷺ في حياته وبعد موته . والناظم ممن يرىٰ ذلك . انتهىٰ .

انظر كذب هذا على ابن تيمية بقوله : إن ابن تيمية يقول : إن الأعمىٰ صور صورة النبي ﷺ وليس هذا لفظ ابن تيمية وإنما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادىٰ في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب كقول المصلي : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته -ثم قال- والإنسان يفعل مثل هذا كثيرًا يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب» . هذا لفظه على حديث الأعمىٰ في «اقتضاء الصراط المستقيم» وغيره ، هل قال : إن الأعمىٰ صور صورة النبي ﷺ ؟وقول الشيخ بعد ذلك : «والإنسان يفعل مثل هذا كثيرا ، يخاطب من يتصوره في ذهنه ، أي من يستحضره في نفسه» .

وقوله : وهذا عجيب من ابن تيمية ؛ فإن نداء الصورة والطلب منها مع كونه وهما خياليا أقوىٰ في الحجة على المانع .

فيقال : وهل قال ابن تيمية إنه يطلب من الصورة شيء . ولم يذكر ابن تيمية لفظ الصورة ، وإنما قال : «من يتصوره أي يستحضره» .

ثم أتى المعارض بالكذب الصريح في قوله : وذكر ابن تيمية في معنى هذا الحديث قولين . قول بجواز التوسل به ، بمعنى طلب دعائه في حياته . وقول بجواز ذلك في حياته وبعد مماته ومغيبه -قال- وقد وافق ابن تيمية ابن عبد السلام بجواز الطلب والتوسل به ﷺ لحديث الأعمى ، فصار ندؤاه والطلب منه محل اتفاق . انتهى .

ففي هذه الجملة من كلامه **ثلاث كذبات :**

الأولى : قوله: إن ابن تيمية حكى قولًا في معنى الحديث بجواز الطلب منه ﷺ في حياته ومماته وحضوره ومغيبه .

الكذبة الثانية : قوله : إن ابن تيمية وافق ابن عبد السلام بقوله : [إن ابن عبد السلام يقول][1] بجواز الطلب منه في الحياة والموت .

والكذبة الثالثة : قوله : فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق .

وكذبة رابعة على ابن عبد السلام بقوله : إن ابن عبد السلام يقول بجواز الطلب من النبي ﷺ والسؤال منه في الحياة والممات .

أما قوله : إن ابن تيمية حكى قولا في معنى الحديث أن المراد طلب الدعاء منه في الحياة والممات والحضور والغيبة ، فهو كاذب على الشيخ .

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ جزم بأن معنى الحديث : أن الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ، وأن ذلك مختص بالحياة ممتنع بعد الموت ، كاستسقاء عمر بالعباس .

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .

ثم ذكر قول ابن عبد السلام إنه فهم من حديث الأعمى التوسل بجاه النبي ﷺ ولم يوافقه الشيخ على ذلك، بل منع من التوسل بجاهه ﷺ، وما جزم به الشيخ في معنى الحديث، [وما حكاه عن ابن عبد السلام هما القولان اللذان ذكرهما في معنى الحديث][1] حديث الأعمى، لا كما زعم هذا الكذاب أن القولين في طلب الدعاء منه، وأن أحد القولين اختصاص ذلك بالحياة، والقول الثاني أن ذلك جائز في حياته ومماته ﷺ وأن هذا قول ابن عبد السلام وأن الشيخ وافقه على ذلك، فكذب على ابن عبد السلام وعلى الشيخ في زعمه أنهما أجازا طلب الدعاء منه ﷺ بعد موته.

ما أجرأ هذا على تعمد الكذب!! لأنه يرى كلام الشيخ على هذا الحديث نفسه، وإنكاره طلب الدعاء من الأموات، لا سيما طلب ذلك منه ﷺ، ويقول: طلب الدعاء من الأموات شرك. وكتابه في الرد على ابن البكري الذي جوز الاستغاثة بالنبي ﷺ موجود. وكلامه على حديث استسقاء عمر بالعباس في أن طلب الدعاء منه ﷺ مختص بحياته. وكلامه في هذه المسألة معروف مشهور موجود في كتبه، فكيف يجترئ على الكذب الظاهر.

قوله: فكان نداؤه والطلب منه محل اتفاق، كذب ظاهر وخطأ فاحش.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

أما أولا فإنه لو[١] يتفق ابن عبد السلام وابن تيمية على قول واحد في مسألة ، فإنه لا يقال فيه : إنه اتفاق . وإنما يقال : هذا محل اتفاق فيما اجتمع عليه علماء الأمة الذين يعتد بوفاقهم وخلافهم في الأحكام . وهذا لم يذكر كلمة واحدة توافق مذهبه عن صحابي ولا تابعي ولا عن إمام من أئمة المسلمين ، وإنما حقيقة أمر هذا الرجل كما قال بعض العلماء : شرك مبني على إفك .

كذب على الله في قوله : إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين ، وأن هذا من الوسيلة التي أمر الله بها . وكذب على النبي ﷺ في زعمه أن حديث الأعمى وغيره مما أورده يدل على ذلك [وادعى اتفاق العلماء على حياة النبي ﷺ في قبره][٢] . وادعى على ابن تيمية وابن عبد السلام أنهما أجازا الطلب من النبي ﷺ بعد موته وأن ذلك اتفاق . وكذب[٣] في قوله : إن في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال : **«لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبًا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»** .

وكذبه وتناقضه ومعارضته للقرآن والحديث لا يخفى على عاقل منصف نبهنا على بعضه . وأحببت أن أذكر هنا بعض كلام الشيخ رحمه الله في مسألة التوسل وقول ابن عبد السلام .

(١) في (ط) : «لم» .
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .
(٣) في (ب) : «وكذبه» .

قال الشيخ تقي الدين رحمه في رده على ابن البكري : «وما زلت أبحث وأكشف ما أمكنني من كلام السلف والأئمة والعلماء هل جوز أحد منهم التوسل بالصالحين في الدعاء ، أو فعل ذلك أحد منهم ، فما وجدته . ثم وقفت على فتيا للفقيه أبي محمد ابن عبد السلام أفتى بأنه لا يجوز التوسل بغير النبي ﷺ ، وأما بالنبي فجوز التوسل به إن صح الحديث في ذلك . وذكر القدوري في شرح الكرخي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه لا يجوز أن يسأل الله إلا به» . انتهى .

وذكر ابن القيم في «إغاثة اللهفان»[1] عن أبي الحسين القدوري نحو ذلك ، فقال : «قال القدوري ، قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول بمعاقد العز من عرشك ، أو يقول بحق خلقك[2] . وهو قول أبي يوسف .

قال أبو يوسف : معقد العز من عرشك هو الله ، فلا أكره ذلك ، وأكره بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت والمشعر الحرام .

قال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز ؛ لأنه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز يعني وفاقًا .

---

(١) (٢١٦/١) .

(٢) في (أ) : «أو يقول بحق فلان أو يقول بحق خلقك» .

وقال البلدجي في «شرح المختارة» : ويكره أن يدعو الله إلا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على الخالق» . انتهى .

وهذه المسألة غير ما نحن فيه لكن ناسب ذكر[1] ذلك لمخالفته لما فهمه [ابن عبد السلام من حديث الأعمى ، وأن الذي فهم][2] ابن عبد السلام إنما هو التوسل به ﷺ في الدعاء ، لا دعاؤه نفسه كما زعمه هذا المفتري .

واحتج المعترض بالحديث الذي روي مرفوعًا : «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا فإن لله حاضرًا سيحبسه**»[3] وزعم أن سنده صحيح .

وليس كما ذكر من صحته ؛ لأن في سنده معروف بن حسان وهو منكر الحديث ، قاله ابن عدي ، وعلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهذا المبطل على جواز دعاء الأموات والغائبين ؛ لأنه قال فيه : فإن لله حاضرًا سيحبسه .

---

(١) سقطت ذكر من (ط) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» رقم (٥٢٦٩) ، والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٥١٨) ، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٠٨) ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٨) وقال : رواه أبو يعلى والطبراني وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف . والحديث ضعفه المحدث العلامة الألباني ، انظر «الضعيفة» رقم (٦٥٥) .

المعنىٰ : أن لله عبادًا لا نعلمهم -وما يعلم جنود ربك إلا هو- قد وكلهم -سبحانه- بهذا الأمر . وهذا يدل علىٰ أن هؤلاء الذين أمر بمناداتهم حاضرون أحياء ، جعل الله لهم قدرة علىٰ ذلك ، فمناديهم ينادي من يسمع ويقدر علىٰ ذلك ، لقوله : فإن لله حاضرًا سيحبسه . وهذا كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في السفر أن يردوا عليه دابته إذا انفلتت .

وكل عاقل يتيقن أن النبي ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه . ومن استدل بذلك علىٰ جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين فهو ضال .

قال المعترض -بعد إيراده هذا الحديث- : وأما قول من قال إن هذا نداء لحاضر كذب ظاهر . فإن عباد الله المدعوين -وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله الذي لا يغيب عنه شيء- فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم ، وكذلك الأنبياء والصالحون من أهل القبور ، فإنهم أحياء[1] في قبورهم ، وأرواحهم موجودة ؛ ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم كمخاطبة الحاضر ، مع أنهم غائبون عن الأعين . انتهىٰ .

فالعجب من تناقض هذا!! يورد هذا الحديث -ونص الحديث : **«فإن لله حاضرًا سيحبسه»**- ثم يقول : من قال إن هذا نداء لحاضر كذب ظاهر . يورد الحديث ثم يكذبه .

---

(١) سقطت «أحياء» من (أ) .

وقوله : فإن عباد الله المدعوين وإن كانوا حاضرين بالنسبة لعلم الله فهم غائبون بالنسبة لمن يناديهم . فيا سبحان الله!! كيف يبلغ اتباع الهوىٰ بصاحبه إلىٰ هذا التناقض ومعارضة الأحاديث التي يحتج بها .

فإذا أخبر الرسول أنهم حاضرون قادرون بقوله : «**فإن لله حاضرًا سيحبسه**» . فإخبار الرسول ﷺ بحضورهم أبلغ من رؤيتنا لهم ، كما لو كان الذي انفلتت دابته أعمىٰ ويعلم أن عنده أناسًا لا يراهم ، فإنه يستعين بهم لعلمه أنهم يسمعون كلامه وإن لم يكن يراهم .

قال المعترض في كلامه علىٰ هذا الأثر قال : ولكون النبي ﷺ حاضرًا مع موته شرع لنا خطابه والسلام عليه في الصلاة .

فقوله : مع موته . إقرار منه بموته في قبره الآن . ثم كابر فادعىٰ أن جميع الصالحين في قبورهم أحياء ، وكذب في هذه الدعوىٰ ، والله سبحانه أخبرنا بحياة الشهداء في كتابه ، والأنبياء أرفع من الشهداء فهم أولىٰ بذلك من الشهداء ، مع أنه لم يأت حديث صحيح بحياتهم . وهذه حياة لا يعلم صفتها وحقيقتها إلا الله لقوله سبحانه : ﴿**بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة : ١٥٤] .

وأما قوله بحياة الصالحين غير الأنبياء والشهداء في قبورهم فكذب منه وافتراء .

وقوله : ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر مع أنهم غائبون عن الأعين .

فيقال لهذا المبطل : الذي أمر به النبي ﷺ أمته وشرعه لهم عند زيارة القبور حجة عليك كافية في إبطال مذهبك ، هل فيما شرعه النبي ﷺ حرف واحد يتضمن دعاءهم والطلب منهم والاستغاثة بهم؟! بل ليس فيها ما يتضمن سؤاله بهم . فليتأمل طالب الحق جميع ما جاء عن النبي ﷺ مما كان يقول إذا زارها ، وما أمر به أمته عند زيارتها ، هل يجد فيها حرفًا واحدًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم يجدها مخالفة لما هم عليه من جميع الوجوه؟ فمضمون الزيارة التي شرعها ﷺ تذكر الآخرة ، والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له ، فبدل هؤلاء المشركون قولًا غير الذي قيل لهم ، وغيروا الدين ، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت بالاستغاثة به وسؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات والنصر على الأعداء واستنزال البركات .

وقوله : ولهذا أمر النبي ﷺ أن ينادوهم ويخاطبوهم مخاطبة الحاضر .

فيقال له : وهل في خطابهم لهم طلب حاجة منهم أو طلب الدعاء منهم؟ أو المخاطب الزائر المسلم هو الذي يدعو لهم ويستغفر لهم ويترحم عليهم ويسأل الله لهم العافية .

فهل في ذلك إلا ما هو حجة عليك .

ثم يقال لهذا المتخرص : هذا هدي رسول الله ﷺ وسنته مع الأموات في دعائه لهم في الصلاة على جنائزهم ، وعند دفنهم وعند

زيارتهم، هل تجد فيها حرفًا واحدًا يوافق دعواك في طلب الحاجات من الأموات والغائبين؟ ودعواك أن الله أمر بذلك بقوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فكأن النبي ﷺ ما علم من معنى الوسيلة ما علمت؟ أو أنه علم ذلك ولم يدل عليه بحرف واحد.

وكذلك أصحابه من بعده عند إتيانهم إلى قبره صلوات الله وسلامه عليه لا يزيدون على مجرد السلام عليه وعلى صاحبيه كما تقدم عن ابن عمر وأنس وغيرهما وما تقدم عن أهل بيته ﷺ من إنكار علي بن الحسين زين العابدين على الذي يدعو الله عند قبره ﷺ وقول الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب للذي قال: سلمت على النبي ﷺ وقال له: إذا دخلت المسجد فسلم - وفي رواية - فنهاه، واستدل بقوله ﷺ: **«لا تتخذوا بيتي عيدًا»**. الحديث وتقدم.

أفخفي على هؤلاء السادة ما فهمه هذا وأشياعه من قول الله ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وما فهمه من حديث الأعمى وغيره؟! ولكن بهذا ونحوه يظهر مصداق قوله ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم»**[1]. وقد أخبر الله -سبحانه- عن أهل الكتاب قبلنا بالغلو والكذب وتحريف الكلم عن موضعه.

وما ذكره المعترض عن عتبة بن غزوان فهو مثل الذي قبله، لقوله فيه: «فإن لله عبادًا لا يراهم»، ولفظه: «إذا أضل أحدكم شيئًا وأراد

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٣)، والرواية الأخرى (ص١٢٢).

عونًا وهو بأرض فلاة ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني؛ فإن لله عبادًا لا يراهم»(١).

قال المعترض: فهب أن عباد الله المدعوين حاضرون كما قال، ولكن إذا لم يرهم الداعي لهم كيف يهتدي الداعي إلى الطريق وهو لم يرهم؟

فيقال: قولك هذا اعتراض منك على ما استدللت به.

ونقول له: قد تحصل الهداية بإشارة أو علامة ترفع له، أو يكونون من جنس الملائكة الذين يلقون في قلب ابن آدم، فكل هذا جائز إن صح الأثر.

فانظر تسميته النداء دعاء في ثلاثة مواطن من هذا المحل!! وهو يقول: إن طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء. فتناقض، وهذا من سنة الله -سبحانه- في المبطل أنه يتناقض.

واحتج -أيضًا- بما روي أن رجلًا جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس. هذا لفظه في «اقتضاء الصراط المستقيم».

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١١٧، ١١٨) وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨٨) وقال: رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد ابن علي لم يدرك عتبة، والحديث ضعفه محدث العصر العلامة الألباني. انظر الضعيفة رقم (٦٥٦).

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع . - قال - وليس هو مما نحن فيه - قال - وهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر ، أما إنه يدل على حسن حال السائل فلا ، ففرق بين هذا وهذا» . انتهى .

وهذه الحكاية التي احتج بها هذا المبطل هي حجة عليه في قوله : إن ما جاز أن يطلب منه في حياته ﷺ جاز أن يطلب منه بعد موته . وهو ﷺ لما كان حيًّا معهم على وجه الأرض إذا طلبوا منه أن يستقي لهم يستسقي بنفسه ، لا يقول اذهبوا إلى فلان ليستسقي لكم . وفي هذه الحكاية لم يقل أنا أستسقي لكم ، بل أمر عمر يخرج بالناس يستسقي لهم ، فدل على أن هذا متعذر منه بعد موته ﷺ والصحابة خرجوا إلى الصحراء مع عمر واستسقوا ، ولم يأتوا إلى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته ، بل ولا جاءوا يستسقون عند قبره .

وقوله : إن صاحب هذه الحكاية صحابي أعلم من سائر علماء المسلمين .

فقوله هذا كذب ظاهر . وهل يعرف اسمه حتى يعرف حاله؟! والمدينة في ذلك الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم والبادية والحاضرة ، ولا سمي صاحب هذه الشكوى ، ولا يدرى من هو ، فكيف يزكيه هذه التزكية البالغة وهو لا يعرفه؟! والشيخ يقول : ومثل هذا إذا وقع لا يدل على حسن حال السائل .

وقوله: إن ابن تيمية ذكر هذه الحكاية -وأنه قال- وهذا حق ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبي ﷺ، والشيخ ذكر جملة من هذا النوع ثم قال: وهذا حق، يعني وقوع مثل هذا ثابت، ليس مراده أنه صواب كما زعمه هذا.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قرر أن الدعاء عند القبور بدعة يعني قصدها لأجل دعاء الله عندها وأن ذلك منهي عنه، وقرر أن دعاء المقبورين وسؤالهم قضاء[1] الحاجات شرك. قال: ولا يدخل في هذا أن قومًا سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك - إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فإن الخلق لم ينهوا عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استهانة بأهلها، بل لما يخاف عليهم من الفتنة، وإنما تكون الفتنة إذا انعقد سببها، فلولا أنه يحصل عند القبور ما يخاف الافتتان به لما نهي الناس عن ذلك. وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين، مثل نزول الأنوار والملائكة عندها، وتوقي الشياطين والبهائم لها، واندفاع النار عنها وعمن جاورها.

إلى أن قال: فجنس هذا حق[2] وليس مما نحن فيه إلى أن قال: وكل هذا لا يقتضي استحباب الصلاة عندها ولا قصد الدعاء والنسك

---

(١) سقطت «قضاء» من (ب) و (ط).

(٢) في هامش (ط) ما نصه: «قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ فجنس هذا حق يعني وقوعه ثابت ليس مراده أنه صواب».

عندها لما في قصد العبادات عندها من المفاسد التي علمها الشارع كما تقدم - قال - فذكرت هذه الأمور ؛ لأنها مما يتوهم معارضتها لما ذكرنا ، وليس كذلك .

واحتج المعترض بالحكاية التي ذكرها القاضي عياض في الشفاء : أن الإمام مالكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تناظر مع أبي جعفر المنصور ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين إن الله أدب أقوامًا فقال : ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢] . ومدح قومًا فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات : ٣] .

وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا . فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ قال مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ، بل استقبله وتشفع به . ثم قرأ : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] [1] .

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : «وهذه الحكاية منقطعة فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكًا ولاسيما في زمن أبي جعفر المنصور ، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة ، وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث . كذبه أبو زرعة وابن واره وقال : صالح بن محمد الأسدي : ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب منه ، وقال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير ، وقال النسائي : ليس بثقة . وقال ابن حبان : ينفرد عن الثقات =

ولما ذكر شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله تعالى أشياء ذكرها عن السلف عامة وعن مالك خاصة، قال: وهذا الذي ذكرنا عن السلف ومالك يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه التي ذكرها القاضي عن محمد ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر إلخ.

قال رحمه الله: فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو مغيرة، وإما أن تفسر بما يوافق مذهبه [إذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه](١)، المعروف بنقل الثقات من أصحابه، فإنه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وقد نص أنه لا يقف عنده للدعاء مطلقًا -إلى أن قال- وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية. فهو والله أعلم باطل فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم. ولم يذكر عن أحد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت الاستغفار ولا غيره. وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي ذلك، وإنما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها بعض المتأخرين من الفقهاء عن أعرابي أنه أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية، وأنشد:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم

= بالمقلوبات... وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند فكيف إذا أرسل حكاية لا تعرف إلا من جهته» . اهـ. انظر: «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٢٨).

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل ذلك، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي، لا سيما مثل هذا الأمر العظيم الذي لو كان مشروعًا مندوبًا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم، بل قضاء الله حاجة هذا الأعرابي وأمثاله له أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع. وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون ذلك السبب مشروعًا مأمورًا به. فقد كان رسول الله ﷺ يسأل في حياته المسألة فيعطيها لا يرد سائلًا وتكون المسألة محرمة في حق السائل، حتى قال: «**إني لأعطي أحدهم المسألة فيخرج بها يتأبطها نارًا**» قالوا: يا رسول الله، فلم تعطيهم؟ قال: «**يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل**»[1].

قال: وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحًا ولا يكون عالمًا أنه منهي عنه، فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه، وهذا باب واسع.

قوله رحمه الله في أول كلامه: وهذا الذي ذكرناه عن السلف ومالك يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢١) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٥٥) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قلت: وأخرج نحوه مسلم (٢٤٢٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فالكلام الذي أشار إليه قوله قبل ذلك : واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره [وتنازعوا عند السلام عليه ، فقال مالك وأحمد وغيرهما : إنه يستقبل قبره](١) ويسلم عليه وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي ، وأظنه منصوصًا عنه . وقال أبو حنيفة : بل يستقبل القبلة ويسلم عليه . هكذا في كتب أصحابه . وقال مالك فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في «المبسوط» والقاضي عياض وغيرهما : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو [ولكن يسلم ويمضي . وقال -أيضًا- في «المبسوط» : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو](٢) له ولأبي بكر وعمر فقيل له : إن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة وأكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة . فقال : لم يبلغنا هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده .

ثم قال الشيخ : فقول مالك في هذه الحكاية -إن كان ثابتًا عنه- معناه : أنك إذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه(٣) وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة ، فإن الأمم يوم القيامة يتوسلون

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ط) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب) .

(٣) سقطت «وسلمت عليه» من (أ) .

بشفاعته ، واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع له به يوم القيامة ، كسؤال الله له الوسيلة .

وكذلك ما نقل من رواية ابن وهب : إذا سلم على النبي ﷺ ، ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدعو ويسلم . يعني دعا للنبي ﷺ وصاحبيه فهذا هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند زيارة قبور المسلمين وهو الدعاء لهم ، فإنه أحق الناس أن يصلىٰ عليه ويدعىٰ له بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه .

وبهذا تتفق أقوال مالك ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة . انتهىٰ .

ويشهد لذلك ما رواه عبد الرزاق في كتابه عن معمر عن أيوب عن نافع قال : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتىٰ قبر النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

قال معمر : وأخبرناه عبيد الله[1] بن عمر عن نافع عن ابن عمر . قال معمر : فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال : ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر .

وقال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي» : محمد بن حميد راوي[2] هذه الحكاية -

(١) في (أ) و (ب) : «عبد الله» .

(٢) في (ط) : «الراوي» .

أعني حكاية أبي جعفر مع الإمام مالك- هو محمد بن حميد الرازي لا العمري[1] كما ظنه السبكي .

قال : وقد تكلم في محمد بن حميد هذا غير واحد من الأئمة ، ونسبه بعضهم إلى الكذب . قال يعقوب بن شيبة : محمد بن حميد الرازي كثير المناكير . وقال البخاري : حديثه فيه نظر . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو العباس[2] محمد بن أحمد الأزدي : سمعت إسحاق بن منصور يقول : أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان . وذكر عن جماعة كثيرة نحو ذلك ، فهذا يبين عدم صحة هذه الحكاية ، والله أعلم .

وذكر المعترض ما روي أن أعرابيًا جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد ثلاثة أيام من دفنه ﷺ ورمى بنفسه وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ الآية . وقد جئتك مستغفرًا لذنبي . فنودي من القبر : غفر لك .

فيا سبحان الله! يعتمد على حكاية عن أعرابي بغير إسناد في هذا الأمر الذي لو كان مستحبًا أو جائزًا لفعله الصحابة والتابعون ، ولو كانوا يفعلون شيئًا من ذلك لنقل عنهم لا عن أعرابي وغيره ممن لا تعرف حاله .

---

(١) في (أ) و (ب) : «لا المعمري» .

(٢) في (ط) : «أبو عباس» .

فلو وجد الناقل لهذه الحكاية[١] شيئًا من ذلك عن أحد من الصحابة وعلماء التابعين لكان أولى من نقله عمن لا يعرف بصحبة[٢] ولا علم.

وأيضًا، فهذه حكايات بغير إسناد معروف، بحيث لو يذكر عن النبي ﷺ أحاديث بغير إسناد معروف رجاله لم يلتفت إليها، مع أنه ليس في هذه الحكاية ونحوها أنه طلب من النبي ﷺ أن يغفر له أو أن يدعو الله له.

قال المعترض: ويعضد هذا الأثر المتقدم الذي تلقاه الأئمة بالقبول -يعني أثر العتبي- حتى ابن تيمية مع أنه شدد في ذلك.

فكذب على ابن تيمية في قوله إنه تلقاه بالقبول، بل ابن تيمية خطأ من احتج بحكاية العتبي كما قدمنا عنه. وما روي من قول سواد ابن قارب.

فكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعة
بمغنٍ فتيلًا عن سواد بن قارب

فهذا[٣] بحضرة النبي ﷺ في حياته كما تقدم من حديث أنس، وكاستشفاع الناس به يوم القيامة. وقوله: أدنى المرسلين وسيلة. فهو كذلك صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن الوسيلة هي القربة، والتوسل إلى الله: التقرب إليه بطاعته واتباع رسوله والاقتداء به، وهذا هو

---

(١) في (ب) و(ط): «الحكايات».

(٢) في (ب): «بصحة».

(٣) في (ط): «فهذه».

الوسيلة المأمور بها في قوله سبحانه : ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ومن الوسيلة دعاؤه لهم ﷺ وطلبهم ذلك منه في حياته كما كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم ويستسقي لهم كقول عمر : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا . الحديث .

فهذا من الوسيلة المأمور بها .

واحتج المعترض بما روي أنه قيل لابن عمر ، حين خدرت رجله : اذكر أحب الناس إليك . وأن ابن عباس قاله لآخر . فقال أحدهما : محمد . وقال الآخر : يا محمد .

وليس له في هذا حجة على طلب الحاجات من الأموات والغائبين .

والقائل لم يقل : ادع أحب الناس إليك . والمقول له لم يقل : يا محمد أزل خدر رجلي . فإن صح الأثر فلعل المعنى في ذلك أنه توسل إلى الله بمحبة نبيه .

وأحدهما لم يأت بحرف النداء وذكرها أحدهما ، فلعل هذا مثل قولنا : السلام عليك أيها النبي ، السلام عليك يا رسول الله . وخدر الرجل من نوع الضر[1] ، والمحتج بذلك يحتج به على جواز طلب كشف الضر من النبي ﷺ وغيره وقد قال الله تعالى :

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن : ٢١] أي : لا أقدر على كشف ضر نزل بكم ولا جلب خير إليكم . أي إن الله يملك ذلك

---

(١) في (ط) : «الضرر» .

لا أنا. وقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]. وقد ذكرنا فيما تقدم أن مفسري الصحابة والتابعين ذكروا أن الآية نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه وعزيرًا والجن. والآية تعمُّ كل مدعوٍ من دون الله.

فإذا كان الملائكة الذين يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله من حال إلىٰ حال فغيرهم أولىٰ. فإذا كان هؤلاء المذكورون لا يستجيبون لمن دعاهم فهم داخلون تحت قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] وغيرها من الآيات فكيف تعارض نصوص القرآن بمثل ذلك.

ومضمون دعوىٰ المحتج بذلك: أن الشفاء يطلب من النبي ﷺ وكان في رقية النبي للمريض[١]: اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك[٢][٣].

فالمحتج بهذا الأثر علىٰ[٤] ما ادعاه معارض لنصوص القرآن والسنة مكذب لله ورسوله فيما ذكرنا من الآيات والحديث. ولو قال

---

(١) سقطت «للمريض» من (ب).

(٢) في (أ) و (ب): «لا شافي إلا أنت».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المرضىٰ والطب، باب دعاء العائد للمريض حديث (٥٦٧٥).

(٤) سقطت «علىٰ» من (ط).

من خدرت رجله : أعوذ برسول الله ﷺ من شر ما أجد صار مستعيذًا بمخلوق . ونص العلماء أن الاستعاذة لا تجوز بمخلوق والاستعاذة[١] نوع من الدعاء كما مر تقريره .

فلو قال من أصابه ما يكره : أعوذ بمحمد مما أجد وأسأله كشف ما أجد أو أشكو إليه ما أجد ، كان المعنى في جميع هذه العبارات واحدًا إذ المعنى : أطلب إزالة ذلك من النبي ﷺ .

وابن القيم ذكر هذا الأثر ، فلو كان فيه شبهة تعارض ما كان يقرره من أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك لبين ذلك .

ورأيت من جملة فتاوى للقاضي أبي يعلى منها أنه سئل عمن يقول : يا محمد ، يا علي ، فقال : هذا لا يجوز لأنهما ميتان .

وقول المعترض : أو ليس ابن تيمية قد عذر المتأول والمقلد وقال : إنه يغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره .

فيقال لهذا : إنما يورد كلام الشيخ هذا من يوافق الشيخ على تحريم الاستغاثة بالنبي ﷺ وغيره من الأموات وأن ذلك شرك . ثم يقول : لعله يغفر للجاهل ونحوه .

وأما من ينكر قول الشيخ في ذلك ويبدع من قال بقوله أو يكفره فلا يتوجه له القول بعذر المذكورين ؛ لأنه يقول إنهم غير مخطئين ،

---

(١) في (أ) : «والاستعانة» .

بل مأجورين[١] لامتثالهم أمر الله في قوله : ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ في زعم هذا المحرف لكلام الله فلا وجه لطلب العذر لهم .

وما قاله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب -أعني باب التوحيد- ليس باجتهاد منه لكنه بين ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع العلماء فرحمه الله ورضي عنه . والشيخ قال : وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقده صالحًا ولا يكون عالمًا[٢] أنه منهي عنه ، فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه ، وهذا باب واسع . قال : ويغفر للجاهل ما لا يغفر لغيره مراده في الجملة لا في التفصيل ؛ ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح العمدة» في أثناء كلام سبق : فكل رد لخبر الله أو أمره فهو كفر دقَّ أو جلَّ ، لكن يعفى عما قد خفيت فيه طرق العلم وكان أمرًا يسيرًا في الفروع ، بخلاف ما ظهر أمره وكان من دعائم الدين من الأخبار والأوامر .

وقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن الشرك لا يغفر ولو كان أصغر . ونقل ذلك عنه تلميذه صاحب «الفروع» فيه قال : ذلك والله أعلم لعموم قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء : ٤٨] .

وقال في «الرسالة السنية» : فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول :

---

(١) في (ب) : «مأجورون» .

(٢) في (أ) : «يعلم» .

يا سيدي فلان أغثني ، أو اجبرني ، أو توكلت عليك ، أو أنا في حسبك ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب و إلا قتل .

وكذلك قال في مسألة الوسائط : إن فاعل ذلك يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

وعموم قول الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء : ٤٨] يتناول كل مشرك . والفقهاء من جميع المذاهب يذكرون في باب حكم المرتد أن من أشرك بالله كفر ، ويحتجون بهذه الآية ونحوها ، ولم يخرجوا الجاهل من العموم وقال تعالىٰ : ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤] . وقال : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٠] .

قال ابن جرير : وهذا من أبين الأدلة علىٰ خطأ من زعم أن الله لا يعذب أحدًا علىٰ معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها إلا أن يأتيها بعلم منه ؛ لأنه لوكان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه مهتدٍ وفريق الهدىٰ فرق ، وقد فرق الله بين أسمائها وأحكامها في هذه الآية . انتهىٰ .

وليس كلامنا في هذا الموضع في هذه المسألة وإنما الكلام مع هؤلاء الضلال الدعاة إلى الشرك الملبسين على الناس دينهم المفترين على الله الكذب المضلين للناس بغير علم .

وذكر المعترض أن في تاريخ ابن كثير أن الصحابة كان شعارهم في الحرب : يا محمد . وفي تاريخ آخر أن بعض المسلمين من التابعين أسرهم الكفار وألقوهم في القدور فنادوا : يا محمداه . وأن خبيبًا ﷺ لما مثل به الكفار قال : يا محمد .

فهذه هي وأشباهها حجة هذا المبطل وشيعته ، وهذه التواريخ وأشباها فيها الصدق والكذب وأكثرها يحكى بغير إسناد ، ولو كان ما ذكر في هذه التواريخ ونحوها حديثًا عن النبي ﷺ بغير سند متصل صحيح لم يحكم به في فلس .

والحكاية الأولى أن هذا كان شعارهم في الحرب ، لم يقل : إنهم كانوا يستغيثون به في الحرب ، ولا أنهم يدعونه ، بل قال : هذا [شعارهم في الحرب . فلا شبهة لك فيه ؛ لأنهم كانوا يستعملون الشعار في الحرب[١] باسم أو كلمة ليعرف بعضهم بعضًا كما روي أن شعارهم][٢] في بعض غزواتهم حم لا ينصرون[٣] وفي بعضها أمت أمت[٤] .

---

(١) سقط من (ب) قوله «في الحرب ، لم يقل : إنهم كانوا يستغيثون به في الحرب ولا أنهم يدعونه ، بل قال : هذا شعارهم في الحرب ، فلا شبهة لك فيه ؛ لأنهم كانوا يستعملون الشعار» .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ط) .

(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب في الرجل ينادي بالشعار ، حديث (٢٥٩٧) ، والترمذي ، كتاب الجهاد باب ما جاء في الشعار حديث (١٦٨٢) .

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب في الرجل ينادي بالشعار ، حديث (٢٥٩٦) .

وما ذكر عن الذين كانوا في زمن التابعين أنهم قالوا : يا محمداه . حكاية بغير إسناد عمن لم يعرف من هم .

وما حكي أن خبيبًا قال يا محمد . إن صح فهذا ونحوه يقوله الإنسان توجعًا لفراق حبيبه ، ولا يشك عاقل أن خبيبًا وأشباهه لا يستغيثون بالنبي ﷺ في تلك الحال وهو لا يسمع كلامهم ، كيف وقد قال لهم ﷺ لما استغاثوا به على رجل عنده في المدينة قال : «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله** ﷻ»[١] .

ولكن صاحب الباطل يروج على الناس ويلبس عليهم بكل ما يقدر عليه ، ولولا اتباع الهوى ما عارض بحكاية عن أعرابي ، أو عن تاريخ لا يعرف غثه من سمينه ، مع أنه ليس له فيما يحكيه حجة على باطله ومع ذلك يعارض به نصوص القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف : ٥] ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء : ٥٦] .

فإذا كان الملائكة المقربون لايملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله فنبينا ﷺ كذلك لا يكشف الضر عمن دعاه ولا تحويله ، فلو كان يملك شيئًا من ذلك لطلب أصحابه الذين هم أعلم الناس

---

(١) تقدم تخريجه (ص٩٨) .

بالله وبرسوله وبدينه ذلك منه مع أن عموم هذه الآيات وغيرها تتناوله كغيره، لا يشك في هذا عاقل سليم الفطرة فضلًا عن العالم المنصف، هذا مع قوله -سبحانه- في حق نبينا خاصة ما ذكره في كتابه كقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ [الجن: ٢١] أي لا أقدر على كشف ضر نزل بكم ولا إيصال نفع إليكم، أي لا يملك ذلك إلا الله. فمن زعم أن غير الله يطلب منه ذلك فهو مكذب لله وجاعل له شريكًا في ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال المعترض: فدل على أن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود.

يعني الاستغاثة به ﷺ وإنما عبر بالنداء طردًا لقوله الباطل المتناقض: إن طلب المخلوق من المخلوق يسمى نداء لا دعاء.

وقد بينا بطلان قوله هذا ومخالفته للكتاب والسنة وإجماع العلماء والنحويين، وأن الدعاء بطلب رفع المكروه أو دفعه يسمى استغاثة كما يسمى دعاء. فلما قال: إن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود يعني أنه يطلب منه ﷺ كشف الشدائد، فهذا حقيقة الاستغاثة، فليسمه المبطل نداء أو طلبًا أو توسلًا أو تشفعًا أو ما شاء من الأسماء، فإن ذلك لا ينفعه ولا يغير الحكم، فهذا الضال يزعم أن الاستغاثة بالنبي ﷺ في الشدائد بعد موته أمر معهود، يعني معروف مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين.

فجعل هذا الصحابة والتابعين أشد غلوًا في النبي ﷺ من المشركين الأولين في الملائكة والأنبياء والجن والأصنام[١]؛ لأن الله -سبحانه- أخبر في كتابه أن المشركين يخلصون الدعاءلله في حال الشدة وينسون آلهتهم من الملائكة والأنبياء والجن والأصنام قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣]. ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢].

وقول هذا الرجل فيما تقدم: إن الله أمر بالطلب من الأموات والغائبين عام في الأوقات والأحوال والأشخاص، فيالله لعقول ضلت حين لم يتبين لها ضلال هذا في غالب كلامه وخاصة[٢] في قوله: إن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات والغائبين. فكما قدمنا إذا كان الله يحب ذلك لأمره به في زعم هذا الضال فالأولى ملازمة ذلك في الشدة والرخاء [محافظة على ما يحبه الله في جميع الحالات. والموحدون يقولون الواجب على الناس إخلاص الدعاءلله وحده في الرخاء والشدة][٣]، فلا

---

(١) سقطت «والجن والأصنام» من (ب).

(٢) في (ط) وخاصته.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

يسأل إلا هو وحده، ولا تطلب الحاجات إلا منه، ولا يرغب إلا إليه وحده. والمشركون الذين كانوا في زمن النبي ﷺ يخلصون الدعاء لله في الشدة وينسون غيره[١]، ونصوص القرآن ناطقة بذلك.

وهذا الملحد يقول: الاستمرار على الطلب من الأموات والغائبين في جميع الحالات أولى؛ لأن الله يحب ذلك؛ لأنه من الوسيلة التي أمر الله بها، فالمحافظة على ما يحبه الله أولى من الغفلة عما يحبه سبحانه وتعالى. فيا سبحان الله! كيف يلتبس أمر هذا على عاقل سليم الفطرة؟!

وما ذكره من قول صفية: ألا يا رسول الله كنت رجاءنا. فهذه حال من يبكي شخصًا ويرثيه، يخاطبه مخاطبة الحاضر، وتذكر حاله ﷺ معهم لأنه القائم بأمورهم فهو أبوهم خاصة وأبو المؤمنين عامة ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقد حمى النبي ﷺ جناب التوحيد أبلغ حماية حتى قال: **«لا تجعلوا قبري عيدا»**[٢]. وقال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل ما شاء الله ثم شاء محمد»**[٣]. وقال للذي قال له ما شاء الله وشئت: **«أجعلتني لله ندًا»**[٤] فوازن بين قوله لمن قال ما شاء الله

---

(١) في (أ): «آلهتهم».

(٢) تقدم تخريجه (ص١٦٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت، حديث (٢١١٨).

(٤) تقدم تخريجه (ص٢١).

وشئت : «**أجعلتني لله ندًا**» ، وبين قول هذا الضال : إنه يستغاث به في الشدائد . أليس هذا أولى بأن يقال له : أجعلتني لله ندًا وقد قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٢] أي : أإله مع الله يفعل هذا؟ والذي يقول إنه يستغاث بالنبي ﷺ في الشدائد بقوله : إن نداء النبي ﷺ في الشدائد أمر معهود ، يقول إنه يجيب المضطر ويكشف السوء وإلا كانت الاستغاثة به عبثًا باطلًا . والمشركون يعترفون بأنه لا ينجي من الشدائد والضرورات إلا الله ؛ ولهذا يخلصون الدعاء لله في هذه الأحوال لعلمهم أنه لا ينجي منها إلا الله ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان : ٣٢] .

قال البيضاوي : «دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم[١] من الخوف الشديد» . وقال -أيضًا- على قوله : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين ، حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه ، لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو سبحانه» . انتهى .

وقال النبي ﷺ لحصين بن المنذر : «**كم إلهًا تعبد؟** قال سبعة ، ستة في الأرض وواحد في السماء . قال : **فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟** قال : الذي في السماء»[٢] .

---

(١) في (ط) : «دعاهم» .

(٢) تقدم تخريجه (ص٥٧) .

ولما أقبل برهة على مكة وهرب أهلها منها خوفًا منه ، قام عبد المطلب ونفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة ، وأخذ عبد المطلب بحلقة باب الكعبة وهو يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك
يا رب فامنع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك
فامنعهم أن يخربوا قراك

وإخبار الله -سبحانه- عنهم بالإخلاص في الكرب والشدائد كافٍ . فيا سبحان الله!!

هؤلاء المشركون الذين نزل القرآن بتكفيرهم وإباحة دمائهم وأموالهم للمسلمين يعلمون بقلوبهم ويقرون بألسنتهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا الله ويفزعون فيما يهمهم إلى الله وحده ويتركون الوسائط الذين اتخذوهم شفعاء لهم عند الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ ، ٤١] . وهذا الرجل الذي يسمى عالمًا يقول : إنه يطلب من النبي ﷺ كشف الشدائد وإنه يكشفها . فلولا أنه يقول إنه يكشفها لم يجوز طلب كشفها منه؟ وكان طلب ذلك منه عناء بلا فائدة .

ثم زعم أن الاستغاثة به ﷺ في الشدائد أمر مشهور معمول به عند الصحابة والتابعين . فنسب إلى خير القرون ما هم أبعد الناس عنه ،

ويكفي في إبطال شبهه كلها قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾ وهذا في حال حياته ﷺ فكيف الحال بعد الموت؟

وهو -أيضًا- لم يقتصر على النبي ﷺ كما قرر في أوراقه هذه أن الله أمر بطلب الحاجات من الأموات وأنهم أحياء في قبورهم، مع ما ضم إلى ذلك من دعواه إثبات التصرف المطلق للنبي وغيره في يوم القيامة، ودعواه علم الغيب للنبي ﷺ، وما تضمنه كلامه من الكذب على الله وعلى رسوله وعلى العلماء كما بيننا بعض ذلك فيما تقدم، وكذا ما في كلامه من التناقض والمعارضة الصريحة لكلام الله ورسوله، ثم العجب ممن تلقى كلامه بالقبول ولا رأوا بعض ما فيه من الفضائح التي ينكرها العامي سليم الفطرة، ولكن الأمر كما قيل باطل وافق هوى، والهوى يعمي ويصم. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ولنختم هذا الجواب بتلخيص فصل من «إغاثة اللهفان» لشمس الدين ابن القيم - رحمه الله تعالى - قال بعد كلام سبق: «ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادًّا للآخر مناقضًا له، بحيث لا يجتمعان أبدًا.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها!!

ونهىٰ عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله!! ونهىٰ عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف علىٰ إيقاد القناديل عليها!! ونهىٰ أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ويجتمعون أيامًا كاجتماعهم للعيد أو أكثر!! وأمر بتسويتها، كما روىٰ مسلم في «صحيحه» عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا أدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[1].

وفي «صحيحه» عن ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا. فأمر فضالة بقبره فسوي. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[2]. وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب!!

ونهىٰ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنىٰ عليه، ونهىٰ عن الكتابة عليها كما روىٰ أبو داود في «سننه» عن جابر أنه ﷺ **«نهىٰ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها»**[3]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره!! ونهىٰ أن يزاد عليها غير ترابها كما روىٰ أبو داود من حديث جابر -

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، حديث (٢٢٤٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، حديث (٢٢٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها، (١٠٥٢).

أيضًا- أن رسول الله ﷺ «نهىٰ أن يجصص القبر ويكتب عليه أو يزاد عليه»[١] وهؤلاء يزيدون عليه سوىٰ التراب الآجر والأحجار والجص» .

إلىٰ أن قال : «فانظر إلىٰ هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه .

ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العد عن حصره .

فمنها : تعظيمها الموقع في افتتان بها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها[٢] ، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند البيت الحرام ، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفأ القنديل المعلق عليها .

ومنها : النذر لها ولسدنتها .

ومنها : اعتقاد المشركين بها أن بها يكشف البلاء وينصر علىٰ الأعداء ويستنزل غيث السماء وتفرج الكربات وتقضى الحوائج وينصر المظلوم ويجار الخائف إلىٰ غير ذلك .

ومنها : الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج .

ومنها : الشرك الأكبر الذي يفعل عندها .

---

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الجنائز ، باب البناء على القبور ، حديث (٣٢٢٦) .

(٢) في (ط) : «وسدانها» .

ومنها : إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم ، فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ، ويكرهونه غاية الكراهة .

ومنها : مشابهة اليهود والنصارىٰ في اتخاذ المساجد والسرج عليها .

ومنها : محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها .

ومنها : إماتة السنن وإحياء البدع .

ومنها : أن الذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له .

فيكون الزائر محسنًا إلىٰ نفسه وإلى الميت . فقلب هؤلاء المشركون الأمور(١) وعكسوا الدين وجعلوا المقصود من الزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء به وسؤاله حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين إلىٰ نفوسهم وإلى الميت .

فاسمع الآن زيارة أهل الإيمان التي شرعها الله علىٰ لسان رسوله ﷺ ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الشرك التي شرعها لهم الشيطان واختر لنفسك .

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم**

---

(١) سقطت «الأمور» من (ب) .

ما توعدون، غدًا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»[١] رواه مسلم في «صحيحه».

وعنها أيضًا: أن جبريل أتاه فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم. قالت: قلت: كيف أقول يا رسول الله، قال: **«قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»**[٢].

وفي «صحيحه» أيضًا عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: **السلام على أهل الديار** -وفي لفظ- **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية»**[٣].

وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن زارها فليزر ولا تقولوا هجرًا»**[٤] رواه الإمام أحمد والنسائي.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، حديث (٢٢٥٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لها، حديث (٢٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لها حديث (٢٢٥٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٨) والنسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور حديث (٢٠٣٢).

وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدًّا للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ونهاهم أن يقولوا هجرًا. فمن زارها على غير الوجه المشروع الذي يحبه الله ورسوله فإن زيارتها غير مأذون فيها. ومن أعظم الهجر الشرك عندها قولًا وفعلًا.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: **«زوروا القبور فإنها تذكر الموت»**[1]. وعن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة»**[2] رواه أحمد.

وعن ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم فقال: **«السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم لنا سلف[3] ونحن بالأثر»**[4] رواه أحمد والترمذي وحسنه.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة»**[5] رواه ابن ماجه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه حديث (٢٢٥٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٩).

(٣) سقطت **«أنتم لنا سلف»** من الحديث في (ب) و (ط).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر حديث (١٠٥٣).

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، حديث (١٥٧١).

وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة»**(١).

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟

وما أحسن ما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا.

قال سلمة بن وردان: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو.

ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر فإن الدعاء عبادة، وفي الترمذي وغيره: **«الدعاء هو العبادة»**(٢) فجرد السلف الصالح العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٧).

منها إلا ما أذن فيه رسول الله ﷺ من السلام على أصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم .

وبالجملة فالميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له .

ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبًا أو استحبابًا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي .

قال عوف بن مالك : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول : **«اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»** . حتى تمنيت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله ﷺ على ذلك الميت(١) رواه مسلم .

وقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة : **«اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء فاغفر له»**(٢) رواه أحمد .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت في الصلاة حديث (٢٢٢٩) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٣٣٨) وأبو داود ، كتاب الجنائز ، باب =

وفي «سنن أبي داود» عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»**[(١)].

وقالت عائشة وأنس عن النبي ﷺ قال: **«ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه»**[(٢)] رواه مسلم.

وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه»** رواه مسلم[(٣)].

فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء والاستغفار والشفاعة فيه. ومعلوم أنه في قبره أشد حاجة منه على نعشه، فإنه حينئذٍ معرض للسؤال وغيره وقد كان رسول الله ﷺ يقف على القبر بعد الدفن

= الدعاء للميت حديث (٣٢٠٠)، وضعفه العلامة الألباني انظر «ضعيف أبي داود» رقم (٧٠٣).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، حديث (٣١٩٩). وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، حديث (١٤٩٧). وصححه المحدث العلامة الألباني انظر «أحكام الجنائز» (ص١٥٦).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه، حديث (٢١٩٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، حديث (٢١٩٦).

فيقول: «**سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[١] فعلم أنه أحوج إلى الدعاء بعد الدفن.

فإذا كنا على جنازته ندعو له لا ندعو به ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى، فبدل أهل الشرك والبدع قولًا غير الذي قيل لهم، بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول **الله** ﷺ إحسانًا إلى الميت وإحسانًا إلى الزائر وتذكيرًا بالآخرة سؤال الميت والإقسام به على **الله** وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد وأوقات الصلوات.

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى أو الدعاء بهم[٢] أو الدعاء عندهم مشروعًا وعملًا صالحًا وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول **الله** ﷺ ثم يرزقه الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

فهذه سنة رسول **الله** ﷺ وسنة خلفائه الراشدين وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، هل يمكن بشرًا على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف حديث (٣٢٢١) وصححه العلامة الألباني.

(٢) سقطت «والدعاء بهم» من (أ).

منقطع أنهم كانوا إذا كانت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلًا عن أن يصلوا عندها أو يسألوا الله بأصحابها أو يسألوهم حوائجهم؟ فليوقفونا على أثر واحد أو حرف واحد في ذلك ، بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك ، وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان أكثر ، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك ، بل فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه في الأحاديث المرفوعة .

قال[1] : ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سـارت مـشرقة وسرت مغربـا
شـتان بـين مـشرق ومغـرب

والأمر -والله- أعظم مما ذكرنا .

وقد ذكر البخاري في «صحيحه» عن أم الدرداء قالت : دخل علي أبو الدرداء مغضبًا . فقلت : ما لك؟ فقال : والله ما أعرف فيهم من

---

(١) أي الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى .

أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعًا[١] .

وروى مالك في «الموطأ» عن عمر أبي سهيل[٢] بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئًا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . يعني الصحابة رضي الله عنهم[٣] .

وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك؟ فقال : ما أعرف شيئًا مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيعت[٤] . ذكره البخاري -وفي لفظ آخر- ما كنت أعرف شيئًا على عهد رسول الله ﷺ إلا قد أنكرته اليوم .

وقال الحسن البصري : سأل رجل أبا الدرداء فقال : رحمك الله لو أن رسول الله ﷺ كان حيًّا بين أظهرنا هل كان ينكر شيئًا مما نحن عليه؟ فغضب واشتد غضبه . فقال : وهل كان يعرف شيئًا مما أنتم عليه؟

وقال المبارك بن فضالة : صلى الحسن الجمعة وجلس يبكي . فقيل له : ما يبكيك يا أبا سعيد؟ فقال : تلومونني[٥] على البكاء!!

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل صلاة الفجر جماعة ، حديث رقم (٦٥٠) .

(٢) في (أ) : «عن عمه أبي سهيل» ، وفي (ط) عن محمد بن سهيل .

(٣) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٧٦) رقم (١٩٤) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب تضييع الصلاة عن وقتها ، حديث رقم (٥٣٠) .

(٥) في (أ) : «تلومني» .

ولو أن رجلًا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئًا مما كان عليه على عهد رسول الله ﷺ أنتم عليه إلا قبلتكم هذه(١) .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

تم الكتاب

* * *

---

(١) ذكر بعد هذه الجملة ما نصه : «آخر ما كشف به المصنف رحمه الله تلبيس داود وشبهاته الواهي ، ولها بقية لم يظفر بها المصنف ، وشبهات داود لا تحتاج إلى رد لمن بقي على فطرته وسلم من الكبر والتعصب ؛ لأن بطلانها وتناقضها لا يخفى إلا على من أعمى الله قلبه ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ولكن لما تغير كثير من الفطر احتاجت إلى كشف فكشفها الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله أحسن كشف ، وردها أوضح رد ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

تم غرة جمادى الأولى سنة ١٣٠٦هـ والحمدلله أولًا وآخرًا ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين» .

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

***